

مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ

المُصَنَّفِي

بِالْمَقَامَاتِ الْأَدَبِيَّةِ

تَأَلِيفُ

أَبِي مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِيِّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيِّ الْبَصْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥١٩ هـ

دارُ العَدْلِ لِلتَّحْقِيقِ

مَقَامَاتُ الْحَرِيِّ

المُسمى

بِالمَقَامَاتِ الأَدَبِيَّةِ

تأليف

أبي محمد القاسمي بن علي بن محمد الحريري البصري

المتوفى بسنة ٥١٩ هـ

علق عليه وضبطه

ووضع هوامشه

عزت زينهم

دار الغد الجديد



جميع الحقوق محفوظة
جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة!

دار الغد الجديد
للطباعة والنشر والتوزيع

EXCLUSIVE RIGHTS FOR
DAR AL-GHAD AL-GADEED
For Publishing & Distribution

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م
دار الغد الجديد
للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة: ٧ شارع رزق الأراك خلف الجامع الأزهر
المنصورة: ش. عبد السلام حارف أمام جامعة الأزهر

ت فاكس: ٠٢٠٢/٢٥١٤٨٢١٦

ت فاكس: ٠٢٠٥٠/٢٢١٦٨٩٨

صندوق بريدي: ٣٥١١١

E.Mail: dar.alghad@yahoo.com

رقم الإيداع: ٢٠١٥ / ١٩٧١٢

I.S.B.N: 978-977-372-482-7

مقدمة التحقيق

الحمد لله خالق الألسن واللغات، و واضع الألفاظ للمعاني بحسب ما اقتضته حكمه البالغات، الذي علم آدم الأسماء كلها، وأظهر بذلك شرف اللغة وفضلها. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفصح الخلق لسانا، وأعربهم بيانا، وعلى آله وصحبه، أكرم بهم أنصارا وأعوانا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران].
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء].
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب].

يقول الثعالبي في مقدمة كتابه «فقه اللغة»: من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وأتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهماها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلا يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره.

وإسهاما منا في خدمة لغتنا العربية لغة القرآن الكريم نقدم لك أخي القارئ الكريم كتاب مقامات الحريري المسمى بـ «المقامات الأدبية» لمؤلفه أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري المتوفى سنة (٥١٦هـ)، وهو ثاني كتب المقامات شهرة وأجلها أثرا، لم يلق واحد منها ما لقيه من عناية العلماء به، وتنافس الأمراء

بأقتناء نسخته.

قال حاجي خليفة: كتاب لا يحتاج إلى تعريف لشهرته.

وقد قال الزمخشري في مدحه وهو من معاصري الحريري: أقسم بالله وآياته، ومشعر الحج وميقاته، أن الحريري حريٌّ بأن نُكْتُبَ بالتبر مقاماته، وهو الكتاب الرابع من كتب المقامات حسب التسلسل التاريخي.

وأولها: مقامات بديع الزمان.

وثانيها: مقامات أبي النصر عبد العزيز بن عمر السعدي المتوفى سنة ٤٠٥هـ.

وثالثها: مقامات ابن تاقيا عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٤٨٥هـ.

ورابعها: مقامات الحريري، ويضم خمسين مقامة، على غرار مقامات بديع

الزمان، جعل الحريري بطلها الحارث بن همام البصري، وهو اسم بلا مسمى، وراويها أبا زيد السروجي وهو شخصية حقيقية، ورد البصرة، وكان شيخاً بليغاً، وسحر الناس بفصاحته في مسجد بني حرام وهو يسألهم أن يعينوه في فك ولده من أسر الروم.

قال الحريري: فاجتمع عندي فضلاء، وأخبروني بما سمعوه وتعجبوا منه،

فأنشأت المقامة الحرامية، ثم بنيت عليها سائر المقامات.

قال ابن الجوزي: وعرض المقامة الحرامية على الوزير أنوشروان فاستحسنها وأمر

أن يضيف إليها ما شاكلها فأتمها خمسين مقامة.

وعثر ابن خلكان سنة ٦٧٦هـ على نسخة منها بخط الحريري، وقرأ فيها أنه

ألفها للوزير جلال الدين ابن صدقة، وذلك مخالف لما أثبتته في ترجمته للحريري من أنه ألفها للوزير أنوشروان بن خالد القاشاني: وزير المسترشد العباسي.

ولها شروح كثيرة جداً، عدّ منها حاجي خليفة أربعين شرحاً، ونص على أن

أجودها شروح أبي العباس الشريشي المتوفى سنة ٦١٩هـ، وأضخمها شرح ابن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤هـ، وهو في خمسة وعشرين مجلداً، وأقدمها: شرح أبي سعيد الحلبي تلميذ الحريري، وقد قرأ شرحه عليه.

طبع الكتاب لأول مرة في كلكتة من سنة ١٨٠٩ إلى ١٨١٢م، ثم في باريس

سنة ١٨٢٢هـ بعناية (دي ساسي) مع شروح منتخبة، وفي (لايسك) سنة ١٨٣٦ وفي بولاق ١٢٨٨هـ.

وقد وصلتنا نسخ منه مزينة بالمنمنمات التي أبدعتها ريشة الفنان يحيى بن محمود الواسطي، فرغ منها في رمضان ٦٣٤هـ. وانظر كتاب (الأثر العربي في الفكر اليهودي) إبراهيم موسى هندواوي، وفيه فصل المقامات ص ١٢٩ (وأهم إنتاج أدبي من هذا النوع ما لقيه الشاعر يهوذا الحريري في القرن (١٢م) ويعتبر إنتاجه أشهر ما أنتج في الأدب العبري، وقد ترجم (مقامات الحريري) إلى العبرية تلبية لرغبة أصدقائه الذين شغفوا بالأدب العربي في طليطلة، وسمى ترجمته (حكايات إيتيئيل) نسبة إلى البطل الذي اختاره لمقاماته بدلاً من الاسم العربي، وقد استعاره من (سفر الأمثال: إصحاح ٣٠) أما كتاب (مقاماته) هو فأهمها المقامة (٤٧) ص ٢٥٠ في وصف من لقيهم في أسفاره من يهود المشرق، وفي مقامة أخرى يذكر أسماء شعراء اليهود، وشهرة كل واحد منهم.

أما عن تاريخ دخول (مقامات الحريري) إلى المغرب، فقد ذكر أبو عبد الله ابن القاضي عياض في كتابه (التعريف بالقاضي عياض) (ص ١٠٩) أن بعض أصحابه سمعه يقول: (لما وصل إلى بلدنا كتاب المقامات للحريري، وكنت لم أرها قبل، لم أنم ليلة طالعته حتى أكملت جميعها بالمطالعة) قال محقق الكتاب د. محمد بن شريفة: أما في الأندلس فقد أدخلها من أخذها مباشرة عن الحريري كما ذكر د. إحسان عباس في كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي) (ص ٣٠٣)، ونسوه هنا إلى ما ذهب إليه رفاعة الطهطاوي من أن فينيلون الفرنسي استفاد كثيراً من مقامات الحريري في كتابه (مواقع الأفلاك في وقائع تيلماك) الذي قام الطهطاوي بترجمته إلى العربية سنة ١٨٤٩م. انظر مجلة العرب (س ٣ ص ٧٧٧). وفيها إشارة إلى مقامات علي مبارك، التي سماها باسم بطلها (علم الدين).

عملنا في الكتاب:

وقد قمت في هذا الكتاب بعمل الآتي:

- ١- ضبط متن الكتاب من حيث التصحيف والتحريف.
 - ٢- ضبط كلمات الكتاب ضبطاً تاماً؛ لتوضيح المعنى، ولإزالة اللبس.
 - ٣- تخريج آيات الكتاب بعزوها إلى سورها، وذكر رقم الآية.
 - ٤- تعريف الكثير من الكلمات الغريبة.
 - ٥- عمل الفهارس العلمية الشاملة، وتشمل:
- أ- فهرس الآيات القرآنية. ب- فهرس الأحاديث النبوية.
- ج- فهرس الأماكن الواردة في الكتاب.

د - فهرس الأمثال الواردة في الكتاب .

هـ - فهرس الأشعار الواردة في الكتاب .

و- فهرس القبائل والفرق والمذاهب والشعوب .

ز - فهرس موضوعات للكتاب .

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني الله به
وجميع المسلمين، أمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

عزت زينهم

ترجمة الحريري

(٤٤٦. ٥١٦هـ)

هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، الأديب أبو محمد البصري^١ الحرامي^٢ الحريري^٣، مصنف «المقامات».

كان يسكن ببني حرام إحدى محال البصرة مما يلي الشَّط، كان مولده ومرباه بقرية المشان من نواحي البصرة، وكان أحد أئمة عصره في الأدب والنظم والسنن والبلاغة والفصاحة، رُزقَ الحظوة التامة في مقاماته.

ذكر الموقاني وغيره أنَّ الحريري قرأ الأدب بالبصرة على القصباني، فحكى أن القصباني قال: إذا قلت: ما أسود زيدا! وما أسمر عمرا! وما أصفر هذا الطير! وما أبيض هذه الحمامة! وما أحمر هذا الفرس! لا تصح إن أردت الألوان، وتصح إن أردت التّعجب من سُودد زيد، وسمر عمرو، وصغير الطير، وكثرة بيض الحمامة، وحمرة الفرس وهو أن ينتن فوه، وحكى الحريري، قال: كان أبو زيد السروجي شيخاً شحاذاً بليغاً، ومكدياً فصيحاً، ورد علينا البصرة فوقف في مسجد بني حرام، فسلم ثم سأل، وكان بعض الولاة حاضراً والمسجد غاص بالفضلاء، فأعجبتهم فصاحته وحسن صياغة كلامه، وذكر أسر الروم ولده كما ذكرناه في المقامة الحرامية، فاجتمع عندي عشية جماعة، فحكيت ما شاهدت من ذلك السائل، وما سمعت من لطافة عبارته وظرافة إشارته في تحصيل مراده، فحكى لي كلُّ واحد من جلسائي أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت، وأنه سمع منه في معنى آخر فصللاً أحسن مما سمعت، وكان يُغيّر في كلِّ مسجد شكله وزيه، فتعجبوا من جريانه في ميدانه وتصرفه في تلوته وإحسانه، فأنشأتُ المقامة الحرامية ثم بنيتُ عليها سائر المقامات.

وذكر ولد الحريري، أبو القاسم عبد الله، قال: كان السبب في وضع هذه «المقامات» أن أبي كان جالساً في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين، عليه أهبة السفر فصيح الكلام، حسن العبارة فسأله الجماعة: من أين الشيخ؟ فقال: من سروج، فاستخبروه عن كنيته فقال: أبو زيد، فعمل أبي المقامة المعروفة «بالحرامية» وهي الثامنة والأربعون، وعزاها إلى أبي زيد المذكور واشتهرت، فبلغ خبرها الوزير

شرف الدين أنوشروان بن خالد القاشاني، وزير المسترشد، فأعجبته وأشار على أبي أن يضم إليها غيرها فأتمها خمسين مقامة، وإلى الوزير أشار الحريري بقوله في الخطبة: فأشار من إشارته حُكْم، وطاعته غُنْم. وأما تسمية الراوي بالحرث بن همّام فإنما عني به نفسه، أخذ من قوله عليه السلام: «كلُّكم حارث وكلُّكم همّام»، فالحرث الكاسب والهمّام الكثير الاهتمام؛ لأن كل أحد كاسب ومهتمُّ بأموره.

وقد سمع من أبي تمام محمد بن الحسن بن موسى المقرئ، وأبي القاسم بن الفضل القصباني الأديب، وأملى بالبصرة مجالس، وصنّف أيضاً «درة الغواص في أوهام الخواص» و«الملحة» في النحو وصنّف لها شرحاً، وله ديوان ترسل وشعر كثير. روى عنه ابنه أبو القاسم، وأبو العباس المنذائي الواسطي، وأبو الكرم الكراييسي، والوزير علي بن طراد، وأبو علي ابن المتوكّل، وقوام الدين علي ابن صدقة الوزير، وابن ناصر الحافظ، وعلي بن مظفر الظهيري، ومنوجهر ابن تركانشاه، وأحمد بن علي ابن الناعم، وأبو بكر ابن النقور، ومحمد بن أسعد العراقي، وأبو المعمر المبارك بن أحمد الأزجي، وآخر من روى عنه بالإجازة أبو طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي.

ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة، وقرأ الأدب بالبصرة على القصباني ثم استعان بذكائه وفطنته على اللغات والآداب.

قال قاضي القضاة ابن خلكان: وجدت في عدة تواريخ أن الحريري صنّف "المقامات" بإشارة أنوشروان إلى أن رأيت بالقاهرة سنة ست وسبعين نسخة مقامات كلها بخط مصنّفها، وقد كتب بخطه أيضاً أنه صنّفها للوزير جلال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن بن علي بن صدقة وزير المسترشد، ولا شك في أن هذا أصح لأنه بخط المصنّف، وتوفي الوزير المذكور في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة.

وذكر الوزير جمال الدين علي بن يوسف الشيباني القفطي في "تاريخ النحاة": أن أبا زيد السروجي اسمه المطهر بن سلاّر، وكان بصرياً لغويّاً صحب الحريري، وتخرّج به، وقد روى أبو الفتح محمد بن أحمد المنذائي «ملحة الإعراب» عنه عن الحريري، حدّثهم بها بواسط في سنة ثمان وثلاثين، وتوفي بعد الأربعين وخمسمائة، وقد شرح «المقامات» جماعة من الفضلاء.

قال القاضي: ورأيت في بعض المجاميع أن الحريري عمل «المقامات» أربعين

مقامة، وحملها إلى بغداد فاتهمه جماعة من أدباء بغداد، وقالوا: هي لرجل مغربي مات بالبصرة ووقعت أوراقه إلى الحريري، فظفر بها، فادعاهما، فسأله الوزير عن صناعته، فقال: أنا رجل مُنْشئ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عينها، فانفرد في ناحية من الدار وأخذ الدواة والورقة ومكث زماناً، فلم يُفْتَح عليه بشيء يكتبه، فقام خجلاً، وكان ممن أنكر دعواه علي بن أفلح الشاعر، فعمل في ذلك:

شيخ لنا من ربيعة الفرس يتنف عنونته من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما رماه وسط الديوان بالخرس

وكان الحريري يذكر أنه من ربيعة الفرس، وكان يولع بتنف لحيته عند الفكرة، وكان يسكن في مشان البصرة، فلما رجع إلى بلده أكملها خمسين مقامة، وسير العشرة، واعتذر عن عيه بالهبة.

وقيل: بل كره المقام ببغداد فتجاهل.

ويُحكى أنه كان دميماً قبيح المنظر، فأتاه غريب يزوره ويأخذ عنه، فلما رآه استترى شكله، ففهم الحريري ذلك منه، فلما التمس أن يملي عليه، قال اكتب:

ما أنت أول سار غرة قمر ورائد أعجبتة خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري إنني رجل مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

وكان الحريري من الأغنياء بالبصرة، يقال: كان له ثمانية عشر ألف نخلة، وقيل: كان قدراً في نفسه وشكله ولُبسه، قصيراً دميماً، بخيلاً، مولعاً بتنف لحيته، فنهاه الأمير وتوعده على ذلك، وكان كثير المجالسة له، فبقي كالمقيد لا يتجاسر أن يعبث بلحيته، فتكلم في بعض الأيام بكلام أعجب الأمير، فقال له: سلني ما شئت حتى أعطيك، فقال: أقطعني لحيتي، قال: قد فعلت!

وقال القاضي جابر بن هبة الله: قرأتُ «المقامات» على الحريري في سنة أربع عشرة، وكنت أظنُّ أن قوله:

يا هل ذا المعنى وقُيِّمَ شراً ولا لقيِّم ما بقيِّمَ ضرراً
قد دفع الليل الذي اكفهرأ إلى ذراكم شعثاً مُعَبِّراً

فقرأتُ «سغياً معترأ» ففكر، ثم قال: والله لقد أجدت في التصحيف وإنه لأجود فربُّ شعث مُعَبِّر غير محتاج، و«السغب المعترأ» موضع الحاجة، ولولا أنني قد كتبت خطي إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئتُ عليَّ لغيرته كما قلت.

ومن لُغَز الحريري وأجاد:

ميم موسى من نون نصر ففتش أيهاذا الأديب ماذا عنيتُ
ميم: أي أصابه الموم، وهو البرسام، ويقال: هو أثر الجدري. والنون:
السَّمكة، يعني: أكل سمكة نصر فأصابه الموم.
وله:

باء بكر بلام ليلى فما ينفُ — ك منها إلا بعين وهاء
البكر: الجمل، وباء: أقر، واللام: الزرع، فلازمته ليلى فما ينفك منها مما
تلطمه في وجهه إلا بعين واهية من اللطم.
وله:

لا تخطونَ إلى خطأ ولا خطاء من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطأ
وأي عذر لمن شابت ذوائبه إذا سعى في ميادين الصبا وخطأ
حدّث جابر بن زهير، قال: حضرنا مع ابن الحريري دعوة لرئيس البصرة ظهير
الدين ابن الوجيه في ختان ابنه أبي الغنائم، وحضر محمد البصري المغني فغنى:

بالذي ألهم تعذيب بي ثناياك العذابا

ما الذي قالته عينا ك لقلبي فأجابا

فطرب الحاضرون وسألوا ابن الحريري أن يزيد لها مطلعاً فقال:

قل لمن عذّب قلبي وهو محبوب محابي

والذي إن سمته الوصـ ل تغالى وتغابى

فألزم الحاضرون لمحمد ألا يغنيهم غيرها، فمضى يومهم أجمع بها.

قال الموقاني: مات الحريري في سادس رجب سنة ست عشرة بالبصرة.

وقال غيره: خلف ولدين: نجم الدين عبد الله، وقاضي البصرة ضياء الإسلام

عيد الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الكتاب

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ، وَالْهَمَّتَ مِنَ التَّبْيَانِ، كَمَا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْعَطَاءِ، وَأَسْبَلْتَ^(١) مِنَ الْغَطَاءِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شِرَّةِ^(٢) اللَّسَنِ، وَفُضُولِ الْهَذَرِ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ مَعَرَّةِ الْلَكَنِ^(٣)، وَفُضُوحِ الْحَصْرِ^(٤)، وَنَسْتَكْفِي بِكَ الْاِفْتِنَانَ بِأَطْرَاءِ الْمَادِحِ، وَإِغْضَاءِ الْمُسَامِحِ، كَمَا نَسْتَكْفِي بِكَ الْاِنْتِصَابَ لِإِزْرَاءِ الْقَادِحِ^(٥)، وَهَتَكَ الْفَاضِحِ. وَنَسْتَغْفِرُكَ مِنْ سُوقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سُوقِ الشُّبُهَاتِ، كَمَا نَسْتَغْفِرُكَ مِنْ نَقْلِ الْخَطَوَاتِ إِلَى خَطَطِ الْخَطِيئَاتِ، وَنَسْتَوْهَبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا قَائِدًا إِلَى الرَّشْدِ، وَقَلْبًا مَتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ، وَلِسَانًا مَتَحَلِّيًا بِالصِّدْقِ، وَنُطْقًا مُؤَيِّدًا بِالْحُجَّةِ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً^(٦) عَنِ الزَّيْغِ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ، وَبَصِيرَةً نُدْرِكُ بِهَا عِرْفَانَ الْقَدْرِ، وَأَنْ تُسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ، إِلَى الدَّرَايَةِ، وَتَعْضِدُنَا^(٧) بِالْإِعَانَةِ عَلَى الْإِبَانَةِ، وَتَعْصِمَنَا مِنَ الْغَوَايَةِ فِي الرَّوَايَةِ، وَتَصْرِفُنَا عَنِ السَّفَاهَةِ، فِي الْفُكَاهَةِ، حَتَّى نَأْمَنَ حِصَائِدَ الْأَلْسِنَةِ، وَنُكْفَى غَوَائِلَ^(٨) الزَّخْرَفَةِ، فَلَا نَرِدَ مُورِدَ مَائِمَةٍ، وَلَا نَقِفَ مَوْقِفَ مُنْدَمَةٍ، وَلَا نُرْهَقَ بِتَبِيعَةٍ^(٩) وَلَا مَعْتَبَةٍ، وَلَا نُلْجَأَ إِلَى مَعْدِرَةٍ عَنِ

(١) أَسْبَلٌ: أَرْخَى وَغَطَّى وَسَتَرَ.

(٢) شِرَّةٌ: فَحْشٌ.

(٣) عَجْمَةٌ فِي اللِّسَانِ وَعَدَمُ تَبْيِينِ الْكَلَامِ.

(٤) فَضُوحُ الْحَصْرِ: اِشْتِهَارُ الْعِي وَعَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْكَلَامِ.

(٥) إِزْرَاءُ الْقَادِحِ: الطَّعْنُ عَلَى النَّاقدِ الصَّادِقِ.

(٦) ذَائِدَةٌ: بَعِيدَةٌ.

(٧) عَضَدٌ: أَعَانَ وَسَاعَدَ.

(٨) غَوَائِلُ: مَصَائِدُ التَّزْيِينِ وَأَخْطَارُهُ.

(٩) تَبِيعَةٌ: مَا أُتْبِعَ بِظَلْمٍ أَوْ مَظْلَمَةٍ.

بَادِرَةً، اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُنِيَّةَ، وَأَنْلْنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ، وَلَا تُضْحِنَا (١) عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ، وَلَا تَجْعَلْنَا مُضْعَغَةً لِلْمَاضِغِ، فَقَدْ مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ، وَبَخَعْنَا (٢) بِالْأَسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمَسْكَنَةِ، وَاسْتَنْزَلْنَا كَرَمَكَ الْجَمِّ، وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ، بِضِرَاعَةِ الطَّلَبِ، وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ، بِالتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ، وَالشَّفِيعِ الْمُشَفَّعِ فِي الْمَحْشَرِ، الَّذِي خَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَوَصَفْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْهَادِينَ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ، وَاجْعَلْنَا لَهْدِيهِ وَهَدِيهِمْ مُتَّبِعِينَ، وَانْفَعْنَا بِمُحَبَّتِهِ وَمُحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ، وَبَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى بَعْضُ أُنْدِيَةِ الْأَدَبِ الَّذِي رَكَدَتْ (٣) فِي هَذَا الْعَصْرِ رِيحُهُ، وَخَبَتْ (٤) مُصَابِيحُهُ، ذَكَرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا بَدِيعُ الزَّمَانِ، وَعَلَامَةُ هَمْدَانِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَعَزَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِيِّ نَشَاتُهَا، وَإِلَى عَيْسَى بْنِ هِشَامٍ رَوَايَتُهَا، وَكِلَاهُمَا مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ، وَنِكْرَةٌ لَا تَعْرَفُ! فَأَشَارَ مَنْ إِيَّاهُ مِنْ إِشَارَتِهِ حُكْمٌ (٥)، وَطَاعَتُهُ غُنْمٌ، إِلَى أَنْ أُنْشِيَ مَقَامَاتٌ أُتْلُو فِيهَا تَلْوًا (٦) الْبَدِيعِ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الظَّالِعُ (٧) شَأْوَ الضَّلِيلِ، فَذَاكَرْتُهُ بِمَا قِيلَ فِيمَنْ أَلْفَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ، وَنَظْمَ بَيْتًا أَوْ بَيْتَيْنِ، وَاسْتَقَلَّتْ (٨) مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْفَهْمُ، وَيُفْرَطُ الْوَهْمُ، وَيُسَبَّرُ غَوْرُ الْعَقْلِ، وَتَسْبِينُ قِيَمَةِ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ، وَيُضْطَرُّ

(١) تُضْحِنَا: تَطْرُدْنَا مِنْ ظِلِّكَ إِلَى حَرِّ الْمَعْصِيَةِ وَالنَّارِ.

(٢) بَخَعْنَا: أَقْرَبْنَا وَأَنْبَنَا.

(٣) رَكَدَتْ: كَسَدَتْ.

(٤) خَبَتْ: طَفَّتْ. (٥) الْمَقْصُودُ: وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ، أَوْ الْخَلِيفَةُ نَفْسَهُ.

(٦) أُتْلُو فِيهَا تَلْوًا: أَحْذُو حَذْوَهُ، وَأَسِيرُ عَلَى طَرِيقَتِهِ.

(٧) الظَّالِعُ: مَنْ يَمِيلُ فِي مَشِيهِ وَلَا يَعْتَدِلُ مِنْ مَرَضٍ. (٨) اسْتَقَلَّتْ: اسْتَعْفَيْتَ وَطَلَبَ الْإِقَالََةَ.

صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل^(١)، أو جالب رجل^(٢) وخيل، وقلما سلم مكثار، أو أقيـل له عثار^(٣)، فلما لم يسعف بالإقالة، ولا أعفى من المقالة، لبيت دعوته تلبية المطيع، وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع، وأنشأت على ما أعانيه من قريحة^(٤) جامدة، وفطنة خامدة، وروية ناضبة^(٥)، وهموم ناضبة، خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودوره، وملح الأدب^(٦) ونوادره، إلى ما وشحتها^(٧) به من الآيات، ومحاسن الكنايات، ورضعته فيها من الأمثال العربية، واللطائف الأدبية، والأحاجي^(٨) النحوية، والفتاوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والخطب المحبرة^(٩)، والمواعظ المبكية، والأصاحك الملهية، مما أملت جميعه على لسان أبي زيد السروجي، وأسندت روايته إلى الحارث بن همّام البصري، وما قصدت بالإحماض^(١٠) فيه، إلا تنشيط قارئه، وتكثير سواد طالبيه، ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذنين^(١١) أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية، وآخرين توأمين ضمتهما خواتم المقامة الكرجية، وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره^(١٢)، ومقتضب حلوه ومرة، هذا مع اعترافي بأن البديع - رحمه الله - سباق غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، وكو أوتي بلاغة

(١) حاطب ليل: الذي لا يدري أي شيء يجمع وما يضر وما ينفع.

(٢) رجل: فارس. (٣) المقصود: العثرات، وهي الزلاّت والخطيئات.

(٤) قريحة: طبيعة ونفس. (٥) المقصود: فكرة لا تساعد ولا تعين.

(٦) ملح الأدب: ما يستظرف من الأدب. (٧) أي: زينتها وجملتها.

(٨) جمع أحجية، وهي ما يتطلب عمل العقل للفهم.

(٩) المحبرة: المزينة. (١٠) المقصود: تعدد الأساليب.

(١١) فذنين: فردين لا ثالث لهما. (١٢) المراد: ابتكرتها ولم يسبقني أحد لها.

قُدَامَةٌ^(١)، لا يَغْتَرِفُ إِلَّا مِنْ فُضَالَتِهِ، وَلَا يَسْرِي ذَلِكَ الْمَسْرَى إِلَّا بِدَلَالَتِهِ،
ولله دَرُّ القَائِلِ:

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً بَسُعْدَى شَقَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدَمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ

وَأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ فِي هَذَا الْهَذَرِ^(٢) الَّذِي أوردَتْهُ، وَالْمُورِدِ الَّذِي
توردَتْهُ^(٣)، كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ^(٤)، وَالْجَادِعِ مَارِنَ^(٥) أَنْفِهِ بِكَفِّهِ،
فَأَلْحَقَ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ يُحْسِنُونَ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، عَلَيَّ أَنِي وَإِنْ أَعْمَضَ لِي الْفَطْنُ الْمُتَغَابِي وَنَضَحَ عَنِّي
الْمُحِبُّ الْمُحَابِي، لَا أَكَادُ أَخْلَصُ مِنْ غَمْرٍ جَاهِلٍ، أَوْ ذِي غَمْرٍ^(٦) مُتَجَاهِلٍ،
يَضَعُ مِنِّي لِهَذَا الْوَضْعِ، وَيَنْدُدُ بِأَنَّهُ مِنْ مَنَاهِي الشَّرْعِ، وَمَنْ نَقَدَ الْأَشْيَاءَ بَعَيْنِ
الْمَعْقُولِ، وَأَنْعَمَ^(٧) النَّظَرَ فِي مَبَانِي الْأَصُولِ، نَظَمَ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ، فِي سِلْكِ
الْإِفَادَاتِ، وَسَلَكَهَا مَسْلَكَ الْمَوْضُوعَاتِ، عَنِ الْعَجَمَاوَاتِ وَالْجَمَادَاتِ، وَلَمْ
يُسْمَعْ بِمَنْ نَبَأَ سَمْعُهُ عَنْ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ، أَوْ أَتَمَّ رَوَاتَهَا فِي وَقْتٍ مِنْ
الْأَوْقَاتِ، ثُمَّ إِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَبِهَا أَنْعَادُ الْعُقُودِ الدِّيْنِيَّاتِ، فَأَيُّ
حَرَجٍ عَلَيَّ مَنْ أَنْشَأَ مُلْحَأًا لِلتَّنْبِيهِ، لَا لِلتَّمْوِيهِ، وَنَحَا بِهِ مِنْحَى التَّهْذِيبِ، لَا
الْكَاذِيبِ؟ وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْزِلَةٍ مَنِ انْتَدَبَ لِتَعْلِيمِ، أَوْ هَدَى إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؟

(١) المقصود: هو قدامة بن جعفر، الكاتب البغدادي المعروف.

(٢) الهذر: الكلام الذي لا فائدة فيه، والهديان.

(٣) أي: تجرأت عليه وأقبلت.

(٤) مثل عربي، والمراد: من يسعى في هلاك نفسه.

(٥) أي: الجزء اللين من الأنف.

(٦) غمر: بكسر أوله: حاقِد.

(٧) أنعم: أمعن وأعمل فكره.

على أنني راضٍ بأن أحملَ الهوى وأخلصَ منه لا عليَّ ولا ليا
 وبالله أعتزُّ، فيما أعتَمِدُ، وأعتصِمُ، ممَّا يصمُّ (١)، وأسترشدُّ، إلى
 ما يرشدُّ، فما المَفْرَعُ إلا إليه، ولا الاستعانةُ إلا به، ولا التَّوفيقُ إلا منه،
 ولا المُوْتَلُّ (٢) إلا هو، عليه توكلتُ وإليه أنيبُ، وبه نستعينُ، وهو نعمَ
 المعينُ.



(١) يصم: يعيب ويشوه.

(٢) المُوْتَلُّ: المنجي من الأضرار.

المقامة الأولى الصنعاية

حدث الحارث بن همّام قال: لما اقتعدتُ غاربَ الاغترابِ^(١)، وأنا أنثني المتربة^(٢) عن الأترابِ^(٣)، طوّحتُ بي طوائحُ الزمنِ، إلى صنعاء اليمينِ، فدخلتها حاوي الوفاضِ، بادي الإنفاضِ، لا أملكُ بلغةً، ولا أجدُ في جراي مضعغةً، فطفقتُ أجوبُ طرقاتها مثل الهائمِ، وأجولُ في حوماتها جولان الحائمِ، وأرودُ في مسارحِ لمحاتي، ومسايحِ غدواتي وروحاتي^(٤)، كريماً أخلقُ له ديباجتي^(٥)، وأبوحُ إليه بحاجتي، أو أديباً تفرجُ رؤيته غمّتي، وتروي روايته غلّتي^(٦)، حتّى أدتني خاتمة المطافِ، وهدتني فاتحة الألفافِ، إلى نادٍ رحيبٍ، محتوٍ على زحامٍ ونحيبٍ، فوكجتُ غابة الجمعِ، لأسبر^(٧) مجلبة الدمعِ، فرأيتُ في بهرة الحلقةِ، شخصاً شخت الحلقة^(٨)، عليه أهبة السيّاحةِ، وله رنة النياحةِ، وهو يطبعُ الأسجاعَ بجواهر لفظه، ويقرعُ الأسماعَ بزواجيرٍ وعظه، وقد أحاطتُ به أخلاطُ الزمّرِ، إحاطة الهالةِ بالقمرِ، والأكمامِ بالثمرِ، فدلفتُ إليه لأقتبسَ من فوائده، وألتقطَ بعضَ فرائده، فسمِعته يقولُ حينَ خبّ في مجاله، وهدرتُ شقاشقُ ارتجاله^(٩)،

- (١) أي: ابتعدتُ عن وطني واغتربتُ.
 (٢) المتربة: الحاجة والفقر الشديد.
 (٣) الأتراب: الرجال والنساء في سن واحدة.
 (٤) أي: أتأمل الأماكن في ذهابي وعودتي.
 (٥) أي: أقدم كل ما أستطيع عليه.
 (٦) غلّتي: عطشي الشديد.
 (٧) لأسبر: لأمتحن وأختبر.
 (٨) شخت الحلقة: نحيف وضعيف.
 (٩) أي: ظهرت فصاحته وتتابعت بلاغته.

أيها السّادرُ في غلوائه^(١)، السّادلُ^(٢) ثوبَ خيلائه، الجامحُ في جهالاته،
الجانحُ إلى خزعبلاته^(٣)، إلامَ تستمرُّ على غيِّك، وتستمرُّ^(٤) مرعى
بغيك؟ وحتّامَ تنهأ في زهوك، ولا تنتهي عن لهوك؟ تبارزُ بمعصيتك،
مالك ناصيتك! وتجترئُ بقبح سيرتك، على عالمِ سريرتك! وتتوارى عن
قريبك، وأنت بمرأى رقيبك! وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافيةً على
مليكك! أتظنُّ أن ستنفَعُ حالك، إذا أن ارتحالك؟ أو يُنقذُ مالك، حين
توبقك^(٥) أعمالك؟ أو يُغني عنك ندمك، إذا زلتَ قدمك؟ أو يعطفُ
عليك معشرُك، يومَ يضمُّك محشرُك؟ هلا انتَهجتَ محجةَ اهتدائك،
وعجلتَ معالجةَ دائك، وفللتَ شباةَ^(٦) اعتدائك، وقدعتَ نفسك فهي أكبرُ
أعدائك؟ أما الحمامَ ميعادك، فما إعدادك؟ وبالمشيبِ إنذارك، فما أعدارك؟
وفي اللحدِ مقيلك، فما قيلك؟ وإلى الله مَصيرُك، فمن نصيرُك؟ طالما
أيقظك الدهرُ فتناعستَ، وجذبك الوعظُ فتقاعستَ!

وتجلتُ لك العبرُ فتعاميتَ، وحصحصَ لك الحقُّ فتماريتَ، وأذكركَ
الموتُ فتناسيتَ، وأمكنك أن تُؤاسيَ فما آسيتَ! تُؤثرُ فلساً توعيه، على ذكرٍ
تعيه، وتختارُ قصراً تُعليه، على برٍّ تُوليه، وترغبُ عن هادٍ تستهديه، إلى
زادٍ تستهديه، وتغلبُ حبَّ ثوبٍ تشتهيه، على ثوابٍ تشتريه، يواقيتُ
الصّلاتِ، أعلقُ بقلبك من مَواقيتِ الصّلاةِ، ومُغلاةِ الصّدقاتِ، أثرُ^(٧)
عندك من موالاةِ الصّدقاتِ، وصحافِ الألوانِ، أشهى إليك من صحائفِ

(١) غلوائه: مجاوزته الحدّ.

(٢) السّادل: المرخي، والمقصود: المتكبر.

(٣) خزعبلاته: أباطيله وخرافات.

(٤) أي: تستحسن وتستطاب.

(٥) توبقك: تقضي عليك وتهلكك.

(٦) أي: أزلت أسباب كبرك وحدته.

(٧) أثر: أفضل وأحسن.

الأديان، ودُعابة الأقران، آنسُ لك من تلاوة القرآن! تأمرُ بالعرفِ وتنتهكُ حمَاهُ، وتَحْمِي عن النُّكْرِ^(١) وَلَا تَحَامَاهُ! وتُزْحِرُ عن الظلمِ ثم تغشاهُ، وتخشَى الناسَ واللهُ أحقُّ أن تخشاهُ! ثم أنشد:

تَبَّالطَالِبِ دُنْيَا ثَنَى إِلَيْهَا انصِبَابَهُ^(٢)
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامًا بِهَا وَفَرَطَ صَبَابَهُ^(٣)
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ مَّا يَرُومُ صُبَابَهُ^(٤)

ثم إنه لبدَّ عجاجته^(٥)، وغيضَ مُجاجته^(٦)، واعتصدَ شكوتهُ، وتأبطَ هراوته^(٧)، فلَمَّا رنت^(٨) الجماعةُ إلى تحفزه، ورأت تآهبهُ لمزايلة مركزه، أدخلَ كلُّ منهمُ يدهُ في جيبيه، فأفعمَ له سجلاً من سببه^(٩)، وقال: اصرفْ هذا في نفقتك، أو فرقه على رُفقتك، فقبله منهم مغضياً^(١٠)، وأنشئ عنهم مثنياً، وجعل يودع من يشيعه، ليخفي عليه مهيعه^(١١)، ويسرب من يتبعه، لكي يجهل مربعه.

قال الحارث بن همَّام: فاتبعته موارياً عنه عياني^(١٢)، وقفوت أثره من حيث لا يراني، حتى انتهى إلى مغارة، فانساب فيها على غرارة^(١٣)، فأمهلت ريثما خلع نعليه، وغسل رجليه، ثم هجمت عليه، فوجدته

(١) النُّكْر: الشر وكل ما ينكره الشرع.

(٢) أي شديد الحب لدنياه.

(٣) أي شديد الحب لدنياه.

(٤) أي شديد الحب لدنياه.

(٥) العجاجة: الريح تحمل الغبار والدخان، والمراد: أنهى كلامه.

(٦) مُجاجة: الريق، والمراد: توقف عن الكلام وبلغ ريقه.

(٧) هراوته: عصاه.

(٨) رنت: نظرت إليه طويلاً وأعجبت بكلامه.

(٩) المقصود: قدم كل منهم ما معه من مال.

(١٠) مغضياً: حياً.

(١١) مهيعه: طريقه.

(١٢) عياني: شخصي.

(١٣) الغرة: الغفلة.

مُثَانِفاً (١) لتلميد، على خبز سَمِيد، وجدِّي حَيْد، وَقَبَالَتْهُمَا خَابِيَةٌ نَبِيد،
فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا أَيْكُونُ ذَاكَ خَبْرَكَ، وَهَذَا مُخْبِرَكَ؟ فَزَفَرَ زَفْرَةَ الْقَيْظِ،
وَكَادَ يَتَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ، وَلَمْ يَزَلْ يُحْمَلِقُ إِلَيَّ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيَّ،
فَلَمَّا أَنْ خَبَتْ نَارُهُ، وَتَوَارَى أُوَارُهُ، أَنْشَدَ:

لَبَسْتُ الْخَمِيصَةَ (٢) أَبْغِي الْخَبِيصَةَ (٣)
وَصَيَّرْتُ وَعْظِي أَحْبَوْلَةً
وَأَلْجَأَنِي الدَّهْرُ حَتَّى وَلَجْتُ
عَلَى أَنِّي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ
وَلَا شَرَعْتُ بِي عَلَى مَوْرِدٍ
وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ
وَأَنْشَبْتُ شَصِي (٤) فِي كُلِّ شَيْصَهُ
أُرَيْغُ (٥) الْقَنْيِصَ بِهَا وَالْقَنْيِصَهُ
بَلُطْفٍ احْتِيَالِي عَلَى اللَّيْثِ عَيْصَهُ (٦)
وَلَا نَبَضْتُ لِي مِنْهُ فَرِيصَهُ (٧)
يُدْنِسُ عَرْضِي نَفْسُ حَرِيصَهُ
لَمَّا مَلَكَ الْحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيصَهُ

ثُمَّ قَالَ لِي: ادْنُ فَكُلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُمْ وَقُلْ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ تَلْمِيذُهُ
وَقُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَنْ تَسْتَدْفِعُ بِهِ الْأَذَى، لَتُخْبِرْتَنِي مَنْ ذَا، فَقَالَ: هَذَا
أَبُو زَيْدِ السَّرُوجِيِّ، سِرَاجُ الْغُرَبَاءِ، وَتَاجُ الْأَدْبَاءِ، فَانصرفتُ مِنْ حَيْثُ
أَتَيْتُ، وَقَضَيْتُ الْعَجَبَ مِمَّا رَأَيْتُ.



(١) مثافنا: مجاوراً ومُحَاذِيَا.

(٢) الخميصة: ثياب أسود تكون من صوف أو خز به أعلام.

(٣) الخبيصة: نوع من أنواع الحلوى.

(٤) حديدة تشبه الصنارة.

(٥) أريغ: أخدع وأحتال.

(٦) عيصه: بيته ومخدعه.

(٧) فريصة: المراد: لم أرتعد ولم أخف، وهي لحم عند الكتف ترعد عند الخوف.

المقامة الثانية الحلوانية

حكى الحارثُ بن همامَ قال: كَلَفْتُ (١) مُذْ مِطَّتْ (٢) عني التَّمائمُ،
وَنِيطَتْ (٣) بي العَمائمُ، بأنْ أغشى مَعانَ (٤) الأدبِ، وأنْضِي إليه رِكابَ
الطَّلَبِ، لأَعْلَقَ مِنْهُ بِمَا يَكُونُ لي زِينَةً بَيْنَ الأَنامِ، وَمُزَنَةً عِنْدَ الأَوامِ (٥)،
وَكُنْتُ لِفَرْطِ اللَهَجِ باقْتِباسه، وَالطَّمَعِ في تَقَمُّصِ لِباسه، أُباحِثُ كُلَّ مَنْ جَلَّ
وَقَلَّ، وَأَسْتَسْقِي الوَبْلَ وَالطَّلَّ، وَأَتَعَلَّلُ بَعَسَى وَلَعَلَّ، فَلَمَّا حَلَلْتُ حُلُوانَ،
وقَدْ بَلَوْتُ الإِخوانَ، وَسَبَرْتُ الأَوزانَ، وَخَبَرْتُ ما شانَ وَزانَ، أَلْفَيْتُ بها أبا
زيدَ السَّرُوجيَّ يَتَقَلَّبُ في قَوالِبِ الانْتِسابِ، وَيَخْبِطُ في أسالِبِ الاكْتِسابِ،
فَيَدْعِي تارَةً أَنَّهُ مِنْ آلِ ساسانَ (٦)، وَيَعْتَزِي مرَّةً إلى أَقْبالِ غَسانَ (٧)، وَيَبْرُزُ
طَوراً في شِعارِ الشُعراءِ، وَيَلْبَسُ حيناً كِبَرَ الكُبراءِ، بيدَ أَنَّهُ مَعَ تَلَوْنِ حاله،
وتَبَيَّنِ مُحالَه، يَتَحَلَّى بِرواءِ (٨) وروايةِ، ومُدراةِ ودِرايةِ، وبِلاغَةِ رائِعَةٍ، وبِديهةِ
مُطاوِعةِ، وآدابِ بارِعَةٍ، وَقَدِمَ لأَعْلَامِ العُلُومِ فارِعَةً (٩)، فَكانَ لِمَحاسِنِ
آلاتِه، يُلبَسُ عَلى عِلاتِه (١٠)، وَلِسعَةِ رِوايَتِه، يُصَبِي إلى رِؤيَتِه، وَلِخِلابَةِ
عارِضَتِه، يُرغَبُ عَن مُعارِضَتِه، وَلِعُدُوبَةِ إيرادِه، يُسَعَفُ بِمُرادِه، فَتَعَلَّقْتُ
بأَهْدايِه، لِخِصائِصِ آدابِه، وَنافَسْتُ في مُصافِاتِه، لِنِفاائِصِ صِفاتِه.

(٢) مِطَّتْ: من أَمَطَ؛ أي: أبعد وأزال.

(١) كَلَفْتُ: بكسر الكاف: عشق.

(٤) مَعانَ: منازل.

(٣) نِيطَتْ: أحاطت وعلقت.

(٦) آل ساسان: هم ملوك الفرس.

(٥) اسم امرأة، هي أم الأوس والخزرج.

(٨) رِواء: زينة.

(٧) أَقْبالِ غَسانَ: هم ملوك الشام.

(١٠) عِلاته: عيوبه.

(٩) فارعة: مطاولة وصاعدة.

فَكُنْتُ بِهِ أَجْلُو هُمُومِي وَأَجْتَلِي زَمَانِي طَلَقَ الْوَجْهَ مُلْتَمِعَ الضِّيَا
أَرَى قُرْبَهُ قُرْبِي وَمَغْنَاهُ غُنْيَةً وَرُؤْيَتَهُ رِيًّا وَمَحْيَاهُ لِي حَيَا

وَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً، يُنْشَى لِي كُلَّ يَوْمٍ نَزْهَةً، وَيَدْرَأُ عَنِ قَلْبِي شُبْهَةً،
إِلَى أَنْ جَدَحْتَ لَهُ يَدُ الْإِمْلَاقِ (١)، كَأْسِ الْفِرَاقِ، وَأَغْرَاهُ عَدَمُ الْعِرَاقِ،
بِطَلْيِقِ الْعِرَاقِ، وَلَفْظَتُهُ مَعَاوِزُ الْإِرْفَاقِ، إِلَى مَفَاوِزِ الْآفَاقِ، وَنَظْمَهُ فِي سِلْكَ
الرَّفَاقِ، حُفُوقِ رَايَةِ الْإِخْفَاقِ، فَشَحَذَ لِلرَّحْلَةِ غِرَارَ عَزْمَتِهِ، وَظَعَنَ يَقْتَادُ
الْقَلْبَ بِأَزْمَتِهِ.

فَمَا رَاقِنِي مَنْ لَاقِنِي بَعْدَ بُعْدِهِ وَلَا شَاقِنِي مَنْ سَاقِنِي لَوْصَالِهِ
وَلَا لَاحَ لِي مُذْ نَدَّ (٢) نَدُّ لِفَضْلِهِ وَلَا ذُو خِلَالٍ حَازَ مِثْلَ خِلَالِهِ

وَاسْتَسَرَّ عَنِي حِينًا، لَا أَعْرِفُ لَهُ عَرِينًا، وَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُبِينًا، فَلَمَّا أُبْتُ
مَنْ غُرْبَتِي، إِلَى مَنْبِتِ شُعْبَتِي، حَضَرَتْ دَارَ كُتْبِهَا الَّتِي هِيَ مُتَدَى الْمُتَادِبِينَ،
وَمُلْتَقَى الْقَاطِنِينَ مِنْهُمْ وَالْمُتَغَرِّبِينَ، فَدَخَلَ ذُو لِحْيَةٍ كَثَّةٍ (٣)، وَهَيْئَةً رَثَّةً، فَسَلَّمَ
عَلَى الْجُلَاسِ، وَجَلَسَ فِي أُخْرِيَاتِ النَّاسِ، ثُمَّ أَخَذَ يَبْدِي مَا فِي وَطَائِهِ (٤)،
وَيُعْجَبُ الْحَاضِرِينَ بِفَضْلِ خِطَابِهِ، فَقَالَ لِمَنْ يَلِيهِ: مَا الْكِتَابُ الَّذِي تَنْظُرُ فِيهِ؟
فَقَالَ: دِيْوَانُ أَبِي عُبَادَةَ، الْمَشْهُودَ لَهُ بِالْإِجَادَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَثَرْتَ لَهُ فِي مَا
لِحْتَهُ، عَلَى بَدِيعِ اسْتَمْلَحْتَهُ (٥)؟ قَالَ: نَعَمْ قَوْلُهُ:

كَأَنَّمَا تَبَسَّمُ عَنْ لَوْلُوٍ مَنْضُدٍ (٦) أَوْ بَرْدٍ (٧) أَوْ أَقَاحٍ (٨)

(١) أي: مزج الفقر عليه عيشته الهنية.

(٢) نَدَّ: بالفتح؛ أي: هرب.

(٣) كَثَّةٌ: كثيفة.

(٤) اسْتَمْلَحْتَهُ: استحسنته.

(٥) بَرْدٌ: البرد: الثلج الأبيض شبه الأسنان في شدة بيضاها بالثلج.

(٦) لَوْلُوٌ مَنْضُدٌ: أي: منظوم في سلك.

(٧) أَقَاحٌ: جمع أقحوان، وهو: نبات طيب الريح.

فإنه أبدع في التشبيه، المودع فيه، فقال له: يا للعجب، ولضيعة الأدب! لقد استسمنت يا هذا ذا ورم، ونفخت في غير ضرم^(١)! أين أنت من البيت الندر، الجامع مشبهات الثغر؟ وأنشد:

نفسى الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر^(٢) عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حب

فاستجاده من حضر واستحلاه، واستعاده منه واستملاه، وسئل: لمن هذا البيت، وهل حي قائله أو ميت؟ فقال: أيم الله للحق أحق أن يتبع، وللصدق حقيق بأن يستمع! إنه يا قوم، لنجيكم مذ اليوم، قال: فكان الجماعة ارتابت^(٣) بعزوته، وأبت تصديق دعوته، فتوجس ما هجس في أفكارهم، وفطن لما بطن من استنكارهم، وحاذر أن يفرط إليه ذم، أو يلحقه وصم، فقرأ: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ثم قال: يا رواة القريض، وأساءة القول المريض^(٤)، إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك، ويد الحق تصدع رداء الشك، وقد قيل فيما غبر من الزمان: عند الامتحان، يكرم الرجل أو يهان، وها أنا قد عرضت خبيتي للاختبار، وعرضت حقيتي على الاعتبار، فابتدر أحد من حضر، وقال: أعرف بيتاً لم ينسج على منواله، ولا سمحت قريحة بمثاله، فإن أثرت اختلاب القلوب، فانظم على هذا الأسلوب، وأنشد:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

(١) يقصد بأنه لم يأت بشيء جيد، وإنما أساء البحث.

(٢) يفتر: يتبسم.

(٣) ارتابت: شكت.

(٤) أراد: يا من تروا وتتناقلوا الأشعار، ويا من على علم بمعرفة الصحيح من السقيم من

فلم يكنُ إلا كَلَمَحَ البَصْرِ أو هوَ أقربُ، حتَّى أنشدَ فأغربَ:

سألْتُها حينَ زارتُ نَضو بَرْقِها الـ قاني وإيداعَ سَمعي أَطيبَ الخَبِرِ
فزَحزَحَتُ شَفَقاً غَشِي سَنا قَمِرِ وساقَطتُ لؤلؤاً من خاتمِ عَطِرِ
فحارَ الحاضرونَ لَبَداهتِه، واعتَرَفوا بَنَزهتِه، فَلَمَّا أَنسَ استَناسَهُمُ
بِكالِمِه، وانصَبابَهُمُ إلى شَعَبِ إِكرامِه، أَطرقَ كَطَرفَةِ العَينِ، ثُمَّ قالَ:
ودونكُمُ بيتينِ آخَرينِ، وأنشدَ:

وأقبَلتُ يومَ جدِّ البينِ في حَلِّ سودَ تعَضُ بنانَ النَّادمِ الحَصِرِ
فلاحَ ليلٌ على صُبْحِ أَقلِّهما غُصنٌ وضرستِ البِلورَ بالدرِّ

فحيثُ استَسنى (١) القومُ قيمتَه، واستَغزروا ديمتَه، وأجمَلوا عِشرتَه،
وجمَلوا قِشرتَه، قالَ المُخبرُ بهِذه الحِكايةِ: فَلَمَّا رأيتُ تَلهُبَ جَدوتَه، وتألَّقُ
جلوتَه (٢)، أمَعنتُ النَّظَرَ في تَوسمِه، وسرَّحتُ الطَّرفَ في مِيسمِه، فإذا هوَ
شيخنا السَّرُوجي، وقد أقمرَ ليلَه الدَّجُوجي (٣)، فهنَّأتُ نَفسي بمورده،
وابتدرتُ استِلامَ يده، وقلتُ له: ما الَّذي أحالَ صَفَتَكَ، حتَّى جهَلتُ
معرِفَتَكَ؟ وأيُّ شيءٍ شَيَّبَ لِحيتَكَ، حتَّى أنكَرتُ حَليَّتَكَ؟ فأنشأَ يَقولُ: (٤)

وقَعُ الشَّوائِبُ شَيِّبُ والدَهرُ بالنَّاسِ قلبُ (٤)
إن دَانَ يَوماً لَشَخَصُ ففِي غَدٍ يَتغَلَّبُ
فلا تَثِقُ بَومِيضُ من بَرَقِه فَهُوَ خَلْبُ
وأصْبِرُ إذا هوَ أَضْرَى (٥)

(١) استسنى القوم: أي أعلوا منزلته وقدروه قدره.

(٢) جلوته: التألق واللمعان.

(٣) كناية عن شبابه.

(٤) قلب: كثير التحول وتقلب الناس.

(٥) أضرى: أغرى.

فَمَا عَلَى التُّبْرِ عَارٌ فِي النَّارِ حِينَ يُقَلَّبُ
 ثُمَّ نَهَضَ مُفَارِقًا مَوْضِعَهُ، وَمُسْتَضِحًّا الْقُلُوبَ مَعَهُ.



المقامة الثالثة المقامة الدينارية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: نَظَّمَنِي (١) وَأَخْدَانًا (٢) لِي نَادٍ، لَمْ يَخْبُ فِيهِ مُنَادٌ (٣)، وَلَا كَبًا (٤) قَدْحُ زِنَادٍ، وَلَا ذَكَتُ نَارُ عِنَادٍ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَتَّجَادِبُ أَطْرَافَ الْأَنَاشِيدِ، وَنَتَوَارَدُ طُرْفَ الْأَسَانِيدِ (٥)، إِذْ وَقَفَ بِنَا شَخْصٌ عَلَيْهِ سَمَلٌ (٦)، وَفِي مِشِيَّتِهِ قَزَلٌ (٧)، فَقَالَ: يَا أَخَايِرَ الذَّخَائِرِ، وَبِشَائِرِ الْعَشَائِرِ (٨)، عَمُوا صَبَاحًا، وَأَنْعَمُوا اصْطَبَاحًا، وَانظُرُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ ذَا نَدَى (٩) وَنَدَى، وَجِدَّةٌ وَجَدًّا (١٠)، وَعَقَارٌ (١١) وَقَرَى (١٢)، وَمَقَارٌ وَقِرَى (١٣)، فَمَا زَالَ بِهِ قُطُوبُ الْخُطُوبِ، وَحُرُوبِ (١٤) الْكُرُوبِ (١٥)، وَشَرَّرُ شَرِّ الْحَسُودِ، وَأَنْتِيَابِ (١٦) النَّوَبِ (١٧) السُّودِ، حَتَّى صَفِرَتْ (١٨) الرَّاحَةُ، وَقِرَعَتْ (١٩) السَّاحَةُ، وَغَارَ (٢٠) الْمَنْبَعُ، وَنَبَا الْمَرْبَعُ، وَأَقْوَى الْمَجْمَعُ (٢١)، وَأَقْضَى الْمَضْجَعُ (٢٢)،

(٣) متكلم.

(٢) أصحابا.

(١) جمعني.

(٥) الأخبار المسندة لأهلها.

(٤) شحّ ولم يُبدِ نارا.

(٦) ثوب خلق وأكثر ما تقول العرب: ثوب أسمال وأخلاق فيوصف بالجمع؛ لأنه قطع متفرقة،

وسمل: قليل.

(٩) جود وكرم.

(٨) مجلس اجتماع.

(٧) عرج.

(١١) المال الذي لا ينتقل كالنخل والدور.

(١٠) بالفتح عطية.

(١٤) القتال.

(١٣) طعام الضيف.

(١٢) جمع قرية.

(١٧) النوازل.

(١٦) نزول وقصود.

(١٥) الهموم.

(١٩) خلت من المال وصارت قرعاء.

(١٨) خلت من الدراهم.

(٢٢) موضوع رقاد.

(٢١) موضع الاجتماع.

(٢٠) جفّ الماء النَّابِعِ.

وَأَسْتَحَالَتْ (١) الْحَالُ، وَأَعْوَلَ (٢) الْعِيَالُ، وَخَلَّتِ الْمَرَابِطُ، وَرَحِمَ الْغَابِطُ (٣)،
 وَأَوْدَى النَّاطِقُ وَالصَّامِتُ، وَرَثَى لَنَا الْحَاسِدُ وَالشَّامِتُ، وَآلَ بِنَا الدَّهْرُ (٤)
 الْمَوْعِ، وَالْفَقْرُ الْمُدْقِعُ (٥)، إِلَى أَنْ احْتَذَيْنَا الْوَجَى (٦)، وَاغْتَذَيْنَا الشَّجَا،
 وَاسْتَبَطْنَا (٧) الْجَوَى (٨)، وَطَوَيْنَا الْأَحْشَاءَ عَلَى الطَّوَى (٩)، وَاکْتَحَلْنَا
 السُّهَادَ (١٠)، وَاسْتَوَطْنَا (١١) الْوَهَادَ (١٢)، وَاسْتَوَطْنَا الْقِتَادَ، وَتَنَاسَيْنَا
 الْأَقْتَادَ (١٣)، وَاسْتَبَطْنَا الْحَيْنَ الْمُجْتَاحَ وَاسْتَبَطْنَا الْيَوْمَ الْمُتَّاحَ (١٤)، فَهَلْ مِنْ حُرٍّ
 أَسَى (١٥)، أَوْ سَمِحٍ (١٦) مُؤَاسٍ (١٧)؟ فَوَالَّذِي اسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَيْلِهِ، لَقَدْ
 أَمْسَيْتُ أَخَا عَيْلِهِ، لَا أَمْلِكُ بَيْتَ لَيْلِهِ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَأَوَيْتُ (١٨) لِمَفَاقِرِهِ، وَكَوَيْتُ (١٩) إِلَى
 اسْتِنْبَاطِ (٢٠) فَقْرِهِ (٢١)، فَأَبْرَزْتُ دِينَارًا، وَقُلْتُ لَهُ اخْتِبَارًا: إِنَّ مَدَحَتَهُ نَظْمًا،
 فَهُوَ لَكَ حَتْمًا، فَانْبَرَى يُنْشِدُ فِي الْحَالِ، مِنْ غَيْرِ انْتِحَالِ (٢٢):
 أَكْرَمُ بِهِ أَصْفَرَ رَاقَتُ (٢٣) صَفْرَتُهُ جَوَابَ (٢٤) أَفَاقِ تَرَامَتِ سَفْرَتُهُ (٢٥)
 مَأْثُورَةٌ (٢٦) سَمِعْتُهُ وَشَهْرَتُهُ قَدْ أُودِعَتْ (٢٧) سِرِّ الْغِنَى أَسْرَتُهُ

- | | |
|--------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------|
| (١) تَغَيَّرَتْ . | (٢) بَكَى . |
| (٣) الَّذِي يَتِمَّنَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا لِمَغْبُوطِهِ . | (٤) رَجَعَ بِنَا . |
| (٥) الْمَلْمُوقُ بِالْمَدَقْعَاءِ؛ أَي: التَّرَابِ . | (٦) تَوَجَّعَ بَاطِنُ الْقَدَمِينَ مِنَ الْحَفَا . |
| (٧) جَعَلْنَاهُ فِي بَطُونِنَا . | (٨) فَسَادَ الْجُوفِ . |
| (٩) الْجُوعِ . | (١٠) امْتِنَاعَ النَّوْمِ . |
| (١١) سَكْنَا وَاتَّخَذْنَاهُ وَطْنَا . | (١٢) مَا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ . |
| (١٣) خَشَبَ الرَّحَالِ . | (١٤) الْمَقْدَرِ . |
| (١٥) طَبِيبٌ يَطْبُ عِلَّةَ الْفَقْرِ . | (١٦) كَرِيمِ . |
| (١٧) الْمَعِينِ . | (١٨) أَشْفَقْتُ وَحَنَنْتُ . |
| (١٩) انْعَطَفْتُ . | (٢٠) اسْتَخْرَاجِ . |
| (٢١) فَوَاصِلُهُ . | (٢٢) اسْتَخْرَجْتُ . |
| (٢٢) ادْعَاءٌ مِنْهُ فِي شَعْرٍ غَيْرِ . | (٢٣) أَعْجَبْتُ . |
| (٢٣) بَعْدَتْ سَفْرَتُهُ . | (٢٤) قَطَّاعٌ بِبِلَادِ . |
| (٢٤) قَطَّاعٌ بِبِلَادِ . | (٢٥) بَعْدَتْ سَفْرَتُهُ . |
| (٢٥) قَطَّاعٌ بِبِلَادِ . | (٢٦) مَحْدَثٌ بِهَا . |
| (٢٦) مَحْدَثٌ بِهَا . | (٢٧) ضَمَّنْتُ . |

- وقارنتُ (١) نُججَ (٢) المساعي (٣) خطرته
 كأنما من القلوب نُقرتُه (٥)
 وإن تَفانَتَ أو تَوانَتَ (٧) عترة (٨)
 وحبذا مَغَناتُه ونصرتُه
 ومُتَرَفٌ لولاهُ دمتُ حُسرتُه (١٢)
 وبدر (١٤) تمَّ أنزلتُه بدرتُه (١٥)
 أسرَّ (١٨) نُجَواهُ (١٩) فلانتُ شرته (٢٠)
 أنقذه حتى صفتُ مسرتُه (٢٣)
 وحببتُ إلى الأنام عُرتُه (٤)
 به يصولُ من حوته صرتُه (٦)
 يا حبذا نُضارُه (٩) ونصرتُه
 كم أمر به استتبتُ (١٠) إمرته (١١)
 وجيشٌ هم هزمتُه كرتُه (١٣)
 ومُستَشيط (١٦) تتلظى جمرته (١٧)
 وكم أسيرٌ أسلمتُه (٢١) أسرتُه (٢٢)
 وحقُّ مولِّي (٢٤) أبدعتُه فطرتُه (٢٥)
 لولا التقي (٢٦) لقلتُ جلَّتُ (٢٧) قدرته

ثم بسط يده، بعدما أنشده، وقال: أنجزَ (٢٨) حرًّا ما وعد، وسحَّ (٢٩)

- (١) ساعات .
 (٢) ضد الخيبة .
 (٣) المشي في طلب الحوائج .
 (٤) وجهه .
 (٥) القطعة المسبوكة من الذهب والفضة .
 (٦) الحرقه تصرّف فيها الدراهم .
 (٧) أبطأت وضعفت عن نصرته .
 (٨) قرابته الأدنون .
 (٩) ذهبه .
 (١٠) تمّت واستقامت .
 (١١) ولايته .
 (١٢) رجعته .
 (١٣) عشرة آلاف دينار .
 (١٤) شدة غيظه .
 (١٥) حديثه سرًّا .
 (١٦) أخفى .
 (١٧) شدته وغضبه .
 (١٨) تركته .
 (١٩) فرحه .
 (٢٠) خلقته .
 (٢١) عظمت .
 (٢٢) أحضر وهياً .
 (٢٣) ضد الخيبة .
 (٢٤) أوجدته قبل أن يكون .
 (٢٥) خلقته .
 (٢٦) الخوف .
 (٢٧) عظمت .
 (٢٨) صب وأمطر .
 (٢٩) صب وأمطر .

خال^(١) إذ رعد^(٢)، فنبذت^(٣) الدينار إليه، وقلت: خذهُ غير مأسوف عليه، فوضعه في فيه، وقال: بارك^(٤) اللهم فيه! ثم شمّر للثناء^(٥)، بعد توفية الثناء، فنشأت لي من فكاخته نشوة^(٦) غرام، سهلت عليّ اثتاف^(٧) اغترام، فجردت ديناراً آخر وقلت له: هل لك في أن تدمه، ثم تضمه؟ فأنشد مرتجلاً، وشداً^(٨) عجلاً:

تباله من خادع مُمَازق^(٩)
يبدو بوصفين لعين الرامق^(١٠)
وحبه عند ذوي الحقائق^(١٢)
لؤلؤه لم تقطع يمين سارق
ولأشماز باخل^(١٤) من طارق^(١٥)
ولأستعيد^(١٨) من حسود راشق^(١٩)
أن ليس يغني عنك في المضايق
واهاً لمن يقذفه من حالق^(٢١)

أصفر ذي وجهين كالمنافق
زينة^(١١) معشوق ولون عاشق
يدعو إلى ارتكاب سُخْط الخالق
ولأبدت مظلمة من فاسق^(١٣)
ولأشكا المطول مظل^(١٦) العائق^(١٧)
وشر ما فيه من الخلائق
إلا إذا فر فرار الآبق^(٢٠)
ومن إذا ناجاه^(٢٢) نجوى الوامق^(٢٣)

(١) سحب يخيل لك أن المطر فيه .

(٣) رميت .

(٥) الرجوع .

(٧) استقبال .

(٩) لا يصفو وده لصاحبه .

(١١) نقشه وتزيينه .

(١٣) أخرج عن الطاعة إلى ركوب المعصية .

(١٥) أقاصد بليل .

(١٧) الحلبس .

(١٩) عائن وأصله الرامي .

(٢١) جبل أملس منيف .

(٢) صوت .

(٤) أي: ضع البركة فيه .

(٦) سكرة شوق .

(٨) ابتداء الغناء وطرب بنشيده .

(١٠) الناظر .

(١٢) هم أهل العرفان .

(١٤) شحيح .

(١٦) تأخير الحق الواجب .

(١٨) كثرى عليه الموعدتان .

(٢٠) لهارب .

(٢٣) المحب .

(٢٢) حدثه سرّاً .

قال له قولَ المحقِّ (١) الصَّادِقِ لا رأيَ في وِصْلِكَ لي ففارقِ
فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَغْزَرَ وَبُلْكَ! فَقَالَ: وَالشَّرْطُ (٢) أَمْلَكَ، فَنَفَحْتُهُ
بِالدِّينَارِ الثَّانِي، وَقُلْتُ لَهُ: عَوِذُهُمَا (٣) بِالْمِثْنِي (٤)، فَأَلْقَاهُ فِي فَمِهِ، وَقَرَنَهُ
بِتَوَامِهِ (٥)، وَأَنْكَفَأَ يَحْمَدُ مَغْدَاهُ، وَيَمْدَحُ النَّادِيَّ وَنَدَاهُ.

قالَ الْحَارِثُ بنَ هَمَّامٍ: فَنَاجَانِي قَلْبِي بِأَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ، وَأَنْ تَعَارُجَهُ لِكَيْدٍ،
فَاسْتَعَدَّتُهُ (٦) وَقُلْتُ لَهُ: قَدْ عُرِفْتَ بِوَشِيكَ (٧)، فَاسْتَقِمْ (٨) فِي مَشِيكَ،
فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ هَمَّامٍ، فَحَيِّتْ (٩) بِأَكْرَامٍ، وَحَيِّتْ (١٠) بَيْنَ كِرَامٍ!
فَقُلْتُ: أَنَا الْحَارِثُ، فَكَيْفَ حَالُكَ وَالْحَوَادِثُ (١١)؟ فَقَالَ: أَتَقَلَّبُ فِي الْحَالِيْنَ
بُؤْسٍ (١٢) وَرُخَاءٍ (١٣)، وَأَنْقَلِبُ مَعَ الرِّيْحِيْنَ زَعْرَعٍ (١٤) وَرُخَاءٍ (١٥)، فَقُلْتُ:
كَيْفَ ادَّعَيْتَ الْقَزَلَ (١٦)؟ وَمَا مِثْلُكَ مَنْ هَزَلَ (١٧)، فَاسْتَسْرَّ (١٨) بِشِرِّهِ الَّذِي
كَانَ تَجَلَّى، ثُمَّ أَنْشَدَ حِينَ وَلَّى:

تَعَارَجْتُ لَا رَغْبَةَ فِي الْعَرَجِ وَلَكِنْ لِأَفْرَعِ (١٩) بَابِ الْفَرَجِ (٢٠)

- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) القائل الحق. | (٢) ألزم وأحق. |
| (٣) رقاها. | (٤) أم القرآن. |
| (٥) أي بأخيه، يعني: الدينار الأول. | (٦) طلبت عودته ورجوعه. |
| (٧) بحسن كلامك وتزيينه. | (٨) استعدل وأزل عوجك. |
| (٩) طال بفاؤك. | (١٠) عشت. |
| (١١) ما يحدث من الخير والشر. | (١٢) شدة العيش. |
| (١٣) لينه وسعته. | (١٤) ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه. |
| (١٥) ريح لينة سريعة. | (١٦) أسوأ العرج. |
| (١٧) الهزل ضد الجد. | (١٨) زال عنه سماحة وطلاقة وجهه. |
| (١٩) أضرب. | (٢٠) كشف الهم. |

وَأُلْقِيَ حَبْلِي عَلَى غَارِبِي (١) وَأَسْلُكَ (٢) مَسْلُكَ مَنْ قَدِ مَرَجَ (٣)
فَإِنْ لَأَمَنِي الْقَوْمُ قُلْتُ أَعْذِرُوا فَلَيْسَ عَلَيَّ أَعْرَجٌ مِنْ حَرَجٍ (٤)



(١) ما انحدر من السَّامِ.

(٢) أي: أدخل مدخل.

(٣) خلط الجِدَّ بالهزل.

(٤) إثم.

المقامة الرابعة الدمياطية

أخبرَ الحارث بن همام قال: ظعنتُ^(١) إلى دُمياط، عامَ هياط^(٢) ومياط^(٣)، وأنا يومئذٍ مرموق^(٤) الرِّخاء^(٥)، موموق^(٦) الإخاء، أسحبُ مطارف^(٧) الثَّراء، وأجتلي^(٨) معارفَ السَّراء، فرافقتُ^(٩) صحباً قد شقوا عصا الشَّقاق^(١٠)، وارْتَضَعُوا أفاويقَ الوفاق^(١١)، حتَّى لآحوا^(١٢) كأسنانِ المُشطِ^(١٣) في الاستواء، وكالتنفسِ الواحدةِ في التَّثامِ^(١٤) الأهواء^(١٥)، وكُنَّا معَ ذلكَ نسيرُ النِّجاء^(١٦)، ولا نرحلُ إلا كُلَّ هوجاء، وإذا نزلنا منزلاً، أو وردنا منهلاً^(١٧)، اختلسنا^(١٨) اللُّبثَ، وكَم نُطلِلُ المُكثَ^(١٩)، فعنَّ لنا إعمالُ الرُّكَّابِ، في ليلةٍ فتيةِ الشَّبَابِ، غُدافيةً^(٢٠) الإهابِ، فأسرينا^(٢١) إلى أن نضا

-
- | | |
|-----------------------------------------------|---------------------|
| (١) رحلت. | (٢) صياح. |
| (٣) دفاع. | (٤) منظور إليه. |
| (٥) سعة المال. | (٦) محبوب. |
| (٧) ثياب لها أعلام في أطرافها. | (٨) أنظر. |
| (٩) صحبت في السفر. | (١٠) الخلاف. |
| (١١) ترك الخلاف. | (١٢) ظهوروا. |
| (١٣) يقع على كل استواء في أي حال. | (١٤) اجتماع واتفاق. |
| (١٥) جمع هوى، وهو: ما تحبّه وتميل إليه النفس. | (١٦) السير السريع. |
| (١٧) أتينا ماء نزل عليه. | (١٨) استرقنا. |
| (١٩) لا يستقرون بموضع ينزلون فيه إلا قليلاً. | |
| (٢٠) مظلمة. | (٢١) سرنا ليلاً. |

الليلُ شَبَابُهُ، وَسَلَّتْ (١) الصَّبْحُ خُضَابَهُ، فَحِينَ مَلْنَا السُّرَى (٢)، وَمَلْنَا إِلَى
الكَرَى (٣)، صَادَفْنَا أَرْضًا مُخْضَلَّةَ الرُّبَا، مُعْتَلَّةَ (٤) الصَّبَا، فَتَخَيْرْنَاهَا مُنَاخًا
لِلْعَيْسِ (٥)، وَمَحَطًّا لِلتَّعْرِيسِ (٦)، فَلَمَّا حَلَّهَا الْخَلِيطُ (٧)، وَهَدَا (٨) بِهَا
الْأَطِيطُ (٩) وَالغَطِيطُ (١٠)، سَمِعْتُ صَيْتًا (١١) مِنَ الرِّجَالِ، يَقُولُ لِسَمِيرِهِ (١٢)
فِي الرِّحَالِ: كَيْفَ حُكْمُ سَيْرَتِكَ (١٣)، مَعَ جَيْلِكَ (١٤) وَجِيرَتِكَ (١٥)؟
فَقَالَ: أُرْعَى (١٦) الْجَارَ، وَكُوْ جَارَ (١٧)، وَأَبْذُلُ (١٨) الْوِصَالَ، لِمَنْ صَالَ (١٩)،
وَأَحْتَمِلُ الْخَلِيطَ (٢٠)، وَكُوْ أَبْدَى التَّخْلِيطَ، وَأَوْدُ الْحَمِيمَ (٢١)، وَلَوْ جَرَعَنِي
الْحَمِيمَ (٢٢)، وَأَفْضَلُ الشَّقِيقَ (٢٣)، عَلَيَّ الشَّقِيقَ (٢٤)، وَأَفِي لِلْعَشِيرِ (٢٥)،
وَإِنْ لَمْ يُكَافَى بِالْعَشِيرِ (٢٦)، وَأَسْتَقِلَّ (٢٧) الْجَزِيلَ، لِلنَّزِيلِ، وَأَغْمُرُ (٢٨)
الزَّمِيلَ، بِالْجَمِيلِ، وَأُنْزَلُ سَمِيرِي مَنْزِلَةَ أَمِيرِي (٢٩)، وَأُحِلَّ أَنْيْسِي (٣٠)،

(١) أزال .

(٢) السير بالليل .

(٣) النوم .

(٤) لينة الريح .

(٥) الإبل يخالط بياضها حمرة .

(٦) النزول بالليل في آخره .

(٧) الأصحاب .

(٨) سكن .

(٩) أصوات الإبل .

(١٠) أصوات الناس النَّيَّام .

(١١) جهير الصوت .

(١٢) رفيقه الذي يسمر معه بالحديث .

(١٣) عادتك .

(١٤) أهل عصر له .

(١٥) جيرانك .

(١٦) أحفظ .

(١٧) تعدى ومال عن الحق .

(١٨) أعطى .

(١٩) صاح مخوفًا .

(٢٠) الصاحب .

(٢١) الصديق المخلص .

(٢٢) الماء الحار .

(٢٣) المحب .

(٢٤) الأخ من الأب .

(٢٥) أعامل الصاحب بالوفاء .

(٢٦) يجازي بالعشر من فعل .

(٢٧) أراد قليلاً .

(٢٨) أعطى .

(٢٩) الحاكم علي .

(٣٠) الذي يؤنس بحديثه .

محلّ رئيسي، وأودع معارفي عوارفي^(١)، وأولي مرافقي مرافقي، وألين مقالتي للوالي^(٢)، وأدبم^(٣) تسالي، عن السالي^(٤)، وأرضي من الوفاء بالفاء^(٥)، وأقع^(٦) من الجزاء^(٧) بأقلّ الأجزاء، ولا أتظلم^(٨)، حين أظلم، ولا أنقم^(٩)، ولو لدغني الأرقم^(١٠)، فقال له صاحبه: ويك يا بني إنما يضمن^(١١) بالضنين، وينافس في الثمين، لكن أنا لا آتي غير المؤاتي^(١٢)، ولا أسم العاتي^(١٣)، بمراعاتي^(١٤)، ولا أوصافي^(١٥)، من يأبي إنصافي^(١٦)، ولا أواخي، من يلغي الأواخي^(١٧)، ولا أمالي^(١٨)، من يخيب أمالي، ولا أبالي بمن صرم^(١٩) حبالي، ولا أداري، من جهل مقداري، ولا أعطي زمامي^(٢٠)، من يخفر زمامي^(٢١)، ولا أبذل ودادي^(٢٢)، لأضدادي^(٢٣)، ولا أدع إيعادي للمُعادي، ولا أغرس الأيادي^(٢٤) في أرض الأعداي، ولا أسمح بمواساتي، لمن يفرح

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------------|
| (١) هباتي. | (٢) المبعض. |
| (٣) كثرة سؤالي. | (٤) النَّاسِي للمودة والتارك لها. |
| (٥) النَّقْصَان. | (٦) أرضى. |
| (٧) المكافأة. | (٨) أشتكي من الظلم. |
| (٩) أنتقم. | (١٠) الثعبان المنقط. |
| (١١) ييخل. | (١٢) المساعد الموافق. |
| (١٣) المتكبر الصعب. | (١٤) المحافظة للود. |
| (١٥) أخلص له ودّي. | (١٦) إعطائي الحق من نفسه. |
| (١٧) أسباب الود. | (١٨) أعاون. |
| (١٩) قطع أسباب وصالي. | (٢٠) حبل من جلود يربط في أنف البعير. |
| (٢١) ينقض عهدي. | (٢٢) حبي. |
| (٢٣) أعدائي المناقضين لأفعالي. | (٢٤) النعم. |

بُسَاءِ تِي^(١)، وَلَا أَرَى التَّفَاتِي^(٢)، إِلَى مَنْ يَشْمَتُ بَوَفَاتِي^(٣)، وَلَا أُخْصَّ
بِحِبَائِي^(٤)، إِلَّا أَحْبَائِي، وَلَا أَسْتَطِبُّ^(٥) لِدَائِي، غَيْرَ أَوْدَائِي، وَلَا أَمْلِكُ
خَلَّتِي^(٦) مَنْ لَا يَسُدُّ خَلَّتِي، وَلَا أَصْفِي نَيْتِي لِمَنْ يَتَمَنَّى مِنِّي، وَلَا أُخْلِصُ
دُعَائِي لِمَنْ لَا يُفَعِّمُ وَعَائِي، وَلَا أُفْرِغُ ثَنَائِي^(٧) عَلَى مَنْ يَفْرَغُ إِنَائِي، وَمَنْ
حَكَمَ بَأَنْ أَبْذُلَ وَتَخْزَنَ^(٨)، وَأَلِينَ وَتَخْشُنَ، وَأَذُوبَ وَتَجْمُدَ، وَأَذْكَو^(٩)
وَتَخْمُدُ؟ لَا وَاللَّهِ بَلْ نَتَوَازَنُ فِي الْمَقَالِ، وَزَنَ الْمَثْقَالِ^(١٠)، وَتَتَحَادَى^(١١) فِي
الْفِعَالِ حَذْوَ النَّعَالِ، حَتَّى نَأْمَنَ التَّغَابُنَ^(١٢)، وَنُكْفَى^(١٣) التَّضَاعُنَ^(١٤)،
وَالْإِلْمَ أَعْلَكَ^(١٥) وَتُعَلَّنِي^(١٦)، وَأُقَلِّكَ وَتَسْتَقْلِنِي^(١٧)، وَأُجْتَرِحُ^(١٨) لَكَ
وَتُجْرِحُنِي، وَأُسْرِحُ إِلَيْكَ وَتُسْرِحُنِي^(١٩)؟ وَكَيْفَ يُجْتَلَبُ إِنْصَافٌ بِضِيْمٍ^(٢٠)،
وَأَتَّى^(٢١) تُشْرِقُ شَمْسٌ مَعَ غَيْمٍ^(٢٢)؟ وَمَتَى أُصْحَبَ وَدٌّ بَعْسَفٍ^(٢٣)، وَأَيُّ
حُرِّ رَضِي بِخُطَّةِ خَسْفٍ^(٢٤)؟ وَاللَّهِ أَبُوكَ حَيْثُ يَقُولُ:

- | | |
|---------------------------------------------|----------------------------|
| (١) أحزاني وما يسوءني. | (٢) نظري وانعطافي إلى جهة. |
| (٣) موتي. | (٤) عطائي. |
| (٥) أطلب طبه. | (٦) صداقي. |
| (٧) أصب مدحي وأكوه أو يكون أفرغه: بلغ أجره. | (٨) تحبس. |
| (٩) أضى. | (١٠) تنشأ به. |
| (١١) الصنجة التي يوزن بها. | (١٢) الغبن. |
| (١٣) تمنع. | (١٤) العداوة. |
| (١٤) أسقيك عللاً. | (١٦) تمرضني. |
| (١٧) تحقرني. | (١٨) أكتسبه. |
| (١٩) تهملني. | (٢٠) ذل. |
| (٢١) كيف. | (٢٢) سحاب. |
| (٢٣) بجورٍ وعنف. | (٢٤) الإذلال والنقصان. |

جَزَاءَ مَنْ يُبْنِي عَلَيَّ أُسَّهُ (٢)
 عَلَى وَفَاءِ الْكَيْلِ أَوْ بَخْسِهِ (٣)
 مَنْ يَوْمُهُ أُخْسِرُ مَنْ أَمْسَهُ
 فَمَا لَهُ إِلَّا جَنَى غَرْسِهِ
 بِصَفْقَةٍ (٩) الْمَغْبُونِ فِي حَسِّهِ
 لَا يُوجِبُ الْحَقُّ عَلَيَّ نَفْسَهُ
 أَصْدَقُهُ الْوُدَّ عَلَيَّ لِبَسِّهِ (١٢)
 أَقْضِي غَرِيمِي (١٣) الدِّينَ مَنْ جِنْسَهُ (١٤)
 وَهَبُهُ كَالْمَلْحُودِ (١٧) فِي رَمْسِهِ (١٨)
 لِبَاسٍ مَنْ يُرْغَبُ عَنْ أُنْسِهِ
 أَنْكَ مُحْتَاجٌ إِلَيَّ فَلَيْسَهُ

جَزَيْتُ مَنْ أَعْلَقَ (١) بِي وَدَّهُ
 وَكَلْتُ لِلخَلِّ كَمَا كَالِ لِي
 وَلَمْ أُخْسِرْهُ (٤) وَشَرُّ الْوَرَى (٥)
 وَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنَى (٦)
 لَا أَبْتَغِي الْغَبْنَ (٧) وَلَا أَتْنِي (٨)
 وَلَسْتُ بِالْمَوْجِبِ حَقًّا لِمَنْ
 وَرُبَّ مَذَاقٍ (١٠) الْهَوَى (١١) خَالِي
 وَمَا دَرَى مَنْ جَهَلَهُ أَنَّنِي
 فَاهْجُرْ مَنْ اسْتَعْبَاكَ (١٥) هَجَرَ الْقَلْبَى (١٦)
 وَالْبَسُّ لِمَنْ فِي وَصْلِهِ لُبْسَةٌ
 وَلَا تُرْجِ الْوُدَّ مِمَّنْ يَرَى

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا (١٩) وَعَيْتُ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا، تَقَّتْ (٢٠) إِلَيَّ
 أَنْ أَعْرِفَ عَيْنَهُمَا، فَلَمَّا لَاحَ ابْنُ ذُكَّاءَ (٢١)، وَالْحَفَّ (٢٢) الْجَوَّ (٢٣) الضِّيَاءُ،

(١) بمعنى: علق؛ أي: الصق.

(٣) نقصه.

(٥) الخلق من الناس.

(٧) أطلب الخداع.

(٩) بيعة المخدوع.

(١١) الحب.

(١٣) صاحب دين.

(١٥) استجهلك.

(١٧) المدفون.

(٢٠) اشتقت.

(٢٢) غطى.

(٢) أصل بناؤه.

(٤) أنقصه.

(٦) ما يجنى من الثمر.

(٨) أرجع.

(١٠) خلأط غير مخلص.

(١٢) تخليطه وتليسه.

(١٤) من نوع ما أعطاني.

(١٦) البعض.

(١٨) قبره. (١٩) حفظت.

(٢١) الصبح. وذكاء: هي الشمس.

(٢٣) الهواء بين السماء والأرض.

غَدَوْتُ^(١) قَبْلَ اسْتِقْلَالِ^(٢) الرِّكَابِ، وَلَا اغْتِدَاءَ الغُرَابِ، وَجَعَلْتُ أُسْتَقْرِي صَوْبَ الصَّوْتِ اللَّيْلِ، وَأَتَوَسَّمُ الوُجُوهَ بالنَّظَرِ الجَلِيِّ، إِلَى أَنْ لَمَحْتُ أبا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَحَادَثَانِ، وَعَلَيْهِمَا بُرْدَانِ رِثَانِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُمَا نَجِيًّا لَيْلَتِي، وَمُعْتَزِي رِوَايَتِي، فَقَصَدْتُهُمَا قَصْدَ كَلْفٍ^(٣) بَدْمَاتِهِمَا^(٤)، رَاثٍ^(٥) لِرِثَاتِهِمَا، وَأَبْحَثُهُمَا^(٦) التَّحَوُّلَ إِلَى رَحْلِي، وَالتَّحَكُّمَ فِي كَثْرِي^(٧) وَقُلِّي، وَطَفَقْتُ أُسِيرَ بَيْنَ السِّيَارَةِ^(٨) فَضْلُهُمَا، وَأَهْزُ الأَعْوَادَ المِثْمَرَةَ لَهُمَا، إِلَى أَنْ غَمِرَا بِالنُّحْلَانِ^(٩)، وَأُنْخِذَا مِنَ الخُلَّانِ، وَكُنَّا بِمَعْرَسٍ^(١٠) نَتَبَيَّنُ مِنْهُ بِنْيَانَ القُرَى، وَنَتَنَوَّرُ^(١١) نِيرَانَ القُرَى، فَلَمَّا رَأَى أَبُو زَيْدٍ امْتِلَاءَ كَيْسِهِ^(١٢)، وَانْجِلَاءَ بُوْسِهِ^(١٣)، قَالَ لِي: إِنَّ بَدَنِي قَدْ اتَّسَخَ، وَدَرْنِي قَدْ رَسَخَ، أَفْتَأْذُنُ لِي فِي قَصْدِ قَرْيَةٍ لِاسْتِحْمٍ^(١٤)، وَأَقْضِي هَذَا المُهْمَّ^(١٥)؟ فَقُلْتُ: إِذَا شِئْتَ فَالسرَّعةَ السرَّعةَ، وَالرَّجْعَةَ الرَّجْعَةَ! فَقَالَ: سَتَجِدُ مَطْلَعِي^(١٦) عَلَيْكَ، أَسْرَعَ مِنْ ارْتِدَادِ^(١٧) طَرْفِكَ إِلَيْكَ، ثُمَّ اسْتَنَّ اسْتِنَانَ الجَوَادِ فِي المِضْمَارِ، وَقَالَ لِابْنِهِ: بَدَارِ^(١٨) بَدَارِ! وَكَمْ نَخْلُ أَنَّهُ غَرٌّ، وَطَلَبَ المَفْرَّ، فَلَبِثْنَا نَرْقُبُهُ^(١٩) رِقْبَةً

- (١) غدت؛ أي: بكرت.
 (٢) ارتفاع وقيام.
 (٣) محب.
 (٤) سهولتهما، والدَّمَائَةُ: سهولة الأرض.
 (٥) بَاكٍ مُشْفِقٍ.
 (٦) جعلته له مباحًا.
 (٧) كثير مالي وقليله.
 (٨) القافلة.
 (٩) العطايا.
 (١٠) موضع النزول آخر الليل.
 (١١) وعاء دراهمه.
 (١٢) نظر النيران.
 (١٣) انكشاف فقره.
 (١٤) أدخل الحمام، واستحمَّ الرَّجُلُ: اغتسل بالماء الحار.
 (١٥) أراد به فرض الصلاة.
 (١٦) مصدر بمعنى: طلوعي.
 (١٧) رجوع نظرك.
 (١٨) سبقا مسبقا.
 (١٩) نظر من أين يجيء.

الأعياد، ونستطلعهُ بالطلّائع والروّاد^(١)، إلى أن هَرِمَ^(٢) النّهَارُ، وكادَ جُرْفُ اليَوْمِ يَنْهَارُ^(٣)، فَلَمَّا طَالَ أَمَدُ الْإِنْتِظَارِ، وَوَلَّحَتِ الشَّمْسُ فِي الْأَطْمَارِ^(٤)، قُلْتُ لِأَصْحَابِي: قَدْ تَنَاهَيْنَا^(٥) فِي الْمُهَلَّةِ^(٦)، وَتَمَادَيْنَا فِي الرَّحَلَةِ، إِلَى أَنْ أَضَعْنَا الزَّمَانَ^(٧)، وَبَانَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَانَ^(٨)، فَتَاهَبُوا^(٩) لِلظُّعْنِ^(١٠)، وَلَا تَلُؤُوا عَلَى خَضْرَاءِ الدَّمَنِ، وَنَهَضْتُ لِأَحْدَجِ رَاحِلَتِي، وَآتَحَمَلُ لِرَحَلَتِي، فَوَجَدْتُ أَبَا زَيْدٍ قَدْ كَتَبَ، عَلَى الْقَتَبِ:

يَا مَنْ غَدَا لِي سَاعِدًا^(١١) وَمُسَاعِدًا^(١٢) دُونَ الْبَشْرِ
لَا تَحْسَبَنَّ أَنِّي نَائِبٌ تَكُ^(١٣) عَنْ مَلَالٍ أَوْ أَشْرُ
لَكِنِّي مُذَلِّمٌ^(١٤) أَزَلُّ مِمَّنْ إِذَا طَعِمَ أَنْتَشَّرُ^(١٥)

قال: فأقرأتُ الجماعَةَ القَتَبَ، لِيَعْذِرَهُ مِنْ كَانَ عَتَبَ^(١٦)، فَأَعْجَبُوا بِخِرَافَتِهِ^(١٧)، وَتَعَوَّذُوا مِنْ آفَتِهِ، ثُمَّ إِنَّا ظَعْنَا^(١٨)، وَلَمْ نَدْرِ مِنْ اعْتِاضٍ عَنَّا.



- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) الطّالِبُونَ لَهُ . | (٢) شَاخ . |
| (٣) يَنْهَدِم . | (٤) الثِّيَابِ الْخَلِيقَةُ . |
| (٥) بَلَغْنَا النِّهَايَةَ . | (٦) التَّرَاخِي . |
| (٧) الْيَوْمِ . | (٨) كَذَب . |
| (٩) اسْتَعَدُّوا . | (١٠) الرَّحِيلِ . |
| (١١) ذِرَاعًا يَسْتَعِينُ بِهِ . | (١٢) مُوَافِقًا . |
| (١٣) بَعَدْتَ عَنكَ . | (١٤) أَي: مَذْبَنَتَ وَوَجَدْتَ . |
| (١٥) ذَهَب . | (١٦) لَامٍ وَسَخَطَ فَعَلَهُ . |
| (١٧) حَدِيثَهُ الْمَلْهِي . | (١٨) ارْتَحَلْنَا وَسَرَرْنَا . |

المقامة الخامسة الكوفية

حكى الحارث بن همام قال: سمرت^(١) بالكوفة في ليلة أديها^(٢) ذو
لوتين، وقمرها كتعويد^(٣) من لجين^(٤)، مع روفة غذوا بلبان البيان،
وسحبوا^(٥) على سحبان^(٦) ذيل النسيان^(٧)، ما فيهم إلا من يحفظ عنه
ولا يتحفظ^(٨) منه، ويميل الرفيق^(٩) إليه ولا يميل^(١٠) عنه، فاستهوانا
السمر^(١١)، إلى أن غرب القمر، وغلب السهر، فلما روق^(١٢) الليل
البهيم^(١٣)، ولم يبق إلا التهويم^(١٤)، سمعنا من الباب نبأ^(١٥)
مستنبح^(١٦)، ثم تلتها^(١٧) صكة^(١٨) مستفتح، فقلنا: من الملم، في الليل
المدلهم؟ فقال:

يا أهل ذا المغنى^(١٩) وقيتم^(٢٠) شراً
ولا لقيتم ما بقيتم ضراً

- | | |
|------------------------------------------|-----------------------|
| (١) سهرت. | (٢) الأديم: الجلد. |
| (٣) طوق. | (٤) الفضة. |
| (٥) جرّوا. | (٦) فصيح العرب. |
| (٧) طرفه. | (٨) يتحدّر. |
| (٩) ملت إلى فلان: إذا أحببته وتقربت منه. | (١٠) كرهته وبعدت عنه. |
| (١١) لحديث. | (١٢) ضرب رواقه. |
| (١٣) الخالص السواد. | (١٤) النوم بالليل. |
| (١٥) صوت. | (١٦) يحكي نباح الكلب. |
| (١٧) تبعثها. | (١٨) ضربة. |
| (١٩) المنزل. | (٢٠) كُفَيْتُمْ. |

قَدْ دَفَعُ اللَّيْلُ الَّذِي أَكْفَهَرَا (١)
 أَخَا (٤) سَفَارَ طَالَ وَاسْبَطَرَا (٥)
 مِثْلَ هَلَالِ الْأَفْقِ حِينَ افْتَرَا (٧)
 وَأَمَّكُمْ (٩) دُونَ الْأَنَامِ طُرَا (١٠)
 فَدُونَكُمْ ضَيْفًا قَنوعًا حُرًّا
 وَإِنِّشْنِي عَنْكُمْ يَنْثُ (١٣) الْبِرَّ (١٤)

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا خَلَبْنَا (١٥) بَعْدُوبَةَ نَطِقِهِ ، وَعَلِمْنَا مَا وَرَاءَ
 بَرْقِهِ ، ابْتَدَرْنَا (١٦) فَفَحَّ الْبَابِ ، وَتَلَقَّيْنَاهُ بِالْتَّرْحَابِ (١٧) ، وَقُنَّا لِلْغُلَامِ : هَيَّا
 هَيَّا (١٨) ، وَهَلُمَّ مَا تَهَيَّا (١٩) ! فَقَالَ الضَّيْفُ : وَالَّذِي أَحْلَنِي ذِرَاعِي ، لَا
 تَلَمَّظْتُ (٢٠) بِقِرَائِكُمْ ، أَوْ تَضَمَّنُوا لِي أَلَّا تَتَّخِذُونِي كَلَا (٢١) ، وَلَا تَجَشَّمُوا (٢٢)
 لِأَجْلِي أَكْلًا ، فَرُبَّ أَكْلَةٍ هَاضَتِ (٢٣) الْأَكِلَ ، وَحَرَمَتُهُ مَأْكَلٍ ، وَشَرُّ الْأَضْيَافِ

- (١) تَرَكَكُمْ ظَلَامُهُ وَكَثُرَ .
 (٢) مَنْزَلَكُمْ وَكُنْتُمْ .
 (٣) عَلَيْهِ الْغُبَارُ .
 (٤) صَاحِبَ أَسْفَارٍ ؛ أَي : مَلَازِمَ لَهَا .
 (٥) امْتَدَّ وَطَالَ .
 (٦) مَنْحَنِيًّا .
 (٧) انْفَتَحَتْ أَطْرَافُهُ وَلَمْ يَتَقَارَبْ .
 (٨) قَصَدَ .
 (٩) أَي قَصَدَكُمْ .
 (١٠) أَجْمَعَ .
 (١١) يَطْلُبُ طَعَامًا .
 (١٢) اشْتَدَّتْ حِلَاوَتُهُ .
 (١٣) يَفْشَى وَيَنْتَشِرُ .
 (١٤) الْإِحْسَانَ .
 (١٥) اسْتَبَقْنَا .
 (١٦) اسْتَبَقْنَا .
 (١٧) أَي : أَقْبَلَ مَسْرَعًا .
 (١٨) تَيْسَّرَ .
 (١٩) لَا تَذُوقُ طَعَامَكُمْ .
 (٢٠) ثَقِيلًا .
 (٢١) تَكَلَّفُوا .
 (٢٢) أَضْعَفَتْ وَأَدْخَلَتْ عَلَى هَيْضَةٍ وَهِيَ : الْقَيْءُ وَالْإِسْهَالُ .

مَنْ سَامَ التَّكْلِيفَ، وَآذَى الْمُضِيفَ، خُصُوصاً أَدَى يَعْتَلِقُ بِالْأَجْسَامِ، وَيُنْفِضِي (١) إِلَى الْأَسْقَامِ، وَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ الَّذِي سَارَ سَائِرُهُ (٢) : خَيْرُ الْعِشَاءِ سَوَافِرُهُ (٣)، إِلَّا لِيُعَجَّلَ التَّعْشِي (٤)، وَيُجْتَنَبَ أَكْلُ اللَّيْلِ الَّذِي يُعْشِي (٥).

اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَقْدَ نَارَ الْجُوعِ، وَتَحُولَ دُونَ الْهُجُوعِ (٦)، قَالَ: فَكَأَنَّهُ اطَّلَعَ عَلَى إِرَادَتِنَا، فَرَمَى عَنْ قَوْسِ عَقِيدَتِنَا (٧)، لَا جَرَمَ أَنَا أَنْسَاهُ بِالتِّزَامِ الشَّرْطِ، وَأَثْنَيْنَا عَلَى خُلُقِهِ السَّبْطِ (٨)، وَكَمَا أَحْضَرَ الْغُلَامُ مَا رَاجَ (٩)، وَأَذَكِي بَيْنَنَا السَّرَاجَ (١٠)، تَأَمَّلْتَهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ فَقُلْتُ لَصَحْبِي: لِيُهْنَأَكُمُ (١١) الضَّيْفُ الْوَارِدُ (١٢)، بَلِ الْمَغْنَمُ الْبَارِدُ (١٣)، فَإِنْ يَكُنْ أَقْلَ (١٤) قَمَرُ الشُّعْرَى فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ الشُّعْرِ، أَوْ اسْتَسَرَ (١٥) بَدْرُ النَّشْرَةِ (١٦) فَقَدْ تَبَلَّجَ (١٧) بَدْرُ النَّشْرِ، فَسَرَتْ (١٨) حُمَيَّا الْمَسْرَةِ (١٩) فِيهِمْ، وَطَارَتْ السَّنَةُ (٢٠) عَنْ مَاقِيهِمْ (٢١)، وَرَفَضُوا الدَّعَةَ الَّتِي كَانُوا نَوَّوْهَا، وَثَابَوْا إِلَى نَشْرِ الْفُكَاهَةِ بَعْدَمَا طَوَّوْهَا، وَأَبُو زَيْدٍ مُكَبُّ (٢٢) عَلَى إِعْمَالِ يَدَيْهِ (٢٣)، حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَعَ مَا لَدَيْهِ، قَلْتُ

- | | |
|-----------------------------------------|---------------------------------------|
| (١) يؤول. | (٢) انتشر التحدث به ومشى في الناس. |
| (٣) بواكره: أي: ما أكل منه بضوء النهار. | (٤) أكل العشاء؛ وهو ما يؤكَلُ بالعشي. |
| (٥) يورث العشاء، وهو ضعف البصر ليلاً. | (٦) النوم. |
| (٧) أي: ما انعقدت عليه نيتنا. | (٨) السهل. |
| (٩) تيسر. | (١٠) المصباح. |
| (١١) أي: ليسرکم. | (١٢) القاصد. |
| (١٣) الهنئ الذي يُغنم دون قتال ولا تعب. | (١٤) غاب. |
| (١٥) غاب وخفي. | (١٦) ثلاثة أنجم مجتمعة. |
| (١٧) ظهر وأضاء. | (١٨) مشت. |
| (١٩) شدة السرور. | (٢٠) أخف من النوم. |
| (٢١) عيونهم. | (٢٢) مائل الرأس. |
| (٢٣) استعملها بالأكل. | |

له: أطرفنا^(١) بغريبة من غرائب أسمارك، أو عجيبه من عجائب أسفارك، فقال: لقد بلوت^(٢) من العجائب ما لم يره الراؤون^(٣)، ولأ رواه الراؤون، وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم^(٤)، ومصيري إلى بابكم، فاستخبرناه عن طرفه مرأه^(٥)، في مسرح^(٦) مسراه^(٧)، فقال: إن مرامي^(٨) الغربية، لفظتني إلى هذه التربة^(٩)، وأنا ذو مجاعة^(١٠) وبوسى، وجراب^(١١) كفؤاد أم موسى، فنهضت^(١٢) حين سجا الدجى^(١٣)، على ما بي من الوجى^(١٤)، لأرتاد^(١٥) مضيافاً^(١٦)، أو أقتاد^(١٧) رغيفاً، فساقني حادي السغب^(١٨)، والقضاء المكنى أبا العجب، إلى أن وقفت على باب دار، فقلت على بدار:

حييتم^(١٩) يا أهل هذا المنزل
ما عندكم لابن سبيل^(٢٢) مرمل^(٢٣)
وعشتم في خفض^(٢٠) عيش خضل^(٢١)
نضو سري^(٢٤) خابط ليل الليل^(٢٥)

- | | |
|----------------------------------|---------------------------------------|
| (١) أي أتحفنا. | (٢) اختبرت. |
| (٣) الناظرون إليه. | (٤) أي قبل قصدي إياكم. |
| (٥) رؤيته. | (٦) حيث يسرح ويمشي. |
| (٧) سيره بالليل. | (٨) قواذف. |
| (٩) الأرض. | (١٠) جوع. |
| (١١) وعاء الزاد. | (١٢) مشيت. |
| (١٣) انتشر الظلام وغطى كل شيء. | (١٤) الحفا. |
| (١٥) أطلب. | (١٦) منزلاً. |
| (١٧) أقود. | (١٨) سائق الجوع. |
| (١٩) طابت حياتكم والتحية البقاء. | (٢٠) لين. |
| (٢١) ناعم. | (٢٢) خاطر طريق، وهو الغريب. |
| (٢٣) لا زاد له. | (٢٤) أي هزيل من مشي الليل في الأسفار. |
| (٢٥) شديد السواد. | |

جَوِيَ الْحَسَى عَلَى الطَّوَى مُشْتَمِلٍ (١)
 وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَوْتِلٍ (٢)
 وَهُوَ مِنَ الْحَيْرَةِ فِي تَمْلُلٍ (٥)
 يَقُولُ لِي: أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ
 قَالَ: فَبَرَزَ إِلَيَّ جَوْدَرٌ، عَلَيْهِ شَوْذَرٌ، وَقَالَ:

وَحُرْمَةَ الشَّيْخِ الَّذِي سَنَّ (٧) الْقِرَى
 مَا عِنْدَنَا لَطَارِقُ (١٠) إِذَا عَرَا
 وَكَيْفَ يَقْرِي (١٢) مَنْ نَفَى عَنْهُ الْكِرَى (١٣)
 وَأَسَّسَ الْمُحْجُوجَ (٨) فِي أُمِّ الْقُرَى (٩)
 سَوَى الْحَدِيثِ وَالْمُنَاخِ (١١) فِي الذَّرَى
 طَوَى بَرَى أَعْظَمَهُ (١٤) لَمَّا أَنْبَرَى (١٥)

فَمَا تَرَى فِيمَا ذَكَرْتُ مَا تَرَى

فَقُلْتُ: مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلِ (١٦) قَفَرٍ، وَمَنْزِلِ (١٧) حَلْفِ (١٨) فَقَرٍ؟ وَلَكِنْ يَا فَتَى
 مَا اسْمُكَ، فَقَدْ فَتَنَنِي فَهْمُكَ؟ فَقَالَ: اسْمِي زَيْدٌ، وَمَنْشَيْي (١٩) فَيْدٌ،
 وَوَرَدْتُ (٢٠) هَذِهِ الْمَدْرَةَ (٢١) أَمْسٍ، مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبْسٍ (٢٢)، فَقُلْتُ لَهُ:

- | | |
|---------------------------|--------------------------------|
| (١) منظم. | (٢) ملجأ. |
| (٣) ألبس. | (٤) المطبق. |
| (٥) تقلب وتوجع. | (٦) المنزل. |
| (٧) ابتداء وجعله سنة. | (٨) أي: بنى أساس البيت الحرام. |
| (٩) مكة. | (١٠) الآتي بالليل. |
| (١١) موضع البروك. | (١٢) يضيف. |
| (١٣) النوم. | (١٤) أي: أزال اللحم عنها. |
| (١٥) اعترض. | (١٦) مكان خالي لا نبات به. |
| (١٧) مضيف. | (١٨) صاحب. |
| (١٩) موضعي الذي نشأت فيه. | (٢٠) أبيت. |
| (٢١) البلد. | (٢٢) قبيلة. |

زَدْنِي إِضْحَاحاً (١) عَشْتِ، وَنُعِشْتِ (٢)! فَقَالَ: أَخْبِرْتَنِي أُمِّي بَرَّةٌ، وَهِيَ كَاسْمِهَا بَرَّةٌ، أَنَّهُمَا نَكَحَتْ (٣) عَامَ الْغَارَةِ (٤) بِمَآوَانَ، رَجُلًا مِنْ سَرَاةٍ (٥) سَرُوحٍ وَغَسَّانَ، فَلَمَّا آنَسَ (٦) مِنْهَا الْإِثْقَالَ (٧)، وَكَانَ بَاقِعَةً (٨) عَلَى مَا يُقَالُ، ظَعْنَ (٩) عَنْهَا سِرًّا، وَهَلُمَّ جَرًّا (١٠)، فَمَا يُعْرَفُ أَحْيٌ هُوَ فَيُتَوَقَّعُ، أَمْ أَوْدِعَ اللَّحْدَ الْبَلْقَعُ؟ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: فَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ الْعَلَامَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي، وَصَدَفَنِي (١١) عَنِ التَّعْرِفِ إِلَيْهِ صَفْرٌ (١٢) يَدِي، فَفَصَلْتُ (١٣) عَنْهُ بِكَبِدٍ مَرْضُوضَةٍ (١٤)، وَدُمُوعٍ مَفْضُوضَةٍ (١٥)، فَهَلْ سَمِعْتُمْ يَا أَوْلِي الْأَلْبَابِ، بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا الْعُجَابِ؟ فَقُلْنَا: لَا وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَقَالَ: أَثْبِتُوهَا فِي عَجَائِبِ الْإِتْفَاقِ، وَخَلِّدُوهَا (١٦) بِطُونَ الْأُورَاقِ، فَمَا سِيرَ مِثْلَهَا فِي الْآفَاقِ (١٧)، فَأَحْضَرْنَا الدَّوَاةَ وَأَسَاوِدَهَا (١٨)، وَرَقَّشْنَا (١٩) الْحِكَايَةَ عَلَى مَا سَرَدَهَا (٢٠)، ثُمَّ اسْتَبْطَنَاهُ عَنْ مَرْتَاهُ (٢١)، فِي اسْتِضْمَامِ فَتَاهُ، فَقَالَ: إِذَا ثَقُلَ رَدْنِي، خَفَّ عَلَيَّ أَنْ أَكْفَلَ (٢٢) ابْنِي، فَقُلْنَا: إِنْ كَانَ يَكْفِيكَ

- | | |
|-------------------------------------------|-----------------------------------|
| (٢) جُيرت . | (١) بيانًا . |
| (٤) أي: عام أغار عليهم عدوهم . | (٣) تزوجت . |
| (٦) أبصر . | (٥) سادة . |
| (٨) داهية . | (٧) الامتلاء بالولد . |
| (١٠) على هينتكم . | (٦) رحل وسار . |
| (١٢) فراغها من الدراهم . | (١١) أمالني . |
| (١٤) مدقوقة ومكسورة . | (١٣) زلت . |
| (١٦) كناية عن الحفظ والكتابة في الأوراق . | (١٥) مفترقة . |
| (١٨) أقلامها . | (١٧) البلدان وجهاً الأرض جميعها . |
| (٢٠) أي: كما حكاهما وتكلم بها . | (١٩) كتبنا . |
| (٢٢) أضْمُ . | (٢١) رأيه وغرضه . |

نِصَابٌ^(١) مِنَ الْمَالِ، أَلْفَنَاهُ^(٢) لَكَ فِي الْحَالِ، فَقَالَ: وَكَيْفَ لَا يُقْنِعُنِي^(٣) نِصَابٌ، وَهَلْ يَحْتَقِرُ قَدْرَهُ إِلَّا مُصَابٌ^(٤)؟ .

قال الراوي: فالتزم منه كلُّ منَّا قسطاً^(٥)، وكتب له به قِطاً^(٦)، فشكر عند ذلك الصنعَ، واستنفدَ^(٧) في الثناء الوُسْعَ^(٨)، حتَّى إننا استطننا^(٩) القولَ، واستقللنا الطولَ^(١٠)، ثمَّ إنَّه نشرَ من وِشْيِ^(١١) السَّمْرِ، ما أزرى بالحبرِ^(١٢)، إلى أن أظللَّ التنويرُ، وجشَرَ^(١٣) الصبحُ المنيرُ، ففضيئناها ليلةً غابت شوائبُها، إلى أن شابَتْ ذوائبُها^(١٤)، وكملَّ سُعودُها، إلى أن انفطرَ^(١٥) عودُها، وكَمَّا ذرَّ قرنُ الغزاةِ^(١٦)، طمرَ طُمورَ الغزاةِ^(١٧)، وقال: أنهضُ^(١٨) بنا لنقبضَ الصلَّاتِ^(١٩)، ونستنصَّ^(٢٠) الإحالاتِ^(٢١)، فقد استطارَتِ^(٢٢) صدوعُ كِبدي، من الحنينِ^(٢٣) إلى وِلدي، فوصلتُ جناحه^(٢٤)، حتَّى سنيتُ نِجَاحه، فحين أحرزَ العينَ في صرِّته، برقتُ أساريِرُ مسرِّته^(٢٥)، وقال لي: جُزيتَ

(١) عشرون دينار .

(٢) جمعناه .

(٣) يكفيني .

(٤) مجنون .

(٥) نصيباً .

(٦) كتاباً .

(٧) استفرغ وأتم .

(٨) الطاقة .

(٩) استكثرنا ووجدناه كثيراً طويلاً .

(١٠) الإنعام والفضل .

(١١) ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير .

(١٢) ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة .

(١٣) طلع .

(١٤) الشعر الطويل الأسود، وأراد به: ظلام الليل .

(١٥) انشق وطلع .

(١٦) شعاعها وحاجبها .

(١٧) الظبية .

(١٨) قم .

(١٩) العطايا .

(٢٠) نستحضر ونستنجز .

(٢١) الديون التي وعدوه بها .

(٢٢) توسَّعت وانتشرت .

(٢٣) الشوق والرحمة .

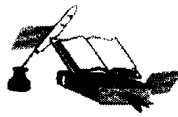
(٢٤) مشيت معه ويدي في يده .

(٢٥) سروره وفرحته .

خَيْرًا عَنْ خُطَا قَدَمَيْكَ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ لِأَشَاهِدَ
وَلَدَكَ النَّجِيبَ، وَأُنَافِثَهُ^(١) لَكِي يُجِيبَ، فَنظَرَ إِلَيَّ نَظْرَةَ الْخَادِعِ إِلَى الْمَخْدُوعِ،
وَضَحِكَ حَتَّى تَغْرَغَرَتْ^(٢) مَقْلَتَاهُ بِالِدَّمِوعِ، وَأَنْشَدَ:

يَا مَنْ تَظَنَّنِي^(٣) السَّرَابَ مَاءً لَمَّا رَوَيْتُ الَّذِي رَوَيْتُ
مَا خَلْتُ أَنْ يَسْتَسِرَّ^(٤) مَكْرِي^(٥) وَأَنْ يُخِيلَ الَّذِي عَنِيتُ
وَاللَّهُ مَا بَرَّةٌ بِعَرْسِي^(٦) وَلَا لِي ابْنٌ بِهِ أَكْتَنَيْتُ
وَإِنَّمَا لِي فُنُونٌ^(٧) سَحَر أَبَدَعْتُ فِيهَا وَمَا اقْتَدَيْتُ
لَمْ يَحْكُهَا^(٨) الْأَصْمَعِيُّ فِيمَا حَكَى وَلَا حَاكَهَا^(٩) الْكُمَيْتُ
تَخَذْتُهَا وَصَلَّةً إِلَى مَا تَجْنِيهِ كَفِّي مَتَى اشْتَهَيْتُ
وَلَوْ تَعَايَيْتُهَا^(١٠) لِحَالَتْ حَالِي وَلَمْ أَحْوِ^(١١) مَا حَوَيْتُ
فَمَهَّدَ^(١٢) الْعُذْرَ أَوْ فَسَامَحَ إِنْ كُنْتُ أُجْرَمْتُ^(١٣) أَوْ جُنَيْتُ^(١٤)

ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَنِي وَمَضَى، وَأَوْدَعَ^(١٥) قَلْبِي جَمْرَ الْغَضَا^(١٦).



- | | |
|---------------------|------------------------------|
| (١) أكلمه. | (٢) امتلأت. |
| (٣) حسب. | (٤) يخفى. |
| (٥) خداعي. | (٦) زوجتي. |
| (٧) أنواع. | (٨) يحدث بها. |
| (٩) أي: نسجها. | (١٠) تكارها. |
| (١١) أجمع. | (١٢) أقبل وسهل. |
| (١٣) أذنبت لنفسي. | (١٤) أذنبت لغيري. |
| (١٥) ضمّن وجعل فيه. | (١٦) شجر جمره يثبت في النار. |

المقامة السادسة المراغية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ، قَالَ: حَضَرْتُ دِيْوَانَ النَّظْرِ بِالْمَرَاغَةِ (١)، وَقَدْ جَرَى بِهِ ذِكْرُ الْبَلَاغَةِ، فَأَجْمَعَ مَنْ حَضَرَ مِنْ فُرْسَانَ السِّيرَاعَةِ (٢)، وَأَرْبَابِ الْبَرَاعَةِ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ يُنْقَحُ (٣) الْإِنْشَاءَ، وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ شَاءَ، وَلَا خَلْفَ، بَعْدَ السَّلْفِ، مَنْ يَبْتَدِعُ طَرِيقَةً غَرَاءَ (٤)، أَوْ يَفْتَرِعُ (٥) رِسَالَةً عِذْرَاءَ، وَأَنَّ الْمُفْلِقَ مِنْ كُتَّابِ هَذَا الْأَوَانِ، الْمُتَمَكِّنَ مِنْ أَرْزَمَةِ الْبَيَانِ، كَالْعِيَالِ (٦) عَلَى الْأَوَائِلِ، وَلَوْ مَلِكَ فَصَاحَةَ سَحْبَانَ وَائِلِ، وَكَانَ بِالْمَجْلِسِ كَهْلٌ جَالِسٌ فِي الْحَاشِيَةِ، عِنْدَ مَوَاقِفِ الْحَاشِيَةِ (٧)، فَكَانَ كَلَّمَا شَطَّ الْقَوْمُ فِي شَوْطِهِمْ (٨)، وَنَشَرُوا الْعَجْوَةَ وَالنَّجْوَةَ مِنْ نَوْطِهِمْ (٩)، يُنْبِئُ تَخَازُرُ طَرْفِهِ، وَتَشَامُخُ أَنْفِهِ (١٠)، أَنَّهُ مُخْرَبِقٌ (١١) لِيَنْبَاعَ، وَمُجْرَمٌ سِيمَدَ الْبَاعَ، وَنَابِضٌ يَبْرِي النَّبَالَ (١٢)، وَرَابِضٌ (١٣) يَبْغِي النَّضَالَ، فَلَمَّا نُثِلَّتِ الْكِنَائِنُ، وَفَاءَتْ

(١) موضع بأذربيجان.

(٢) في الأصل: القصة، ويُرادُ بها ههنا القلم وفرسانها مهرة الكتاب.

(٣) يحرر ويهذب.

(٤) حستاء واضحة.

(٥) يفتنض.

(٦) جمع عيل مخفف عيل.

(٧) أي طرف المجلس، والحاشية: هي الخدم والغلمان.

(٨) غاية جريهم وجمع الشوط: أشواط.

(٩) جلد يُجمَعُ فِيهِ التَّمْرُ.

(١٠) تعاضمه وتكبره.

(١١) أي مَرَّحِيٌّ عَيْنُهُ يَنْظُرُ سَاكِنًا.

(١٢) ينحت السهام.

(١٣) جَالِسٌ عَلَى رُكْبِهِ.

السَّكَّائِنُ^(١)، وركدَتِ الزَّعَازِعُ، وكفَّ المُنَازِعُ، وسكنتِ الزَّمَاجِرُ^(٢)،
وسكتَ المزجورُ والزَّاجِرُ، أقبلَ على الجماعةِ وَقَالَ: لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِذَا،
وَجُرْتُمْ عَنِ الْقَصْدِ جَدًّا، وَعَظَّمْتُمْ الْعِظَامَ الرُّفَاتَ^(٣)، وافتتُم في المِيلِ إِلَى
مَنْ فَاتَ، وَغَمَصْتُمْ^(٤) جِيلَكُمْ الَّذِينَ فِيهِمْ لَكُمْ اللَّدَّاتُ، وَمَعَهُمْ انْعَقَدَتِ
الْمُودَّاتُ، أَنَسَيْتُمْ يَا جَهَابِذَةَ النَّقْدِ، وَمُؤَابِذَةَ^(٥) الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، مَا أُبْرَزْتَهُ
طَوَارِفُ^(٦) الْقَرَائِحِ^(٧)، وَبَرَزَ فِيهِ الْجَذْعُ عَلَى الْقَارِحِ، مِنْ الْعِبَارَاتِ الْمَهْدَبَةِ،
وَالِاسْتِعَارَاتِ الْمُسْتَعَذِبَةِ، وَالرَّسَائِلِ الْمَوْشِحَةِ^(٨)، وَالْأَسَاجِيعِ^(٩) الْمُسْتَمْلِحَةِ؟
وَهَلْ لِلْقُدَمَاءِ إِذَا أَنْعَمَ النَّظَرُ، مَنْ حَضَرَ، غَيْرُ الْمَعَانِي الْمَطْرُوقَةِ الْمَوَارِدِ،
الْمَعْقُولَةِ الشَّوَارِدِ، الْمَأْثُورَةِ عَنْهُمْ لِتَقَادُمِ الْمَوَالِدِ، لَا لِتَقَدُّمِ الصَّادِرِ عَلَى الْوَارِدِ؟
وَإِنِّي لِأَعْرِفُ الْآنَ مَنْ إِذَا أَنْشَأَ وَشَى^(١٠)، وَإِذَا عَبَّرَ، حَبَّرَ، وَإِنْ أَسْهَبَ^(١١)،
أَذْهَبَ، وَإِذَا أَوْجَزَ، أَعْجَزَ، وَإِنْ بَدَّ، شَدَّ، وَمَتَى اخْتَرَعَ، خَرَعَ^(١٢)،
فَقَالَ لَهُ نَاطُورَةُ الدِّيَّوَانِ، وَعَيْنُ أَوْلَيْكَ الْأَعْيَانِ: مَنْ قَارِعٌ هَذِهِ الصَّفَاةُ،
وَقَرِيعٌ هَذِهِ الصَّفَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ قَرْنُ مَجَالِكَ، وَقَرِينُ جِدَالِكَ^(١٣)، وَإِذَا
شِئْتَ ذَلِكَ فَرُضْ نَجِيباً^(١٤)، وَادْعُ مُجِيباً، لِتَرَى عَجِيباً، فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا
إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا لَا يَسْتَنْسِرُ^(١٥)، وَالتَّمْيِيزَ عِنْدَنَا بَيْنَ الْفِضَّةِ وَالْقِضَّةِ

(٢) جمع زمجرة، وهو: صوت المغناط.

(٤) عبتم وحقرتم.

(٦) ما استحدثته من المال خلاف التالدة.

(٨) المزينة.

(١٠) أي: زين وخلط لون بلون.

(١٢) أفرع.

(١٤) كريماً.

(١) جمع سكينه، مصدر كالسكون.

(٣) كناية عن الموتى البالية.

(٥) هو حاكم المجوس.

(٧) الفطنة.

(٩) المزوج من الكلام المقتضى.

(١١) أطال الكلام وأبعد فيه.

(١٣) الجدل؛ أي: المجادلة.

(١٥) لا يتشبه بالنسر.

متيسرٌ، وَقَلَّ مِنْ اسْتَهْدَفَ لِلنَّضَالِ، فَخَلَّصَ مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ^(١)، أَوْ اسْتَسَارَ
نَفَعَ الامْتِحَانَ، فَلَمْ يُقَدَّ بِالامْتِهَانِ^(٢)، فَلَا تُعْرَضُ عَرْضَكَ لِلْمَفَاضِحِ، وَلَا
تُعْرَضُ عَنْ نَصَاحَةِ النَّاصِحِ، فَقَالَ: كُلُّ امْرِئٍ أَعْرَفُ بِوَسْمِ قَدْحِهِ^(٣)،
وَسَيَتَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صَبْحِهِ، فَتَنَاجَتِ الْجَمَاعَةُ فِيمَا يُسْبِرُ^(٤) بِهِ قَلْبِيهِ، وَيَعْمَدُ
فِيهِ تَقْلِيْبُهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: ذَرُوهُ فِي حِصَّتِي^(٥)، لِأَرْمِيَهُ بِحَجَرٍ قِصَّتِي، فَإِنَّهَا
عُضْلَةُ العُقْدِ، وَمِحْكُ المُنْتَقِدِ^(٦)، فَقَلَّدُوهُ فِي هَذَا الأَمْرِ الزَّعَامَةَ^(٧)، تَقْلِيدَ
الخَوَارِجِ أبا نَعَامَةَ، فَأَقْبَلَ عَلَى الكَهْلِ وَقَالَ: اعْلَمْ أَنِي أُوَالِي^(٨)، هَذَا
الْوَالِي، وَأَرْقُحُ حَالِي، بِالْبَيَانِ الحَالِي، وَكُنْتُ أُسْتَعِينُ عَلَى تَقْوِيمِ أُوْدِي^(٩)،
فِي بَلَدِي، بِسَعَةِ ذَاتِ يَدِي، مَعَ قِلَّةِ عَدَدِي، فَلَمَّا ثَقُلَ حَازِي، وَنَفِدَ
رَدَّازِي^(١٠)، أُمَّتُهُ مِنْ أَرْجَائِي، بِرَجَائِي وَدَعْوَتُهُ لِإِعَادَةِ رُؤَائِي وَإِرْوَائِي،
فَهَشَّ^(١١) لِلوِفَادَةِ وَرَاحَ، وَغَدَا بِالِإِفَادَةِ وَرَاحَ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَتْهُ فِي المَرَّاحِ، إِلَى
المَرَّاحِ، عَلَى كَاهِلِ المَرَّاحِ، قَالَ: قَدْ أَزْمَعْتُ^(١٢) أَنْ لَا أَرُودُكَ بَتَاتًا، وَلَا
أَجْمَعُ لَكَ شَتَاتًا^(١٣)، أَوْ تُنْشِئَ لِي أَمَامَ ارْتِحَالِكَ، رِسَالَةً تُوَدِّعُهَا شَرْحَ
حَالِكَ، حُرُوفُ إِحْدَى كَلِمَتَيْهَا يَعْمَهَا النَّقْطُ^(١٤)، وَحُرُوفُ الأُخْرَى لَمْ
يُعْجَمَنَّ^(١٥) قَطُّ، وَقَدْ اسْتَأْنَيْتُ بَيَانِي حَوْلًا، فَمَا أَحَارَ قَوْلًا، وَنَبَّهْتُ

(١) هو عسر الإزالة.

(٢) الاحتقار.

(٣) القدح - بالكسر - وهو: السهم.

(٤) يختبر به.

(٥) نصيبي.

(٦) النقاد، المنتقد والانتقاد بمعنى.

(٧) السيادة أو الكفالة.

(٨) أصادق.

(٩) تعديل عوجي.

(١٠) فني زادي.

(١١) اهتزَّ وقرح.

(١٢) عزمت.

(١٣) مصدر شت: إذا تفرَّق.

(١٤) أي: حروفها معجمة.

(١٥) مهملة لا نقط بها.

فَكَرِي سَنَةً، فَمَا أَزْدَادَ إِلَّا سَنَةً، وَاسْتَعْنَتْ بِقَاطِبَةِ الْكُتَابِ، فَكُلُّ مَنْهُمْ قَطَبٌ (١) وَتَابَ، فَإِنْ كُنْتَ صَدَعْتَ عَنْ وَصْفِكَ بِالْيَقِينِ، فَأَتِ بَايَةَ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ اسْتَسَعَيْتَ يَعْزُوبًا (٢)، وَاسْتَسَقَيْتَ أُسْكُوبًا، وَأَعْطَيْتَ الْقَوْسَ بَارِيهَا (٣)، وَأَسَكَنْتَ الدَّارَ بَانِيهَا، ثُمَّ فَكَّرَ رِيثِمًا (٤) اسْتَجَمَّ قَرِيحَتَهُ (٥)، وَاسْتَدَّرَّ لَقَحَّتَهُ (٦)، وَقَالَ: أَلْتَى دَوَاتِكَ وَأَقْرَبُ، وَخُذْ أَدَاتِكَ وَاكْتُبْ: الْكِرْمُ ثَبَّتَ اللَّهُ جَيْشَ سَعُودِكَ يَزِينُ، وَاللُّؤْمُ غَضَّ الدَّهْرُ جَفَنَ حَسُودِكَ يَشِينُ، وَالْأُرُوعُ يَثِيبُ، وَالْمُعُورُ (٧) يَخِيبُ، وَالْحُلَّاحِلُ (٨) يُضِيفُ، وَالْمَاحِلُ يُخِيفُ، وَالسَّمْحُ يُغْذِي، وَالْمَحْكُ (٩) يُقْذِي، وَالْعَطَاءُ يَنْجِي وَالْمَطَالُ يَشْجِي، وَالِدَعَاءُ يَقِي وَالْمَدْحُ يَنْقِي، وَالْحُرُّ يَجْزِي، وَالْإِلْطَاطُ (١٠) يُخْزِي، وَاطْرَاحُ ذِي الْحُرْمَةِ غِيٌّ، وَمَحْرَمَةٌ بَنِي الْأَمَالِ بَغِيٌّ، وَمَا ضَنَّ إِلَّا غَيْبٌ (١١)، وَلَا غَيْبٌ إِلَّا ضَنْبٌ، وَلَا خَزَنٌ إِلَّا شَقِيٌّ، وَلَا قَبْضٌ رَاحَهُ تَقِيٌّ، وَمَا فَتَى (١٢) وَعَدُّكَ يَفِي، وَأَرَاؤُكَ تَشْفِي، وَهَلَالُكَ يُضِي، وَحَلْمُكَ يُغْضِي، وَالْأَوْكُ (١٣) تُغْنِي، وَأَعْدَاؤُكَ تُثْنِي (١٤)، وَحُسَامُكَ يُفْنِي، وَسُودَدُكَ (١٥) يُقْنِي، وَمُواصِلُكَ

- (١) عبس وجهه ورجع.
 (٢) ناحتها وصانعها.
 (٣) جمعها أو طلب استراحتها.
 (٤) قبيح الفعل من العوار وهو العيب.
 (٥) البخيل اللجوج.
 (٦) البخل.
 (٧) ما زال.
 (٨) أي نعمك.
 (٩) من الثناء وهو الشكر.
 (١٠) شرفك وسيادتك.
 (١١) النهر شديد الجري.
 (١٢) أي قدر ما.
 (١٣) الناقة ذات الدر وهو اللبن.
 (١٤) السيد الركين الرزين.
 (١٥) ستر الحق وكتمانه.

يَجْتَنِي، وَمَادْحُكَ يُقْتَنِي، وَسِمَا حُكَ يُغِيثُ، وَسَمَاوُكَ تَغِيثُ، وَدِرْكُكَ (١) يَفِيضُ، وَرِدْكُكَ يَغِيضُ، وَمَوْمَلُّكَ (٢) شَيْخٌ حَكَاهُ فِيَّ، وَكَمْ يَبِقُ لَهُ شَيْءٌ، أَمَّاكَ بظنِّ حِرْصِهِ يَثْبُ (٣)، وَمَدْحُكَ بِنُخْبٍ، مُهَوْرُهَا تَجِبُ، وَمَرَامُهُ يَخْفُ، وَأَوَاصِرُهُ (٤) تَشْفُ، وَإِطْرَاؤُهُ يُجْتَدَّبُ، وَمَلَامُهُ يُجْتَنَّبُ، وَوَرَاءَهُ ضَفَفٌ (٥)، مَسَّهُمْ شَطَفٌ، وَحَصَّهُمْ جَنَفٌ، وَعَمَّهُمْ قَشَفٌ (٦)، وَهُوَ فِي دَمْعٍ يُجِيبُ، وَوَلَهُ يُذِيبُ، وَهَمٌّ تَضِيْفٌ، وَكَمَدٌ نَيْفٌ، لِمَأْمُولٍ خَيْبٌ، وَإِهْمَالٌ شَيْبٌ، وَعَدُوٌّ نَيْبٌ، وَهَدُوٌّ تَغِيْبٌ، وَكَمْ يَزِيغُ وَدُهُ (٧) فِيغْضَبُ، وَلَا خَبَثَ عَوْدُهُ فَيُقْضَبُ، وَلَا نَفَثَ صَدْرُهُ فَيُنْفَضُ (٨)، وَلَا نَشَرَ وَصْلُهُ فَيُبَغِضُ، وَمَا يَقْتَضِي كَرَمُكَ نَبَذَ حُرْمِهِ، فَيَبِيضُ أَمَلَهُ بِتَخْفِيفِ اللَّهِ، يَنْثُ حَمْدَكَ بَيْنَ عَالَمِهِ، بِقِيَتِ لِإِمَاطَةِ شَجَبٍ، وَإِعْطَاءِ نَشَبٍ، وَمُدَاوَاةِ شَجَنِ، وَمُرَاعَاةِ يَفَنِ (٩)، مُوَصُولًا بِخَفْضٍ، وَسُرُورٍ غَضٍّ. مَا غَشِيَّ مَعْهَدُ غَنِيٍّ، أَوْ خَشِيَ وَهْمُ غَبِيٍّ (١٠)، وَالسَّلَامُ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ إِمْلَاءِ رِسَالَتِهِ، وَجَلَّى فِي هَيْجَاءِ الْبَلَاغَةِ عَنْ بَسَالَتِهِ (١١)، أَرْضَتْهُ الْجَمَاعَةُ فَعَلًّا وَقَوْلًا، وَأَوْسَعَتْهُ (١٢) حَفَاوَةً وَطَوْلًا، ثُمَّ سَأَلَ مِنْ أَيِّ الشُّعُوبِ نِجَارُهُ، وَفِي أَيِّ الشُّعَابِ (١٣) وَجَارُهُ؟ فَقَالَ:

(٢) راجيك .

(١) أي: خيرك .

(٤) أي: وسائله .

(٣) أي: يقفز من النشاط .

(٦) الخشونة واليبس من شدة العيش .

(٥) بالتحريك: كثرة العيال وسوء الحال .

(٨) فيبعد .

(٧) أي: لم تملّ مودته .

(٩) الشيخ الفاني .

(١٠) أي: ما أتى منزل، والوهم: الغلط والسّهو .

(١٢) أكثرته .

(١١) أي: شجاعته .

(١٣) الشُّعَاب: جمع شُعب، وهو: ما انفرج بين الجبلين .

وَسُرُوجٌ تُرْبِتِي الْقَدِيمَةَ
 رَاقِئاً وَمَنْزَلَةً جَسِيمَةَ (٢)
 يَبَّةً وَمَنْزَهَةً وَقِيمَةَ
 فِيهَا وَلذَاتِ عَمِيمَةَ (٣)
 فِي رَوْضِهَا مَاضِي الْعَزِيمَةَ
 بَ وَأَجْتَلِي (٥) النَّعْمَ الْوَسِيمَةَ
 نَ وَلَا حَوَادِثَهُ الْمُلِيمَةَ (٦)
 لَتَلَفْتُ مِنْ كُرْبِي الْمُقِيمَةَ
 لِفَدَاتِهِ مُهَجَّتِي الْكَرِيمَةَ
 مِنْ عَيْشِهِ عَيْشَ الْبَهِيمَةَ
 رَإِلَى الْعَظِيمَةَ (٨) وَالْهَضِيمَةَ (٩)
 أَيْدِي الضَّبَاعِ الْمُسْتَضِيمَةَ (١١)
 لَا شُؤْمَهَا لَمْ تَنْبُ شِيمَةَ
 أَحْوَالُ فِيهَا مُسْتَقِيمَةَ

غَسَّانُ أُسْرَتِي الصَّمِيمَةَ (١)
 فَالْبَيْتُ مِثْلُ الشَّمْسِ إِشْنُ
 وَالرَّبْعُ كَالْفِرْدَوْسِ مَطْ
 وَاهَاً لِعَيْشِ كَانِ لِي
 أَيَّامَ أَسْحَبٍ مُطْرَفِي (٤)
 أَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَا
 لَا أَتَّقِي نُوبَ الزَّمَا
 فَلَوْ أَنَّ كَرِباً مُتْلَفٌ
 أَوْ يُفْتَدَى عَيْشٌ مَضَى
 فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِّلْفَتَى
 تَقْتَادُهُ (٧) بُرَّةُ الصَّفَا
 وَيَرَى السَّبَاعَ تَنَوَّشُهَا (١٠)
 وَالذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَوْ
 وَلَوْ اسْتَقَامَتْ كَانَتْ الـ

ثُمَّ إِنَّ خَيْرَهُ نَمَا إِلَى الْوَالِي، فَمَلَأَ فَاهُ بِاللَّالِي (١٢) وَسَامَهُ أَنْ يَنْضَوِي (١٣)

(١) الخالصة الأصيلة.

(٢) عامة كثيرة.

(٣) أي: أنظر.

(٤) أي: تجرّه.

(٥) الظلم، مصدر كالشئمة.

(٦) الجائرة والمضامة.

(٧) أي: ينظم.

(٨) عظيمة.

(٩) أي: أجزر رداً.

(١٠) التي تأتي بما يلام عليه.

(١١) الخطب الشديد.

(١٢) تتناولها وترفعها.

(١٣) جمع لؤلؤة، والمعنى: أجزل عطاؤه.

إلى أحشائه، ويلى ديوان إنشائه، فأحسبه الحباء^(١)، وظلفه^(٢) عن الولاية الإباء، قال الراوي: وكنت عرفتُ عودَ شجرته، قبل إيناع ثمرته، وكدتُ أنبه على علو قدره، قبل استنارة بدره.

فأوحى إليّ بإيماض^(٣) جفنه، ألا أجردَ عضبه من جفنه، فلما خرج بطين الخرج، وفصلَ فائزاً بالفلج^(٤)، شيعته قاضياً حق الرعاية، ولا حيا له على رفض الولاية، فأعرض متبسماً، وأنشد مترتماً^(٥):

لجوبُ البلاد مع المتربيه
لأنّ الولاية لهم نبوة
وما فيهم من يرب الصنيع^(٨)
فلا يخدعك لموع^(٩) السراب
فكم حالم سره حلمه
أحب إلي من المرتبه^(٦)
ومعتبه يا لها معتبه^(٧)
ولا من يشيد ما رتبه
ولا تات أمراً إذا ما اشتبه
وأدركه الروع^(١٠) لما انتبه



(١) أي: كفاه العطاء حتى قال: حسبي، حسبي.

(٢) أي: صرفه ومنعه.

(٣) بإشارة خفيفة من جفنه.

(٤) الظفر.

(٥) أي: مرجعاً صوته.

(٦) يقصد بالبيت: لقطع فيافي البلاد في-الفقر أحسن لي من المنزلة في الولاية.

(٧) موجده، وهي: الغضب.

(٨) أي: يحفظ المعروف والإحسان.

(٩) لمعان.

(١٠) الفزع.

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارثُ بنُ همام، قال: أزمعتُ (١) الشَّخصَ من برقعيد، وقد شمتُ برقَ عيد، فكرهتُ الرحلةَ عن تلكَ المدينة، أو أشهدَ بها يومَ الزينة (٢)، فلما أظللُ بفرضه ونفله، وأجلبُ بخيله ورجله، اتبعتُ السنةَ في لبسِ الجديد، وبرزتُ معَ من برزَ للتَّعيد (٣)، وحينَ التأم (٤) جمعُ المصلِّي وانتظمتُ، وأخذَ الزَّحامُ بالكظم (٥)، طلعَ شيخٌ في شملتين (٦)، محجوبُ المقلتين (٧)، وقد اعتضدَ شبهَ المخلاة (٨)، واستقادَ لعجوزٍ كالسَّعلاة (٩)، فوقفَ وقفةً متهافت، وحيًا تحيةً خافت، وكما فرغَ من دُعائه، أجال (١٠) خمسهُ في وعائه، فأبرزَ منه رقاعاً قد كُتبتَ بالأوانِ الأصباغ (١١)، في أوانِ الفراغ، فناولهنَّ عجوزهَ الحيزبون (١٢)، وأمرها بأن تتوسمَ الزبون (١٣)، فمن أنستَ ندى يديه، ألقَتُ ورقةً منهنَّ لديه، فأتاحَ لي القدرُ المعتوبُ رُقعةً فيها مكتوبٌ:

- (١) عزمَت .
(٢) يوم العيد .
(٣) لصلاة العيد .
(٤) اتصل .
(٥) بضيق النفس وأصله من كظم الغيظ : حبسه .
(٦) ثنية شملة، وهي : كساءٌ من صوفٍ أسودٍ يشتمل به .
(٧) مغطَّى العينين .
(٨) أي : حمل شيئًا يشبه المخلاة .
(٩) السعلاة : أخبث الغيلان، وهي كثيرة التلُّون .
(١٠) أدار .
(١١) جمع صبغ، وصبغة : ما يصبغ به .
(١٢) المُسنَّة المكاراة .
(١٣) بالفتح، وهو : الكريم الغني .

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا
 وَمَمْنُونا بِمُخْتَالٍ (٢)
 وَخَوَانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ
 وَإِعْمَالٍ مِنَ الْعُمَمَا
 فَكَمْ أَصْلِي بِأَذْحَالِ
 وَكَمْ أَخْطَرُ فِي بَالِ
 فَلَيْتَ الدَّهْرَ لَمَّا جَاءَ
 فَلَوْلَا أَنْ أَشْبَبَا
 لَمَا جَهَّزْتُ أَمَالِي
 وَلَا جَرَّرْتُ أَذْيَالِي (٩)
 فَمُخْرَابِي (١٠) أَحْرَى بِي
 فَهَلْ حُرِّيْرِي تَخْفِي
 وَيُطْفِي حَرَّ بَلْبَالِي (١١)

بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالٍ (١)
 وَمُخْتَالٍ وَمُغْتَالٍ
 نَ قَالَ لِي لِإِقْلَالِي (٣)
 لَ فِي تَضْلِيْعٍ (٤) أَعْمَالِي
 وَإِمْحَالٍ (٥) وَتَرْحَالٍ
 وَلَا أَخْطَرُ فِي بَالِ
 رَ أَطْفَالِي أَطْفَالِي (٦)
 لِي أَغْلَالِي (٧) وَأَعْلَالِي (٨)
 إِلَيَّ آلٍ وَلَا وَالِي
 عَلَيَّ مَسْحَبٍ إِذْلَالِي
 وَأَسْمَالِي أَسْمِي لِي
 فَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالِ
 بِسِرْبَالٍ (١٢) وَسِرْوَالٍ (١٣)

(١) جمع وجل بالتحريك، وهو: الخوف.

(٢) بِمُتَكَبِّرٍ.

(٤) اعوجاج من الضلع - بفتح اللام - وهو: الميل.

(٥) بالكسر - كناية عن الفقر، وبالفتح - جمع محل، وهو: القحط.

(٦) الأول: من أطفأ النار إذا أخمدها وقلب الهمزة للازدواج.

الثاني: جمع طفل؛ أي: أمات لأجلي أولادي.

(٧) جمع الغل - بالضم - وهو ما يُوضع في العُنُقِ.

(٩) جمع ذيل، وهو ما وصل إلى الأرض من الثوب.

(١٠) المحراب: أشرف مكان في المسجد، يريد به: مقامه.

(١١) هم قلبي أو حزني.

(١٣) واحد السراويل، ويؤنث. قال: عليه من اللؤم سرواله.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا اسْتَعْرَضْتُ حُلَّةَ الْأَيَّاتِ تُقْتُ (١) إِلَى مَعْرِفَةٍ مُلْحَمِهَا (٢)، وَرَاقِمِ عِلْمِهَا، فَنَاجَانِي الْفِكْرُ بِأَنَّ الْوَصْلَةَ إِلَيْهِ الْعَجُوزُ، وَأَفْتَانِي بِأَنَّ حُلْوَانَ الْمَعْرِفِ يَجُوزُ، فَرَصَدْتُهَا وَهِيَ تَسْتَقْرِي (٣) الصَّفُوفَ صَفًّا صَفًّا، وَتَسْتَوَكِفُ (٤) الْأَكْفَ كَفًّا كَفًّا، وَمَا إِنْ يَنْجَحُ لَهُ عَنَاءٌ، وَلَا يَرْشَحُ عَلَى يَدَيْهَا إِنْاءٌ، فَلَمَّا أَكْدَى اسْتِعْطَافُهَا، وَكَدَّهَا مَطَافُهَا، عَادَتْ بِالِاسْتِرْجَاعِ، وَمَالَتْ إِلَى إِرْجَاعِ الرَّقَاعِ (٥)، وَأَنْسَاهَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رُقْعَتِي، فَلَمْ تَعُجْ (٦) إِلَى بُقْعَتِي، وَأَبَتْ (٧) إِلَى الشَّيْخِ بَاكِيَةً لِلْحَرَمَانِ، شَاكِيَةً تَحَامِلُ الزَّمَانَ، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ، وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ (٨) وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ (٩) وَلَا ثَمِينٌ

ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَنِّي النَّفْسَ وَعَدِيهَا، وَاجْمَعِي الرَّقَاعَ وَعُدِيهَا، فَقَالَتْ: لَقَدْ عَدَدْتُهَا، لَمَّا اسْتَعَدْتُهَا، فَوَجَدْتُ يَدَ الضِّيَاعِ، قَدْ غَالَتْ (١٠) إِحْدَى الرَّقَاعِ، فَقَالَ: تَعْسًا لَكَ يَا لِكَاعِ (١١)! أَنْحَرُمُ وَيْحَكَ الْقَنْصَ (١٢) وَالْحِبَالَةَ، وَالْقَبَسَ وَالذُّبَالَ (١٣)? إِنِّهَا لَضِعْغٌ عَلَى إِبَالَةٍ! فَانْصَاعَتْ (١٤) تَقْتَصُّ مَدْرَجَهَا، وَتَنْشُدُ مَدْرَجَهَا، فَلَمَّا دَانَتْني قَرَنْتُ بِالرُّقْعَةِ، دِرْهَمًا وَقِطْعَةً، وَقَلْتُ لَهَا: إِنْ رَغِبْتُ

(١) اسْتَقْتُ.

(٢) نَاطَمَهَا وَالْمَلْحَمَ فِي الْأَصْلِ: النَّاسِجُ.

(٣) تَتَّبِعُ.

(٤) تَتَطَلَّبُ الْوَكْفَ، وَهُوَ مَا يَسِيلُ خَفِيفًا وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْقَلِيلِ الْعَطَاءِ.

(٥) إِعَادَتُهَا وَرَدَّهَا إِلَى الشَّيْخِ.

(٦) فَلَمْ تَمَلْ وَلَمْ تَرْجِعْ.

(٧) رَجَعْتُ.

(٨) مُخْلِصٌ صَادِقٌ فِي وَدِّهِ.

(٩) مِنَ الْأَمَانَةِ؛ أَي: ثِقَةٍ.

(١٠) أَهْلَكَتِ، وَالْمُرَادُ: أَنَّهَا أَخَذَتْ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي.

(١١) يَا لَيْثِمَةَ.

(١٢) الْبَيْدِ.

(١٣) الْفَتِيلَةَ.

(١٤) رَجَعْتُ بِسُرْعَةٍ.

فِي الْمَشُوفِ ^(١) الْمَعْلَمِ، وَأَشْرَتْ إِلَى الدَّرْهِمِ، فَبُوحِي ^(٢) بِالسَّرِّ الْمُبْهِمِ، وَإِنْ
 أَبَيْتَ أَنْ تَشْرَحِي، فَخُذِي الْقِطْعَةَ وَاسْرَحِي، فَمَالَتْ إِلَى اسْتِخْلَاصِ الْبَدْرِ
 التَّمِّ، وَالْأَبْلَجِ الْهَمِّ، وَقَالَتْ: دَعْ جِدَاكَ، وَسَلِّ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَاسْتَطَلَّعْتُهَا
 طَلَعَ الشَّيْخِ ^(٣) وَبَلَدَتِهِ، وَالشَّعْرَ وَنَاسِجَ بُرْدَتِهِ، فَقَالَتْ: إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ
 سُرُوجٍ، وَهُوَ الَّذِي وَشَى ^(٤) الشَّعْرَ الْمَنْسُوجَ ^(٥)، ثُمَّ خَطَفَتِ الدَّرْهَمَ خِطْفَةً
 الْبَاشِقِ، وَمَرَقَتْ مُرُوقَ السَّهْمِ الرَّاشِقِ، فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمُشَارُ
 إِلَيْهِ، وَتَأَجَّجَ كَرْبِي لِمُصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ، وَآثَرْتُ أَنْ أُفَاجِيَهُ ^(٦) وَأَنَاجِيَهُ، لِأَعْجَمَ ^(٧)
 عُودَ فِرَاسَتِي فِيهِ، وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطِّي رِقَابِ الْجَمْعِ، الْمُنْهِي عَنْهُ
 فِي الشَّرْعِ، وَعَفْتُ ^(٨) أَنْ يَتَأَذَى بِي قَوْمٌ، أَوْ يَسْرِي إِلَيَّ لَوْمٌ، فَسَدَكْتُ ^(٩)
 بِمَكَانِي، وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عَيَانِي، إِلَى أَنْ انْقَضَتِ الْخُطْبَةُ، وَحَقَّتْ
 الْوِثْبَةُ ^(١٠)، فَخَفَّفْتُ إِلَيْهِ، وَتَوَسَّمْتُهُ عَلَى التَّحَامِ ^(١١) جَفْنِيهِ، فَإِذَا الْمَعِيَّتِي الْمَعِيَّةُ
 ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِرَاسَتِي فِرَاسَةُ إِيَّاسٍ، فَعَرَفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي، وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ
 قُمْصِي ^(١٢). وَأَهْبَتُ بِهِ إِلَى قُرْصِي، فَهَشَّ لِعَارِقَتِي ^(١٣) وَعَرَفَانِي، وَلَبَّى دَعْوَةَ
 رُغْفَانِي، وَأَنْطَلَقَ وَيَدِي زِمَامُهُ ^(١٤)، وَظَلِّي إِمَامُهُ، وَالْعَجُوزُ ثَالِثَةُ الْأَثَافِي،
 وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي، فَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكُنْتِي، وَأَحْضَرْتُهُ
 عُجَالَةَ مَكْتَتِي، قَالَ لِي: يَا حَارِثُ، أَمَعْنَا ثَالِثٌ؟ فَقُلْتُ: لَيْسَ إِلَّا الْعَجُوزُ،

(١) المجلو المصقول.

(٢) أعلني وأظهري.

(٣) خبره.

(٤) زين.

(٥) المنظوم.

(٦) أتبه فُجَاءَةً.

(٧) أختير.

(٨) كرهت.

(٩) لزمت وتمكنت وأقمت.

(١٠) القيام.

(١١) التقاء جفنيه والتصاقهما.

(١٢) أعطيته إياه.

(١٣) عطيتي.

(١٤) قيَّاده؛ أي: لا تفارقه.

قَالَ: مَا دُونَهَا سِرٌّ مَحْجُوزٌ (١)، ثُمَّ فَتَحَ كَرِيمَتِيهِ (٢)، وَرَأَى بِتَوَأْمَتِيهِ (٣)، فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهَهُ يَقْدَانِ، كَأْتَهُمَا الْفَرْقَدَانِ (٤)، فَابْتَهَجَتْ بِسَلَامَةٍ بَصَرِهِ، وَعَجِبَتْ مِنْ غَرَائِبِ سِيرِهِ، وَلَمْ يُلْقِنِي قَرَارٌ (٥)، وَلَا طَاوَعَنِي اصْطِبَارٌ (٦)، حَتَّى سَأَلْتُهُ: مَا دَعَاكَ إِلَى التَّعَامِي (٧)، مَعَ سَيْرِكَ فِي الْمَعَامِي، وَجُوبِكَ الْمَوَامِي (٨)، وَإِيغَالِكَ فِي الْمَرَامِي؟ فَتَظَاهَرَ بِاللُّكْنَةِ (٩)، وَتَشَاغَلَ بِاللُّهْنَةِ (١٠)، حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ، أَتَارَ إِلَيَّ نَظْرَهُ، وَأَنْشَدَ:

وَلَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى عَنْ الرُّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ (١١) وَمَقَاصِدِهِ
تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمِّي وَلَا غَرَوٌ (١٢) أَنْ يَحْذُو الْفَتَى حَذْوَ وَالِدِهِ

ثُمَّ قَالَ لِي: انْهَضْ إِلَى الْمُخْدَعِ فَاتْنِي بِغَسُولٍ يَرُوقُ (١٣) الطَّرْفَ، وَيُنْقِي الكَفَّ، وَيَنْعَمُ البَشْرَةَ، وَيُعْطِرُ النِّكْهَةَ، وَيَشُدُّ اللِّثَةَ، وَيَقْوِي المَعْدَةَ، وَلِيَكُنْ نَظِيفَ الطَّرْفِ (١٤)، أَرِيحَ العَرْفَ، فَتِي الدَّقِّ، نَاعِمَ السَّحْقِ، يَحْسِبُهُ اللَّامِسُ ذُرُورًا، وَيَخَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا، وَاقْرُنْ بِهِ خِلَالَةَ (١٥) نَقِيَّةِ الأَصْلِ، مَحْجُوبَةَ الوَصْلِ، أُنَيْقَةَ (١٦) الشُّكْلِ، مَدْعَاةً إِلَى الأَكْلِ، لَهَا نَحَافَةٌ (١٧) الصَّبِّ،

(١) ممنوع ومحجوب.

(٢) حَدَّدَ النَّظْرَ وَحَرَكَ عَيْنَهُ وَأَدَارَهُمَا.

(٣) كوكبان عند القطب.

(٤) سكون.

(٥) صبر.

(٦) التَّشْبِهَ بِالْأَعْمَى.

(٧) أَي: وَقَطَعْتَ القِفَارَ الوَاسِعَةَ.

(٨) أَظْهَرَ أَنَّ بِهِ عَقْدَةَ فِي لِسَانِهِ، يَعْنِي: أَنَّهُ انْقَطَعَ عَنِ الكَلَامِ كَأَنَّ بِهِ ذَلِكَ.

(٩) مَا يَتَعَجَّلُهُ الرَّجُلُ قَبْلَ الطَّعَامِ.

(١٠) أَنْحَائِهِ.

(١١) لا عجب.

(١٢) الوَعَاءُ.

(١٣) مَا يَتَخَلَّلُ بِهِ.

(١٤) حَسَنَةٌ مَعْجَبَةٌ.

(١٥) رِقَّةٌ.

وصَقَالَةٌ^(١) العَضْبِ، وآلَةُ الحَرْبِ، ولُدُونَةُ العُصْنِ الرِّطْبِ.

قَالَ: فَنهَضْتُ فِيمَا أَمَرَ، لِأَدْرَأَ^(٢) عَنْهُ العَمَرَ، وَلَمْ أَهْمُ إِلَيَّ أَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ، بِإِدْخَالِي المُخْدَعَ، وَلَا تَطَنَيْتُ^(٣) أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ، فِي اسْتِدْعَاءِ الخِلَالَةِ وَالغَسُولِ، فَلَمَّا عُدْتُ بِالمَلْتَمَسِ^(٤)، فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ، وَجَدْتُ الجَوْ^(٥) قَدْ خَلَا، وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا^(٦)، فَاسْتَشْطْتُ^(٧) مِنْ مَكْرِهِ غَضَبًا، وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ^(٨) طَلَبًا، فَكَانَ كَمَنْ قَمِسَ فِي المَاءِ، أَوْ عُرِجَ^(٩) بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ.



(١) بريق ولعان.

(٢) أَدْفَعُ.

(٣) التَّطَنَيْتُ: إِعْمَالُ الظَّنِّ.

(٤) أَي: المَطْلُوبِ.

(٥) المَكَانِ.

(٦) ذَهَبًا.

(٧) التَّهَيَّبْتُ وَاحْتَرَقْتُ.

(٨) بِكسر فسكون وبفتحتين؛ أَي: خَلْفَهُ.

(٩) رُقِيَ بِهِ.

المَقَامَةُ الثَّامِنَةُ المَعْرِيةُ

أخبرَ الحارثُ بنُ همامٍ، قالَ: رأيتُ منْ أعاجيبِ الزَّمانِ، أنْ تقدَّمَ خَصْمانَ، إلى قاضيِ مَعْرِةِ النِّعمانِ، أحدهُما قدْ ذهبَ مِنْهُ الأَطْيَانُ^(١)، والآخرُ كأنَّهُ قضيبُ البانِ، فقالَ الشيخُ: أيدَ اللهُ القاضيَ، كما أيدَ بهِ المُتقاضي^(٢)، إنَّهُ كانتَ لي مملوكَةٌ رَشيقَةٌ^(٣) القَدُّ، أسيلَةٌ^(٤) الخدِّ، صبورٌ على الكدِّ^(٥)، تخبُّ أحياناً كالنَّهْدِ^(٦)، وترقُدُ أطواراً^(٧) في المَهْدِ، وتجدُّ في تَمُوزَ مَسَّ البَرْدِ، ذاتُ عقلٍ^(٨) وعنانِ، وحدِّ وسنانِ^(٩)، وكفِّ بِنانِ، وفمٍ بلا أسنانِ، تلدغُ بلسانِ نَضاضِ^(١٠)، وترقُلُ في ذيلِ فُضفاضِ، وتُجلى في سوادِ وبياضِ، وتُسقى ولكنْ منْ غيرِ حياضِ، ناصحةٌ خُدعةٌ، خبابةٌ طُلعةٌ، مطبوعةٌ على المنفعةِ، ومطواعةٌ في الضيقِ والسعةِ، إذا قطعتُ^(١١) وصلتُ، ومتى فصلتها^(١٢) عنكَ انفصلتُ، وطالما خدمتكُ فجملتُ، وربَّما جنتُ^(١٣) عليكَ فالمتُ^(١٤) وملمتُ، وإنَّ هذا الفتيَّ استخدمنيها

(١) الطَّيِّبانِ هُما: الأكلُ والجِماعُ. وقيلَ: النُّومُ والجِماعُ. وقيلَ: الشَّحمُ والشَّبَابُ.

(٢) طالب الحقِّ.

(٣) خفيفة معتدلة القامة.

(٤) سهلته طويلته.

(٥) الفرس الناهض الكريم الطويل القامة.

(٦) أوقاناً.

(٧) ذبابة.

(٨) كثير الحركة.

(٩) فصلت الثوب.

(١٠) عزلتها وتجنبتها.

(١١) ضربتك برأسها.

(١٢) أوجعت.

لِعَرْضٍ^(١)، فَأَخْدَمْتُهُ إِيَّاهَا بِلَا عَوْضٍ، عَلَيَّ أَنْ يَجْتَنِي نَفْعَهَا، وَلَا يَكْلِفَهَا إِلَّا
 وَسْعَهَا، فَأَوْلَجَ^(٢) فِيهَا مَتَاعَهُ، وَأَطَالَ بِهَا اسْتِمْتَاعَهُ^(٣)، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَيَّ
 وَقَدْ أَفْضَاهَا^(٤)، وَبَدَلَ عَنْهَا قِيَمَةً لَا أَرْضَاهَا، فَقَالَ الْحَدِيثُ: أَمَّا الشَّيْخُ
 فَأَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا، وَأَمَّا الْإِفْضَاءُ فَفَرَطَ عَنْ خَطَأً^(٥)، وَقَدْ رَهْنَتْهُ، عَنْ
 أَرْضٍ^(٦) مَا أَوْهَنْتُهُ^(٧)، مَمْلُوكًا لِي مُتَنَاسِبَ الطَّرْفَيْنِ، مُتَسَبِّبًا إِلَى الْقَيْنِ، نَقِيًّا
 مِنَ الدَّرَنِ وَالشَّيْنِ^(٨)، يُقَارَنُ مَحَلُّهُ سَوَادَ الْعَيْنِ، يُفْشِي الْإِحْسَانَ،
 وَيُنْشِي^(٩) الْإِسْتِحْسَانَ، وَيُغْذِي الْإِنْسَانَ، وَيَتَحَامَى اللِّسَانَ، إِنْ سُودَ جَادَ،
 أَوْ وَسَمَ^(١٠) أَجَادَ، وَإِذَا زُوِدَ وَهَبَ الزَّادَ، وَمَتَى اسْتُزِيدَ زَادَ، لَا يَسْتَقِرُّ
 بِمَغْنَى^(١١)، وَقَلَّمَا يَنْكِحُ إِلَّا مَثْنِي، يَسْخُو^(١٢) بِمَوْجُودِهِ، وَيَسْمُو عِنْدَ جُودِهِ،
 وَيُنْقَادُ^(١٣) مَعَ قَرِينَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ طَيْبَتِهِ، وَيُسْتَمْتَعُ بِزَيْتَتِهِ، وَإِنْ لَمْ
 يُطْمَعُ فِي لَيْتَتِهِ، فَقَالَ لَهُمَا الْقَاضِي: إِمَّا أَنْ تُبَيِّنَا، وَإِلَّا فَبَيْنَا^(١٤)، فَابْتَدَرَ
 الْغُلَامُ وَقَالَ:

أَعَارَنِي إِبْرَةَ لِأَرْفُو^(١٥) أَطْمَا
 فَانْخَرَمَتْ فِي يَدِي عَلَى خَطَأٍ
 رَأَى عَفَاها الْبَلَى وَسُودَهَا
 مَنِّي لَمَّا جَذَبْتُ مِقُودَهَا^(١٦)

(١) لَقَصْد.

(٢) اسْتَمْتَاعَهُ.

(٤) خَرَقَهَا وَأُرِيدُ بِهِ هُنَا: أَنَّهُ خَرَمَ خَرْمَتَهَا؛ أَي: سَمَّهَا.

(٥) عَنْ غَيْرِ عَمْد.

(٦) الْأَرْضُ: دِيَةُ الْجَرَاحَاتِ.

(٧) أَفْسَدَتْهُ.

(٨) الْعَيْبُ.

(٩) يَبْتَدِئُ الْإِسْتِحْسَانَ.

(١٠) عِلْمٌ.

(١١) بِمَنْزِلِ.

(١٢) يَسْمَعُ.

(١٣) يَنْصَرِفُ.

(١٤) أَبْعَدَا.

(١٥) الرِّفْوُ: إِصْلَاحُ الْخَرْقِ بِنَسَاجِهِ.

(١٦) الْخَيْطُ الَّذِي فِيهَا.

بأرْشَهَا (١) إِذْ رَأَى تَأْوُدَهَا
أَوْ قِيَمَةً بَعْدَ أَنْ تَجُوْدَهَا
هَيْكٌ (٢) بِهِ سُبَّةٌ (٣) تَزُوْدَهَا
تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفُكَّ (٤) مِرُوْدَهَا
وَارِثٌ (٧) لِمَنْ لَمْ يَكُنْ تَعُوْدَهَا

فَلَمْ يَرِ الشَّيْخُ أَنْ يُسَامِحَنِي
بَلْ قَالَ هَاتِ إِيرَةَ تُمَاتِلُهَا
وَاعْتِاقَ مَيْلِي رَهْنًا لَدَيْهِ وَنَا
فَالْعَيْنُ مَرَهَى لِرَهْنِهِ وَيَدِي
فَاسْبِرْ (٥) بِذَا الشَّرْحِ غُورَ مَسْكَنَتِي (٦)

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَى الشَّيْخِ وَقَالَ: إِيه، بغير تمويه! فَقَالَ:

ضَمَّ مِنَ النَّاسِكِينَ (٨) خَيْفٌ مِنْ
مُرْتَهِنًا مَيْلَهُ الَّذِي رَهَّنَا
مِنْ إِيرَةَ غَالَهَا (١٠) وَلَا ثَمْنَا
بِمُضْمِيَّاتٍ (١٢) مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا
ضُرًا وَبِؤْسًا وَغُرْبَةً وَضَنَى (١٣)
نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا
لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهِنًا
فِيهِ اتَّسَاعٌ لِلْعَفْوِ حِينَ جَنَى
فَأَنْظُرُ إِلَيْنَا وَبَيْنَنَا (١٥) وَلَنَا

أَقْسَمْتُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَمَنْ
لَوْ سَاعَفْتَنِي (٩) الْأَيَّامُ لَمْ يَرْنِي
وَلَا تَصَدَّيْتُ أَبْتَغِي بَدَلًا
لَكِنْ قَوْسَ الْخُطُوبِ (١١) تَرَشَّقُنِي
وَخَبْرٌ حَالِي كَخَبْرِ حَالَتِهِ
قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَأَنَا
لَا هُوَ يَسْتَطِيعُ فَكَّ مِرُوْدِهِ
وَلَا مَجَالِي (١٤) لَضَيْقِ ذَاتِ يَدِي
فَهَذِهِ قِصَّتِي وَقِصَّتُهُ

(١) قيمة ما نقص منها وهو ديتها.

(٣) عارًا.

(٤) تخلص.

(٥) انظر وقدر وفتش.

(٦) ذلي.

(٧) ارحم.

(٨) جمع ناسك، وهو: المتقربُ بنسيكة؛ أي: ذبيحة.

(٩) ساعدتني.

(١١) الدواهي.

(١٠) أهلكتها.

(١٢) أصلها السهم التي تقتل الصيد سريعاً، وأراد بها: الحوادث المهلكات من أصمائه إذا قتله

(١٣) هزلاً.

مكانه.

(١٥) بالحكم.

(١٤) مداري.

فَلَمَّا وَعَى الْقَاضِي قَصَصَهُمَا (١)، وَتَبَيَّنَ خِصَاصَتَهُمَا وَتَخَصُّصَهُمَا (٢)،
أَبْرَزَ لَهُمَا دِينَارًا مِنْ تَحْتِ مُصَلَاهُ، وَقَالَ لَهُمَا: اقْطَعَا بِهِ الْخِصَامَ وَافْصَلَاهُ،
فَتَلَقَّهٗ (٣) الشَّيْخُ دُونَ الْحَدَثِ، وَاسْتَخْلَصَهُ عَلَى وَجْهِ الْجِدِّ لَا الْعَبَثِ، وَقَالَ
لِلْحَدَثِ: نِصْفُهُ لِي بِسَهْمِ مَبْرَتِي (٤)، وَسَهْمُكَ لِي عَنْ أُرْشِ (٥) إِبْرَتِي،
وَلَسْتُ عَنْ الْحَقِّ أَمِيلُ، فَقُمُّ وَخُذِ الْمِيلَ، فَعَرَا الْحَدَثُ لِمَا حَدَثَ اِكْتِابُ،
وَكَفَهَرَّ (٦) عَلَى سَمَائِهِ سَحَابٌ، وَجَمَّ لَهُ الْقَاضِي، وَهَيَّجَ أَسْفَهُ عَلَى الدِّينَارِ
الْمَاضِي، إِلَّا أَنَّهُ جَبَرَ بِالِ الْفَتَى وَبَلْبَالَهُ (٧)، بِدُرِّيهِمَاتٍ رَضَخَ بِهَا لَهُ، وَقَالَ
لَهُمَا: اجْتَنِبَا الْمُعَامَلَاتِ، وَادْرَأَا الْمُخَاصِمَاتِ، وَلَا تَحْضُرَانِي فِي
الْمُحَاكِمَاتِ، فَمَا عِنْدِي كَيْسُ الْغَرَامَاتِ.

فَنَهَضَا مِنْ عِنْدِهِ، فَرِحَيْنِ بَرَفْدِهِ (٨)، مُفْصِحِينَ بِحَمْدِهِ، وَالْقَاضِي مَا
يَخْبُو (٩) ضَجْرَهُ، مُذْ بَضَّ حَجْرَهُ، وَلَا يَنْصُلُ (١٠) كَمْدَهُ، مُذْ رَشَحَ
جَلْمَدَهُ (١١)، حَتَّى إِذَا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ (١٢)، أَقْبَلَ عَلَى غَاشِيَّتِهِ، وَقَالَ: قَدْ
أَشْرِبَ حِسِّي (١٣)، وَنَبَأَنِي حَدْسِي (١٤)، أَنَّهُمَا صَاحِبَا دَهَاءٍ، لَا خِصْمَا
ادِّعَاءٍ، فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سِبْرِهِمَا، وَاسْتِنْبَاطِ سِرِّهِمَا؟ فَقَالَ لَهُ نَحْرِيرُ
زُمَرْتِهِ، وَشِرَارَةُ جَمَرْتِهِ: إِنَّهُ لَنْ يَتِمَّ اسْتِخْرَاجُ خَبِيئَتِهِمَا (١٥) إِلَّا بِهِمَا،

(١) خبرهما.

(٢) تناوله بسرعة.

(٣) نصيب صلتني.

(٤) دية.

(٥) اسودَّ وغلظ وركب بعضه بعضًا.

(٦) وسواس صدره.

(٧) عطائه.

(٨) يخمد.

(٩) يزول.

(١٠) حجره.

(١١) زوال عقله.

(١٢) قلبي وإدراكي وفهمي.

(١٣) ظني.

(١٤) مكرهما.

فَقَفَّاهُمَا عَوْنًا يُرْجِعُهُمَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ لَهُمَا: اصْدُقَانِي سِنَّ
بَكْرِكُمَا، وَلَكُمَا الْأَمَانُ مِنْ تَبِيعَةِ ^(١) مَكْرِكُمَا، فَأَحْجَمَ الْحَدَثُ وَاسْتَقَالَ،
وَأَقْدَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ:

أَنَا السَّرُوجِيُّ وَهَذَا وَلَدِي
وَمَا تَعَدَّتْ يَدُهُ وَلَا يَدِي
وَإِنَّمَا اللَّدْهَرُ الْمُسِيءُ الْمُعْتَدِي ^(٤)
كُلَّ نَدِي الرَّاحَةِ عَذْبِ الْمَوْرِدِ ^(٦)
بِكُلِّ فَنٍ وَبِكُلِّ مَقْصَدٍ
لِنَجَلِبَ الرَّشْحَ إِلَى الْحِظِّ الصَّدِيِّ ^(٨)
وَالْمَوْتَ مِنْ بَعْدِ لَنَا بِالْمَرْصَدِ ^(٩)

وَالشَّبْلُ ^(٢) فِي الْمَخْبَرِ ^(٣) مِثْلُ الْأَسَدِ
فِي إِبْرَةِ يَوْمًا وَلَا فِي مِرْوَدٍ
مَالٍ بِنَا حَتَّى غَدَوْنَا نَجْتَدِي ^(٥)
وَكُلَّ جَعْدٍ الْكَفِّ مَغْلُولِ الْيَدِ
بِالْجَدِّ إِنْ أَجْدَى وَإِلَّا بِالْدَدِّ ^(٧)
وَنُنْفِدَ الْعُمَرَ بَعِيشَ أَنْكَدٍ
إِنْ لَمْ يُفَاجِ ^(١٠) الْيَوْمَ فَاجَى فِي غَدٍ

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: لِلَّهِ دَرَكٌ فَمَا أَعَذَبَ نَفَثَاتِ ^(١١) فِيكَ، وَوَاهَا لَكَ لَوْلَا
خِدَاعُ فِيكَ! وَإِنِّي لَكَ لِمَنِ الْمُنْذِرِينَ، وَعَلَيْكَ مِنَ الْحَذِرِينَ ^(١٢)، فَلَا تُمَآكِرُ
بَعْدَهَا الْحَاكِمِينَ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ ^(١٣) الْمُتَحَكِّمِينَ، فَمَا كُلُّ مُسَيِّطِرٍ يُقِيلُ ^(١٤)، وَلَا
كُلُّ أَوَانٍَ يُسْمَعُ الْقِيلُ، فَعَاهِدَهُ الشَّيْخُ عَلَى اتِّبَاعِ مَشُورَتِهِ، وَالْإِرْتِدَاعِ ^(١٥) عَنْ

(١) جناية .

(٢) ولد الأسد .

(٣) أي في التجربة .

(٤) نطلب الجدوى؛ أي: العطاء من الناس .

(٥) بالهزل واللعب .

(٦) مترقب لنا .

(٧) المشفقين .

(٨) يعفو عن الزلة .

(٩) قهر وبطش .

(١٠) الرجوع والكف .

تَلْبِيسٍ (١) صَوْرَتِهِ، وَفَصَلَ عَنِ جِهَتِهِ، وَالْخَتْرُ (٢) يَلْمَعُ مِنْ جِبْهَتِهِ.
 قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْهَا فِي تَصَارِيفِ الْأَسْفَارِ، وَلَا
 قَرَأْتُ مِثْلَهُ فِي تَصَانِيفِ الْأَسْفَارِ (٣).



(١) تغيير .

(٢) الغدر والخديعة، أو: أقبح العذر .

(٣) جمع سَفْرٍ - بالكسر - وهو: الكتاب الكبير .

المقامة التاسعة الإسكندرية

قال الحارث بن همام: طحا بي مرح الشباب، وهوى الاكتساب^(١)،
إلى أن جبت ما بين فرغانة^(٢)، وغانة^(٣)، أخوض الغمار، لأجني الثمار،
وأفتحم الأخطار، لكي أدرك الأوطار^(٤)، وكنت لقت من أفواه العلماء،
وثقت من وصايا الحكماء، أنه يلزم الأديب الأريب^(٥)، إذا دخل البلد
الغريب، أن يستميل قاضيه، ويستخلص مراضيه^(٦)، ليشدد ظهره عند
الخصام، ويأمن في الغربة جور الحكام، فاتخذت هذا الأدب إماماً^(٧)،
وجعلته لمصالح زماماً، فما دخلت مدينة، ولا ولجت^(٨) عرينه^(٩)، إلا
وامتزجت^(١٠) بحاكمها امتزاج الماء بالراح^(١١)، وتقويت بعنائه تقوي
الأجساد بالأرواح، فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية، في عشية عريه، وقد
أحضر مال الصدقات، ليفضه^(١٢) على ذوي الفاقات^(١٣)، إذ دخل شيخ
عفريه^(١٤)، تعتله^(١٥) امرأة مصيبة^(١٦)، فقالت: أيد الله القاضي، وأدام به

(٢) بلد بأقصى بلاد المشرق.

(١) محبة اكتساب المال.

(٤) الحاجات.

(٣) بلد بأقصى المغرب.

(٦) أي: رضاه.

(٥) العاقل.

(٨) دخلت.

(٧) قدوة، يعني: أعمل بمقتضاه.

(١٠) اختلطت.

(٩) مأوى الأسد.

(١٢) يفرقه.

(١١) الخمر.

(١٤) خبيث شديد الدهاء.

(١٣) الفقراء المحتاجين.

(١٦) ذات صبيان.

(١٥) تجره بعنف وجفاء.

التراضي، إني امرأة من أكرم جرثومة^(١)، وأطهر أرومة، وأشرف خوولة^(٢) وعمومة، ميسمي الصون^(٣)، وشيمتي الهون، وخلقتي نعم العون، وبينني وبين جاراتي بون، وكان أبي إذا خطبني بناءً المجد، وأرباب^(٤) الجدد، سكتهم وبكتهم، وعاف ووصلتهم وصلتهم، واحتج بأنه عاهد الله تعالى بحلقة، ألا يصاهر^(٥) غير ذي حرفة، فقيض القدر لنصبي، ووصبي، أن حضر هذا الخدعة نادي أبي، فأقسم بين رهطه^(٦)، أنه وفق شرطه، وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة^(٧)، فباعهما ببذرة^(٨)، فاغترأ أبي بزخرفة محاله، وزوجنيه قبل اختبار حاله، فلما استخرجني من كناسي^(٩)، ورحلني عن أناسي، ونقلني إلى كسره^(١٠)، وحصلني تحت أسره، وجدته قعدة جثمة^(١١)، وألفيته ضجعة نومة، وكنت صحبته برياش^(١٢) وزبي، وأثاث وري، فما برح يبيعه في سوق الهضم، ويتلف ثمنه في الخضم، والقضم^(١٣)، إلى أن مزق ما لي بأسره، وأنفق مالي في عسره^(١٤)، فلما أنساني طعم الراحة، وغادر بيتي أنقى من الراحة^(١٥)، قلت له: يا هذا إنّه

(١) أصل.

(٢) جمع خال.

(٣) الحفظ والعفاف.

(٤) أصحاب الغنى.

(٥) لا يزوج ابنته.

(٦) قومه وعشيرته.

(٧) جوهرة إلى جوهرة.

(٨) البذرة: عشرة آلاف درهم.

(٩) منزلي، وأصله: بيت الطيبي أو بقر الوحش. (١٠) بفتح الكاف وكسرهما؛ أي: جانب بيته.

(١١) كثير الجثوم؛ أي: يلازم الموضع الذي يقعد فيه.

(١٢) مال ولباس فاخر.

(١٣) الأكل بأطراف الأسنان، وقيل: الخضم: الأكل بأطراف الأسنان، والقضم: بمقدمها،

وقيل: الخضم أكل الرطب، والقضم: أكل اليباس، يريد: أنه يصرف ثمنه في أنواع الأكل

واللذات.

(١٥) بطن الكف لنقائه من الشعر.

(١٤) في قلة ذات يده.

لا مخبأ بعد بوس^(١)، ولا عطر بعد عروس، فانهض للاكتساب بصناعتك، واجنبي ثمرة براعتك، فزعم أن صناعته قد رُميت بالكساد^(٢)، لما ظهر في الأرض من الفساد، ولي منه سلالة، كأنه خلافة، وكلانا ما ينال معه شبة^(٣)، ولا ترفاً^(٤) له من الطوى دمة، وقد قُدته إليك، وأحضرتك لديك، لتعجم عود دعواه، وتحكم بيننا بما أراك الله، فأقبل القاضي عليه وقال له: قد وعيت قصص عرسك^(٥)، فبرهن الآن عن نفسك، وإلا كشفت عن لبسك^(٦)، وأمرت بحبسك، فأطرق إطراق الأفعوان^(٧)، ثم شمر للحرب العوان، وقال:

اسمع حديثي فإنه عجب
أنا امرؤ ليس في خصائصه^(٩)
سروج داري التي ولدت بها
وشغلي الدرس والتبحر في الـ
ورأس مالي سحر الكلام الذي
أغوص في لجة البيان فأخذ
يضحك من شرحه وينتخب^(٨)
عيب ولا في فخاره^(١٠) ريب
والأصل غسان حين أنتسب
علم طلابي^(١١) وحبذا الطلب^(١٢)
منه يصاغ القريض^(١٣) والخطب
تار اللالي منها وأنتخب

(١) فقر.

(٢) هو خمود السوق وقلة البيع: ضد التفاق - بالفتح.

(٣) بالضم - قدر ما يشبع به مرة.

(٤) تسكن.

(٥) ما قصته زوجته.

(٦) إشكالك وتعمية أمرك.

(٧) ذكر الأفاعي أو العظيم منها.

(٨) يبكي ويشهق من سماعه؛ لأن الانتحاب: بكاء مع شهيق، ويُطلق على رفع الصوت بالبكاء.

(٩) خصاله وطباعه.

(١٠) مباهاته بالكارم والمناقب.

(١١) ما أحبه.

(١٢) مطلوب.

(١٣) الشعر.

قَوُولٌ وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَطِبُ
 مَا صَغُتُهُ^(٢) قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
 بِالْأَدَبِ الْمُقْتَنَى وَأَحْتَلَبُ
 مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبٌ^(٤)
 رَبْعِي^(٥) فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ
 أَكْسَدُ شَيْءٍ فِي سَوْقِهِ الْأَدَبُ
 يُرْقَبُ^(٦) فِيهِمْ إِنْ وَلَا نَسَبُ
 يُبْعَدُ مَنْ نَشْنَهَا وَيُجْتَنَبُ
 مِنَ اللَّيَالِي وَصَرَفُهَا^(٩) عَجَبُ
 وَسَاوَرْتَنِي^(١١) الْهُمُومُ وَالْكَرْبُ
 سُلُوكٌ مَا يَسْتَشِينُهُ^(١٢) الْحَسَبُ
 وَلَا بَتَاتٌ^(١٣) إِلَيْهِ أَنْقَلِبُ
 بِحَمَلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطْبُ
 خَمْسًا فَلَمَّا أَمْضَيْتَنِي السَّغْبُ
 أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأَضْطَرِبُ

وَأَجْتَنِي الْيَانِعَ^(١) الْجَنِيَّ مِنَ الدَّ
 وَأَخْذُ اللَّفْظِ فَضَّةً فَإِذَا
 وَكُنْتُ مِنْ قَبْلِ أَمْتَرِي^(٣) نَشَبَا
 وَيَمْتَطِي أَحْمَصِي حُرْمَتِهِ
 وَطَالَمَا زُقْتُ الصَّلَاتُ إِلَيَّ
 فَالْيَوْمَ مَنْ يَعْلَقُ الرَّجَاءُ بِهِ
 لَا عَرَضُ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا
 كَأَنَّهُمْ فِي عَرَاصِنِهِمْ جَيْفٌ^(٧)
 فَحَارَ لُبِّي^(٨) لَمَّا مُنِيتُ بِهِ
 وَضَاقَ^(١٠) ذُرْعِي لَضَيْقِ ذَاتِ يَدِي
 وَقَادَنِي دَهْرِي الْمُلِيمُ إِلَيَّ
 فَبِعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدٌ
 وَادْنَتْ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي
 ثُمَّ طَوَيْتُ الْحَشَا عَلَى سَغْبٍ^(١٤)
 لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا^(١٥) عَرَضًا^(١٦)

(٢) سبكته.

(٤) جمع رتبة، وهي: المنزلة الرفيعة.

(٦) يحفظ.

(٨) تحير عقلي.

(١٠) انقبض قلبي.

(١٢) يستشعنه.

(١٤) جوع.

(١٥) الجهاز - بفتح الجيم وكسرهما: فاخر متاع البيت وأهبة السفر.

(١٦) حطام الدنيا وهو: المال قلَّ أو كثر.

(١) الزاهي.

(٣) اكتسب.

(٥) منزلي.

(٧) جمع جيفة، وهي: الميتة المنتنة.

(٩) تقلبها.

(١١) واثبتني وغلبتني.

(١٣) البتات: الزاد ومتاع البيت.

والعينُ عِبْرِي^(١) والقلبُ مُكْتَسَبٌ^(٢)
 حَدَّ التَّرَاضِي فِي حَدِّ الثَّغْبِ الْغَضْبِ
 أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
 زَخْرَفَتْ^(٤) قَوْلِي لِيَنْجَحَ الْأَرْبُ
 كَعَبْتِهِ تَسْتَحِثُّهَا النَّجْبُ^(٥)
 وَلَا شَعَارِي التَّمْوِيهِ وَالْكَذْبُ
 إِلَّا مَوَاضِي الْيَرَاعِ وَالْكَتْبُ
 فِي وَشَعْرِي الْمَنْظُومِ لَا السُّخْبُ
 مَا كُنْتُ أَحْوِي^(٧) بِهَا وَأَجْتَلِبُ^(٨)
 وَلَا تُرَاقِبُ وَأَحْكُمُ بِمَا يَجِبُ

فَجُلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ
 وَمَا تَجَاوَزَتْ إِذْ عَبَّثْتُ بِهِ
 فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا^(٣) تَوْهْمُهَا
 أَوْ أَتْنِي إِذْ عَزَمْتُ خُطْبَتَهَا
 فَوَالَّذِي سَارَتْ الرَّفَاقُ إِلَى
 مَا الْمَكْرُ بِالْمُحْصَنَاتِ مِنْ خُلُقِي^(٦)
 وَلَا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نَيْطَ بِهَا
 بَلْ فَكَّرْتِي تَنْظُمُ الْقَلَائِدِ لَا كَفُ
 فَهَذِهِ الْحَرْفَةُ الْمُشَارُ إِلَى
 فَأَذْنُ لَشَرَحِي^(٩) كَمَا أَذْنَتْ لَهَا

قال: فَلَمَّا أَحْكَمَ مَا شَادَهُ^(١٠)، وَأَكْمَلَ إِنْشَادَهُ، عَطَفَ الْقَاضِي إِلَى
 الْفَتَاةِ، بَعْدَ أَنْ شَغَفَ بِالْأَبْيَاتِ، وَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ جَمِيعِ الْحُكَّامِ،
 وَوَلَاةِ الْأَحْكَامِ^(١١) انْقِرَاضُ^(١٢) جِيلِ الْكِرَامِ، وَمِيْلُ الْأَيَّامِ إِلَى اللَّئَامِ^(١٣)،
 وَإِنِّي لِإِخَالٍ بَعْلُكَ صَدُوقًا فِي الْكَلَامِ، بَرِيًّا مِنَ الْمَلَامِ، وَهَا هُوَ قَدْ اعْتَرَفَ
 لَكَ بِالْقَرَضِ^(١٤)، وَصَرَّحَ عَنِ الْمَحْضِ^(١٥)، وَبَيَّنَ مِصْدَاقَ النَّظْمِ، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ

(١) دامعة باكية.

(٢) حزين.

(٣) أغضبها.

(٤) زينت وحسنته.

(٥) جمع نجبية، وهي: الكريمة من الإبل.

(٦) طبعي وسجيتي.

(٧) أحوز.

(٨) أجمع وأكسب.

(٩) فاستمع لقولي.

(١٠) أتقن ما قاله. والنشأة من شاد البناء: إذا طلاه بالشيء، وهو: الجص.

(١١) أمراء الشرائع.

(١٢) انقطاع وفناء.

(١٣) أهل البخل.

(١٤) الخالص.

(١٥) السلف.

مَعْرُوقُ الْعَظْمِ، وَإِعْنَاتُ الْمُعْذِرِ مَلَأْمَةٌ^(١)، وَحَبْسُ الْمُعْسِرِ^(٢) مَأْلَةٌ، وَكَيْتْمَانُ الْفَقْرِ زَهَادَةٌ، وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ، فَارْجِعِي إِلَى خَدْرِكَ^(٣)، وَاعْذُرِي أَبَا عَذْرِكَ، وَنَهْنِهِي عَنْ غَرْبِكَ، وَسَلِّمِي لِقَضَاءِ رَبِّكَ، ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ^(٤) لَهُمَا فِي الصَّدَقَاتِ حِصَّةً، وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهَا قَبْصَةً، وَقَالَ لَهُمَا: تَعَلَّلَا^(٥) بِهَذِهِ الْعُلَّالَةِ، وَتَنْدِيَا بِهَذِهِ الْبُلَّالَةِ^(٦)، وَاصْبِرَا عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكُدِّهِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَنَهَضَا وَلِلشَّيْخِ فَرْحَةٌ الْمُطْلَقِ مِنَ الْإِسَارِ^(٧)، وَهِيَّةُ الْمَوْسِرِ بَعْدَ الْإِعْسَارِ.

قَالَ الرَّأوِي: وَكُنْتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ سَاعَةً بَزَغَتْ شَمْسُهُ، وَنَزَغَتْ عَرْسُهُ، وَكُدْتُ أَفْصَحُ عَنْ افْتِنَانِهِ، وَأَثْمَارِ أَفْنَانِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ^(٨) مِنْ عَثُورِ الْقَاضِي عَلَى بُهْتَانِهِ^(٩)، وَتَزْوِيقِ لِسَانِهِ، فَلَا يَرَى عِنْدَ عَرْفَانِهِ، أَنْ يُرْشَحَهُ لِإِحْسَانِهِ، فَأَحْجَمْتُ^(١٠) عَنِ الْقَوْلِ إِحْجَامَ الْمُرْتَابِ^(١١)، وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ، إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَمَا فَصَلَّ، وَوَصَلَّ إِلَى مَا وَصَلَ: لَوْ أَنَّ لَنَا مَنْ يَنْطَلِقُ فِي أَثَرِهِ، لِأَتَانَا بِفَصٍّ^(١٢) خَبْرِهِ، وَبِمَا يُنْشَرُ مِنْ حَبْرِهِ، فَاتَّبَعَهُ الْقَاضِي أَحَدَ أُمْنَائِهِ، وَأَمْرَهُ بِالْتَّجَسُّسِ عَنْ أَنْبَائِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ رَجَعَ مُتْدَهِّدًا^(١٣)، وَقَهْقَرًا مُقَهْقَرًا^(١٤)، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: مَهِيمٌ، يَا أَبَا مَرِيْمَ؟

(١) لؤم.

(٢) هو من عَجَزَ عَنْ قَضَاءِ الدَّيْنِ.

(٣) بيتك وسترك، ومنه: جارية مخدرة إذا لُزِمَتِ الخُدْر.

(٤) عَيْنٌ وَقَدَّرَ.

(٥) تَشَاغَلًا وَتَلَاهِيًا.

(٦) قدر ما يبيل به الشيء، واسم للبقية أيضًا.

(٧) القيد الذي يُشَدُّ بِهِ الْأَسِيرَ.

(٨) خفت.

(٩) كذبه.

(١٠) تأخرت.

(١١) تأخر الشاك.

(١٢) بحقيقة حاله.

(١٣) التدهده: الإسراع، من دهدهت الحجر: إذا دحرجته.

(١٤) القهقرة: المشي إلى الوراء. والقهقهة: الضحك بصوت.

فَقَالَ: لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا (١)، وَسَمِعْتُ مَا أَنْشَأَ لِي طَرِبًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا رَأَيْتَ، وَمَا الَّذِي وَعَيْتَ؟ قَالَ: لَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ مَذْخَرَجَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ، وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، وَيُغْرَدُ (٢) بِمِلءِ شِدْقَيْهِ، وَيَقُولُ:

كَدْتُ أُصَلِّيَ (٣) بِبَلِيَّةٍ مِنْ وَقَاحِ شَمَّرِيَّةِ (٤)
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ

فَضَحَكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ (٥) دَنِيَّتُهُ، وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ، فَلَمَّا فَاءَ إِلَى الْوَقَارِ، وَعَقَّبَ الْاسْتِعْرَابَ بِالْاسْتِغْفَارِ، قَالَ: اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقْرَبِينَ، حَرِّمْ حُبْسِي عَلَى الْمُتَأَدِّبِينَ، ثُمَّ قَالَ لِذَلِكَ الْأَمِينِ: عَلِيٌّ بِهِ، فَاَنْطَلَقَ مُجَدِّدًا بَطْلَبِهِ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ لَأْيِهِ، مُخْبِرًا بِنَأْيِهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ، لَكُنْفِي الْحَذَرَ، ثُمَّ لِأَوْلَيْتُهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى، وَلَأَرَيْتُهُ (٦) أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْأُولَى.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا رَأَيْتُ صَعْوًا (٧) الْقَاضِي إِلَيْهِ، وَفَوَتْ ثَمْرَةَ التَّبِيهِ عَلَيْهِ، غَشِيْتَنِي (٨) نَدَامَةُ الْفِرْزَدَقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ، وَالْكَسْعِيَّ لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ.



(٢) التغريد: تطريب الصوت.

(١) أمرًا يتعجب منه.

(٣) أحترق.

(٤) الشمري: الماضي في الأمور الحادّ فيما يحاول.

(٥) وقعت.

(٦) لأفهمته وأعلمته أن العطيّة الأخيرة خير من العطيّة الأولى.

(٨) أتنتني وحضرتني.

(٧) بفتح الصاد؛ أي: ميله.

المقامة العاشرة الرحبية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قالَ: هتَفَ بي داعي الشوقِ، إلى رَحبةِ مالكِ ابنِ طوقِ، فلبّيتهُ مُمتطياً (١) شملةً (٢)، ومنتضياً عزيمةً مُشمعلَةً (٣)، فلمّا ألقيتُ بها المراسيَّ (٤)، وشدّدتُ أمراسي، وبرزتُ من الحمّامِ بعدَ سبتِ رأسي، رأيتُ غلاماً أفرغَ في قلبِ الجمالِ، وألبسَ من الحُسنِ حلّةَ الكمالِ، وقد اعتلّقَ شيخُ بردنِه (٥)، يدعي أنه فتكُ بابنِه، والغلامُ ينكرُ عرفتهُ (٦)، ويكبرُ قرفتهُ (٧)، والخصامُ بينهما مُتطيرُ (٨) الشرارِ، والزحّامُ عليهما يجمعُ بين الأخيّارِ والأشرارِ، إلى أن تراضيا بعدَ اشتطاطِ (٩) اللدّدِ (١٠)، بالتنافرِ إلى وِالي البلدِ، وكان ممّن يُزنّ بالهَناتِ (١١)، ويغلبُ حُبَّ البنينِ على البناتِ، فأسرّعا إلى ندوته، كالسُّليكَ في عدوته، فلمّا حضراه، جدّدَ الشيخُ دعواه، واستدعى عدواه، فاستنطقَ الغلامَ وقد فتنه

(١) راكبا.

(٢) بكسر الشين والميم وتشديد اللام: ناقة مُسرّعة.

(٣) حادة سريعة من اشمعل القوم إذا هرعوا في خوفٍ وشدة.

(٤) جمع المرساة كناية عن الإقامة.

(٥) الرذن - بالضم - أصل الكم.

(٦) معرفته.

(٧) تهتمته، وأصل القرقة: الكسب.

(٨) متناثر.

(٩) الاشتطاط: تجاوز الحدّ في كل شيء، واللدّد: شدة الخصومة.

(١٠) شدة الخصومة.

(١١) بالقاذورات: كناية عن الغلمان.

بمحاسنِ غرَّتِه، وطَرَّ عقلُه بتصنيفِ طرَّتِه (١) .

فَقَالَ: إِنَّهُ أَفِيكَةٌ أَفَاكٍ، عَلَى غَيْرِ سَفَاكٍ! وَعَضِيهَةٌ مُحْتَالٍ، عَلَى مَنْ لَيْسَ بِمُغْتَالٍ .

فَقَالَ الْوَالِي لِلشَّيْخِ: إِنَّ شَهِدَ لَكَ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِلَّا فَاسْتَوْفِ مِنْهُ الْيَمِينَ، فَقَالَ الشَّيْخُ: إِنَّهُ جَدَلُهُ (٢) خَاسِيًا (٣) ، وَأَفَاحٌ (٤) دَمُهُ خَالِيًا، فَأَتَى لِي شَاهِدٌ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ مُشَاهِدٌ؟ وَلَكِنْ وَلَّيْتُ تَلْقِينَهُ الْيَمِينَ، لِيَبِينَ لَكَ أَيُّ صِدْقٍ أَمْ يَمِينٌ؟

فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الْمَالِكُ لِدَلِّكَ، مَعَ وَجْدِكَ الْمُتَهَالِكِ (٥) ، عَلَى ابْنِكَ الْهَالِكِ .

فَقَالَ الشَّيْخُ لِلْغُلَامِ: قُلْ وَالَّذِي زَيْنَ الْجِبَاهَةِ بِالطَّرْرِ (٦) ، وَالْعُيُونََ بِالْحَوْرِ، وَالْحَوَاجِبَ بِالْبَلَجِ، وَالْمَبَاسِمَ (٧) بِالْفَلَجِ، وَالْجُفُونََ بِالسَّقَمِ (٨) ، وَالْأَنْوْفَ بِالشَّمَمِ، وَالْخُدُودَ بِاللَّهَبِ، وَالشُّغُورَ بِالشَّنْبِ، وَالْبَنَانَ (٩) بِالتَّرْفِ، وَالْخُصُورَ بِالْهَيْفِ، إِنِّي مَا قَتَلْتُ ابْنَكَ سَهْوًا وَلَا عَمْدًا، وَلَا جَعَلْتُ هَامَتَهُ لِسَيْفِي غَمْدًا، وَإِلَّا فَرَمَى اللَّهُ جَفْنِي بِالْعَمَشِ، وَخَدَيَّ بِالنَّمَشِ، وَطُرْتِي بِالْجَلْحِ (١٠) ، وَطَلْعِي بِالْبَلْحِ، وَوَرْدَتِي بِالْبَهَارِ، وَمِسْكَتِي بِالْبُخَارِ، وَبَدْرِي (١١) بِالْمُحَاقِ، وَفِضَّتِي بِالْأَحْتِرَاقِ (١٢) ، وَشُعَاعِي بِالْإِظْلَامِ، وَدَوَاتِي بِالْأَقْلَامِ .

- (١) بتسوية شعر ناصبته .
 (٢) بعيداً فقلب الهمزة للازدواج .
 (٣) أراق وأسأل .
 (٤) الشدید البالغ .
 (٥) جمع مبسم، وهو: محل الضحك .
 (٦) جمع طرة، وهي: القصة .
 (٧) الفطور .
 (٨) هو انحسار شعر مقدم الرأس .
 (٩) الأصابع .
 (١٠) وجهي .
 (١١) بالسواد كناية عن الالتحاء .
 (١٢) صرعه على الجدالة، وهي الأرض .

فَقَالَ الْغُلَامُ: الْاِصْطِلَاءَ بِالْبَلِيَّةِ (١)، وَلَا الْإِيْلَاءَ (٢) بِهَذِهِ الْأَلِيَّةِ (٣)،
وَالانْفِيَادَ لِلْقَوْدِ، وَلَا الْحَلْفَ بِمَا لَمْ يَحْلِفْ بِهِ أَحَدٌ، وَأَبَى الشَّيْخُ إِلَّا تَجْرِيْعَهُ
الْيَمِيْنَ الَّتِي اخْتَرَعَهَا ، وَأَمَقَّرَ لَهُ جُرْعَهَا ، وَكَمْ يَزَلِ التَّلَاحِي (٤) بَيْنَهُمَا
يَسْتَعِرُّ (٥)، وَمَحَجَّةُ التَّرَاضِي تَعْرِ، وَالْغُلَامُ فِي ضِمْنِ تَأْبِيهِ، يَخْلُبُ قَلْبَ
الْوَالِي بَتْلُوِيهِ (٦)، وَيُطْمَعُهُ فِي أَنْ يَلْبِيَهُ، إِلَى أَنْ رَانَ هَوَاهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَأَلْبَّ
بَلْبِيهِ (٧)، فَسَوَّلَ لَهُ الْوَجْدُ الَّذِي تِيْمَهُ، وَالطَّمْعُ الَّذِي تَوْهَمَهُ، أَنْ يُخْلَصَ
الْغُلَامَ وَيَسْتَخْلِصَهُ، وَأَنْ يُنْقِذَهُ مِنْ حِبَالَةِ الشَّيْخِ ثُمَّ يَقْتَنِصَهُ.

فَقَالَ لِلشَّيْخِ: هَلْ لَكَ فِيمَا هُوَ أَلْيَقُ (٨) بِالْأَقْوَى، وَأَقْرَبُ لِلتَّقْوَى؟

فَقَالَ: إِيْلَامٌ تُشِيرُ لِأَقْتَفِيهِ (٩)، وَلَا أَقِفُ لَكَ فِيهِ؟

فَقَالَ: أَرَى أَنْ تُقْصِرَ عَنِ الْقِيْلِ وَالْقَالِ، وَتُقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى مَائَةِ مِثْقَالٍ،
لِأَتَحْمَلَ مِنْهَا بَعْضًا، وَأَجْتَبِي الْبَاقِي لَكَ عَرْضًا (١٠).

فَقَالَ الشَّيْخُ: مَا مِنِّي خِلَافٌ، فَلَا يَكُنْ لَوْعِدِكَ إِخْلَافٌ، فَفَقَدَهُ الْوَالِي
عِشْرِينَ، وَوَزَعَ عَلَى وَزَعَتِهِ (١١) تَكْمِلَةَ خَمْسِينَ، وَرَقَّ ثَوْبُ الْأَصِيلِ،
وَانْقَطَعَ لِأَجْلِهِ صَوْبُ التَّحْصِيلِ (١٢).

فَقَالَ: خُذْ مَا رَاجَ، وَدَعْ عَنْكَ اللَّجَاجَ، وَعَلِيٌّ فِي غَدٍ أَنْ أَتَوْصَلَ إِلَيَّ
أَنْ يَنْضَ (١٣) لَكَ الْبَاقِي وَيَتَحَصَّلَ.

(١) المصيبة، وهي في الأصل: الناقة التي كانت تعقل عند قبر صاحبها حتى تموت.

(٢) الحلف.

(٣) اليمين.

(٤) التنازع والشاتم.

(٥) يلتهب ويتقد.

(٦) بثنيه وانعطافه.

(٧) بعقله.

(٨) أولى وأقرب.

(٩) لأتبعه.

(١٠) من أي وجه كان.

(١١) أعوانه وخدمه.

(١٢) طريق العطاء.

(١٣) يصير نقدًا ومنه الناض؛ أي: النقد.

فَقَالَ الشَّيْخُ: أَقْبِلْ مِنْكَ عَلَيَّ أَنْ أَلْزِمَهُ لَيْلَتِي، وَيَرْعَاهُ إِنْسَانٌ مُقْلَتِي،
حَتَّى إِذَا أَعْفَى (١) بَعْدَ إِسْفَارِ الصَّبْحِ، بِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ الصَّلْحِ، تَخَلَّصْتُ
قَائِبَةً مِنْ قُوبٍ، وَبَرِيءٌ بَرَاءَةَ الذُّئْبِ مِنْ دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ.

فَقَالَ لَهُ الْوَالِي: مَا أُرَاكَ سَمْتًا (٢) شَطَطًا (٣)، وَلَا رُمْتَ فَرَطًا.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَجَ الشَّيْخِ كَالْحُجَجِ السَّرِيحِيَّةِ،
عَلِمْتُ أَنَّهُ عَلِمَ السَّرُوجِيَّةِ، فَلَبِثْتُ إِلَى أَنْ زَهَرَتْ (٤) نُجُومُ الظَّلَامِ، وَانْتَشَرَتْ
عُقُودُ الزَّحَامِ (٥)، ثُمَّ قَصَدْتُ فِنَاءَ الْوَالِي، فَإِذَا الشَّيْخُ لَلْفَتَى كَالِي (٦)،
فَنَشَدْتُهُ (٧) اللَّهُ أَهْوَأُ أَبُو زَيْدٍ؟

فَقَالَ: أَيُّ وَمُحِلِّ الصَّيْدِ؟

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الْغُلَامُ، الَّذِي هَفَّتْ (٨) لَهُ الْأَحْلَامُ؟

قَالَ: هُوَ فِي النَّسَبِ فَرَخِي (٩)، وَفِي الْمَكْتَسَبِ فَخِي!

قُلْتُ: فَهَلَّا اكْتَفَيْتَ بِمَحَاسِنِ فِطْرَتِهِ، وَكَفَيْتَ الْوَالِيَّ الْإِفْتِتَانَ بِطُرَّتِهِ؟

فَقَالَ: لَوْ لَمْ تُبْرِزْ جِبْهَتَهُ السَّيْنِ، لَمَا قَنَفَشْتُ (١٠) الْخُمْسِينَ.

ثُمَّ قَالَ: بَتِ اللَّيْلَةَ عِنْدِي لِنُطْفَى نَارِ الْجَوَى، وَنُدِيلَ الْهُوَى مِنَ النَّوَى،
فَقَدْ أَجْمَعْتُ عَلَيَّ أَنْ أُنْسَلَّ (١١) بِسُحْرَةٍ، وَأُصْلِيَ قَلْبَ الْوَالِيَّ نَارَ حَسْرَةٍ!
قَالَ: فَقَضَيْتُ اللَّيْلَةَ مَعَهُ فِي سَمَرٍ (١٢)، أَنْتَقَ مِنْ حَدِيقَةِ زَهْرٍ، وَخَمِيلَةَ شَجَرٍ،

(١) أدَّى المال بتمامه.

(٢) كلفت.

(٣) جوراً وأمرأ بعيداً

(٤) طلعت وأضاءت.

(٥) تفرقت الجماعات المزدحمة.

(٦) حارس وحافظ.

(٧) أقمست عليه بالله.

(٨) طاشت وذهبت.

(٩) ولدي.

(١٠) جمعت وقبضت.

(١١) أذهب.

(١٢) هو حديث الليل.

حَتَّى إِذَا لَأْلَأَ (١) الْأَفْقَ ذَنْبُ السَّرْحَانِ (٢)، وَأَنَّ ابْنِ بِلَاحِ الْفَجْرِ وَحَانَ، رَكِبَ
مَنْنَ الطَّرِيقِ، وَأَذَاقَ الْوَالِي عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَسَلَّمَ إِلَيَّ سَاعَةَ الْفِرَاقِ، رُقْعَةً
مُحْكَمَةً الْإِلْصَاقِ.

وَقَالَ: ادْفَعْهَا إِلَيَّ الْوَالِي إِذَا سَلَبَ الْقَرَارَ، وَتَحَقَّقْ مَنَّا الْفِرَارَ، فَفَضَضْتُهَا (٣)
فَعَلَّ الْمُتَمَلِّسِ، مِنْ مِثْلِ صَحِيفَةِ الْمُتَمَلِّسِ، فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ:
قُلْ لَوَالٍ غَادَرْتُهُ بَعْدَ بَيْنِي (٤)
سَادِمًا نَادِمًا يَعْضُ الْيَدَيْنِ
سَلَبَ الشَّيْخُ مَالَهُ وَفَتَاهُ
لَبَّهُ فَاصْطَلَى لَطَى (٥) حَسْرَتَيْنِ
جَادَ بِالْعَيْنِ حِينَ أَعْمَى هَوَاهُ (٦)
خَفَّضَ الْحَزْنَ يَا مُعْنَى (٧) فَمَا يُجُ
دِي طَلَابُ الْآثَارِ مِنْ بَعْدِ عَيْنِ
وَلَسْنَ جَلَّ مَا عَرَكَ (٨) كَمَا جَدَّ
فَقَدَ اعْتَضَّتْ (٩) مِنْهُ فَهَمًّا وَحَزْمًا
فَاعْصِ مِنْ بَعْدِهَا الْمَطَامِعَ وَاعْلَمْ
لَا وَلَا كُلَّ طَائِرٍ يَلِجُ الْفَخَّ
وَلَكُمْ مَنْ سَعَى لِيُصْطَادَ فَاصْطِي
فَتَبْصَرُ وَلَا تَشِمُ (١٢) كُلَّ بَرْقٍ
وَاللَّبِيبُ الْأَرِيبُ يُبْغِي ذِينَ
أَنْ صَيْدَ الطُّبَّاءِ لَيْسَ بِهِنِ
خ (١٠) وَلَوْ كَانَ مُحَدِّقًا (١١) بِاللُّجَيْنِ
دَ وَلَمْ يَلْقَ غَيْرَ خُفِّي حُنِينِ
رُبَّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ (١٣) حِينَ

(٢) هو الفجر الكاذب.

(١) نور.

(٤) فراقي.

(٣) فككتها وفتحتها.

(٦) حبه للغلام.

(٥) نار.

(٨) عظم ما أصابك وعرض لك.

(٧) يا مولع.

(١٠) يدخل الشرك.

(٩) تعوضت.

(١٢) تنظر.

(١١) محاطاً.

(١٣) جمع صاعقة، وهي من العذاب.

واغضض الطرف تسترح من غرام
تكتسي فيه ثوب ذل وشين^(١)
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس
س وبذر الهوى^(٢) طموح العين^(٣)
قال الراوي: فمزقت رقعته شذر مذر، ولم أبل أعذل أم عذر.



(١) عيب.

(٢) زرعه.

(٣) تسريح نظرها.

المَقَامَةُ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ السَّوِيَّةُ

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: أَنْتُ^(١) مِنْ قَلْبِي الْقَسَاوَةَ، حِينَ حَلَلْتُ سَاوَةَ، فَأَخَذْتُ بِالْخَبْرِ الْمَأْثُورِ، فِي مُدَاوَاتِهَا بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى مَحَلَّةِ^(٢) الْأَمْوَاتِ، وَكَفَاتِ الرُّفَاتِ، رَأَيْتُ جَمْعًا عَلَى قَبْرِ يُحْفَرُ، وَمَجْنُوزٍ^(٣) يُقْبَرُ، فَانْحَزْتُ إِلَيْهِمْ مَتَفَكِّرًا فِي الْمَالِ^(٤)، مَتَذَكِّرًا مِنْ دَرَجٍ^(٥) مِنَ الْأَلِ، فَلَمَّا أَحْدَوْا الْمَيِّتَ، وَفَاتَ قَوْلُ لَيْتَ، أَشْرَفَ^(٦) شَيْخٌ مِنْ رُبَاوَةِ، مَتَخَصِّرًا بِهَرَاوَةِ، وَقَدْ لَفَعَ^(٧) وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ، وَنَكَرَ^(٨) شَخْصَهُ لِدَهَائِهِ، فَقَالَ: لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ، فَادْكِرُوا أَيُّهَا الْغَافِلُونَ، وَشَمِّرُوا^(٩) أَيُّهَا الْمُقْصِرُونَ، وَأَحْسِنُوا النَّظَرَ أَيُّهَا الْمُتَبَصِّرُونَ! مَا لَكُمْ لَا يَحْزَنُكُمْ دَفْنُ الْأَتْرَابِ^(١٠)، وَلَا يَهْوِلُكُمْ هَيْلُ التَّرَابِ؟ وَلَا تَعْبُؤُونَ^(١١) بِنَوَازِلِ الْأَحْدَاثِ، وَلَا تَسْتَعِدُّونَ لِنُزُولِ الْأَجْدَاثِ^(١٢)؟ وَلَا تَسْتَعْبِرُونَ بَعِينَ تَدْمَعُ، وَلَا تَعْتَبِرُونَ

- (١) أدركت وأحسست.
 (٢) مَحْمُولٌ عَلَى الْجَنَازَةِ - بِالْكَسْرِ - وَهِيَ النَّعْشُ.
 (٣) مَاتَ وَمَضَى.
 (٤) الْمَرْجِعُ.
 (٥) غَطَى وَسْتَرُ.
 (٦) طَلَعَ.
 (٧) اجْتَهَدُوا وَتَهَيَّؤُوا.
 (٨) غَيْرُ.
 (٩) لَا تَبَالُونَ وَلَا تَهْتَمُونَ.
 (١٠) الْقَرْنَاءُ فِي السَّنِّ وَهِيَ اللَّدَّاتُ.
 (١١) جَمَعَ جَدَثٌ، وَهُوَ: الْقَبْرِ. وَالْمُرَادُ: كَأَنَّكُمْ غَيْرُ مَكْتَرِثِينَ بِالْمَوْتِ.
 (١٢) أَدْرَكَتُ وَأَحْسَسْتُ.

بِنَعْيٍ يُسْمَعُ؟ وَلَا تَرْتَاعُونَ (١) لِأَلْفٍ يُفْقَدُ، وَلَا تَلْتَاعُونَ لِمُنَاحَةٍ تُعْقَدُ؟ يَشِيعُ أَحَدُكُمْ نَعْسَ الْمَيْتِ، وَقَلْبُهُ تَلْقَاءَ الْبَيْتِ، وَيَشْهَدُ مُوَارَاةَ نَسِيهِ (٢)، وَفِكْرُهُ فِي اسْتِخْلَاصِ نَصِيهِ، وَيُخَلِّي بَيْنَ وَدُودِهِ وَدُودِهِ، ثُمَّ يَخْلُو بِمِزْمَارِهِ وَعُودِهِ، طَالَمَا أُسَيْتُمْ عَلَى انْتِثَامِ الْحَبَّةِ، وَتَنَاسَيْتُمْ اخْتِرَامَ (٣) الْأَحْبَةِ، وَاسْتَكْتَمْتُمْ (٤) لَاعْتِرَاضِ الْعُسْرَةِ، وَاسْتَهْتَمْتُمْ بِانْقِرَاضِ (٥) الْأُسْرَةِ، وَضَحِكْتُمْ عِنْدَ الدَّفْنِ، وَلَا ضَحِكْتُمْ سَاعَةَ الزَّفَنِ (٦)، وَتَبَخَّرْتُمْ (٧) خَلْفَ الْجَنَائِزِ، وَلَا تَبَخَّرْتُمْ يَوْمَ قَبْضِ الْجَوَائِزِ، وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ تَعْدِيدِ النَّوَادِبِ، إِلَى إِعْدَادِ الْمَادِبِ، وَعَنْ تَحْرِقِ الثَّوَاكِلِ، إِلَى التَّاتِقِ فِي الْمَاكِلِ، لَا تُبَالُونَ بِمَنْ هُوَ بِالٍ، وَلَا تُخْطِرُونَ ذَكَرَ الْمَوْتِ بِبَالٍ، حَتَّى كَأَنَّكُمْ قَدْ عَلَقْتُمْ (٨) مِنَ الْحِمَامِ (٩) بِذِمَامٍ، أَوْ حَصَلْتُمْ مِنَ الزَّمَانِ عَلَى أَمَانٍ، أَوْ وَثِقْتُمْ بِسَلَامَةِ الذَّاتِ (١٠)، أَوْ تَحَقَّقْتُمْ مُسَالَةَ (١١) هَادِمِ اللَّذَاتِ، كَلَّا سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ!

ثُمَّ أُنشِدَ:

| | |
|-------------------------------------|------------------------------------|
| إِلَى كَمْ يَا أَخَا الْوَهْمِ (١٢) | أَيَا مَنْ يَدْعِي الْفَهْمَ |
| وَتُخْطِي الْخَطَا الْجَمَّ | تُعَبِّي (١٣) الذَّنْبَ وَالذَّمَّ |
| أَمَا أَنْذَرَكَ (١٤) الشَّيْبَ | أَمَا بَانَ لَكَ الْعَيْبُ |
| وَلَا سَمِعَكَ قَدْ صَمَّ | وَمَا فِي نُصْحِهِ رَيْبُ |

(١) لا تخافون ولا تفرعون.

(٢) هو الانقطاع والاستئصال، والمراد به هنا: الموت. (٤) خضعتكم وتذللتم.

(٥) فناء.

(٦) نوع من الرقص.

(٨) تمسكتكم.

(٩) النفس.

(١٢) يا ذا الغلظ والسهو.

(١٤) أعلمك بتهدد.

(٧) مشيتم بعجب.

(٩) هو الموت.

(١١) مصالحة.

(١٣) تهى.

أَمَا أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ
 فَتَحْتَاطَ وَتَهْتَمُ
 وَتَخْتَالُ^(١) مِنَ الزَّهْوِ
 كَأَنَّ الْمَوْتَ مَاعَمَّ
 وَإِبْطَاءُ تَلَاْفِيكَ
 عُيُوباً شَمَلُهَا انْضَمَّ
 فَمَا تَقْلَقُ مِنْ ذَاكَ
 تَلْظَيْتَ مِنَ الْهَمِّ
 مِنَ الْأَصْفَرِ تَهْتَشُ^(٢)
 تَغَامَمْتَ وَلَا غَمَّ
 وَتَغْتَاَصُ وَتَزُورُ
 وَمِنْ مَانَ وَمِنْ نَمِّ
 وَتَحْتَالُ عَلَى الْفَلْسِ
 وَلَا تَذْكُرُ مَائِمَ
 لَمَا طَاحَ بِكَ اللَّحْظُ
 جَلَا الْأَحْزَانَ تَغْتَمُّ
 إِذَا عَايَنْتَ لَا جَمْعَ

أَمَا نَادَى بِكَ الْمَوْتُ
 أَمَا تَخْشَى مِنَ الْفَوْتُ
 فَكَمْ تَسْدِرُ فِي السَّبْهُوِ
 وَتَنْصَبُ^(٣) إِلَى الْلَهُوِ
 وَحَتَّامَ تَجَافِيكَ
 طِبَاعاً جَمَعْتَ فِيكَ
 إِذَا أَسْخَطْتَ^(٤) مَوْلَاكَ
 وَإِنْ أَخْفَقَ مَسْعَاكَ
 وَإِنْ لَاحَ لَكَ النَّقْشُ
 وَإِنْ مَرَّ بِكَ النَّعْشُ
 تُعَاصِي النَّاصِحَ الْبَرَّ
 وَتُنْقَادُ^(٥) لِمَنْ غَرَّ^(٦)
 وَتَسْعَى فِي هَوَى النَّفْسِ
 وَتَنْسَى ظُلْمَةَ الرَّمْسِ^(٧)
 وَلَوْ لَاحَظَكَ الْحُظَّ^(٨)
 وَلَا كُنْتَ إِذَا الْوَعَظُ
 سَتُّذْرِي^(٩) الدَّمَّ لَا الدَّمْعَ

(١) تنبخرت.

(٣) خالفته وعصيته.

(٥) تطيع وتمثل.

(٧) القبر.

(٩) تصب الدمع أو تنحيه بأصبعك.

(٢) تنحدر وتميل.

(٤) الاهتشاش: الفرح والطرب.

(٦) خدع.

(٨) الجدد والبخت والنصيب.

يَقِي فِي عَرِصَةِ الْجَمْعِ (١)
 كَأَنِّي بِكَ تَنْحَطُّ
 وَقَدْ أَسْلَمَكَ الرَّهْطُ (٢)
 هُنَاكَ الْجَسْمُ مَمْدُودٌ
 إِلَى أَنْ يَنْخَرَّ الْعُودُ
 وَمَنْ بَعْدُ فَلَا بُدَّ
 صِرَاطُ جَسْرِهِ مُدَّةٌ
 فَكَمْ مِنْ مُرْشِدٍ ضَلَّ
 وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ زَلَّ (٥)
 فَبَادِرُ أَيُّهَا الْغَمْرُ (٧)
 فَقَدْ كَادَ يَهِي الْعُمُرُ
 وَلَا تَرُكَنَّ إِلَى الدَّهْرِ
 فَتُلْفَى كَمَنْ اغْتَرَّ
 وَخَفَّضَ مِنْ تَرَاقِيكَ (٩)
 وَسَارَ فِي تَرَاقِيكَ
 وَجَانِبَ صَعَرَ الخُدِّ

وَلَا خِوَالٍ وَلَا عَمَّ
 إِلَى اللُّخْدِ وَتَنْفُطُّ
 إِلَى أَضْيَقَ مَنْ سَمَّ
 لِيَسْتَأْكَلَهُ الدَّوْدُ
 وَيُمَسِّي الْعِظْمَ قَدْرَمَ (٣)
 مِنَ الْعَرِضِ إِذَا اعْتُدَّ
 عَلَى النَّارِ لَمَنْ أُمَّ (٤)
 وَمَنْ ذِي عَزْزَةٍ ذَلَّ
 وَقَالَ الخُطْبُ قَدْ طَمَّ (٦)
 لِمَا يَخْلُوبُهُ الْمُرَّ (٨)
 وَمَا أَقْلَعْتَ عَنْ ذَمِّ
 وَإِنْ لَانَ وَإِنْ سَرَّ
 بِأَفْعَى تَنْفُثُ السَّمَّ
 فَإِنَّ الْمَوْتَ لَأَقْبِيكَ
 وَمَا يَنْكُلُ إِنْ هَمَّ
 إِذَا سَبَاعَ دَكَ الخُدِّ

- (١) لا عشيرة تقيك يوم الحشر.
 (٢) بكى، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؛ أي: بالية.
 (٣) ويمسي العظم قدرم.
 (٤) قصد.
 (٥) طم: علا وعظم، والخطب: الأمر العظيم.
 (٦) طم: علا وعظم، والخطب: الأمر العظيم.
 (٧) الجاهل الذي لم يجرب الأمور.
 (٨) بالعمل الصالح الذي تنجو به من مرارة الآخرة.
 (٩) ترفعك على أفاصيك وأدانيك.

- وَزُمٌ (١) اللَّفْظَ إِنْ نَدَّ (٢)
 وَنَفْسٌ عَنْ أَخِي الْبَثِّ (٤)
 وَرُمُّ الْعَمَلِ الْرِثْ
 وَرِشٌ مَنْ رِيشُهُ أَنْحَصَّ (٧)
 وَلَا تَأْسَ (٨) عَلَى النَّقْصِ
 وَعَادَ الْخُلُقَ الرَّذْلُ (٩)
 وَلَا تَسْتَمِعِ الْعَنْدُ (١٠)
 وَزَوَّدَ نَفْسَكَ الْخَيْرُ
 وَهَيْئُ مَرْكَبِ السَّيْرِ (١١)
 بِذَا أُوصِيَتْ يَا صَاحُ
 فَطُوبَى لِفَتَى رَاحِ
- فَمَا أَسْعَدَ مَنْ زَمَّ (٣)
 وَصَدَّقَهُ إِذَا نَثَّ (٥)
 فَكَدَّ أَفْلَحَ مَنْ رَمَّ (٦)
 بِمَا عَمَّ وَمَا خَصَّ
 وَلَا تَحْرِصْ عَلَى اللَّمِّ
 وَعَوْدٌ كَفَّكَ الْبِذْلُ
 وَنَزَّهَهَا عَنِ الضَّمِّ
 وَدَعُ مَا يُعَقِّبُ الضَّيْرُ
 وَخَفُ مِنْ لُجَّةِ الْيَمِّ
 وَقَدْ بُحْتُ (١٢) كَمَنْ بَاحُ
 بِأَدَابِي يَا تَمِّ (١٣)

ثُمَّ حَسَرَ رُدْنَهُ (١٤) عَنْ سَاعِدٍ شَدِيدِ الْأَسْرِ، قَدْ شَدَّ عَلَيْهِ جَبَائِرَ الْمَكْرِ لَا الْكُسْرَ، مُتَعَرِّضًا لِلْإِسْتِمَاحَةِ (١٥)، فِي مَعْرَضِ الْوَقَاحَةِ، فَاخْتَلَبَ بِهِ أَوْلِيكَ الْمَلَا (١٦)، حَتَّى أُتْرَعَ كُمَّهُ وَمَلَا، ثُمَّ انْحَدَرَ مِنَ الرَّبْوَةِ، جَدِلًا (١٧)

- (١) قيد.
 (٣) قَيْدٌ لَفْظُهُ.
 (٥) نَشْرُ الْكَلَامِ.
 (٧) تَنَاثُرٌ وَتَسَاقُطٌ.
 (٩) الرَّدِّيُّ الدَّنِيءُ.
 (١١) عِبَارَةٌ عَنِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ.
 (١٣) يَقْتَدِي.
 (١٥) الْإِسْتِعْطَاءُ.
 (١٧) فَرَحًا.
 (٢) نَفْرٌ وَذَهَبٌ شَارِدًا.
 (٤) الْحِزْنُ.
 (٦) أَصْلَحَ الْعَمَلِ.
 (٨) لَا تَأْسَفْ وَلَا تَحْزَنْ.
 (١٠) اللَّوْمُ الَّذِي يَصِدِّقُ عَنِ الْبِذْلِ.
 (١٢) نَطَقْتُ وَكَشَفْتُ.
 (١٤) كُمَّهُ.
 (١٦) الْأَشْرَافُ، وَقِيلَ: الْجَمَاعَةُ.

بالحَبُوة^(١)، قَالَ الرَّاوي: فَجَاذَبْتُهُ^(٢) مِنْ وَرَائِهِ، حَاشِيَةً رِدَائِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ مُسْتَسْلِمًا، وَوَاجِهَنِي مُسَلِّمًا، فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا أَبُو زَيْدٍ بَعِينِهِ، وَمِينِهِ^(٣)، فَقُلْتُ لَهُ:

إِلَى كَمْ يَا أَبَا زَيْدٍ أَفَانِينِكَ فِي الْكَيْدِ
لِيَنْحَاشَ^(٤) لَكَ الصَّيْدُ وَلَا تَعْبَأَ بِمَنْ ذَمَّ^(٥)

فَأَجَابَ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْيَاءٍ، وَلَا ارْتِيَاءٍ^(٦)، وَقَالَ:

تَبَّ صَّرْ وَدَعِ اللَّوْمَ وَقُلْ لِي هَلْ تَرَى الْيَوْمَ
فَتَى لَا يَقْمُرُ الْقَوْمَ مَتَى مَا دَسَّتْهُ^(٧) تَمَّ

فَقُلْتُ لَهُ: بَعْدًا^(٨) لَكَ يَا شَيْخَ النَّارِ، وَزَامِلَةَ الْعَارِ! فَمَا مَثَلُكَ فِي طُلَاوَةِ^(٩) عَلَانِيَتِكَ^(١٠)، وَخُبْثِ نَيْتِكَ، إِلَّا مَثَلُ رَوْثٍ مَفْضَضٍ، أَوْ كَنَيْفٍ مَبْيِضٍ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَا فَانْطَلَقْتُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَانْطَلَقَ ذَاتَ الشَّمَالِ، وَنَاوَحْتُ^(١١) مَهَبَّ الْجَنُوبِ وَنَاوَحَ مَهَبَّ^(١٢) الشَّمَالِ.



- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) بالعطية . | (٢) نازعته . |
| (٣) بنفسه وكذبه . | (٤) ليجتمع وينحاز . |
| (٥) بمن نقص . | (٦) تفكر وتأمل من الرأي . |
| (٧) حيلته وخداعه . | (٨) هلاكًا . |
| (٩) هي حسن الشيء ونضارته . | (١٠) ظاهر أمرك . |
| (١١) قابلت . | (١٢) مهبّ الرّيح: مخرجها . |

المقامة الثانية عشرة الدمشقية

حكى الحارثُ بنُ همَّامٍ قالَ: شخصتُ منَ العراقِ إلى الغوطةِ، وأنا
ذو جُردٍ (١) مربوطة، وجدةٌ مغبوطة (٢)، يلُهيني خُلوُ الذرعِ، ويزدُهيني
حُفولُ الضرعِ، فلَمَّا بلغتها بعدَ شقِّ النفسِ، وإنضاءِ العنسِ (٣)، ألفتُها (٤)
كما تصفُها الألسنُ، وفيها ما تشتهي الأُنفسُ، وتلدُّ الأعينُ، فشكرتُ يدَ
النوى (٥)، وجريتُ طلقاً معَ الهوى، وطفقتُ (٦) أفضَّ خُتومَ الشّهواتِ،
وأجنتي قُطوفَ اللذاتِ، إلى أنْ شرعَ سفرٌ (٧) في الإغراقِ (٨)، وقد
استفقتُ (٩) منَ الإغراقِ، فعادني عيدٌ منْ تذكّارِ الوطنِ، والحنينِ إلى
العطنِ، فقوضتُ خيامَ الغيبةِ، وأسرجتُ جوادَ الأوبةِ.

ولمَّا تاهبتِ (١٠) الرِّفاقُ، واستتبَّ الاتِّفاقُ، ألحنا منَ المسيرِ، دونَ
استصحابِ الخفيرِ، فردناه (١١) منْ كلِّ قبيلة، وأعمَلنا في تحصيله ألفَ
حيلة، فأعوزَ وجدانه في الأحياءِ، حتّى خلنا (١٢) أنه ليس من الأحياءِ

- (١) صاحب خيل قصيرة الشعر من التَّعَمِّ.
(٢) مُمَنِّي مثلها.
(٣) وإهزال الناقة الصلِّبة.
(٤) ووجدتها.
(٥) نعمة الفراق.
(٦) أخذت وشرعت.
(٧) مسافرون.
(٨) في الذهابِ إلى العِراقِ.
(٩) أفقتُ.
(١٠) تهيأتُ.
(١١) فطلبناه.
(١٢) حسينا.

فخارت لعوزه عِزُّومُ السَّيَّارَةِ (١)، وانتدوا (٢) ببابِ جِيْرُونَ للاستِشارةِ، فما زالوا بينَ عَقْدٍ وحلٍّ، وشِزْرِ وسَحْلٍ، إلى أنْ نَفِدَ التَّنَاجِي، وقنَطَ الرَّاجِي (٣)، وكان حِذَّتْهُمُ (٤) شَخْصٌ مِيسَمُهُ (٥) مِيسَمُ الشَّبَانِ، ولَبَّوسُهُ لَبُوسُ الرُّهْبَانِ (٦)، وبِيَدِهِ سُبْحَةُ النَّسْوَانِ (٧)، وَفِي عَيْنِهِ تَرْجَمَةُ النَّشْوَانِ (٨)، وَقَدْ قَيْدَ لِحْظَهُ بِالْجَمْعِ، وَأَرْهَفَ أذُنَهُ لِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ، فَلَمَّا أَنِي أَنْكَفَأُوهُمْ، وَقَدْ بَرِحَ لَهُ خَفَاؤُهُمْ (٩)، قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمُ لِيَفْرِخْ كَرْبُكُمْ، وَلِيَأْمَنْ سِرْبُكُمْ، فَسَأخْفُرْكُمْ (١٠) بِمَا يَسْرُو رَوْعَكُمْ، وَيِيدُو طَوْعَكُمْ، قَالَ الرَّاوي: فَاسْتَطَلَعْنَا مِنْهُ طَلْعَ الْخِفَارَةِ، وَأَسْنِينَا (١١) لَهُ الْجَعَالَةَ (١٢) عَنِ السَّفَارَةِ (١٣)، فزَعَمَ أَنَّهَا كَلِمَاتٌ لُقْنَتْهَا فِي الْمَنَامِ، لِيَحْتَرِسَ بِهَا مِنْ كَيْدِ الْأَنَامِ، فَجَعَلَ بَعْضُنَا يَوْمِضُ إِلَى بَعْضٍ، وَيَقْلِبُ طَرْفِيهِ بَيْنَ لِحْظٍ وَغَضٍّ، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَا اسْتَضَعْنَا الْخَبِيرَ، وَاسْتَشَعَرْنَا الْخَوَرَ، فَقَالَ: مَا بِالْكُمْ اتَّخَذْتُمْ جِدِّي عَيْثًا، وَجَعَلْتُمْ تَبْرِي خَبَثًا؟ وَأَطْلَمًا وَاللَّهِ جُبْتُ (١٤) مَخَاوِفَ الْأَقْطَارِ، وَوَلَجْتُ (١٥) مَقَاحِمَ الْأَخْطَارِ، فَغَنَيْتُ بِهَا عَنْ مُصَاحِبَةِ جَفِيرٍ (١٦)، وَاسْتِصْحَابِ جَفِيرٍ، ثُمَّ إِنِّي

- | | |
|------------------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) القافلة. | (٢) اجتمعوا. |
| (٣) يئس الأمل. | (٤) حذاهم. |
| (٥) علامته. | (٦) جمع راهب، وهو: الزاهد. |
| (٧) هي خرزات يسبحن بعدها. | (٨) أمانة السكران. |
| (٩) ظهر لهم باطن أمرهم. | (١٠) أجيركم وأحميكم والاسم الخفارة. |
| (١١) أعلينا. | (١٢) أجرة الأجير. |
| (١٣) مصدر، ومنه السفير، وهو: المصلح بين القوم. | |
| (١٤) قطعت. | (١٥) دخلت. |
| (١٦) جعبة السهام. | |

سَأْنَفِي مَا رَابِكُمْ، وَأَسْتَسِلُّ الْحَذَرَ الَّذِي نَابِكُمْ، بَأْنَ أُوَافِقُكُمْ فِي الْبَدَاوَةِ (١)،
وَأُرَافِقُكُمْ فِي السَّمَاوَةِ، فَإِنْ صَدَقْتُكُمْ وَعَدِي، فَأَجِدُوا سَعْدِي (٢)، وَأَسْعِدُوا
جِدِّي، وَإِنْ كَذَبْتُكُمْ فَمِي، فَمَزَّقُوا أَدْمِي (٣)، وَأَرِيقُوا دَمِي.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَأَلْهَمْنَا تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ، وَتَحْقِيقَ مَا رَوَاهُ،
فَنَزَعْنَا (٤) عَنْ مُجَادَلَتِهِ، وَاسْتَهَمْنَا عَلَى مُعَادَلَتِهِ، وَفَصَمْنَا بِقَوْلِهِ عُرَى
الرِّبَاثِ، وَالْغَيْنَا (٥) اتِّقَاءَ الْعَابِثِ وَالْعَائِثِ، وَلَمَّا عُمِّمَتِ الرَّحَالُ، وَأَزْفَ
التَّرْحَالُ، اسْتَنْزَلْنَا كَلِمَاتِهِ الرَّاقِيَةَ، لِنَجْعَلَهَا الْوَاقِيَةَ الْبَاقِيَةَ، فَقَالَ: لِيَقْرَأْ كُلُّ
مَنْكُمْ أُمَّ الْقُرْآنِ، كَلِمًا أَظَلَّ الْمَلَوَانَ (٦)، ثُمَّ لِيَقُلْ بِلِسَانٍ خَاضِعٍ، وَصَوْتٍ
خَاشِعٍ: اللَّهُمَّ يَا مُحْيِيَ الرُّفَاتِ، وَيَا دَافِعَ الْآفَاتِ، وَيَا وَاقِيَ الْمَخَافَاتِ، وَيَا
كَرِيمَ الْمُكَافَاةِ، وَيَا مَوْتِلَ (٧) الْعَفَاةِ (٨)، وَيَا وَلِيَّ الْعَفْوِ وَالْمُعَافَاةِ، صَلِّ عَلَى
مُحَمَّدٍ خَاتِمِ أَنْبِيَائِكَ، وَمَبْلَغِ أَنْبَائِكَ، وَعَلَى مَصَابِيحِ أَسْرَتِهِ، وَمِفَاتِيحِ
نُصْرَتِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَنَزَوَاتِ السَّلَاطِينِ، وَإِعْنَاتِ
الْبَاغِينَ، وَمُعَانَاةِ الطَّاعِينَ، وَمُعَادَاةِ الْعَادِينَ، وَعُدْوَانِ الْمُعَادِينَ، وَغَلَبِ
الْغَالِبِينَ، وَسَلْبِ السَّالِبِينَ، وَحِيلِ الْمُحْتَالِينَ، وَغِيْلِ الْمُغْتَالِينَ (٩)،
وَأَجْرِنِي اللَّهُمَّ مِنْ جَوْرِ الْمُجَاوِرِينَ، وَمُجَاوَرَةِ الْجَائِرِينَ، وَكُفِّ عَنِّي أَكُفَّ
الضَّائِمِينَ (١٠)، وَأَخْرِجْنِي مِنْ ظُلُمَاتِ الظَّالِمِينَ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي

(١) السَّيْرِ فِي الْبَادِيَةِ.

(٢) فَقَطَعُوا جِلْدِي وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ هَتِكِ الْعُرْضِ.

(٣) كَفَفْنَا.

(٤) دَنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

(٥) جَمَعَ الْعَافِي، وَهُوَ: طَالِبُ الْعَفْوِ وَهُوَ الْفَضْلُ.

(٦) جَمَعَ غَيْلَةً، اسْمٌ مِنَ الْإِغْتِيَالِ، وَهُوَ: الْإِهْلَاكُ وَالْمُغْتَالِينَ الْمُهْلِكِينَ.

(٧) أَيْدِي الظَّالِمِينَ الْمَذْلُومِينَ.

عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ حُطْنِي (١) فِي تَرْبَتِي (٢)، وَغُرْبَتِي، وَغِيْبَتِي،
 وَأُوْبَتِي (٣)، وَنُجْعَتِي، وَرَجْعَتِي، وَتَصْرُفِي (٤)، وَمُنْصَرْفِي، وَتَقْلُبِي،
 وَمُنْقَلِبِي، وَاحْفَظْنِي فِي نَفْسِي، وَنَفَائِسِي، وَعَرْضِي، وَعَرْضِي، وَعَدَدِي،
 وَعُدْدِي، وَسَكْنِي، وَمَسْكْنِي، وَحَوْلِي (٥)، وَحَالِي، وَمَالِي وَمَالِي، وَلَا
 تُلْحِقْ بِي تَغْيِيرًا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مُغْيِرًا، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
 نَصِيرًا، اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ (٦)، وَعَوْنِكَ، وَاحْصُصْنِي بِأَمْنِكَ، وَمَنْكَ،
 وَتَوَلَّنِي بِاخْتِيَارِكَ وَخَيْرِكَ، وَلَا تَكْلُنِي إِلَى كِلَاءَةٍ غَيْرِكَ، وَهَبْ لِي عَافِيَةً غَيْرَ
 عَافِيَةٍ، وَارْزُقْنِي رَفَاهِيَةً غَيْرَ وَاهِيَةٍ (٧)، وَاكْفِنِي مَخَاشِي (٨) اللَّأْوَاءِ (٩)،
 وَاكْفِنِي بَغَوَاشِي الْآلَاءِ، وَلَا تُظْفِرْ بِي أَظْفَارَ الْأَعْدَاءِ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.
 ثُمَّ أَطْرَقَ لَا يُدِيرُ لِحْطًا، وَلَا يُحِيرُ لَفْظًا (١٠)، حَتَّى قُلْنَا: قَدْ أَبْلَسَتْهُ خَشِيَّةٌ،
 أَوْ أَخْرَسَتْهُ غَشِيَّةٌ، ثُمَّ أَقْنَعَ رَأْسَهُ، وَصَعَدَ أَنْفَاسَهُ، وَقَالَ: أَقْسِمُ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ
 الْأَبْرَاجِ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْفِجَاجِ (١١)، وَالْمَاءِ الثَّجَاجِ، وَالسَّرَاجِ الْوَهَّاجِ،
 وَالْبَحْرِ الْعَجَّاجِ، وَالْهَوَاءِ وَالْعَجَّاجِ، إِنَّهَا لَمِنْ أَيْمَنِ الْعُوْدِ، وَأَعْنَى عَنْكُمْ مَنْ
 لَا يَسِي الْخُوْدَ (١٢)، مَنْ دَرَسَهَا عِنْدَ ابْتِسَامِ الْفَلَقِ (١٣)، لَمْ يُشْفَقْ مِنْ
 خَطْبِ إِلَى الشَّفَقِ، وَمَنْ نَاجَى بِهَا طَلِيْعَةَ الْغَسَقِ (١٤)، أَمِنْ لَيْلَتِهِ مِنْ

(١) احفظني .

(٢) بلدتي ووطني .

(٣) رجعتي .

(٤) في مشاغلي .

(٥) قوتي .

(٦) يحفظك .

(٧) ضعيفة .

(٨) مخاوف .

(٩) الشدة والضيق .

(١٠) نظر إلى الأرض ساكتًا لا يجب بكلام .

(١١) الطرق الواسعة .

(١٢) الخوذ - بفتح الواو - جمع خوذ، وهي البيضة من الحديد يلبسها الفارس في رأسه عند الحرب؛ يعني: أن قراءة هذه العوذة تكفي في دفع المصرة .

(١٣) انبلاج الصبح .

(١٤) أول دخول ظلمة الليل .

السَّرِقِ ، قَالَ : فَتَلَقَّانَهَا حَتَّى اتَّقَّانَهَا ، وَتَدَارَسْنَاهَا لَكِي لَا نَسَاهَا ، ثُمَّ سَرِنَا
 نُزْجِي^(١) الْحَمُولَاتِ ، بِالِدَّعَوَاتِ لَا بِالْحُدَاةِ ، وَنَحْمِي الْحُمُولَاتِ ،
 بِالْكَلِمَاتِ لَا بِالْكُمَاةِ ، وَصَاحِبُنَا يَتَعَهَّدُنَا بِالْعَشِيِّ وَالغَدَاةِ ، وَلَا يَسْتَنْجِزُ مِنَّا
 الْعِدَاتِ^(٢) ، حَتَّى إِذَا عَايَنَا أَطْلَالَ عَانَةَ ، قَالَ لَنَا : الْإِعَانَةَ الْإِعَانَةَ^(٣) !
 فَأَحْضَرْنَاهُ الْمَعْلُومَ وَالْمَكْتُومَ ، وَأَرَيْنَاهُ الْمُعْكَومَ^(٤) وَالْمَخْتُومَ ، وَقُلْنَا لَهُ : اقْضِ
 مَا أَنْتَ قَاضٍ ، فَمَا تَجِدُ فِينَا غَيْرَ رَاضٍ ، فَمَا اسْتَخْفَهُ سِوَى الْخِيفِ وَالزَّيْنِ^(٥) ،
 وَلَا حَلِيٍّ بَعِينِهِ غَيْرُ الْحَلِيِّ وَالْعَيْنِ ، فَاحْتَمَلَ مِنْهُمَا وَقْرَهُ^(٦) ، وَنَاءَ بِمَا يَسُدُّ
 فَقْرَهُ ، ثُمَّ خَالَسَنَا^(٧) مُخَالَسَةَ الطَّرَارِ ، وَانْصَلَتْ مِنَّا انْصِلَاتَ الْفَرَارِ ، فَأَوْحَشَنَا
 فِرَاقَهُ ، وَأَدْهَشَنَا امْتِرَاقَهُ^(٨) ، وَكَمْ نَزَلَ نَنْشُدُهُ بِكَلِّ نَادٍ ، وَنَسْتَخْبِرُ عَنْهُ كُلَّ
 مُغَوِّ^(٩) وَهَادٍ ، إِلَى أَنْ قِيلَ : إِنَّهُ مُذْ دَخَلَ عَانَةَ ، مَا زَايَلَ الْخَانَةَ ، فَأَغْرَانِي
 خُبْتُ هَذَا الْقَوْلِ بِسَبْكِهِ^(١٠) ، وَالْانْسِلَاكِ^(١١) فِيمَا لَسْتُ مِنْ سِلْكِهِ ،
 فَادَلَّجْتُ إِلَى الدَّسْكَرَةِ ، فِي هَيْئَةٍ مَنْكَرَةٍ ، فَإِذَا الشَّيْخُ فِي حُلَّةٍ مَمْصَرَةٍ ، بَيْنَ
 دِنَانٍ وَمَعْصَرَةٍ ، وَحَوْلَهُ سِقَاةٌ تَبْهَرُ ، وَشَمُوعٌ تَزْهَرُ وَأَسٌّ وَعَبْهَرُ^(١٢) ، وَمِزْمَارٌ
 وَمِزْهَرٌ ، وَهُوَ تَارَةٌ يَسْتَبْزِلُ الدَّنَانَ ، وَطَوْرًا يَسْتَنْطِقُ الْعِيدَانَ ، وَدَفْعَةً يَسْتَنْشِقُ
 الرِّيحَانَ ، وَأُخْرَى يُعَازِلُ^(١٣) الْغِزْلَانَ ، فَلَمَّا عَثَرْتُ عَلَى لَبْسِهِ ، وَتَفَاوُتِ يَوْمِهِ

(٢) جمع عدّة، من الوعد.

(٤) المتاع المشدود.

(٦) حملة.

(٨) خروجه بسرعة.

(١٠) بتجربته.

(١٢) نرجس أو ياسمين.

(١) نسوق.

(٣) أعينوني أعينوني.

(٥) الحسن المستلمح.

(٧) خادعنا وهرب.

(٩) مضل، ضدّ الهادي.

(١١) الدخول.

(١٣) يلاعِب.

من أمسه، قلتُ: أولى لك يا ملعون، أنسيتَ يومَ جيرونَ (١)؟ فضحك مُستغرباً (٢)، ثمَّ أنشدَ مُطرباً:

لزمتُ السِّفَارَ وَجُبْتُ القِفَارَ
وَحُضْتُ السَّيُولَ وَرُضْتُ الخِيُولَ
وَمِطْتُ الوَقَارَ وَبَعْتُ العُقَارَ
وَلَوْلَا الطَّمَّاحُ إِلَى شُرْبِ رَاحٍ
وَلَا كَانَ سَاقَ دَهَائِي (٥) الرِّفَاقُ
فَلَا تَغْضَبَنَّ وَلَا تَصْخَبَنَّ (٦)
وَلَا تَعْجَبَنَّ لِشَيْخِ ابْنٍ
فَإِنَّ المُدَامَ تُقَوِّي العِظَامَ
وَأصْفَى السَّرورَ إِذَا مَا الوَقُورُ
وَأحْلَى الغَرَامَ إِذَا المُسْتَهَامَ (٩)
فَبُحَّ بِهَوَاكَ وَبِرْدٍ حَشَاكَ
وَدَاوِ الكُلُومَ (١٠) وَسَلَّ الهُمُومَ
وَخُصَّ الغَبُوقَ بِسَاقِ يَسُوقُ

(١) هي الشَّام.

(٢) كرهت البُعدَ والفرارَ عنكم.

(٢) مَبَالِغًا.

(٥) مكري.

(٤) جمع ملحَة، وهو ما يستملح من الكلام.

(٦) الصخب: الصَّباح، وهو قبيح، خصوصًا من الرِّجَال، وفي الحديث: «ولا صخبًا في الأسواق».

(٨) الحزن.

(٧) امتلاً وفاضاً.

(١٠) هي الجراح.

(٩) العاشق الهائم ذاهب القلب.

(١١) أبعد نظره وأشخصه.

وَشَادُ يُشِيدُ بِصَوْتِ تَمِيدٍ^(١) جَبَالُ الْخُدَيْدِ لَهُ إِنْ صَدَحَ
وَعَاصِرُ النَّصِيحِ^(٢) الَّذِي لَا يُبِيحُ وَصَالَ الْمَلِيحَ إِذَا مَا سَمَحَ
وَجُلُّ فِي الْمَحَالِ^(٣) وَلَوْ بِالْمَحَالِ وَدَعُ مَا يُقَالُ^(٤) وَخَذُ مَا صَلَحَ
وَفَارِقُ أَبَاكَ إِذَا مَا أَبَاكَ وَمُدُّ الشَّبَاكَ وَصَدُّ مَنْ سَنَحَ^(٥)
وَصَافُ الْخَلِيلِ وَنَافُ^(٦) الْبَخِيلِ وَأَوَّلُ الْجَمِيلِ وَوَالُ الْمَنَحِ
وَلُذُّ بِالْمَتَابِ أَمَامَ الذَّهَابِ فَمَنْ دَقَّ بَابَ كَرِيمٍ فَتَحَ

فَقُلْتُ لَهُ: بَخِ بَخِ^(٧) لِرَوَايَتِكَ، وَأَفِّ وَتَفِّ لِعَوَايَتِكَ^(٨)! فَبِاللَّهِ مِنْ أَيِّ
الْأَعْيَاصِرِ عَيْصُكَ، فَقَدْ أَعْضَلَنِي عَوَيْصُكَ؟

فَقَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْ أَفْصَحَ عَنِّي، وَلَكِنْ سَأَكُنِّي:

أَنَا أَطْرُوفَةُ الزَّمَا نِ وَأَعْجُوبَةُ الْأُمَمِ
وَأَنَا الْحُؤُولُ^(٩) الَّذِي أَحَدُ تَالَ فِي الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
غَيْرَ أَنِّي ابْنُ حَاجَةِ هَاضَهُ^(١٠) الدَّهْرُ فَاهْتَضَمَ^(١١)
وَأَبُو صَبِيَّةٍ بَدَوًا مَثَلَ لَحْمٍ عَلَيَّ وَضَمَّ
وَأَخُو الْعَيْلَةِ الْمُعِي لَ إِذَا احْتَالَ لَمْ يُلَمَّ

قَالَ الرَّأْوِي: فَعَرَفْتُ حَيْثُذُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ ذُو الرِّيبِ وَالْعَيْبِ، وَمُسَوِّدٌ وَجْهٍ

(١) تميل وتتحرك.

(٢) بالكسر - المكر والخديعة.

(٣) عرض وأقبل.

(٤) كلمة تُقَالُ عند استحسان الشيء مكررة يجوز فيها تسكين الخاء وكسرها منونة.

(٥) لضلالتك.

(٦) الكثير الحيلة.

(٧) ظلّمه وكسره.

(٨) خالف النَّاصِحِ.

(٩) أي: أترك ما يقوله الجهال.

(١٠) أبعد.

(١١) ذل ونقص.

الشيّب، وساءني عِظْمُ تَمْرَدِهِ، وَقُبْحُ تَوْرُدِهِ^(١)، فَقُلْتُ لَهُ بِلِسَانِ الْأَنْفَةِ^(٢)،
وإِدْلَالَ الْمَعْرِفَةِ: أَلَمْ يَأْنِ لَكَ يَا شَيْخَنَا، أَنْ تُقْلَعَ عَنِ الْخَنَا^(٣)؟ فَتَضَجَرَ
وَزَمَجَرَ^(٤)، وَتَنَكَّرَ وَفَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهَا لَيْلَةٌ مِرَاحٍ لَا تَلَاحِ، وَنُهْزَةٌ شُرْبٍ
رَاحٍ لَا كِفَاحٍ، فَعَدُّ عَمَّا بَدَأَ، إِلَى أَنْ نَتَلَقَى غَدَا، فَفَارَقْتُهُ فَرَقًا مِنْ
عَرِيدَتِهِ^(٥)، لَا تَعَلُّقًا بَعْدَتِهِ، وَبَيْتٌ لَيْتِي لِابِسَاءِ حَدَادِ النَّدَمِ، عَلَى نَقْلِي خَطِي
الْقَدَمِ، إِلَى ابْنَةِ الْكَرْمِ لَا الْكَرْمِ، وَعَاهَدْتُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَلَّا أَحْضُرُ
بَعْدَهَا حَانَةَ نَبَاذِ^(٦)، وَلَوْ أُعْطِيتُ مُلْكَ بَغْدَادِ، وَأَلَّا أَشْهَدَ مَعْصِرَةَ الشَّرَابِ،
وَلَوْ رُدُّ عَلَيَّ عَصْرُ الشَّبَابِ، ثُمَّ إِنَّا رَحَلْنَا الْعَيْسَ^(٧)، وَقَتَ التَّغْلِيْسِ^(٨)،
وَخَلَيْنَا بَيْنَ الشَّيْخَيْنِ أَبِي زَيْدٍ وَابْلِيسَ.



(١) وروده في مناهل المخازي.

(٢) الحمية.

(٣) الفحش.

(٤) صاح، والزَمْجَرَةُ: صوتُ الأسد.

(٥) العريدة: سُوءُ خُلُقِ السُّكْرَانِ.

(٦) بَيْتُ خَمَّارٍ.

(٧) الإبلُ البِيضُ.

(٨) السير وقت الغلس وهو: ظلمة آخر الليل.

المقامة الثالثة عشرة البغدادية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: نَدَوْتُ بَصَوَاحِي الزُّورَاءِ، مَعَ مَشِيخَةٍ (١) مِنْ الشُّعْرَاءِ، لَا يَعْلَقُ لَهُمْ مُبَارٍ بِغُبَارٍ، وَلَا يَجْرِي مَعَهُمْ مُمَارٍ (٢) فِي مِضْمَارٍ، فَأَفْضُنَا فِي حَدِيثٍ يَفْضَحُ الْأَزْهَارَ، إِلَى أَنْ نَصَفْنَا النَّهَارَ، فَلَمَّا غَاضَ دُرُّ الْأَفْكَارِ، وَصَبَتْ (٣) النَّفُوسُ إِلَى الْأَوْكَارِ (٤)، لَمَحْنَا عَجُوزًا تُقْبِلُ مِنَ الْبُعْدِ، وَتُحْضِرُ إِحْضَارَ الْجُرْدِ، وَقَدْ اسْتَتَلَتْ صَبِيَّةً أَنْحَفَ مِنَ الْمَغَازِلِ، وَأَضْعَفَ مِنَ الْجَوَازِلِ (٥)، فَمَا كَذَّبَتْ إِذْ رَأَتْنَا، أَنْ عَرَّتْنَا (٦)، حَتَّى إِذَا مَا حَضَرْتَنَا، قَالَتْ: حَيَّا اللَّهُ الْمَعَارِفَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَارِفَ، اَعْلَمُوا يَا مَالَ الْأَمْلِ، وَثِمَالَ الْأَرَامِلِ، أَنِّي مِنْ سُرَوَاتِ (٧) الْقَبَائِلِ، وَسَرِيَّاتِ (٨) الْعَقَائِلِ (٩)، لَمْ يَزَلْ أَهْلِي وَبِعَلِي يَحْلُونَ الصَّدْرَ، وَيَسِيرُونَ الْقَلْبَ، وَيُمُطُونَ الظَّهْرَ، وَيُولُونَ الْيَدَ، فَلَمَّا أَرْدَى الدَّهْرُ الْأَعْضَادَ (١٠)، وَفَجَعَ بِالْجَوَارِحِ الْأَكْبَادَ، وَانْقَلَبَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، نَبَا النَّاطِرُ، وَجَفَا الْحَاجِبُ، وَذَهَبَتِ الْعَيْنُ، وَفُقِدَتِ الرَّاحَةُ، وَصَلَدَ الزَّنْدُ، وَوَهَنَتِ الْيَمِينُ (١١)، وَضَاعَ الْيَسَارُ، وَبَانَتِ الْمَرَافِقُ،

(١) جماعة من الشيوخ.

(٢) من الممارسة، وهي: المجادلة.

(٣) مالت.

(٤) جمع وكر، وهو: بيت الطائر.

(٥) جمع جوزل، وهو: فرخ الحمامة.

(٦) سراة جمع سري، وهو: السخي ذو الرؤءة.

(٧) جمع سرية، وهي: الرفيعة القدر.

(٨) جمع عقيلة، وهي: الكريمة الجيدة.

(٩) ضعف القوة.

(١٠) الأعوان.

وَلَمْ يَبْقَ لَنَا ثَنِيَّةٌ وَلَا نَابٌ، فَمُدَّ اغْبَرَّ الْعَيْشُ الْأَخْضَرَ^(١)، وَازْوَرَّ الْمَحْبُوبُ
 الْأَصْفَرَ، اسْوَدَّ يَوْمِي الْأَبْيَضُ، وَابْيَضَّ فَوْدِي الْأَسْوَدُ، حَتَّى رَثَى لِي^(٢)
 الْعَدُوَّ الْأَزْرَقُ^(٣)، فَحَبَّذَا الْمَوْتَ الْأَحْمَرَ! وَتَلَوِي مَنْ تَرَوْنَ عَيْنَهُ فُرَارَهُ،
 وَتَرْجُمَانَهُ اصْفَرَّارَهُ، فَصَوَى بَغِيَّةَ أَحَدِهِمْ ثُرْدَةً، وَقُصَارَى أُمْنِيَّتِهِ بُرْدَةً^(٤)،
 وَكَنتُ آلَيْتُ^(٥) (٥) أَلَا أَبْذَلَ الْحَرَّ، إِلَّا لِلْحَرِّ، وَلَوْ أَنِّي مِتُّ مِنَ الضَّرِّ، وَقَدْ
 نَاجَتْنِي الْقَرَوْنَةُ^(٦)، بَأَنْ تَوْجَدَ عِنْدَكُمْ الْمَعُونَةَ، وَأَذْنَتْنِي فِرَاسَةَ الْخَوْبَاءِ،
 بِأَنْتُمْ يَنَابِيعُ الْحَبَاءِ، فَضَرَّ اللَّهُ أَمْرًا أَبْرَ قَسَمِي، وَصَدَّقَ تَوْسَمِي^(٧)، وَنَظَرَ
 إِلَيَّ بَعِينَ يُقْذِيهَا الْجُمُودُ^(٨)، وَيُقْذِيهَا الْجُودُ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَهَمْنَا لِبَرَاعَةِ عِبَارَتِهَا، وَمُلِّحَ اسْتِعَارَتِهَا، وَقُلْنَا
 لَهَا: قَدْ فَتَنَ كَلَامُكَ، فَكَيْفَ الْحَامِكُ؟ فَقَالَتْ: أَفَجَّرَ الصَّخْرَ، وَلَا
 فخرًا! فَقُلْنَا: إِنْ جَعَلْتَنَا مِنْ رُؤَاتِكَ^(٩)، لَمْ نَبْخُلْ بِمُؤَاسَاتِكَ.

فَقَالَتْ: لِأُرَيْنَكُمْ أَوْلَا شِعَارِي، ثُمَّ لِأُرَوِّبَكُمْ أَشْعَارِي، فَأَبْرَزَتْ رُدْنَ
 دِرْعٍ دَرِيْسٍ، وَبَرَزَتْ بَرِزَةَ عَجُوزٍ دَرْدَبِيْسٍ^(١٠)، وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

أَشْكَو إِلَى اللَّهِ اشْتِكَاءَ الْمَرِيضِ رَبِّ الزَّمَانِ^(١١) الْمُتَعَدِّيِ الْبَغِيضِ
 يَا قَوْمِ إِنِّي مِنْ أَنْاسِ غَنَوَا دَهْرًا وَجَفْنَ الدَّهْرِ عَنْهُمْ غَضِيضِ
 فَخَارَهُمْ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ وَصِيَّتُهُمْ^(١٢) بَيْنَ الْوَرَى مُسْتَفِيضِ

(١) كناية عن المعيشة الطيبة.

(٣) أي: شديد العداوة.

(٥) حلفت.

(٧) ما توسمته فيكم وظننته.

(٩) الراويين لشعرِك.

(١١) جوره، كما في بعض النسخ.

(٢) رحمني.

(٤) منتهى ما يتمناه كساء يلبسه.

(٦) هي النفس.

(٨) يريد به البخل.

(١٠) مسنة ذات مكر ودهاء.

(١٢) ما يذكر وينشر من ذكركم الحميد.

فِي السَّنَةِ الشَّهَاءِ رَوْضاً أَرِيضُ^(٢)
 وَيُطْعَمُونَ الضَّيْفَ لَحْماً غَرِيضُ^(٤)
 وَلَا لَرَوْعٍ قَالَ حَالَ الْجَرِيضُ
 بِحَارَ جُودَ لَمْ نَخْلَهَا تَغِيضُ
 أُسَدَ التَّحَامِي وَأَسَاةُ^(٨) الْمَرِيضُ
 وَمَوْطِنِي بَعْدَ الْيَفَاعِ^(٩) الْخُضِيضُ
 بؤْساً لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِيضُ^(١٠)
 مَوْلَاهُ نَادُوهُ بَدْمَعُ يَفِيضُ
 وَجَابِرَ الْعِظْمِ الْكَسِيرِ الْمَهِيضُ^(١١)
 مَنْ دَنَسَ الدَّمَ نَقِي رَحِيضُ^(١٢)
 بِمَذْقَةٍ مِنْ حَارِزِ^(١٣) أَوْ مَخِيضُ^(١٤)
 وَيَغْنَمُ الشُّكْرَ الطَّوِيلَ الْعَرِيضُ
 يَوْمَ وَجُوهُ الْجَمْعِ سَوْدٌ وَبِيضُ^(١٥)
 وَلَا تَصَدَّيْتُ^(١٦) لِنَظْمِ الْقَرِيضُ^(١٧)

كَانُوا إِذَا مَا نُجِعَةٌ^(١) أَعْوَزَتْ
 تُشَبُّ لِلْسَّارِينِ^(٣) نِيرَانُهُمْ
 مَا بَاتَ جَارٌ لَهُمْ سَاغِباً^(٥)
 فَغِيضَتْ^(٦) مِنْهُمْ صُرُوفُ الرَّدَى
 وَأُودِعَتْ مِنْهُمْ بَطُونُ الثَّرَى^(٧)
 فَمَحْمَلِي بَعْدَ الْمَطَايَا الْمَطَا
 وَأَفْرُخِي مَا تَأْتَلِي تَشْتَكِي
 إِذَا دَعَا الْقَانِتُ فِي لَيْلِهِ
 يَا رَازِقَ النَّعَّابِ فِي عَشِّهِ
 أَتَحْ لَنَا اللَّهُمَّ مَنْ عَرَضَهُ
 يُطْفِئُ نَارَ الْجُوعِ عَنَّا وَلَوْ
 فَهَلْ فَتَى يَكْشِفُ مَا نَابَهُمْ
 فَوَالَّذِي تَعْنُو النَّوَاصِي لَهُ
 لَوْلَاهُمْ لَمْ تَبْدُلِي صَفْحَةً

(٢) حسن النبات .

(١) مرعى خصب .

(٤) طَرِي .

(٣) جمع سار، وهو من يسري ليلاً .

(٦) فنقصت وأفنت .

(٥) جائعاً .

(٨) جمع آس، وهو: الطيب .

(٧) كناية عن القبور .

(١١) الذي يتكسر بعد جبهه .

(٩) الظهر، تعني: أن أمتعتها بعد أن كانت تحمل على الإبل، صارت تحمل على ظهرها .

(١٣) لبن حامض .

(١٠) المراد هنا: الظهور .

(١٥) يوم القيامة .

(١٢) مغسول طاهر .

(١٧) الشعر .

(١٤) لبن منزوع الزبد .

(١٦) تعرّضت .

قال الراوي: فوالله لقد صدعتُ بأبياتها أعشارَ القلوبِ، واستخرجتُ خبايا الجيوبِ، حتى ماحها من دينه الامتناح^(١)، وارتاح لرفدها من لم نخله^(٢) يرتاح، فلما افوعم جيبها تبراً، وأولاه^(٣) كلُّ مناً برّاً، تولت يتلوها الأصاغرُ، وفوها بالشكرِ فاغرُ، فاشرأبت الجماعةُ بعد ممرها، إلى سبرها^(٤) لتبلو مواقعَ برها، فكفلتُ لهم باستنباط السرِّ المرموزِ، ونهضتُ أقفو أثرَ العجوزِ، حتى انتهتُ إلى سوقِ مُغتصّة^(٥) بالأنامِ، مُختصّة بالزحامِ، فانغمستُ في الغمارِ، واملستُ^(٦) من الصّبيّة الأغمارِ، ثم عاجتُ^(٧) بخلوِّ بالٍ، إلى مسجدِ خالٍ، فأماطتُ الجلبابَ، ونضتُ الثّيابَ، وأنا ألمحها من خصاصِ^(٨) البابِ، وأرقبُ ما سبّدي من العُجابِ، فلما انسرتُ^(٩) أهبةُ الخفرِ، رأيتُ محيّا أبي زيدٍ قد سفرَ، فهممتُ أن أهجمَ عليه، لأعنّفه^(١٠) على ما أجرى إليه، فاسلنقى اسلنقاءَ المتمرّدينَ، ثم رفَع عقيرةَ المغرّدينَ، واندفعَ ينشدُ:

يأليتُ شعري أدهري
 وهل درى كُنّه غوزي^(١١)
 كم قد قمرتُ بنيه^(١٢)
 وكم برزتُ بعُرفِ^(١٣)

أحاطَ علماً بقذري
 في الخدع أم ليس يذري
 بحيلتي وبمكرِ
 عليهم وبنكرِ

- (١) أعطاهما من عادته طلب العطاء.
 (٢) أعطاهما.
 (٣) ممتلئة.
 (٤) تخلّصت وانفلتت.
 (٥) شقوقه.
 (٦) مالت ورجعت.
 (٧) لاغيره وألومه.
 (٨) انكشفت.
 (٩) غاية عمق عقلي.
 (١٠) غلبت بالقمار أهله.
 (١١) من المعروف، ضدّ النكر بمعنى: المنكر.

أَصْطَادُ قَوْمٍ أَبْوَعُظٍ وَأَخْرَيْنَ بِشِعْرٍ
 وَأَسْتَفْزُ بِخَلٍّ عَقْلًا وَعَقْلًا بِخَمْرٍ
 وَتَارَةً أَنَا صَخْرٌ وَتَارَةً أُخْتُ (١) صَخْرٍ
 وَلَوْ سَلَكَتُ سَبِيلًا مَأْلُوفَةً (٢) طُولَ عُمُرِي
 لِحَابِ قَدْحِي وَقَدْحِي وَدَامَ عُسْرِي وَخُسْرِي
 فَقُلْ لِمَنْ لَمْ هَذَا عُنْدِي فَدُونَكَ عُنْدِي

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا ظَهَرْتُ عَلَى جَلِيَّةِ أَمْرِهِ (٣)، وَبَدِيعَةَ
 إِمْرِهِ (٤)، وَمَا زَخْرَفَ فِي شِعْرِهِ مِنْ عُنْدِهِ، عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطَانَهُ الْمَرِيدَ، لَا
 يَسْمَعُ التَّفْنِيدَ (٥)، وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ، فَتَنَيْتُ إِلَى أَصْحَابِي عِنَانِي.
 وَأَبْشَتْهُمْ (٦) مَا أَثْبَتَهُ عَيْنَانِي، فَوَجَمُوا (٧) لَضِيْعَةَ الْجَوَائِزِ، وَتَعَاهَدُوا عَلَيَّ
 مَحْرَمَةً (٨) الْعَجَائِزِ.



- (١) هو: صخر بن عمرو بن الشديد السلمي وأخته الحنساء الشاعرة المشهورة.
 (٢) مسلوكة معروفة.
 (٣) حقيقة حاله.
 (٤) الأمر - بالكسر - الشيء العجيب.
 (٥) اللوم والتوبيخ.
 (٦) أخبرتهم وشرحت لهم.
 (٧) سكتوا حزناً.
 (٨) أي: حرمان.

المقامة الرابعة عشرة المكيّة

حكى الحارثُ بن همامَ قالَ: نهضتُ من مدينةِ السّلامِ، لحجّةِ الإسلامِ، فلمّا قضيتُ بعونِ الله التّفثَ، واستبَحْتُ الطّيبَ والرّفثَ، صادفَ موسمُ الخيفِ، معمعانَ^(١) الصّيفِ، فاستظّهرتُ للضرّورةِ، بما يقي حرَّ الظّهيرةِ، فبينما أنا تحتَ طرّافِ^(٢)، مع رفقةِ ظرافِ، وقد حميَ وطيسُ الحصباءِ^(٣)، وأعشى الهجيرُ عينَ الحرباءِ، إذ هجمَ علينا شيخٌ متسعسِعٌ^(٤)، يتلوه^(٥) فتى مترعرعٌ.

فسلمَ الشّيخُ تسليمَ أديبِ أريبِ، وحاورَ محاورَةَ قريبِ لا غريبِ، فأعجبنا بما نثرَ من سَمْطِه، وعجبنا من انبساطِه^(٦) قبلَ بسْطِه، وقلنا له: ما أنتَ، وكيفَ ولجتَ^(٧)، وما استأذنتَ؟ فقالَ: أمّا أنا فعافٍ، وطالبُ إسعافِ^(٨)، وسرُّ ضرّي غيرُ خافٍ، والنظرُ إليّ شفيعٌ لي كافٍ، وأمّا الانسيابُ، الَّذي علقَ به الارتيابُ^(٩)، فما هو بعُجابِ، إذ ما على الكرماءِ من حجابِ، فسألناه: أنى اهتدى^(١٠) إلينا؟ وبِمَ استدَلَّ علينا؟ فقالَ: إنَّ

(١) شدّة الحرّ وتوقّده.

(٢) خيمة من آدم.

(٣) الوطيس: التنور. والحصباء: الحصى الصّغار.

(٤) أي: هرم.

(٥) أي: يتبعه.

(٦) ترك الاحتشام.

(٧) أي: دخلت.

(٨) المعاونة وقضاء الحاجة.

(٩) القلق والاضطراب.

(١٠) استرشد واستدلّ.

للكرم نشرًا (١) تنم به نفحاته، وترشد إلى روضه فوحاته، فاستدللت بتأرجح عرفكم (٢)، على تبلج عرفكم! وبشرني تصوع رندكم، بحسن المنقلب من عندكم! فاستخبرناه حينئذ عن لبائته، لتكفل بإعانتته، فقال: إن لي ماربًا، ولفتاي مطلبًا، فقلنا له: كلا المرامين (٣) سيقتضى، وكلاكما سوف يرضى، ولكن الكبر الكبر، فقال: أجل ومن دحا السبع الغبر، ثم وثب للمقال، كالمنشط من العقال، وأنشد:

بَعْدَ الْوَجَى (٤) وَالتَّعَبِ
يَقْصُرُ عَنْهَا خَبَبِي
مَطْبُوعَةٌ (٥) مِنْ ذَهَبِ
وَحَيْرَتِي تَلْعَبُ (٦) بِي
خَفْتُ دَوَاعِي الْعَطَبِ (٨)
قَةَ ضَاقَ مَذْهَبِي (٩)
وَعَبَّرْتِي فِي صَبَبِ (١٠)
رَأَجِي وَمَرَمِي الطَّلَبِ
وَلَا أَنْهَلَ السُّحْبِ
وَوَفَّرَكُمُ فِي حَرَمِ (١٢)

إِنِّي أَمْرٌ أُبَدِعُ بِي
وَشُقَّتِي شَاسِعَةٌ
وَمَا مَعِيَ خَرْدَلَةٌ
فَحَيْلَتِي مُنْسَدَةٌ
إِنْ ارْتَحَلْتُ رَاجِلًا (٧)
وَأِنْ تَخَلَّفْتُ عَنِ الرَّفِ
فَزَقَرْتِي فِي صُعْدِ
وَأَنْتُمْ مُنْتَجِعُ الْـ
لِهَآكُمُ مِنْهَلَةٌ (١١)
وَجَارِكُمْ فِي حَرَمِ (١٢)

(١) الرائحة الطيبة.

(٢) من البلج، وهو: وضوح النور. والعرف - بالضم - المعروف.

(٣) الحاجتين. (٤) وجع الرجلين من الحفاء.

(٥) أي مصنوعة. (٦) أي لا تنفك عني.

(٧) ماشيًا على رجليه. (٨) أسباب الهلاك.

(٩) أي: طريقي. (١٠) الصبب: الانحدار والهبوط.

(١١) منسكبة متتابعة. (١٢) أي: في منعة واحترام.

فَخَافَ نَابَ النُّوبِ
 حَبَاءَكُمُ فَمَا حُبِّي (١)
 وَأَحْسَنُوا مُنْقَلَبِي
 فِي مَطْعَمِي وَمَشْرَبِي
 أَسْلَمَنِي لِلْكَرْبِ (٤)
 وَنَسَبِي وَمِثْهَبِي
 مِنَ الْعُلُومِ النُّخَبِ (٥)
 فِي أَنْ دَائِي أَدْبِي
 أَرْضَعْتُ نُذِي الْأَدَبِ
 وَعَقَّنِي (٦) فِيهِ أَبِي

مَا لَازِمُ رْتَاعُ بَكْمُ
 وَلَا اسْتَدْرَ أَمَلُ
 فَاثْعَفُوا فِي قِصَّتِي
 فَلَوْ بَلَوْتُمْ (٢) عَيْشَتِي
 لَسَاءَكُمُ (٣) ضُرِّي الَّذِي
 وَلَوْ خَبَرْتُمْ حَسَبِي
 وَمَا حَوَتْ مَعْرِفَتِي
 لَمَا اغْتَرَّتْكُمْ شُبُهَةٌ
 فَلَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ
 فَقَدْ دَهَانِي شُؤْمُهُ

فَقُلْنَا لَهُ: أَمَا أَنْتَ فَقَدْ صرَّحتَ أبياتك بفاقتك، وعطبتِ ناقَتك،
 وسنمطيكَ ما يوصلك إلى بلدك، فما مآربُهُ ولَدِك؟ فقالَ له: قُمْ يَا بَنِي كَمَا
 قَامَ أَبُوكَ، وَفُهُ (٧) بِمَا فِي نَفْسِكَ لَا فُضَّ فُوكَ (٨)، فَهَضَّ نُهُوضَ الْبَطْلِ
 لِلْبِرَازِ (٩)، وَأَصَلَّتْ لِسَانًا كَالْعَضْبِ (١٠) الْجُرَازِ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَهُمْ مَبَانِ مَشِيدَهُ
 قَامُوا بِدَفْعِ الْمَكِيدَهُ
 بِذُلِّ الْكُنُوزِ الْعَتِيدَهُ (١١)

يَا سَادَةَ فِي الْمَعَالِي
 وَمَنْ إِذَا نَابَ خَطْبُ
 وَمَنْ يَهْوَنُ عَلَيْهِمْ

(٢) اختبرتم. (٣) أي: لأحزنكم.

(٥) جمع نخبة، وهي: خيار كل شيء.

(٧) أي: قل وتكلم.

(٩) أي: قام قيام الفارس الشجاع للحرب.

(١١) الحاضرة المستعدة أو الجسيمة.

(١) أي: فما أعطى.

(٤) جمع كربة، بمعنى: المحنة.

(٦) أي: قطع رحمي.

(٨) أي: لا كسرت أسنانك.

(١٠) أي: كالسيف الماضي القاطع لكل شيء.

وجرَدَقَاً (١) وعصيدةً
 به تُوارَى الشَّهيدَه
 فَشُبْعَةٌ مِنْ ثَرِيدَه (٢)
 فعَجْوَةٌ ونَهْيِدَه (٣)
 ولو شَطَطَى مِنْ قَدِيدَه
 لما يَروُجُ مُرِيدَه
 لَرَحْلَةَ لِي بَعِيدَه
 تُدَعَوْنَ عِنْدَ الشَّيْدَه
 لَهَا أَيَادٍ جَدِيدَه
 شَمَلِ الصَّلَاتِ الْمُفِيدَه
 مَا تَرَفِدُونَ زَهِيدَه (٧)
 تَنْفِيسِ كَرْبِي حَمِيدَه
 يَفْضَحْنَ كُلَّ قَصِيدَه

أريدُ مِنْكُمْ شِوَاءً
 فَإِنْ غَلَا فَرَقَاقٌ
 أَوْ لَمْ يَكُنْ ذَا وَلَا ذَا
 فَإِنْ تَعَذَّرْنَ طُرًّا
 فَأَحْضِرُوا مَا تَسْنَى
 وَرَوِّجُوهُ (٤) فَنَفْسِي
 وَالزَّادُ لَا بُدَّ مِنْهُ
 وَأَنْتُمْ خَيْرُ رَهْطٍ (٥)
 أَيَدِيكُمْ كُلَّ يَوْمٍ
 وَرَاحِكُمْ وَأَصْلَاتٌ
 وَبُغْيَتِي (٦) فِي مَطَاوِي
 وَفِي أَجْرٍ وَعُقْبِي
 وَلِي نَتَائِجُ فِكْرٍ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا رَأَيْنَا الشَّيْبَلَ يُشْبِهُ الْأَسَدَ، أَرْحَلْنَا الْوَالِدَ
 وَزَوَّدْنَا الْوَالِدَ، فَقَابَلَا الصَّنْعَ (٨) بِشُكْرِ نَشْرٍ أَرْدِيَّتَهُ (٩)، وَأَدْيَا بِهِ دَيْتَهُ، وَكَمَّا
 عَزَمَا عَلَيَّ الْأَنْطِلَاقَ، وَعَقَّدَا لِلرَّحْلَةِ حُبَّكَ النَّطَاقَ، قُلْتُ لِلشَّيْخِ: هَلْ
 ضَاهَتْ (١٠) عِدَّتُنَا عِدَّةَ عُرْقُوبٍ، أَوْ هَلْ بَقِيَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبِ؟

(٢) هو أن تفتته ثم تبله بمرق.

(٤) عجلوه وهيوؤه.

(٦) مطلبي وما أتمناه.

(٨) أي: المعروف.

(١٠) أي: مائلت وشابهت.

(١) أرغيفاً معرب كرده.

(٣) صنف من طيبخ العرب.

(٥) أي: قوم.

(٧) أي: قليله.

(٩) أكثر من الشكر حتى اشتهر صيته.

فَقَالَ: حَاشَ لِلَّهِ وَكَلَّاءَ، بَلْ جَلَّ مَعْرُوفُكُمْ وَجَلَّى.

فَقُلْتُ لَهُ: فَدَنَا كَمَا دَنَاكَ، وَأَفَدَنَا كَمَا أَفَدْنَاكَ، أَيْنَ الدُّوِيرَةُ^(١)، فَقَدْتُ
مَلَكَتْنَا فِيكَ الْحَيْرَةُ؟ فَتَنْفَسَ تَنْفُسَ مِنْ أَدَكَرَ^(٢) أَوْطَانَهُ، وَأَنْشَدَ وَالشَّهِيقُ
يَلْعَثُ^(٣) لِسَانَهُ:

سَـرُوجُ دَارِي وَلَكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهَا
وَقَدْ أَنْاخَ^(٤) الْأَعَادِي بِهَا وَأَخْنَوْنَا عَلَيْهَا^(٥)
فَوَالَّتِي سَرْتُ أَبْغِي حَطَّ الذَّنُوبِ لَدَيْهَا
مَا رَاقَ طَرْفِي شَيْءٌ مُذْ غَبْتُ عَنْ طَرْفِيهَا^(٦)

ثُمَّ اغْرُورَقْتُ عَيْنَاهُ بِالِدَمْعِ، وَأَذَنْتُ^(٧) مَدَامِعُهُ بِالْهُمُوعِ، فَكَّرَهُ أَنْ
يَسْتَوْكِفَهَا، وَلَمْ يَمْلِكْ أَنْ يُكْفِكِفَهَا^(٨)، فَقَطَعَ إِنْشَادَهُ الْمُسْتَحْلَى، وَأَوْجَزَ^(٩)
فِي الْوَدَاعِ وَوَلَّى^(١٠).



(١) أي: البلدة.

(٢) أي: تذكر. وأصله: «أذذكر» فأدغم.

(٣) من اللعثة، وهي: التوقف والتماكث.

(٤) أي: نزل.

(٥) أهلكوها وأفسدوها.

(٦) أي: ما أعجب عيني شيء من حين مفارقتها.

(٧) أي: أعلمت.

(٨) أي: أعلمت.

(٩) أي: ذهب ومضى.

(١٠) أي: ذهب ومضى.

المقامة الخامسة عشرة الفرضية

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: أَرِقْتُ^(١) ذَاتَ لَيْلَةٍ حَالِكَةَ الْجَلْبَابِ، هَامِيَةَ الرَّيَّابِ، وَلَا أَرَقَّ صَبًّا^(٢) طُرِدَ عَنِ الْبَابِ، وَمُنِي بَصَدَّ الْأَحْبَابِ، فَلَمْ تَزَلْ الْأَفْكَارُ يَهْجُنَ هَمِّي، وَيُجِلْنَ فِي الْوَسَاوِسِ^(٣) وَهَمِّي^(٤)، حَتَّى تَمَنَيْتُ، لَمْضَضٍ مَا عَانَيْتُ، أَنْ أُرْزَقَ سَمِيرًا مِنَ الْفُضْلَاءِ، لِيُقْصَرَ طَوْلَ لَيْلَتِي اللَّيْلَاءِ، فَمَا انْقَضَتْ مُنِيَّتِي^(٥)، وَلَا أُغْمِضَتْ مُقْلَتِي، حَتَّى قَرَعَ الْبَابَ قَارِعٌ، لَهُ صَوْتُ خَاشِعٌ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَعَلَّ غَرَسَ التَّمْنِي قَدْ أَثْمَرَ، وَلَيْلَ الْخَطِّ قَدْ أَقْمَرَ، فَهَضُّتُ إِلَيْهِ عَجَلَانَ^(٦)، وَقُلْتُ: مَنْ الطَّارِقُ الْآنَ؟ فَقَالَ: غَرِيبٌ أَجْنَهُ^(٧) اللَّيْلُ، وَغَشِيَهُ السَّيْلُ، وَيَبْتَغِي الْإِيوَاءَ^(٨) لَا غَيْرَ، وَإِذَا أُسْحَرَ قَدَمَ السَّيْرِ، قَالَ: فَلَمَّا دَلَّ شُعَاعُهُ عَلَى شَمْسِهِ، وَنَمَّ عُنْوَانُهُ بِسِرِّ طَرْسِهِ، عَلِمْتُ أَنَّ مُسَامَرَتَهُ غَنَمٌ، وَمُسَاهَرَتَهُ نَعْمٌ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ بِابْتِسَامٍ، وَقُلْتُ: ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ، فَدَخَلَ شَخْصٌ قَدْ حَنَى الدَّهْرُ صَعْدَتَهُ، وَبَلَّلَ الْقَطْرُ بُرْدَتَهُ^(٩)، فَحَيَّا بِلِسَانٍ عَضْبٍ، وَبَيَانَ عَذْبٍ، ثُمَّ شَكَرَ عَلَيَّ تَلِييَةَ صَوْتِهِ، وَاعْتَذَرَ مِنِّي

(١) أي: سهرت.

(٢) أي: عاشق.

(٣) جمع الوسوسة، وهي: حديث النفس أو الكلام الخفي.

(٤) أي: ما تمنيتَه وطلبته.

(٥) أي: بالي وفكري.

(٦) أي: ستره.

(٧) فقمْتُ إليه مُسْرِعًا.

(٨) أي: أصابه المطر حتى ابتل ثوبه.

(٩) إدخاله المنزل.

الطُّرُوقُ^(١) فِي غَيْرِ وَقْتِهِ، فِدَانِيَّتُهُ^(٢) بِالْمُصْبَاحِ الْمُتَّقَدِ، وَتَأَمَّلْتُهُ تَأَمَّلَ الْمُتَّقَدِ،
فَأَلْفَيْتُهُ شَيْخَنَا أبا زَيْدٍ بِلا رَيْبٍ، وَلا رَجْمٍ غَيْبٍ، فَأَحَلَّتُهُ^(٣) مَحَلَّ مَنْ
أظْفَرَنِي بِقُصُوى الطَّلَبِ، وَنَقَلَنِي مِنْ وَقْدِ الكَرْبِ، إِلى رَوْحِ الطَّرَبِ^(٤)، ثُمَّ
أَخَذَ يَشْكُو الأَيْنَ، وَأَخَذَتْ فِي كَيْفِ وَأَيْنَ؟ فَقَالَ: أبلِغْنِي رَيْقِي، فَقَدْ أَتَعَبَنِي
طَرَبِي، فَظَنَنْتُهُ مُسْتَبْطِنًا لِلسَّغْبِ^(٥)، مُتْكَاسِلًا لِهَذَا السَّبَبِ، فَأَحْضَرْتُهُ مَا
يُحْضِرُ لِلضَّيْفِ المُفْجَاجِي، فِي اللَّيْلِ الدَّاجِي، فَاَنْقَبَضَ انْقِبَاضَ
المُحْتَشِمِ^(٦)، وَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ البَشِمِ^(٧)، فَسُوتُ ظَنًّا بِامْتِنَاعِهِ، وَأَحْفَظَنِي
حَوْوُلُ طِبَاعِهِ، حَتَّى كِدْتُ أُغْلِظُ لَهُ فِي الكَلَامِ، وَالسَّعَةُ بِحِمَّةِ المَلَامِ،
فَتَبَيَّنَ مِنْ لِمَحَاتِ نَاطِرِي، مَا خَامَرَ خَاطِرِي، فَقَالَ: يَا ضَعِيفَ الثَّقَةِ، بِأَهْلِ
المَقَّةِ^(٨)، عَدُّ عَمَّا أَخْطَرْتُهُ بِالكِ، وَاسْتَمِعْ إِليَّ لَا أَبَا لَكَ! فَقُلْتُ: هَاتِ، يَا
أخَا التُّرْهَاتِ! فَقَالَ: اعْلَمْ أَنِي بَيْتُ البَارِحَةِ حَلِيفَ إِفْلَاسِ^(٩)، وَنَجِيَّ
وَسُوَاسِ، فَلَمَّا قَضَى اللَّيْلُ نَحْبَهُ، وَغَوَّرَ^(١٠) الصُّبْحُ شُهْبَهُ، غَدَوْتُ وَقْتُ
الإِشْرَاقِ، إِلى بَعْضِ الأَسْوَاقِ، مُتْصِدِّيًا^(١١) لَصَيْدِ يَسْنَحِ، أَوْ حُرِّ يَسْمَحِ،
فَلَحَظْتُ بِهَا تَمْرًا قَدْ حَسُنَ تَصْفِيفُهُ^(١٢)، وَأَحْسَنَ إِليهِ مَصْفِيفُهُ، فَجَمَعَ عَلَيَّ
التَّحْقِيقِ، صَفَاءَ الرَّحِيقِ^(١٣)، وَقُنُوءَ العَقِيقِ، وَقُبَالْتَهُ لِبَأْ^(١٤) قَدْ بَرَزَ كَالإِبْرِيزِ

(١) الإتيان.

(٢) أي: قاربه.

(٣) أي: فأنزلته.

(٤) أي: راحة السرور.

(٥) السَّغْبُ: الجوع.

(٦) المُسْتَحْيِي: المنقبض.

(٧) الممتلئ بالطعام.

(٨) المحبَّة.

(٩) قرين فقر ومصاحب عدم.

(١٠) أي: غيب وأخفى.

(١١) قاصدًا ومتعرضًا.

(١٢) أي: كونه صفوفاً.

(١٣) هو الشراب الصافي.

(١٤) هو أول اللبن في التناج.

الأصفر، وانجلى في اللون المزعفر، فهو يثني على طاهيه، بلسان تناهيه^(١)،
ويصوب رأي مشتريه، وكو نقد حبة القلب فيه، فأسرتني الشهوة بأشطانها،
وأسلمتني العيمة^(٢) إلى سلطانها، فبقيت أحيّر من صبّ، وأذهل من
صبّ، لا وجد^(٣) يوصلني إلى نيل المراد، وكذّة الازدراد^(٤)، ولا قدم
تطاوعني على الذهب، مع حرقة الالتهاب، لكن حداني القرم وسورته^(٥)،
والسغب^(٦) وفورته^(٧)، على أن أنتجع كل أرض، وأقتنع من الورد بمرض،
فلم أزل سحابة ذلك النهار، أدلي دلوي إلى الأنهار، وهي لا ترجع ببلّة،
ولا تجلب نفع غلّة^(٨)، إلى أن صغت الشمس للغروب، وضعت النفس
من اللعوب^(٩)، فرحت بكبد حرى، وانثنت أقدام رجلاً وأوخر أخرى،
وبينما أنا أسعى وأقعد، وأهب وأركد^(١٠)، إذ قابلني شيخ يتأوه أهة
الثكلان، وعيناه تهملان^(١١)، فما شغلني ما أنا فيه من داء الذيب،
والخوى المذيب، عن تعاطي مداخلته^(١٢)، والطمع في مخاطلته^(١٣)،
فقلت له: يا هذا إن لبكائك سرّاً، ووراء تحرّكك لشرّاً، فأطلعني على
برحائك^(١٤)، واتخذني من نصحائك، فإنك ستجد مني طباً آسيّاً^(١٥)، أو
عوناً مؤاسياً، فقال: والله ما تأوّهي من عيش فات^(١٦)، ولا من دهر افتات

- (١) انتهاؤه في حسنه.
(٢) لا مال ولا غنى.
(٣) أي: حدته.
(٤) لا مال ولا غنى.
(٥) أي: حدته.
(٦) الجوع.
(٧) حرقة.
(٨) أي: لا تأتي بما يروي العطش.
(٩) الإعياء.
(١٠) أي: أسكن.
(١١) تسيلان بالدمع.
(١٢) أي: مداناته.
(١٣) أي: مخادعته.
(١٤) البرح والبرحاء: شدة الأذى.
(١٥) أي: طبياً مداوياً.
(١٦) انقضى.

بَلْ لَانْقِرَاضِ الْعِلْمِ وَدُرُوسِهِ، وَأَقُولُ (١) أَقْمَارِهِ وَشُمُوسِهِ، فَقُلْتُ: وَأَيَّ حَادِثَةٍ نَجَمَتْ (٢)، وَقَضِيَّةٍ اسْتَعْجَمَتْ، حَتَّى هَاجَتْ لَكَ الْأَسْفَ (٣)، عَلَيَّ فَقَدْ مِنْ سَلَفٍ؟ فَأَبْرَزَ رُقْعَةً مِنْ كُمِّهِ، وَأَقْسَمَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، لَقَدْ أَنْزَلَهَا بِأَعْلَامِ الْمُدَارِسِ، فَمَا امْتَازُوا عَنِ الْأَعْلَامِ الدُّوَارِسِ، وَاسْتَنْطَقَ لَهَا أَحْبَارَ الْمَحَابِرِ، فَخَرَسُوا وَلَا خَرَسَ سُكَّانِ الْمَقَابِرِ، فَقُلْتُ: أَرْنِيهَا (٤)، فَلَعَلِّي أَغْنِي فِيهَا، فَقَالَ: مَا أَبْعَدْتَ فِي الْمَرَامِ، فَرُبَّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ، ثُمَّ نَاوَلْنِيهَا، فَإِذَا الْمَكْتُوبُ فِيهَا:

أَيُّهَا الْعَالَمُ الْفَقِيهُ الَّذِي فَآ
أَفْتِنَا فِي قَضِيَّةٍ حَادَ عَنْهَا
رَجُلٌ مَاتَ عَنْ أَخٍ مُسْلِمٍ حُ
وَلَهُ زَوْجَةٌ لَهَا أَيُّهَا الْحُبُ
فَحَوَتْ فَرُضَهَا وَحَازَ أَخُوهَا
فَاشْفِنَا بِالْجَوَابِ عَمَّا سَأَلْنَا
قَ ذَكَاءٌ فَمَالَهُ مِنْ شَبِيهِ
كُلُّ قَاضٍ وَحَارَ (٥) كُلُّ فَقِيهِ
رَتَقِيٌّ مِنْ أُمَّهِ وَأَبِيهِ
رُ (٦) أَخٌ خَالِصٌ بِلَا تَمُويهِ (٧)
مَا تَبَقَّى بِالْإِرْثِ دُونَ أَخِيهِ
فَهُوَ نَصٌّ لَا خُلْفَ يَوْجَدُ فِيهِ

فَلَمَّا قَرَأْتُ شِعْرَهَا، وَلَمَحْتُ سِرَّهَا (٨)، قُلْتُ لَهُ: عَلَيَّ الْخَبِيرِ بِهَا
سَقَطَتْ، وَعِنْدَ ابْنِ بَجْدَتِهَا حَطَطَتْ، إِلَّا أَنِّي مُضْطَرِّمٌ (٩) الْأَحْشَاءِ، مُضْطَرٌّ
إِلَى الْعَشَاءِ (١٠)، فَأَكْرِمُ مَثْوَايَ، ثُمَّ اسْتَمِعْ فَتْوَايَ، فَقَالَ: لَقَدْ أَنْصَفْتَ فِي

(١) أي: غروب.

(٣) أي: الحزن.

(٥) تخبير.

(٧) أي: بلا شك ولا ريب.

(٩) الأحشاء: ما انحنت عليه الضلوع.

(٢) أي: ظهرت.

(٤) أي: أطلعني عليها.

(٦) العالِم.

(٨) نظرته واطلعت عليه.

(١٠) أي: محتاج إليه.

الاشتراط، وتجافيت عن الاشتطاط^(١)، فصر معي، إلى مربعي، لتظفر بما
تبتغي، وتنقلب كما ينبغي، قال: فصاحبتة إلى ذراه^(٢)، كما حكّم الله،
فأدخلني بيتاً أخرج^(٣) من التّابوت، وأوهن من بيت العنكبوت، إلا أنه
جبر^(٤) ضيق ربه^(٥)، بتوسعة ذرعه^(٦)، فحكمني في القرى، ومطايب ما
يشتري، فقلت: أريد أزهى راكب على أشهى مركوب، وأنفع صاحب مع
أضر مصحوب، فأفكر ساعة طويلة، ثم قال: لعلك تعني بنت نخيلة، مع
لباء سخيلة، فقلت: إياهما عنيت، ولأجلهما تعينت^(٧)، فنهض نسيطاً، ثم
ربض مستشيطاً، وقال: اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة^(٨)، والكذب
عاهة، فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبياء، وحلية الأولياء^(٩)، على
أن تلحق بمن مان، وتتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان، فقد تجوع الحرّة
ولا تأكل بثدييها، وتأبى الدنية^(١٠) ولو اضطرت إليها، ثم إنني لست لك
بزبون، ولا أغضي^(١١) على صفة مغبون، وما أنا قد أنذرتك^(١٢) قبل أن
ينهتك الستر، وينعقد فيما بيننا الوتر، فلا تلغ تدبر الإنذار، وحدار من
المكاذبة حدار، فقلت له: والذي حرم أكل الربا، وأحل أكل اللبا، ما
فهمت بزور، ولا دليتك بغرور، وستخبر حقيقة الأمر، وتحمد بذل اللبا
والتمر، فهش^(١٣) هشاشة الصدوق، وانطلق مغداً^(١٤) إلى السوق، فما كان

(١) الجور ومجاوزة الحد.

(٢) أي: بيته.

(٣) أي: أضيق.

(٤) أصلح.

(٥) منزله.

(٦) صدره وخلقه.

(٧) تعبت.

(٨) شرف ورفعة.

(٩) زينة ولباس الأولياء.

(١٠) تمتنع من الخصلة القبيحة؛ كالزنا.

(١١) لا أتغافل.

(١٢) أعلمتك.

(١٣) أي: فرح.

(١٤) مسرعاً.

بأسرع من أن أقبلَ بهما يدلحُ، ووجهه من التعبِ يكَلحُ، فوضعهما لديّ،
 وضع الممّتن عليّ، وقال: اضرب الجيشَ بالجيشِ، تحظّ (١) بلذّةِ
 العيشِ، فحسرتُ عن ساعدِ النهمِ (٢)، وحملتُ حملةَ الفيلِ المملتهمِ (٣)،
 وهو يلحظني كما يلحظُ الحنقُ (٤)، ويودّ من الغيظِ لو أحتنقُ، حتى إذا
 هلكمتُ التوعينِ (٥)، وغادرتُهُما أثراً بعد عينِ، أقردتُ حيرةً في إضلالِ
 البياتِ (٦)، وفكرةً في جوابِ الأبياتِ، فما لبثَ أن قام، وأحضرَ الدواةَ
 والأقلامَ، وقال: قد ملأتُ الجرابَ (٧)، فأملِ الجوابَ، وإلا فتهياً إن
 نكلتَ، لا غترامِ ما أكلتُ! فقلتُ له: ما عندي إلا التحقيقُ، فاكتبِ
 الجوابَ وبالله التوفيقُ:

كاشفٌ سرّها الذي تخفيه
 ع أخا عرسه (٨) على ابن أبيه
 بحمّاة له ولا غرو فيه
 ه فجاءت بابن يسرّ ذويه
 وأخو عرسه بلا تمويه (٩)
 سدّ وأولى بإرثه من أخيه
 جة ثمنُ الثراث (١٠) تستوفيه
 ل أخوها من أمها باقيه

قل لمن يُلغزُ المسائلِ إني
 إن ذا الميتِ الذي قدّم الشرّ
 رجلٌ زوج ابنه عن رضاهُ
 ثمّ مات ابنه وقد علقتُ (٩) من
 فهو ابنُ ابنه بغيرِ مرأه
 وابنُ الابنِ الصريحُ أدنى إلى الجأ
 فلذا حين مات أوجب للزو
 وحوى ابنُ ابنه الذي هو في الأصد

(٢) المفرط في شهوة الطعام.

(٤) الغضبان.

(٦) المبيت.

(٨) زوجته.

(١٠) تزيين.

(١١) هو الميراث.

(١) تفرّز وتغنّم.

(٣) الاتهام: الابتلاع الشديد.

(٥) هما التمر واللبّاء.

(٧) البطن، وهو كناية عن الشبع.

(٩) حملت.

وتخلى الأخ الشقيق من الإرهاك (١) مني الفتيا التي يحتذيها (٢)
ث وقلنا يكفيك أن تبكيه
كل قاص يقضي وكل فقيه

قال: فلما أثبت الجواب، واستثبت منه الصواب، قال لي: أهلك
والليل، فشمّر الذيل، وبادر السيل! فقلت: إنني بدار غربة (٣)، وفي إيوائي
أفضل قرابة (٤)، لا سيما وقد أعدف جنح الظلام، وسبح الرعد في الغمام،
فقال: اغرب عافاك الله إلى حيث شئت، ولا تطمع في أن تبيت، فقلت:
ولم ذاك، مع خلو ذراك (٥)؟ قال: لأنني أنعمت النظر، في التمامك (٦) ما
حضر، حتى لم تبق ولم تذر، فرأيتك لا تنظر في مصلحتك، ولا تراعي
حفظ صحتك، ومن أمعن فيما أمعنت، وتبطن ما تبطنت، لم يكذ يخلص
من كظة مدنفة، أو هيضة (٧) متلفة (٨)، فدعني بالله كفافاً، واخرج عني ما
دمت معافى، فوالذي يحيي ويميت، ما لك عندي مبيت! فلما سمعت
أليته، وبلوت بليته، خرجت من بيته بالرغم (٩)، وتزود الغم، تجودني
السماء، وتخبط بي الظلماء، وتنبحنى الكلاب، وتتقاذف بي الأبواب، حتى
ساقني إليك لطف القضاء، فشكراً ليد البيضاء، فقلت له: أحب بلقائك
المتاح (١٠)، إلى قلبي المرتاح! ثم أخذ يفتن بحكاياته، ويشمط (١١)
مضحكاته بمبكياته، إلى أن عطس أنف الصباح، وهتف داعي الفلاح (١٢)،

(١) أي: خذ.

(٢) يتبعها ويقندي بها.

(٣) أي: أنا غريب فيها.

(٤) ما يتقرب به إلى الله.

(٥) بالفتح؛ أي: محلك.

(٦) أكلك.

(٧) انطلاق البطن عن سوء الهضم.

(٨) مهلكة.

(٩) بالكره والهوان والذل.

(١٠) المسهل الميسر.

(١١) أي: يخلط.

(١٢) منادي الفوز، والمراد: المؤذن.

فتأهَّبَ لِإِجَابَةِ الدَّاعِي ، ثُمَّ عَطَفَ (١) إِلَى وَدَاعِي ، فَعُقَّتْهُ (٢) عَنِ
الانْبِعَاثِ (٣) ، وَقُلْتُ : الضِّيَافَةُ ثَلَاثُ ! فَنَاشَدَ وَحَرَجَ ، ثُمَّ أَمَّ الْمَخْرَجَ ،
وَأَنشَدَ إِذْ عَرَجَ (٤) :

لا تَزُرْ مَنْ تُحِبُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَلَا تَزِدْهُ عَلَيْهِ
فاجْتَلَاءُ الْهَيْلَالِ (٥) فِي الشَّهْرِ يَوْمٌ ثُمَّ لَا تَنْظُرُ الْعُيُونُ إِلَيْهِ
قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَوَدَّعْتُهُ بِقَلْبِ دَامِي الْقُرْحِ (٦) ، وَوَدِدْتُ لَوْ أَنَّ
لَيْلَتِي بِطَيْبَةِ الصُّبْحِ .



(١) مَالٍ .

(٢) عطلته ومنعته .

(٣) التوجه والسير .

(٤) عطف ومال عن الباب مُسْرِعًا .

(٥) مشاهدته .

(٦) مجروح من فراقه يسيل من جرحه الدم .

المقامة السادسة عشرة المغربية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: شهدتُ صلاةَ المغربِ، في بعضِ مساجدِ المغربِ، فلَمَّا أدبْتُها بفضْلِها، وشفَعْتُها بنفْلِها، أخذَ طرفي (١) رُقَّةً قد انتَبَدُوا (٢) نَاحِيَةً، وامتازوا صَفْوَةً صافيةً، وهم يتعاطونَ كأسَ المُنَافِثَةِ، ويقتدحونَ زنادَ المُبَاحِثَةِ، فرَغِبْتُ في مُحَادِثَتِهِمْ (٣) لكَلِمَةٍ تُسْتَفَادُ، أو أدبٍ يُسْتَزَادُ، فسَعَيْتُ إليهِمْ، سعيَ المتطفلِ عليهِمْ.

وقلتُ لَهُمْ: أتقبلونَ نزيلاً (٤) يطلبُ جنى الأسمارِ (٥)، لا جنةَ الثمارِ، ويبيغي مَلَحَ الحِوَارِ (٦)، لا مَلَحَاءَ الحِوَارِ، فحلُّوا لي الحَبِي.

وقالوا: مَرَحَبًا مَرَحَبًا، فلمَ أَجْلِسُ إِلَّا لَمَحَّةِ بَارِقِ خَاطِفِ، أو نغبةِ طائرِ خائفِ، حتَّى غَشِينَا (٧) جَوَابُ، على عاتقه (٨) جِرَابُ، فحَيَانَا بِالْكَلِمَتَيْنِ (٩)، وحيَا المَسْجِدَ بالتَّسْلِيمَتَيْنِ.

ثمَّ قالَ: يَا أُولِي الألبابِ، والفضلِ اللَّبابِ، أما تعلمونَ أَنَّ أنفُسَ القُرْبَاتِ (١٠)، تنفيسُ الكُرْبَاتِ؟ وأمَتَنَ أسبابَ النِّجاةِ، مؤاساةُ ذوي

(٢) ابتعدوا وفي نسخة: «انتدوا»؛ أي: اجتمعوا.

(١) ملح بصري.

(٤) ضيقًا نازلًا.

(٣) مباحثتهم.

(٦) ولد الناقة ما لم يستكمل عامًا.

(٥) جمع «سمر»، وهو: حديث الليل.

(٨) منكبه.

(٧) أتانا.

(١٠) أفضل الأعمال التي يتقربُ بها إلى الله.

(٩) قال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

الحاجات؟ وإني ومن أحلني ساحتكم، وأتاح لي استماحتكم، لشريد محل قاص^(١)، وبريد صبية خماص، فهل في الجماعة، من يفتأ^(٢) حمياً المراجعة؟

فقالوا له: يا هذا إنك حضرت بعد العشاء، ولم يبق إلا فضلات العشاء، فإن كنت بها قنوعاً، فما تجد فينا منوعاً^(٣).

فقال: إن أخوا الشدائد، ليقنع بلفظات الموائد، ونفاضات المزاود، فأمر كل منهم عبده، أن يزوده ما عنده، فأعجبه الصنع وشكر عليه، وجلس يرقب^(٤) ما يحمل إليه، وثبنا نحن إلى استشارة ملح الأدب^(٥) وعيونه، واستنباط معينه من عيونه^(٦)، إلى أن جلنا فيما لا يستحيل^(٧) بالانعكاس، كقولك ساكب كاس، فتداعينا إلى أن نستتج له الأفكار، ونفترع^(٨) منه الأبقار، على أن ينظم البادئ ثلاث جمانات في عقده، ثم تدرج الزيادات من بعده، فيربع ذو ميمته في نظمه، ويسبع صاحب مسرته على رغمه^(٩).

قال الراوي: وكنا قد انتظمنا عدة أصابع الكف، وتألفنا ألفة أصحاب الكهف، فابتدر لعظم محنتي، صاحب ميمتي، وقال: لم أخوا مل، وقال ميامنه: كبر رجاء أجر ربك، وقال الذي يليه: (من يرب^(١٠) إذا بر

(١) طريد منزل بعيد.

(٢) الفتأ: تسكين الغضب وغيره، وفتأ القدر: سکن غليانها.

(٣) مانعاً.

(٤) ينتظر.

(٥) إظهار ما حسن منه.

(٦) لا يتحوّل ولا يتغير.

(٧) نفتض.

(٨) قهراً عنه.

(٩) قهراً عنه.

(١٠) يربي الصنعة ويصونها.

يَنُمُ) (١)، وَقَالَ الْآخِرُ: (سَكَّتْ كُلُّ مَنْ نَمَّ لَكَ تَكْسُ) (٢)، وَأَفْضَتِ النَّوْبَةُ إِلَيَّ، وَقَدْ تَعَيَّنَ نَظْمُ السَّمَطِ السُّبَاعِيِّ عَلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ فِكْرِي يَصُوعُ وَيُكْسِرُ، وَيُثْرِي (٣) وَيُعْسِرُ (٤)، وَفِي ضَمْنِ ذَلِكَ أَسْتَطَعِمُ، فَلَا أَجِدُ مَنْ يُطْعِمُ، إِلَى أَنْ رَكَدَ النَّسِيمُ، وَحَصَّصَ (٥) التَّسْلِيمُ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: لَوْ حَضَرَ السَّرُوجِيُّ هَذَا الْمَقَامَ، لَشَفَى الدَّاءَ الْعُقَامَ، فَقَالُوا: لَوْ نَزَلَتْ هَذِهِ بِإِيَّاسٍ، لِأَمْسَكَ عَلَى يَاسٍ، وَجَعَلْنَا نُفَيْضُ (٦) فِي اسْتِصْعَابِهَا، وَاسْتِغْلَاقِ بَابِهَا، وَذَلِكَ الزُّورُ الْمُعْتَرِي (٧)، يَلْحَظُنَا لِحْظَ الْمُزْدَرِيِّ (٨)، وَيُوَلِّفُ الدَّرَرَ وَنَحْنُ لَا نَدْرِي، فَلَمَّا عَثَرَ عَلَى افْتِضَاحِنَا (٩)، وَنُضُوبِ ضَحْضَاحِنَا (١٠)، قَالَ: يَا قَوْمُ إِنَّ مِنْ الْعِنَاءِ الْعَظِيمِ، اسْتِيلَادَ الْعَقِيمِ (١١)، وَالِاسْتِشْفَاءَ بِالسَّقِيمِ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: سَأُنُوبُ مِنْابِكَ (١٢)، وَأَكْفِيكَ مَا نَابَكَ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَنْثُرَ، وَلَا تَعَثُرَ (١٣)، فَقُلْ مُخَاطِبًا لِمَنْ ذَمَّ الْبُخْلَ، وَأَكْثَرَ الْعَدْلَ (١٤): لُدْ بِكُلِّ مُؤَمِّلٍ (١٥) إِذَا لَمَّ وَمَلَكَ بِذَلِكَ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَنْظِمَ، فَقُلْ لِلَّذِي تُعْظِمُ:

(٢) تكن كَيْسًا أَي: فطنا ذكيا.

(٤) يفتقر.

(٦) نخوض.

(٨) المحتقر.

(١) من النماء وهو: الزيادة.

(٣) يستغني.

(٥) ثبت واستقر.

(٧) القاصد.

(٩) اطلع على عجزنا.

(١٠) الضحضاح: الماء الذي لا عمق له، ونضوبه: غورانه في الأرض؛ يريد: عدم القدرة على هذه العبارة.

(١٢) أصابك.

(١٤) اللوم.

(١١) طلب الولد من لا تلد.

(١٣) لا تغلط.

(١٥) مرجى.

أُسُّ أَرْمَلاً إِذَا عَرَا (١)
 أُسْنَدُ (٢) أَخَانَبَاهَةَ
 أُسِّلُ جَنَابَ غَاشِمٍ (٣)
 أُسْرُ إِذَا هَبَّ (٥) مَرَأً
 أُسْكُنُ تَقَوًّا فَعَسَى
 وَارِعَ إِذَا الْمُرءُ أُسَا
 أَبْنُ إِخَاءَ دَنَسَا
 مُشَاغِبٌ (٤) إِنْ جَلَسَا
 وَارِمٌ بِهِ إِذَا رَسَا (٦)
 يُسْعَفُ (٧) وَقْتُ نَكَسَا (٨)

قال: فَلَمَّا سَحَرْنَا بِآيَاتِهِ (٩)، وَحَسَرْنَا بِيَعْدُ غَايَاتِهِ، مَدَحْنَاهُ حَتَّى اسْتَعْفَى، وَمَنْحَاهُ إِلَى أَنْ اسْتَكْفَى، ثُمَّ شَمَّرَ (١٠) ثِيَابَهُ، وَازْدَفَرَ جِرَابَهُ، وَنَهَضَ يُنْشِدُ:

لِلَّهِ دَرٌّ عَصَابَةٌ (١١)
 فَاقُوا الْأَنَامَ فَضَائِلًا
 حَاوَرْتُهُمْ فَوَجَدْتُ سَحْ
 وَحَلَلْتُ فِيهِمْ سَائِلًا
 أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْكِرَا
 صُدُقُ الْمَقَالِ مَقَاوِلَا
 مَأْثُورَةٌ (١٢) وَفَوَاضِلَا (١٣)
 بَانًا لَدَيْهِمْ بِأَقْلَا
 فَلَقَيْتُ جُودًا سَائِلَا
 مٌ حَيَالِكَاوَا وَأَبِلَا

ثُمَّ خَطَا قَيْدَ رُمَحِينَ، وَعَادَ مُسْتَعِيدًا (١٤) مِنَ الْحَيْنِ، وَقَالَ: يَا عَزَّ مَنْ عَدِمَ الْأَالَ (١٥)، وَكُنَزَ مِنْ سَلْبِ الْمَالِ، إِنَّ الْغَاسِقَ قَدْ وَقَبَ، وَوَجَّهَ

(١) أتى طالبًا للرفق.

(٢) أعن وارفح.

(٣) ظالم.

(٤) مهيج للشر.

(٥) هاج.

(٦) ثبت.

(٧) يساعد.

(٨) قلب.

(٩) بلطفها ودقة مأخذها.

(١٠) رفع.

(١١) جماعة.

(١٢) منقولة ومشهورة.

(١٣) عطايا.

(١٤) ملتجئًا.

(١٥) فقد الأهل.

الْمَحَجَّةَ^(١) قَدْ انْتَقَبَ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ كَنِّي لَيْلٌ دَامِسٌ^(٢)، وَطَرِيقٌ طَامِسٌ،
 فَهَلْ مِنْ مِصْبَاحٍ يُؤْمِنُنِي الْعِثَارَ، وَيُيَسِّنُ لِي الْآثَارَ^(٣)؟ قَالَ: فَلَمَّا جِيءَ
 بِالْمَلْتَمَسِ، وَجَلَّى الْوُجُوهَ ضَوْءَ الْقَبَسِ^(٤)، رَأَيْتُ صَاحِبَ صَيْدِنَا، هُوَ أَبُو
 زَيْدِنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا الَّذِي أُشْرْتُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا نَطَقَ أَصَابَ، وَإِنْ
 اسْتَمَطَرَ^(٥) صَابَ، فَاتْلَعُوا^(٦) نَحْوَهُ الْأَعْنَاقَ، وَأَحْدَقُوا^(٧) بِهِ الْأَحْدَاقَ^(٨)،
 وَسَأَلُوهُ أَنْ يُسَامِرَهُمْ لَيْلَتَهُ، عَلَى أَنْ يَجْبِرُوا عَيْلَتَهُ^(٩)، فَقَالَ: حُبًّا لِمَا أَحْبَبْتُمْ،
 وَرُحْبًا بِكُمْ إِذَا رَحَبْتُمْ، غَيْرَ أَنِّي قَصَدْتُكُمْ وَأَطْفَالِي يَتَضَوَّرُونَ^(١٠) مِنَ الْجُوعِ،
 وَيَدْعُونَ لِي بِوَشْكَ الرَّجُوعِ، وَإِنْ اسْتَرَأْتُونِي^(١١) خَامَرَهُمُ الطَّيْشُ، وَكَمْ
 يَصْنَفُ لَهُمُ الْعَيْشُ، فَدَعَوْنِي لِأَذْهَبَ فَاسُدَّ مَخْمَصَتَهُمْ^(١٢)، وَأُسَيِّغَ غُصَّتَهُمْ،
 ثُمَّ أَنْقَلِبَ إِلَيْكُمْ عَلَى الْأَثَرِ، مُتَأَهِّبًا^(١٣) لِلْسَّمْرِ إِلَى السَّحْرِ، فَقُلْنَا لِأَحَدِ
 الْغُلَمَةِ: اتَّبِعْهُ إِلَى فِتْنَتِهِ، لِيَكُونَ أَسْرَعَ لَفِيَّتِهِ^(١٤)، فَاَنْطَلَقَ مَعَهُ مُضْطَبِنًا جِرَابَهُ،
 وَمُحْتَحِنًا^(١٥) إِيَابَهُ، فَأَبْطَأَ بَطْأً جَاوَزَ حَدَّهُ، ثُمَّ عَادَ الْغُلَامُ وَحَدَّهُ، فَقُلْنَا
 لَهُ: مَا عِنْدَكَ مِنَ الْحَدِيثِ، عَنِ الْخَيْثِ؟ فَقَالَ: أَخَذَ بِي فِي طَرُقٍ مُتَعَبَةٍ،
 وَسَبُلٍ مُتَشَعَّبَةٍ، حَتَّى أَفْضَيْنَا^(١٦) إِلَى دُوَيْرَةِ خَرِبَةٍ، فَقَالَ: هَاهُنَا مُنَاخِي،

(٢) شديد الظلمة.

(١) الطريق.

(٣) هو مواطئ أقدام المارين؛ لأن الآثار في الطريق: ما تؤثره الأرجل فيها.

(٥) سئل.

(٤) لهب النار.

(٧) أحاطوا.

(٦) مدوا.

(٩) فقره.

(٨) العيون.

(١١) استبطوني.

(١٠) يصيحون.

(١٣) متهايا.

(١٢) جوعهم.

(١٥) معجلاً.

(١٤) لرجعته.

(١٦) وصلنا.

ووكراً^(١) أفرأخي^(٢)، ثم استفتح بابهُ، وأختلج^(٣) مني جرأبه، وقال: لعمري لقد خفت عني، واستوجبت الحسنى مني، فهأك^(٤) نصيحة هي من نفائس النصائح، ومغارس^(٥) المصالح، وأنشد:

إذا ما حويت جنى نخلة
وإما سقطت على بيدر
ولا تلبثن^(٦) إذا ما لقطت
ولا توغلن إذا ما سبحت^(٨)
وخاطب بهات^(٩) وجاوب بسوف
ولا تكثرن على صاحب
فلا تقربنها إلى قابل
فحوصل من السنبل الحاصل
فتنشب في كفة الحابل^(٧)
فإن السلامة في الساحل
وبع أجلاً منك بالعاجل
فما مل قط سوى الواصل

ثم قال: اخزنها^(١٠) في تأمورك^(١١)، واقتد به في أمورك، وبادر إلى صحك، في كلاءة^(١٢) ربك، فإذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي، واتل عليهم وصيتي، وقل لهم عني: إن السهر في الخرافات، لمن أعظم الآفات، ولست ألغي احتراسي، ولا أجلب الهوس^(١٣) إلى راسي، قال الراوي: فلما وقفنا على فحوى^(١٤) شعره، واطلعنا على نكره ومكره، تلاومنا على تركه، والاعتذار بإفكه، ثم تفرقنا بوجوه باسرة^(١٥)، وصفقة خاسرة^(١٦).

(٢) أولادي.

(٤) خذ.

(٦) لا تبطي.

(٨) متى عمت.

(١٠) احفظها.

(١٢) بالكسر والمد؛ أي: حراسة وحفظ.

(١٤) حقيقة ومعنى.

(١٦) مغبونة.

(١) بيت.

(٣) جذب ونزع.

(٥) منابت.

(٧) الصائد.

(٩) أعطني.

(١١) قلبك.

(١٣) بفتحين، خفة العقل.

(١٥) متكرهه عابسة.

المقامة السابعة عشرة القَهْقَرِيَّةُ

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَحِظْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ الْبَيْنِ، وَمَطَامِحِ^(١) الْعَيْنِ، فَتِيَّةٌ عَلَيْهِمْ سِيمَا الْحَجَى^(٢)، وَطُلَاوَةٌ نُجُومِ الدُّجَى، وَهُمْ فِي مُمَارَاةٍ مُشْتَدَّةٍ الْهُبُوبِ^(٣)، وَمُبَارَاةٍ مُشْتَطَّةٍ^(٤) الْأُلْهُوبِ، فَهَزَنِي^(٥) لِقَصْدِهِمْ هَوَى الْمُحَاضِرَةِ، وَاسْتِحْلَاءُ جَنَى الْمُنَاطِرَةِ، فَلَمَّا التَّحَقَّتْ بَرَهْطُهُمْ، وَأَنْتَضَمَتْ فِي سَمَطِهِمْ، قَالُوا: أَأَنْتَ مِمَّنْ يُبْلَى فِي الْهَيْجَاءِ، وَيُلْقَى دَلْوُهُ فِي الدَّلَاءِ؟ فَقُلْتُ: بَلِ أَنَا مِنْ نِظَارَةِ الْحَرْبِ^(٦)، لَا مِنْ أَبْنَاءِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، فَأَضْرِبُوا عَنْ حِجَاغِي^(٧)، وَأَفَاضُوا فِي التَّحَاجِي^(٨)، وَكَانَ فِي بَحْبُوحَةِ حَلَقَتِهِمْ، وَإِكْلِيلِ رُفْقَتِهِمْ، شَيْخٌ قَدْ بَرَّتْهُ^(٩) الْهُمُومُ، وَلَوْحَتُهُ السَّمُومُ، حَتَّى عَادَ أَنْحَلٌ، مِنْ قَلَمٍ وَأَفْحَلٌ^(١٠) مِنْ جَلَمٍ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُبْدِي الْعُجَابَ، إِذَا أَجَابَ، وَيُنْسِي سَحْبَانَ، كُلَّمَا أَبَانَ، فَأُعْجِبْتُ بِمَا أَوْتِي مِنَ الْإِصَابَةِ، وَالتَّبْرِيزِ^(١١) عَلَى تِلْكَ الْعِصَابَةِ، وَمَا زَالَ يَفْضَحُ كُلَّ مُعَمِّي، وَيُضْمِي فِي كُلِّ مَرْمَى، إِلَى أَنْ خَلَّتِ الْجِعَابُ، وَنَفَدَ^(١٢) السُّؤَالُ

(١) هي المواضع الحسان التي تطمح فيها العين بالنظر؛ أي: ترتفع إليها.

(٢) علامة العقل. (٣) يعني: شديدة كبيرة الحركة.

(٤) بعيدة. (٥) حركني.

(٦) من ينظر الحرب ولا يحارب.

(٧) جدالي. (٨) الألغاز ومطارحة المسائل.

(٩) أنحلته وأنحفته. (١٠) التقدّم والسبق.

(١٢) فني.

وَالْجَوَابُ، فَلَمَّا رَأَى إِنْفَاضَ الْقَوْمِ، وَاضْطِرَّارَهُمْ إِلَى الصَّوْمِ، عَرَضَ
بِالْمُطَارَحَةِ (١)، وَاسْتَأْذَنَ فِي الْمُفَاتِحَةِ، فَقَالُوا لَهُ: حَبِّدَا، وَمَنْ لَنَا بِذَا؟ فَقَالَ:
أَتَعْرِفُونَ رِسَالَةَ أَرْضِهَا سَمَاوُهَا، وَصُبْحُهَا مَسَاوُهَا؟ نُسِجَتْ عَلَيَّ مِنْوَالَيْنِ (٢)،
وَتَجَلَّتْ فِي لَوْنَيْنِ، وَصَلَّتْ إِلَى جِهَتَيْنِ، وَبَدَّتْ ذَاتَ وَجْهَيْنِ، إِنْ بَزَغَتْ مِنْ
مَشْرِقِهَا، فَنَاهِيكَ بَرَوْنِقِهَا (٣)، وَإِنْ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَيَا لِعَجَبِهَا! قَالَ:
فَكَانَ الْقَوْمَ رُمُوا بِالصَّمَاتِ، أَوْ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْإِنْصَاتِ، فَمَا نَبَسَ (٤)
مِنْهُمْ إِنْسَانٌ، وَلَا فَاهَ لِأَحَدِهِمْ لِسَانٌ، فَحِينَ رَأَاهُمْ بُكْمًا كَالْأَنْعَامِ، وَصُمُوتًا
كَالْأَصْنَامِ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ أَجَلْتُكُمْ أَجَلَ الْعِدَّةِ (٥)، وَأَرْخَيْتُ (٦) لَكُمْ طُولَ
الْمُدَّةِ، ثُمَّ هَنَاهُنَا مَجْمَعُ الشَّمْلِ، وَمَوْقِفُ الْفَصْلِ (٧)، فَإِنْ سَمَحَتْ خَوَاطِرُكُمْ
مَدَحْنَا، وَإِنْ صَلَدَتْ زِنَادُكُمْ قَدَحْنَ، فَقَالُوا لَهُ: وَاللَّهِ مَا لَنَا فِي لُجَّةٍ هَذَا
الْبَحْرِ مَسْبُحًا (٨)، وَلَا فِي سَاحِلِهِ مَسْرَحٌ، فَأَرِحْ أَفْكَارَنَا مِنَ الْكَدِّ، وَهِنِّي
الْعَطِيَّةَ بِالنَّقْدِ، وَاتَّخِذْنَا إِخْوَانًا يَثْبُونُ إِذَا وَثِبْتَ، وَيُثْبِنُونَ (٩) مَتَى اسْتَبْتِ،
فَأَطْرُقَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَا لَكُمْ وَطَاعَةً! فَاسْتَمَلُوا مِنِّي، وَانْقَلَبُوا عَنِّي:
الْإِنْسَانُ صَنِيعَةُ الْإِحْسَانِ، وَرَبُّ الْجَمِيلِ، فِعْلُ النَّدْبِ (١٠)، وَشِيْمَةُ الْحُرِّ،
ذَخِيرَةُ الْحَمْدِ (١١)، وَكَسْبُ الشُّكْرِ، اسْتِثْمَارُ السَّعَادَةِ، وَعُنْوَانُ الْكَرَمِ، تَبَاشِيرُ

(١) المناظرة.

(٢) المنوال: خشية الحائك.

(٣) فكافيك حسنها؛ أي: غاية تنهاك عن طلب غيرها. (٤) نطق وتكلم.

(٥) عِدَّةُ الْمَرْأَةِ إِذَا طَلَّقَهَا زَوْجَهَا أَوْ مَاتَ عَنْهَا. (٦) مدت.

(٧) الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ، أَوْ: الْجَدُّ الَّذِي لَا هَزْلَ مَعَهُ. (٨) مذهب.

(٩) يعطون. (١٠) الرجل الخفيف في الحاجة.

(١١) يعني: أن طبيعة الحرِّ وشيمته أنه لا ينسى المعروف، بل يحمد صاحبه دائماً.

البشر، واستعمال المداراة يُوجب المُصافاة^(١)، وعقد المحبة يقتضي
النصح، وصدق الحديث، حلية اللسان^(٢)، وفصاحة المنطق، سحر
الألباب، وشرك الهوى، آفة النفوس^(٣)، وملل الخلائق، شين^(٤)
الخلائق^(٥)، وسوء الطمع، يبين الورع، والتزام الحزامة، زمام السلامة،
وتطلب المثالب، شر المعاييب، وتتبع العثرات، يدحض المودات، وخلوص
النية، خلاصة العطيّة، وتهنئة النوال، ثمن السؤال، وتكلف الكلف^(٦)
يسهل الخلف^(٧)، وتيقن المعونة يسني المؤونة، وفضل الصدر سعة
الصدر، وزينة الرعاة، مقت السعاة^(٨)، وجزاء المدائح، بث المنائح،
ومهر الوسائل، تشفيع المسائل، ومجلة الغواية^(٩) استغراق الغاية، وتجاوز
الحد يكل^(١٠) الحد، وتعدّي الأدب، يحبط القرب^(١١)، وتناسي الحقوق
ينشئ العقوق، وتحاشي الريب يرفع الرتب^(١٢)، وارتفاع الأخطار، باقتحام
الأخطار وتنوه الأقدار، بمؤاتاة الأقدار، وشرف الأعمال في تقصير الآمال،
إطالة الفكرة، تنقيح الحكمة^(١٣)، ورأس الرئاسة تهدب السياسة^(١٤)، ومع
اللجاجة، تلغى الحاجة، وعند الأوجال^(١٥) تفاضل الرجال، وتفاضل
الهمم، تتفاوت القيم، وبتزويد السفير، يهن التدبير، وبخلل الأحوال^(١٦)،

(٢) أي: زينته.

(١) إخلاص الصُّحبة.

(٤) عيب.

(٣) داؤها ومرضاها المؤدي إلى هلاكها.

(٦) المشاق.

(٥) الخصال والطبائع.

(٨) بغض الساعين في الناس بالنميمة.

(٧) الجزاء.

(١٠) يضعف.

(٩) الجهالة والضلالة.

(١٢) المنازل.

(١١) ما يتقرب به من الأعمال الصالحة.

(١٤) خلوص التدبير والقيام بالأمر.

(١٣) تنقيتها وتهذيبها.

(١٦) عدم استوائها وجريها على سنن واحد.

(١٥) جمع: وجل، وهو: الخوف والفرع.

تَتَبَّنُ الْأَهْوَالُ ^(١)، وبموجب الصَّبرِ، ثمرة النَّصرِ، واستحقاقُ الإحمادِ، بحسبِ الاجتهادِ، ووجوبُ الملاحظة ^(٢) كفاءُ المحافظة، وصفاءُ الموالي، بتعهدِ الموالي، وتحلِّي المروءات بحفظ الأمانات، واختبارُ الإخوان، بتخفيف الأحزان، ودفعُ الأعداء، بكفِّ الأوداء، وامتحانُ العقلاء، بمقارنة الجُهلاء، وتبصرُ العواقبِ، يؤمنُ المعاطب ^(٣)، واتقاءُ الشُّنعة، ينشرُ السُّمعة، وقُبْحُ الجفَاء ^(٤)، ينافي الوفاء، وجوهرُ الأحرار ^(٥)، عند الأسرارِ، ثمَّ قال: هذه مائتا لفظة، تحتوي على أدبٍ وعظمة، فمن ساقها هذا المساق ^(٦)، فلا مرأى ^(٧) ولا شقاق، ومن رام عكسَ قلبها، وأنَّ يردَّها على عقبها ^(٨)، فليقل: الأسرارُ، عند الأحرار، وجوهرُ الوفاء ينافي الجفَاء، وقُبْحُ السُّمعة ينشرُ الشُّنعة، ثمَّ على هذا المسحَب فليسحبها، ولا يرهبها ^(٩)، حتى تكون خاتمة فقرها، وآخره دررها: وربُّ الإحسانِ، صنيعَةُ الإنسانِ.

قال الراوي: فلما صدع برسائته الفريدة، وأملوحتَه ^(١٠) المُفيدة، علمنا كيف يتفاضلُ الإنشاء، وأنَّ الفضلَ بيدِ الله يؤتیه من يشاء، ثمَّ اعتلَقَ كلُّ منا بذيله، فلذَّ له فلذة من نيله، فأبى قبولَ فلذتي، وقال: لست أرزأ ^(١١) تلامذتي، فقلتُ له: كُنْ أبا زيدٍ على شحوبِ سحتك ^(١٢)، ونضوبِ ماءِ

(١) تظهر الشدائد.

(٢) المهالك، يريد: من نظر في عاقبة أمره، أمن مما يحذر.

(٣) سوء الأدب وثقل الكلام.

(٤) حسن سجتهم.

(٥) جدال.

(٦) يخفها.

(٧) آخرها.

(٨) أفعولة من الملاحظة، وهي هنا عبارة عن الكلام المليح الذي يعجب.

(٩) أنقض.

(١٠) نقص لحمك وتغير لونك وهيتك.

وَجَنَّتِكَ، فَقَالَ: أَنَا هُوَ عَلَى نُحُولِي^(١) وَقُحُولِي، وَقَشَفِ مُحُولِي، فَأَخَذْتُ فِي تَثْرِيهِهِ، عَلَى تَشْرِيْقِهِ وَتَغْرِيْبِهِ، فَحَوْلَقَ^(٢) وَاسْتَرْجَعَ^(٣)، ثُمَّ أَنْشَدَ مِنْ قَلْبٍ مَوْجِعٍ:

لِيُرْوَعَنِي وَأَحَدًا غَرِبَهُ
سَلَّ الزَّمَانَ عَلَيَّ عَضْبَهُ^(٤)
هُمُرَاغِمَاءُ وَأَسَالَ غَرِبَهُ
وَاسْتَلَّ^(٥) مِنْ جَفْنِي كَرَا
سَوِي شَرْقَهُ وَأَجُوبُ غَرِبَهُ
وَأَجَالَني^(٦) فِي الْأَفْقِ أَطُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرِبَهُ
فَبِكُلِّ جَوْ طَلَعَهُ
مُتَغَرَّبٌ^(٧) وَنَوَاهُ غَرِبَهُ
وَكَذَا الْمُغَرَّبُ شَخْصَهُ

ثُمَّ وَلَّى يَجْرُ عَطْفِيهِ^(٨)، وَيَخْطُرُ بِيَدِيهِ، وَنَحْنُ بَيْنَ مُتَلَفَّتٍ إِلَيْهِ، وَمُتَهَافَتٍ عَلَيْهِ، ثُمَّ لَمْ نَلْبِثْ أَنْ حَلَلْنَا^(٩) الْحَبِي، وَتَفَرَّقْنَا أَيَادِي سَبَا.



(١) ذهاب لحمي .

(٢) أي قال: لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

(٣) أي: قال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

(٤) سيفه الماضي القاطع .

(٥) انتزع .

(٦) أطفاني .

(٧) متغير أو صائرٌ غريبًا .

(٨) جانبي ثوابه إعراضًا وكبرًا .

(٩) ما أقمنا كثيرًا إلا أن حللنا .

المقامة الثامنة عشرة السُّنْجَارِيَّةُ

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: قفلتُ ذاتَ مرّةٍ مِنَ الشَّامِ، أَنحُو^(١) مَدِينَةَ السَّلَامِ، فِي رَكْبٍ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ، وَرُفْقَةَ أُوْلِي خَيْرٍ وَمَيْرٍ^(٢)، وَمَعَنَا أَبُو زَيْدِ السَّرُوجِيِّ عُقْلَةُ الْعَجَلَانِ^(٣)، وَسَلْوَةُ الثُّكْلَانِ، وَأَعْجُوبَةُ الزَّمَانِ، وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ، فِي الْبِيَانِ، فَصَادَفَ نَزُولُنَا سُنْجَارَ^(٤)، أَنْ أَوْلَمَ بِهَا أَحَدُ التَّجَارِ، فَدَعَا إِلَيَّ مَادُبْتَهُ الْجَفَلَى^(٥)، مِنْ أَهْلِ الْحَضَارَةِ وَالْفَلَا^(٦)، حَتَّى سَرَتِ دَعْوَتُهُ إِلَيَّ الْقَافِلَةَ، وَجَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ، فَلَمَّا أَجَبْنَا مُنَادِيَهُ، وَحَلَلْنَا نَادِيَهُ^(٧)، أَحْضَرَ مِنْ أَطْعَمَةِ الْيَدِ وَالْيَدَيْنِ، مَا حَلَا فِي الْقَمِّ وَحَلِي بِالْعَيْنِ، ثُمَّ قَدَّمَ^(٨) جَامًا كَأَنَّمَا جُمِدَ مِنَ الْهَوَاءِ، أَوْ جُمِعَ مِنَ الْهَبَاءِ، أَوْ صَبِغَ مِنْ نَوْرِ الْفَضَاءِ^(٩)، أَوْ قُشِرَ مِنَ الدَّرَةِ الْبِيضَاءِ، وَقَدْ أَوْدَعَ لَفَائِفَ النَّعِيمِ، وَضَمَّنَ^(١٠) بِالطَّيْبِ الْعَمِيمِ^(١١)، وَسِيقَ إِلَيْهِ شَرِبٌ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَسَفَرَ عَنْ مَرَأَى وَسِيمٍ، وَأَرَجَ نَسِيمٍ، فَلَمَّا اضْطَرَمَّتْ بِمَحْضَرِهِ الشَّهَوَاتُ، وَقَرِمَتْ^(١٢) إِلَى مَخْبِرِهِ اللَّهَوَاتُ، وَشَارَفَ أَنْ تُشَنَّ^(١٣) عَلَى سِرْبِهِ

(١) رجعت من السفر.

(٢) نفقة وصدقة.

(٣) حابس المتعجل.

(٤) مدينة في عراق العجم.

(٥) بفتحها؛ أي: الدعوة العامة وعدم التخصيص، وضدّة: النقرى.

(٦) القفر والبادية.

(٧) مجلسه.

(٨) ظرفًا من زجاج.

(٩) الخلاء.

(١٠) لطنخ.

(١١) التام.

(١٢) القرم أصله: شدة شهوة اللحم، ثم استعمل في مطلق الاشتهاة.

(١٣) وفي رواية بالنون بدل التاء؛ أي: تفرّق أو تفرّق.

الغارات، ويُنَادَى عِنْدَ نَهْيِهِ: يَا لِلثَّارَاتِ! نَشَرَ أَبُو زَيْدٍ كَالْمَجْنُونِ، وَتَبَاعَدَ عَنْهُ تَبَاعُدَ الضَّبِّ (١) مِنَ النَّوْنِ، فَرَاوَدَنَاهُ عَلَى أَنْ يَعُودَ، وَأَلَّا يَكُونَ كَقُدَّارٍ فِي ثَمُودَ، فَقَالَ: وَالَّذِي يُنْشِرُ الْأَمْوَاتَ مِنَ الرَّجَامِ، لَا عُدْتُ دُونَ رَفْعِ الْجَامِ، فَلَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنْ تَأْلُفِهِ، وَإِبْرَارِ حَلْفِهِ، فَأَسْأَلُنَاهُ (٢) وَالْعُقُولُ مَعَهُ سَائِلَةٌ، وَالِدَّمُوعُ عَلَيْهِ سَائِلَةٌ، فَلَمَّا فَاءَ إِلَى مَجْثَمِهِ (٣)، وَخَلَصَ مِنْ مَأْتَمِهِ، سَأَلَنَاهُ لِمَ قَامَ، وَلَايِي مَعْنَى اسْتَرْفَعَ الْجَامَ؟ فَقَالَ: إِنَّ الزَّجَاجَ نَمَّامٌ، وَإِنِّي آلَيْتُ (٤) مُذْ أَعُوامٍ، أَنْ لَا يَضْمَنِي وَنَمُومًا مَقَامٌ، فَقُلْنَا لَهُ: وَمَا سَبَبُ يَمِينِكَ الصَّرِي، وَالْيَتِكَ الْحَرِي (٥)؟ فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ لِي جَارٌ لِسَانُهُ يَتَقَرَّبُ، وَقَلْبُهُ عَقْرَبٌ، وَلَفْظُهُ شَهْدٌ يَنْقَعُ (٦)، وَحَبْوُهُ سَمٌّ مَنْقَعٌ، فَمَلْتُ لِمُجَاوَرَتِهِ، إِلَى مُحَاوَرَتِهِ، وَاغْتَرَرْتُ بِمُكَاشَرَتِهِ (٧)، فِي مَعَاشِرَتِهِ، وَأَسْتَهْوَيْتُنِي خُضْرَةٌ دَمْنَتَهُ، لِمُنَادَمَتِهِ (٨)، وَأَعْرَتْنِي (٩) خُدْعَةٌ سَمَّتَهُ بِمُنَاسَمَتِهِ (١٠)، فَمَا زَجَّتُهُ وَعِنْدِي أَنَّهُ جَارٌ مُكَاسِرٌ، فَبَانَ أَنَّهُ عَقَابٌ كَاسِرٌ، وَأَنْسَتُهُ عَلَى أَنَّهُ حَبٌّ مُؤَانِسٌ، فَظَهَرَ أَنَّهُ حُبَابٌ (١١) مُؤَالِسٌ، وَمَالِحَتُهُ (١٢) وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَ نَقْدِهِ، مِمَّنْ يُفْرَحُ بِفَقْدِهِ، وَعَاقِرَتُهُ وَكَلَمٌ أَدْرُ أَنَّهُ بَعْدَ فَرِهِ، مِمَّنْ يُطْرَبُ لِمَفْرِهِ، وَكَانَتْ عِنْدِي جَارِيَةٌ، لَا يُوْجَدُ لَهَا فِي الْجَمَالِ مُجَارِيَةٌ (١٣)، إِنْ سَفَرْتُ خَجَلَ النَّيْرَانِ (١٤)، وَصَلَيْتِ الْقُلُوبُ

(١) حيوان بري معروف يسكن الأرض التي لا مياه بها. (٢) رفعناه.

(٣) مبركه. (٤) حلفت.

(٥) حلفتك العطشى يريد: الشديدة الأكيدة. (٦) يروي ويظفي العطش.

(٧) المكاشرة: أن يفتر الإنسان أو غيره حتى تبدو ثناياه وما يليهن لضحك أو غضب، والمراد هنا: تبسمه.

(٨) لمصاحبتة.

(٩) حرصتني. (١٠) بمحادثته.

(١١) حية. (١٢) أكلته.

(١٣) مماثلة. (١٤) الشمس والقمر.

بالتيران، وإن بَسَمْتَ أزرْتَ (١) بالجُمان (٢)، وبيعَ المُرْجانُ، بالمجان، وإن رنْتَ (٣) هيَّجتِ البلايلَ، وحققتُ سحرَ بابلَ، وإن نطقْتَ عقلتُ (٤) لُبَّ العاقلِ، واستنزكتِ العُصمَ من المعاقِلِ، وإن قرأتِ شفتِ المفوودَ (٥)، وأحييتِ المؤوودَ (٦)، وخلتها أوتيتُ من مزاميرِ آلِ داودَ، وإن غنتِ ظلَّ معبدَ لها عبداً، وقيلَ: سحْقاً لإسحاقَ ويُعداً! وإن زمرتُ أضحي زنامَ (٧) عندها زنيماً، بعدَ أن كانَ لجيله (٨) زعيماً، وبالإطرابِ زعيماً، وإن رقصتِ أمالتِ العمائمَ عنِ الرؤوسِ، وأنستكِ رقصَ الحَبِّبِ (٩) في الكؤوسِ، فكنتُ أزدرِي (١٠) معه حُمراً النعمِ، وأحلِّي بتملِّيها (١١) جيدَ النعمِ، وأحجبُ مرأها عنِ الشمسِ والقمرِ، وأذودُ ذكراها عنِ شرائعِ (١٢) السَّمْرِ، وأنا مع ذلكَ أليحُ (١٣)، من أن تسري برياًها (١٤) ريحُ، أو يكهنَ (١٥) بها سَطِيحُ، أو ينمَ عليها برقُ مليحُ، فاتفقَ لوشلِ الحظِّ المبخوسِ (١٦)، ونكدِ الطالعِ المنحوسِ، أن أنطقنني بوصفها حمياً المدامِ، عندَ الجارِ النمامِ (١٧)، ثمَّ ثابَ الفهمُ، بعدَ أن صردَ السهمُ، فأحسستُ الخبالَ (١٨) والوبالَ (١٩)، وضيعتُ ما أودعُ (٢٠) ذلكَ الغربالُ، بيدَ أنِّي عاهدتُهُ على عكمِ ما لفظتُهُ، وأنَّ يحفظَ

- (١) هزأت. (٢) جمع جمانة وهي: اللؤلؤة وقيل: حبة تعمل من فضة كاللؤلؤة.
(٣) نظرت. (٤) حبست وأمسكت.
(٥) الذي به وجع الفؤاد. (٦) الذي دُفنَ حياً.
(٧) اسم الذي كان يعزف للمتوكل الموسيقى.
(٨) أهل زمانه. (٩) الزبد الذي يعلو على الخمر.
(١٠) أحتقر. (١١) تمتعي بها.
(١٢) رائقها الطيبة. (١٣) بالضم؛ أشفق وأحاذر.
(١٤) رائقها الطيبة. (١٥) يخبر.
(١٦) المنقوص.
(١٧) الذي ينقل الكلام على وجه الإفساد. (١٨) أراد به: الفساد والنقصان.
(١٩) سوء العاقبة. (٢٠) أوتمن عليه.

السَّرَّ وَلَوْ أَحْفَظْتُهُ، فزَعَمَ أَنَّهُ يَخْزَنُ الْأَسْرَارَ، كَمَا يَخْزَنُ اللَّثِيمُ الدِّينَارَ، وَأَنَّهُ لَا يَهْتِكُ^(١) الْأَسْتَارَ، وَلَوْ عَرَّضَ لِأَنْ يَلِجَ النَّارَ، فَمَا إِنْ غَبَرَ عَلَى ذَلِكَ الزَّمَانَ، إِلَّا يَوْمٌ أَوْ يَوْمَانِ، حَتَّى بَدَأَ إِلَى أَمِيرِ تِلْكَ الْمَدْرَةِ^(٢)، وَوَالِيهَا ذِي الْمَقْدَرَةِ، أَنْ يَقْصِدَ بَابَ قَيْلِهِ، مَجْدِدًا عَرَّضَ خَيْلَهُ^(٣)، وَمُسْتَمْطَرًا عَارِضَ نَيْلِهِ، وَارْتَادَ^(٤) أَنْ تَصْحَبَهُ تُحْفَةٌ تُلَاثِمُ هَوَاهُ، لِيُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُ، وَجَعَلَ يَبْذُلُ الْجَعَائِلَ^(٥) لِرُؤَادِهِ، وَيُسْنِي^(٦) الْمَرَاعِبَ لِمَنْ يُظْفِرُهُ بِمُرَادِهِ، فَاسْفَ ذَلِكَ الْجَارُ الْخِتَارُ^(٧) إِلَى بُذُولِهِ، وَعَصَى فِي أَدْرَاعِ الْعَارِ عَذْلَ عَدُولِهِ، فَآتَى الْوَالِي نَاشِرًا أذُنِيهِ، وَأَبْثَهُ مَا كُنْتُ أُسْرَرْتُهُ إِلَيْهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَنْسِيَابُ^(٨) صَاغِيَتِهِ^(٩) إِلَيَّ، وَانْثِيَالُ^(١٠) حَفْدَتِهِ عَلَيَّ، يَسُومُنِي^(١١) إِيْثَارُهُ بِالذَّرَّةِ الْيَتِيمَةِ، عَلَى أَنْ أَتَحَكَّمَ عَلَيْهِ فِي الْقِيَمَةِ، فَغَشِيَنِي مِنَ الْهَمِّ، مَا غَشِيَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ مِنَ الْيَمِّ، وَلَمْ أَزَلْ أَدَافِعُ عَنْهَا وَلَا يُغْنِي الدَّفَاعُ، وَأَسْتَشْفَعُ إِلَيْهِ وَلَا يُجْدِي^(١٢) الْأَسْتَشْفَاعُ، وَكُلَّمَا رَأَى مِنِّي ازْدِيَادَ الْأَعْتِيَاصِ^(١٣)، وَارْتِيَادَ الْمَنَاصِ، تَجَرَّمَ^(١٤) وَتَضَرَّمَ، وَحَرَّقَ عَلَيَّ الْأُرْمَ، وَنَفْسِي مَعَ ذَلِكَ لَا تَسْمَحُ بِمُفَارَقَةٍ بَدْرِي، وَلَا بَأَنْ أَنْزِعَ قَلْبِي مِنْ صَدْرِي، حَتَّى آلَ الْوَعِيدُ إِيقَاعًا، وَالتَّقْرِيعُ قِرَاعًا، فَقَادَنِي الْإِسْفَاقُ^(١٥) مِنَ الْحَيْنِ^(١٦)، إِلَى أَنْ قَضَيْتُهُ سَوَادَ الْعَيْنِ،

- (١) لا يخرق .
 (٢) القرية والبلد من الأرض .
 (٣) ليعرض عليه ما عنده من الأجناد .
 (٤) طلب .
 (٥) جمع جعالة، وهي: أجرة العامل .
 (٦) يعظم العطاء .
 (٧) الخداع والغدار .
 (٨) انبعاث ودخول .
 (٩) حاشيته ومن يميل إليه .
 (١٠) يطلب مني .
 (١١) ينفع .
 (١٢) الامتناع .
 (١٣) ادعى ذنباً لم أفعله .
 (١٤) بالفتح؛ الهلاك .
 (١٥) الخوف .

بصْفرةِ العَيْنِ، وَكَمْ يَحْظُ الوَاشِي (١) بِغَيْرِ الإِثْمِ والشَّيْنِ (٢)، فَعَاهَدْتُ اللهُ تَعَالَى مُدْ ذَلِكِ العَهْدِ، أَلَا أَحَاضِرَ نَمَاماً مِنْ بَعْدُ، وَالزُّجَاجُ مَخْصُوصٌ بِهَذِهِ الطَّبَاعِ الذَّمِيمَةِ (٣)، وَبِهِ يُضْرَبُ المِثْلُ فِي النَّمِيمَةِ، فَقَدْ جَرَى عَلَيْهِ سَيْلٌ يَمِينِي، وَلِذَلِكَ السَّبَبِ لَمْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِ يَمِينِي:

فَلَا تَعْذِلُونِي بَعْدَمَا قَدْ شَرَحْتُهُ

عَلَى أَنْ حَرَمْتُمْ بِي اقْتِطَافَ (٤) القِطَائِفِ

فَقَدْ بَانَ عُذْرِي (٥) فِي صَنِيعِي وَإِنِّي

سَأَرْتُقُ (٦) فَتَقِي (٧) مِنْ تَلِيدِي وَطَارِفِي

عَلَى أَنْ مَا زَوَّدْتُمْ مِنْ فُكَاهَةِ

الذُّمِّنِ الحُلُوى لَدَى كُلِّ عَارِفٍ

قَالَ الحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَقَبِلْنَا اعْتِدَارَهُ، وَقَبِلْنَا عِدَارَهُ (٨)، وَقُلْنَا لَهُ: قَدْ مَا وَقَدَّتِ النَّمِيمَةُ خَيْرَ البَشَرِ، حَتَّى انْتَشَرَ عَنْ حَمَالَةِ الحِطْبِ مَا انْتَشَرَ، ثُمَّ سَأَلْنَاهُ عَمَّا أَحْدَثَ جَارُهُ القِتَاتُ (٩)، وَدَخَلَهُ المِفْتَاتُ (١٠)، بَعْدَ أَنْ رَاشَ لَهُ نَبْلَ السَّعَايَةِ (١١)، وَجَدَمَ حَبْلَ الرِّعَايَةِ (١٢).

فَقَالَ: أَخَذَ فِي الاسْتِخْذَاءِ (١٣) وَالاسْتِكَانَةِ، وَالاسْتِشْفَاعِ إِلَيَّ بِذَوِي

(١) النَّمَامُ: الَّذِي يَسْعَى بِالنَّاسِ إِلَى الوَالِي وَغَيْرِهِ.

(٢) العَيْبُ. (٣) الَّتِي يَذْمُهَا كُلُّ مَنْ سَمِعَ بِهَا.

(٤) اجْتِنَاءٌ، وَمُرَادُهُ بِهِ: الأَكْلُ.

(٥) سَأَصْلِحُ وَأَسُدُّ.

(٦) لَثَمْنَا شَعْرَ خَدِهِ.

(٧) الحَرْقِيُّ وَخَلَلِي.

(٨) لَثَمْنَا شَعْرَ خَدِهِ.

(٩) النَّمَامُ.

(١٠) المِتْعَدِيُّ الَّذِي يَعْمَلُ بِرَأْيِ نَفْسِهِ.

(١١) المِشْيُ بِالنَّمِيمَةِ.

(١٢) حَفِظَ الصَّدَاقَةَ.

(١٣) الخِضُوعُ.

المكانة، وكنْتُ حَرَجْتُ عَلَى نَفْسِي، أَنْ لَا يَسْتَرْجِعَهُ أُنْسِي، أَوْ يَرْجِعَ إِلَيَّ أُنْسِي، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنِّي سِوَى الرَّدِّ، وَالْإِصْرَارِ عَلَى الصَّدِّ، وَهُوَ لَا يَكْتَتِبُ مِنَ النَّجْهِ (١)، وَلَا يَتَّبِعُ مِنْ وَقَاحَةِ الْوَجْهِ، بَلْ يُلِطُّ بِالْوَسَائِلِ، وَيُلْحَقُ فِي الْمَسَائِلِ، فَمَا أَنْقَذَنِي مِنْ إِبْرَامِهِ، وَلَا أَبْعَدَ عَلَيْهِ نَيْلَ مَرَامِهِ (٢)، إِلَّا آيَاتٌ نَفَثَ بِهَا الصَّدْرُ الْمُتَوَرُّ، وَالْخَاطِرُ الْمُتَبَوِّرُ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مَدْحَرَةً (٣) لِشَيْطَانِهِ، وَمَسْجَنَةً لَهُ فِي أَوْطَانِهِ، وَعِنْدَ انْتِشَارِهَا بَتَّ طَلَاقِ الْحُبُورِ، وَدَعَا بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ (٤)، وَيَسَّ مِنْ نَشْرِ وَصَلِي الْمَقْبُورِ، كَمَ يَسَّ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ، فَنَاشِدُنَاهُ أَنْ يُنْشِدَنَا إِيَّاهَا، وَيُنْشِقْنَا رِيَّاهَا.

فَقَالَ: أَجَلٌ، خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ، ثُمَّ أَنْشَدَا لَا يَزُوِيهِ (٥) حَجَلٌ، وَلَا يَثْنِيهِ وَجَلٌ:

وَنَدِيمٍ مَحَضَّتُهُ (٦) صَدَقَ وَدِّي
 ثُمَّ أَوْلَيْتُهُ قَطِيعَةً قَالَ
 خَلْتُهُ قَبْلَ أَنْ يَجْرَبَ الْإِفَاءَ (٧)
 وَتَخَيَّرْتُهُ كَلِيمًا فَأَمْسَى
 وَتَظَنَّنِيْتُهُ مُعِينًا رَحِيمًا
 وَتَرَاءَيْتُهُ مُرِيدًا فَجَلَّى
 وَتَوَسَّمْتُ أَنْ يَهْبَ نَسِيمًا
 بَتُّ مِنْ لَسْعِهِ الَّذِي أَعْجَزَ الرَّأَّ

إِذْ تَوَهَّمْتُهُ صَدِيقًا حَمِيمًا
 حِينَ أَلْفَيْتُهُ صَدِيدًا حَمِيمًا
 ذَا ذِمَامٍ فَبَانَ (٨) جَلْفًا ذَمِيمًا
 مِنْهُ قَلْبِي بِمَا جَنَاهُ كَلِيمًا
 فَتَبَيَّنْتُهُ لَعِينًا رَجِيمًا
 عَنْهُ سَبَكِي (٩) لَهُ مَرِيدًا لَثِيمًا (١٠)
 فَأَبَى أَنْ يَهْبَ إِلَّا سَمُومًا (١١)
 قِي (١٢) سَلِيمًا وَبَاتَ مِنِّي سَلِيمًا

(١) الرَّدُّ والرَّدْعُ.

(٢) بلوغ مقصوده.

(٣) مبعده.

(٤) الهلاك.

(٥) لا يصرفه ولا يمنعه.

(٦) أخلصته.

(٧) محبًا بالفني ويبغي رضاي.

(٨) جافيا.

(٩) اختباري.

(١١) ريحًا حارة.

(١٢) الطيب.

(١٠) خسيس القدر وضعي الهمة.

وَبَدَا نَهَجُهُ غَدَاةً افْتَرَقْنَا مُسْتَقِيمًا وَالْجِسْمُ مِنِّي سَقِيمَا
 لَمْ يَكُنْ رَائِعًا خَصِيْبًا وَلَكِنْ كَانَ بِالشَّرِّ رَائِعًا لِي خَصِيمَا
 قُلْتُ لَمَّا بَلَوتُهُ (١) لَيْتَهُ كَا نَ عَدِيمًا وَلَمْ يَكُنْ لِي نَدِيمًا (٢)
 بَغْضَ الصَّبْحِ حِينَ نَمَّ إِلَى قَلَدٍ سَبِي لِأَنَّ الصَّبْحَ يُلْفَى (٣) نَمُومَا
 وَدَعَانِي إِلَى هَوَى اللَّيْلِ إِذْ كَا نَ سَوَادُ الدُّجَى رَقِيْبًا (٤) كَتُومَا
 وَكَفَى مَنْ يَشِي وَلَوْ فَاهَ (٥) بِالصَّدِّ قِ أَثَامًا فِيمَا أَتَاهُ وَلُومَا

قال: فَلَمَّا سَمِعَ رَبُّ الْبَيْتِ قَرِيضَهُ وَسَجْعَهُ، وَاسْتَمْلَحَ تَقْرِيطَهُ (٦) وَسَبْعَهُ، بَوَّأَهُ مِهَادَ كَرَامَتِهِ، وَصَدَّرَهُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ، ثُمَّ اسْتَحْضَرَ عَشْرَ صِحَافٍ مِنَ الْغَرْبِ، فِيهَا حَلْوَاءُ الْقَنْدِ وَالضَّرْبُ (٧).

وقال له: لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ، وَلَا يَسَعُ أَنْ يُجْعَلَ الْبَرِيءُ كَذِي الظَّنَّةِ (٨)، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَنْزَلُ مَنْزِلَةَ الْأَبْرَارِ، فِي صَوْنِ الْأَسْرَارِ، فَلَا تَوَلَّهَا الْإِبْعَادَ، وَلَا تُلْحِقُ هُودًا بِعَادَ، ثُمَّ أَمَرَ خَادِمَهُ بِنَقْلِهَا إِلَى مَثْوَاهُ (٩)، لِيَحْكُمَ فِيهَا بِمَا يَهْوَاهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا أَبُو زَيْدٍ، وَقَالَ: اقْرؤُوا سُورَةَ الْفَتْحِ، وَأَبْشِرُوا بِأَنْدِمَالِ الْقَرْحِ، فَقَدْ جَبَرَ اللَّهُ تُكْلَكُمْ (١٠)، وَسَنَى (١١) أَكْلَكُمْ، وَجَمَعَ فِي ظِلِّ الْحَلْوَاءِ شَمْلَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَكَمَا هُمْ بِالْأَنْصِرَافِ، مَالٌ إِلَى اسْتِهْدَاءِ الصَّحَافِ.

(٢) مجالسًا.

(٤) حافظًا.

(١) جريته.

(٣) يوجد.

(٥) نطق.

(٦) مدحه، وأصله: مدح الإنسان حيًا كما أن التأيين مدحه ميتًا.

(٨) التهمة.

(٧) العسل الأبيض.

(١١) سهل.

(١٠) فقدكم وحرزكم.

(٩) منزله ومستقره.

فَقَالَ لِلأَدَبِ: إِنَّ مِنْ دَلَائِلِ الظَّرْفِ، سَمَاحَةَ المُهْدِي بِالظَّرْفِ، فَقَالَ:
 كِلَاهُمَا لَكَ وَالعِلَامُ، فَاحْذِفِ الكَلَامَ، وَانْهَضْ بِسَلَامٍ، فَوُتِبَ فِي الجَوَابِ،
 وَشَكَرَهُ شُكْرَ الرُّوضِ لِلسَّحَابِ، ثُمَّ اقْتَادَنَا أَبُو زَيْدٍ إِلَى حِوَاثِهِ^(١)، وَحَكَمْنَا
 فِي حَلْوَاتِهِ، وَجَعَلَ يَقْلِبُ الأَوَانِي بِيَدِهِ، وَيَفُضُّ عِدَدَهَا عَلَى عِدَدِهِ^(٢)، ثُمَّ
 قَالَ: لَسْتُ أُدْرِي أَأَشْكُو ذَلِكَ النَّمَامَ أَمْ أَشْكُرُ، وَاتَّنَاسَى فَعَلَّتُهُ الَّتِي فَعَلَهَا أُمُّ
 أَذْكَرُ؟ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَسْلَفَ^(٣) الجَرِيمَةَ، وَنَمَنَمَ النَّمِيمَةَ^(٤)، فَمِنْ غِيَمِهِ
 انْهَلَتْ هَذِهِ الدَّيْمَةُ^(٥)، وَبِسَيْفِهِ انْحَازَتْ هَذِهِ الغَنِيمَةُ، وَقَدْ خَطَرَ بِيَالِي، أَنْ
 أَرْجِعَ إِلَى أَشْبَالِي^(٦)، وَأَقْنَعُ بِمَا تَسْنَى لِي، وَأَلَّا أَتَعِبَ نَفْسِي وَلَا أَجْمَالِي،
 وَأَنَا أودِّعُكُمْ وَدَاعَ مُحَافِظِ، وَأَسْتودِعُكُمْ خَيْرَ حَافِظٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
 رَاحِلَتِهِ، رَاجِعاً فِي حَافِرَتِهِ^(٧)، وَلَاوِيأً إِلَى زَافِرَتِهِ^(٨)، فَغَادَرْنَا بَعْدَ أَنْ
 وَخَدَتْ عُنُسُهُ^(٩)، وَزَايَلْنَا أُنْسَهُ، كَدَسَتْ غَابَ صَدْرَهُ، أَوْ لَيْلٍ أَفْلَ بَدْرَهُ.



(١) بالكسر؛ بيته الذي يحويه.

(٢) يفرق عدد الآنية على عدد أصحابه.

(٣) قدم.

(٤) نقش وحسن.

(٥) المطر يدوم أياماً.

(٦) أولادي.

(٧) الطريق التي جاء منها.

(٨) جماعته وعشيرته.

(٩) ناقته الصلبة.

المقامة التاسعة عشرة النصيبية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: أَمَحَلَّ (١) الْعِرَاقُ ذَاتَ الْعُوَيْمِ، لِإِخْلَافِ
 أَنْوَاءِ الْعَيْمِ، وَتَحَدَّثَ الرُّكْبَانُ بِرَيْفِ نَصِيبِينَ، وَبُلْهَنِيَّةِ (٢) أَهْلِهَا الْمُخْصِبِينَ،
 فَاقْتَعَدْتُ مَهْرِيًّا، وَاعْتَقَلْتُ سَمَهْرِيًّا (٣)، وَسَرْتُ تَلْفِظُنِي أَرْضٌ إِلَى أَرْضٍ،
 وَيَجْذِبُنِي رَفْعٌ مِنْ خَفْضٍ، حَتَّى بَلَغْتُهَا نَقْضًا عَلَى نَقْضٍ (٤)، فَلَمَّا أَنْخْتُ
 بِمَغْنَاهَا (٥) الْخَصِيبِ، وَضَرَبْتُ فِي مَرَعَاهَا بِنَصِيبِ، نَوَيْتُ أَنْ أُلْقِيَ بِهَا
 جِرَانِي، وَأَتَّخِذَ أَهْلَهَا جِرَانِي، إِلَى أَنْ تَحْيَا السَّنَةَ الْجَمَادُ (٦)، وَتَتَعَهَّدُ أَرْضَ
 قَوْمِي الْعِهَادُ (٧)، فَوَاللَّهِ مَا تَمْضَمُّضْتُ مُقْلَتِي بِنَوْمِهَا، وَلَا تَمَخَّضْتُ لَيْلَتِي
 عَنْ يَوْمِهَا، دُونَ أَنْ أَلْفَيْتُ أَبَا زَيْدَ السَّرُوجِيِّ (٨) يَجُولُ فِي أَرْجَاءِ نَصِيبِينَ،
 وَيَخْبِطُ (٩) بِهَا خَبْطَ الْمُصَابِينِ (١٠) وَالْمُصِيبِينَ (١١)، وَهُوَ يَنْثُرُ مِنْ فِيهِ الدَّرَرَ،
 وَيَحْتَلِبُ بِكَفْيِهِ الدَّرَرَ، فَوَجَدْتُ بِهَا جِهَادِي (١٢) قَدْ حَازَ مَغْنَمًا، وَقَدَحِي الْفَدَّ

(١) أجذب. (٢) رغد العيش والرشاء والسعة.

(٣) وضعته بين ساقِي وركابِي. والسّمهريُّ: الرمح الصّلب، أو: هو نسبة إلى سمهر زوج رُديّة
 وكانا مثقفين للرماح.

(٤) النقص - بالكسر - المهزول من السير؛ أي: أنا مهزول وجملي كذلك.

(٥) منزلها.

(٦) التي لا مطر فيها، وكُنِي بإحيائها عن زوال القحط والجذب.

(٧) المطر المتكرّر الذي يتعهد الأرض المرّة بعد المرّة. (٨) يتردد.

(٩) يمشي على غير هداية. (١٠) المجازين.

(١١) الواجدين لما يطلبون. (١٢) مشقتي وتعبِي.

قَدْ صَارَ تَوَامًا، وَلَمْ أَزَلْ أَتَّبِعُ ظِلَّهُ أَيِنَمَا انْبَعَثَ، وَأَلْتَقِطُ لَفْظُهُ كَلِمًا نَفَثَ،
إِلَى أَنْ عَرَاهُ مَرَضٌ أَمْتَدَّ (١) مَدَاهُ، وَعَرَقَتْهُ مَدَاهُ، حَتَّى كَادَ يَسْلُبُهُ ثَوْبَ
الْمَحْيَا، وَيَسْلُمُهُ إِلَى أَبِي يَحْيَى (٢)، فَوَجَدْتُ لَفَوْتَ لُقْيَاهُ، وَانْقِطَاعِ سُقْيَاهُ،
مَا يَجِدُهُ الْمُبْعَدُ عَنْ مَرَامِهِ، وَالْمُرْضِعُ (٣) عِنْدَ فِطَامِهِ، ثُمَّ أَرْجَفَ بِأَنْ رَهْنَهُ
قَدْ غَلِقَ، وَمِخْلَبَ (٤) الْحَمَامِ بِهِ قَدْ عَلِقَ، فَفَلِقَ صَحْبَهُ لِأَرْجَافِ
الْمُرْجِفِينَ (٥)، وَانْتَالُوا إِلَى عَقْوَتِهِ مُوجِفِينَ (٦) :

حَيَارِي يَمِيدُ بِهِمْ شَجْوَهُمْ (٧)
كَأَنَّهُمْ ارْتَضَعُوا الْخُنْدَرِيْسَا
أَسَالُوا الْغُرُوبَ وَعَطَّوْا الْجُيُوبَ
وَصَكَّوْا الْخُدُودَ وَشَجَّوْا الرُّوْسَا
يُودُونَ لَوْ سَأَلْتَهُ الْمَنُونَ
وَوَالَتْ (٨) نَفَائِسَهُمُ وَالنَّفُوسَا

قَالَ الرَّأوِي: وَكُنْتُ فِي مَنِ التَّفَّ بِأَصْحَابِهِ، وَأَغَذَّ إِلَى بَابِهِ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا
إِلَى فَنَائِهِ، وَتَصَدَّيْنَا لِاسْتِنْشَاءِ (٩) أَنْبَائِهِ، بَرَزَ إِلَيْنَا فَتَاهُ، مُفْتَرَّةً (١٠) شَفْتَاهُ،
فَاسْتَطَلَّعْنَاهُ طَلَعَ الشَّيْخِ (١١) فِي شِكَاةِ (١٢)، وَكُنْهَ (١٣) قُوَى حَرَكَاتِهِ، فَقَالَ:
قَدْ كَانَ فِي قَبْضَةِ الْمُرْضَةِ، وَعَرَكَةِ الْوَعَكَةِ، إِلَى أَنْ شَفَّهُ (١٤) الدَّنْفُ (١٥)،
وَاسْتَشَفَّهُ التَّلْفُ، ثُمَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِتَقْوِيَةِ ذِمَّاتِهِ، فَأَفَاقَ مِنْ إِغْمَائِهِ،
فَارْجَعُوا أَدْرَاجَكُمْ (١٦)، وَانْضُوا انْزِعَاجَكُمْ، فَكَأَنَّ قَدْ غَدَا وَرَاحَ، وَسَاقَاكُمْ

(١) طال زمنه ولم يشف. (٢) كنية الموت، أو ملك الموت. (٣) الرضيع.

(٤) واحد المخالب، وأصلها للسباع، استعيرت للحمام.

(٥) لغوض الخائضين وإذاعتهم الأخبار الكاذبة. (٦) مسرعين.

(٧) حزنهم. (٨) أهلكت.

(٩) لاستعلام أخباره. (١٠) مبتسمة.

(١١) حقيقة أمره وحاله. (١٢) في مرضه.

(١٣) كنه الشيء: حقيقته وغاية منتهاه.

(١٤) أضناه وأوجعه وأضره. (١٥) المرض. (١٦) في أدراجكم، والدرج: الطريق؛ أي: ارجعوا من حيث أتيتم.

الرَّاحَ، فَأَعْظَمْنَا بُشْرَاهُ^(١)، واقترَحْنَا أَنْ نَرَاهُ، فدخلَ مؤذناً^(٢) بنا، ثُمَّ خرَجَ
أذنًا لنا، فلَقِينَا مِنْهُ لَقَى، ولسانًا طلقًا، وجلسنا مُحدِّقين بسريره، محدِّقين
إلى أساريره^(٣)، فقلَّبَ طرفه في الجماعة، ثُمَّ قَالَ: اجتلوها بنت السَّاعةِ،
وأنشد:

عافاني الله وشكرًا له من علة كادت تُعقِّيني
ومن بالبُراء^(٤) على أنه لا بدَّ من حُتف^(٥) سيبريني^(٦)
ما يتناساني ولكنَّه إلى تقضي الأكل ينسيني
إنَّ حمَّ لم يُغن^(٧) حميمٌ ولا حمى كليب منه يحميني
وما أبالي أدنا يومه أم أحر الحين^(٨) إلى حين
فأيُّ فخرٍ في حياةٍ أرى فيها البلاءِ ثمَّ تبليني^(٩)

قَالَ: فدَعَوْنَا لَهُ بِامتدادِ الأجلِ، وارتدادِ الوجَلِ^(١٠)، ثُمَّ تداعينا إلى
القيامِ، لا تقاءِ الإبرامِ، فقَالَ: كلاً بلِ البثوا بياضَ يومِكُم عندي، لتشفوا
بالمفاكهةِ وجدي، فإنَّ مُناجاتكم قوتُ نفسي، ومغناطيسُ أنسي، فتحرِّينا
مرضاته، وتحامينا^(١١) معاصاته^(١٢)، وأقبلنا على الحديثِ نمخضُ
زُبده^(١٣)، ونُلغي زبده، إلى أن حَانَ وقتُ المَقِيلِ^(١٤)، وكَلَّتِ الألسُنُ من

(١) استعظمتناها.

(٢) إلى غضون جبهته؛ أي: خطوطها.

(٣) بالشفاء.

(٤) الحُتف: الموت والهلاك.

(٥) يهلكني ويذهب لحمي.

(٦) لم يَنفَع.

(٧) بفتح الحاء؛ الهلاك.

(٨) تُخلقني.

(٩) زوال الخوف والفرع.

(١٠) جانبتنا.

(١١) عصيانه.

(١٢) نترك رديته.

(١٣) القيلولة: وهي النَّومُ وقت الظُّهر.

(١٤) القيلولة: وهي النَّومُ وقت الظُّهر.

الْقَالَ وَالْقِيلِ، وَكَانَ يَوْمًا حَامِيَّ الْوَدِيقَةِ^(١)، يَانِعَ الْحَدِيقَةَ، فَقَالَ: إِنَّ النَّعَاسَ قَدْ أَمَالَ الْأَعْنَاقَ، وَرَاوَدَ الْأَمَاقَ^(٢)، وَهُوَ خَصْمٌ أَلْدُ، وَخَطِبٌ^(٣) لَا يُرَدُّ، فَصَلُّوا حَبْلَهُ بِالْقَيْلُولَةِ، وَاقْتَدُوا فِيهِ بِالْآثَارِ الْمُنْقُولَةِ.

قَالَ الرَّأوِي: فَاتَّبَعْنَا مَا قَالَ، وَقَلْنَا وَقَالَ، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى الْأَذَانِ، وَأَفْرَعُ السَّنَةِ فِي الْأَجْفَانِ، حَتَّى خَرَجْنَا مِنْ حُكْمِ الْوَجُودِ، وَصُرِفْنَا بِالْهُجُودِ^(٤)، عَنِ السُّجُودِ، فَمَا اسْتَيْقَظْنَا إِلَّا وَالْحَرُّ قَدْ بَاخَ^(٥)، وَالْيَوْمُ قَدْ شَاخَ^(٦)، فَتَكَرَّرْنَا لَصَلَاةِ الْعَجْمَاوَيْنِ^(٧)، وَأَدِينَا مَا حَلَّ مِنَ الدِّينِ، ثُمَّ تَحَحُّثْنَا^(٨) لِلرَّاحِ، إِلَى مُلْقَى الرَّحَالِ، فَالْتَفَتَ أَبُو زَيْدٍ إِلَيَّ شِبْلَهُ، وَكَانَ عَلَيَّ شَاكِلَتَهُ وَشَكْلَهُ، وَقَالَ: إِنِّي لِإِخَالٍ أَبَا عَمْرَةَ، قَدْ أَضْرَمَ فِي أَحْشَائِهِمُ الْجَمْرَةَ، فَاسْتَدْعِ أَبَا جَامِعٍ، فَإِنَّهُ بَشْرَى كُلِّ جَائِعٍ، وَأَرْدَفُهُ^(٩) بِأَبِي نُعَيْمٍ، الصَّابِرِ عَلَيَّ كُلِّ ضَيْمٍ، ثُمَّ عَزَّزْ^(١٠) بِأَبِي حَيْبِ، الْمُحِبِّ إِلَيَّ كُلِّ لَيْبٍ، الْمُقَلَّبِ بَيْنَ إِحْرَاقٍ وَتَعْذِيبٍ، وَأَهْبُ بِأَبِي ثَقِيفٍ، فَحَبْدًا هُوَ مِنْ أَلِيفٍ، وَهَلْمُ^(١١) بِأَبِي عَوْنٍ، فَمَا مِثْلُهُ مِنْ عَوْنٍ، وَلَوْ اسْتَحَضَرْتَ أَبَا جَمِيلٍ، لَجَمَلَ أَيَّ تَجْمِيلٍ، وَحَيَّ هَلَّ بِأَمِّ الْقَرَى، الْمَذْكُورَةَ بِكِسْرَى، وَلَا تَتَنَاسَ أُمَّ جَابِرٍ^(١٢)، فَكَمْ لَهَا مِنْ ذَاكِرٍ، وَنَادِ أُمَّ الْفَرَجِ، ثُمَّ افْتِكْ بِهَا وَلَا حَرَجَ، وَاخْتَمِ بِأَبِي رَزِينٍ^(١٣)، فَهُوَ مَسْلَاةٌ^(١٤) كُلِّ حَزِينٍ، وَإِنْ تَقَرَّنْ بِهِ أَبَا الْعَلَاءِ،

(١) الوديقة: شدة حرّ الهاجرة.

(٣) بكسر الخاء؛ الذي يخطب المرأة.

(٥) فتر وسكن.

(٧) هما الظهر والعصر.

(٩) اتبعه.

(١١) أي: أقبل.

(١٣) هو الخبيص.

(٢) جمع ماق، وهو: جانب العين.

(٤) بالنوم.

(٦) قارب الانتهاء.

(٨) تهيأنا.

(١٠) أي: قوّ.

(١٢) الهريسة.

(١٤) سبب السلو وهو: زوال الغم.

تَحُ اسْمَكَ مِنَ الْبُخْلَاءِ، وَإِيَّاكَ وَاسْتَدْنَاءَ الْمُرْجَفِينَ، قَبْلَ اسْتِقْلَالِ حُمُولِ
الْبَيْنِ، وَإِذَا نَزَعَ الْقَوْمُ عَنِ الْمَرَّاسِ^(١)، وَصَافِحُوا أَبَا إِيَّاسٍ، فَاطْفَ عَلَيْهِمْ
أَبَا السَّرْوِ^(٢)، فَإِنَّهُ عُنْوَانُ السَّرْوِ^(٣).

قَالَ: فَفَقَّهَ ابْنُهُ لَطَائِفَ رُمُوزِهِ^(٤)، بِلَطَافَةِ تَمْيِيزِهِ، فَطَافَ عَلَيْنَا بِالطَّيِّبَاتِ
وَالطَّيِّبِ، إِلَى أَنْ آذَنْتَ الشَّمْسُ بِالْمَغِيبِ، فَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلَى التَّوْدِيعِ، قُلْنَا
لَهُ: أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ الْبَدِيعِ؟ كَيْفَ بَدَأَ صُبْحُهُ^(٥) فَمَطَّرِيْرًا، وَمَسِيَهُ
مُسْتَتِيرًا؟ فَسَجَدَ حَتَّى أَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ:

لَا تَيْأَسَنَّ عِنْدَ النُّوبِ مِنْ فَرْجَةِ تَجْلُو الْكُرْبِ^(٦)
فَلَكُمْ سَمُومٌ^(٧) هَبَّ ثُمَّ جَرَى نَسِيمًا^(٨) وَانْقَلَبَ
وَسَحَابَ مَكْرُوهِ تَنْشُ شَا^(٩) فَاضْمَحَلَّ^(١٠) وَمَا سَكَبَ
وَدُخَانَ خَطْبِ خَيْفٍ مِنْ هُ فَمَا اسْتَبَانَ لَهُ لَهَبُ
وَلَطَالَمَا طَلَعَ الْأَسَى وَعَلَى تَفِيئَتِهِ غَرَبَ^(١١)
فَاصْبِرْ إِذَا مَا نَابَ رَوْ عٌ فَالزَّمَانُ أَبُو الْعَجَبِ^(١٢)
وَتَرَجَّ مِنْ رَوْحِ الْإِلْد هُ لَطَائِفًا لَا تُحْتَسَبُ

قال: فاستملينا منه أبياته الغر، ووالينا لله تعالى الشكر، وودعناه
مسرورين ببرئه، مغمورين ببره.



(١) شدة المعالجة، يريد: إذا كفوا عن تناول الطعام.

(٢) البخور.

(٣) علامة السخاء والكرم.

(٤) وقت انجاء الظلمة.

(٥) تكشف الغموم الشديدة.

(٦) إشاراته.

(٧) ريحا باردة طيبة.

(٨) ارتفع.

(٩) ريح حارة.

(١٠) تتولد فيه العجائب.

(١١) غاب.

(١٢) تلاشى وتفرق.

تَفْسِيرُ أَلْفَاظٍ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْمَقَامَةُ مِنْ كَلِمَاتٍ لُغَوِيَّةٍ وَكُنَى طُفِيلِيَّةٍ وَكِنَايَاتٍ صُوفِيَّةٍ

قَوْلُهُ: (ذَاتَ الْعُؤِيمِ) يعني به الزمان المتقدم، ومثله ذات الزمين
و(السَّمْهَرِيَّة) الرماح وفي تسميتها بذلك قولان:

أحدهما: أنها سميت لصلابتها من قولهم اسمهر الشيء إذا اشتد وقيل
أنها منسوبة إلى سمهر زوج ردينة وكانا جميعاً يقومان الرماح بسوق هجر
فنسبت إليهما .

وقَوْلُهُ: (نِقْضًا عَلَى نِقْضٍ) أي مهزولاً على مهزول، و(الجِرَّان) باطن
العنق وقيل منه تعمل السياط .

وقَوْلُهُ: (فَضْرَبَ اللَّهُ عَلَى الْأَذَانِ) أي: أنامنا، ومنه قوله عز وجل:
﴿ فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ ﴾ [الكهف: ١١] أي نيمناهم، وقيل في تفسيره
منعناهم السمع .

وقَوْلُهُ: (فَتَكَرَّرْنَا لَصَلَاةِ الْعَجْمَاوِينَ)؛ أي غسلنا أكارعنا وهو كناية عن
الوضوء، والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لإسرار القراءة
فيهما، وقَوْلُهُ: (هَلْمُمْ) أي قل: هلمّ وهي تأتي بمعنى هات وبمعنى أقبل
والأفصح أن يوحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن
في قوله تعالى: ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْمُوا إِلَيْنَا ﴾ [الأحزاب: ١٨]، ومن العرب من
يقول للمذكر الواحد: هلمّ وللثنين هلمّا وللجميع هلمّوا، والمؤنث الواحدة
هلمي وللثنين هلمّا وللجمع هلممن . وقوله: (حي هل) أي عجل وأسرع

يقال حيّ هل بفلان بتسكين اللام وفتحها وتنوينها وبإثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود في عمر رضي الله عنه إذا ذكر الصالحون فحيّ هلاً بعمر، وفي (حيّ هل) لغات آخر أضربنا عن ذكرها إذ ليس هَذَا موضع استيفاء شرحها، فهَذَا تفسير الألفاظ اللغوية، وأما تفسير الكنى الطفيلية والكنيات الصوفية (فأبو يحيى) كنية الموت و(أبو عمرة) كنية الجوع، ويكنى أيضاً أباً مالك و(أبو جامع) الخوان و(أبو نعيم) الخبز الحواري و(أبو حبيب) الجدي و(أبو ثقيف) الخُل و(أبو عون) المُلح و(أبو جميل) البقل و(أم القرى) السكباج و(أم جابر) الأهريسة و(أم الفرج) الجوذات و(أبو رزين) الخبيص و(أبو العلاء) الفالوذق (كذا في الأصل) و(أبو إياس) الغسول و(المرجفان) الطست والإبريق و(أبو السرو) البخور.



المقامة العشرون الفارقة

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: يَمْتُ (١) مياْفارقين، مع رُفقةٍ موافقين،
لا يُمارون (٢) في المُنْجاة، ولا يدرّون ما طعمُ المُدْجاة (٣)، فكُنْتُ بِهِمْ
كَمَنْ لَمْ يَرِمْ عَنْ وَجَارِهِ، وَلَا ظَعْنَ (٤) عَنْ أَلْفِهِ وَجَارِهِ، فَلَمَّا أَنْخْنَا بِهَا مَطَايَا
التَّسْيَارِ، وَانْتَقَلْنَا عَنِ الْكُورِ، إِلَى الْأُوكَارِ (٥)، تَوَاصَيْنَا بِتَذْكَارِ الصُّحْبَةِ،
وَتَنَاهَيْنَا (٦) عَنِ التَّقَاطُعِ فِي الْغُرْبَةِ، وَاتَّخَذْنَا نَادِيًا نَعْتَمِرُهُ (٧) طَرْفِي النَّهَارِ،
وَنْتَهَادِي فِيهِ طُرْفَ الْأَخْبَارِ (٨)، فَبَيْنَمَا نَحْنُ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، وَقَدْ انْتَضَمْنَا
فِي سَلِكِ الْإِلْتِمَامِ، وَقَفَ عَلَيْنَا ذُو مِقْوَلٍ (٩) جَرِيٍّ، وَجَرَسِ جَهْوَرِيٍّ (١٠)،
فَحِيًّا تَحِيَّةً نَفَّاثٌ فِي الْعُقْدِ، فَنَاصِ (١١) لِلْأَسَدِ، وَالنَّقْدِ، ثُمَّ قَالَ:

عِنْدِي يَا قَوْمٌ حَدِيثٌ عَجِيبٌ فِيهِ اعْتِبَارٌ لِلْبَيْبِ (١٢) الْأَرِيبِ (١٣)
رَأَيْتُ فِي رَيْعَانِ عُمَرِي أَخَا بَأْسَ لَهُ حَدُّ الْحُسَامِ الْقَضِيبِ
يُقَدِّمُ فِي الْمَعْرَكِ إِقْدَامَ مَنْ يُوَقِنُ بِالْفَتْكِ وَلَا يَسْتَرِيبُ (١٤)

(٢) لا يجادلون.

(١) قصدتُ.

(٤) رحل.

(٣) المداراة ومسايرة العداوة.

(٦) نهى بعضنا بعضاً.

(٥) البيوت.

(٨) محاسنها.

(٧) نقصده ونعمره، ومنه: عمرة الحج.

(١٠) شديد.

(٩) صاحب لسان.

(١٢) العاقل.

(١١) صياد.

(١٤) يشك.

(١٣) العالم.

حتى يرى ما كان ضنكاً^(١) رحيباً^(٢)
 عن موقف الطعن برمح خضيب
 مستغلق الباب منيعاً مهيباً
 نصرراً من الله وفتح قريب
 يمس في برد الشباب القشيب^(٥)
 وهو لدى الكل المفدى الحبيب
 ما فيه من بطش وعود صليب
 يعافه من كان منه قريب
 به من الداء وأغيا الطبيب
 من بعد ما كان المجاب الحبيب
 ومن يعش يلق دواهي المشيب^(٩)
 يرغب في تكفين ميت غريب

ثم إنه أعلن بالنجيب، وبكى بكاء المحب على الحبيب، وكما
 رقات^(١٠) دمعته، وانفثت لوعته، قال: يا نجعة الرواد، وقُدوة الأجواد،
 والله ما نطقت بيهتان، ولا أخبرتكم إلا عن عيان، ولو كان في عصاي
 سير، ولغيمي مطير، لاستأثرت^(١١) بما دعوتكم إليه، وكما وقفت موقف

فيفرج الضيق بكراته
 ما بارز الأقران إلا انثنى^(٣)
 ولا سما يفتح مستصعباً^(٤)
 إلا ونودي حين يسموله
 هذا وكم من ليلة بانها
 يرتشف الغيد ويرشقه^(٦)
 فلم يزل يبتزه دهره
 حتى أصارته الليالي لقي
 قد أعجز الرأقي تحليل ما
 وصارم البيض^(٧) وصارمته
 وآض كالمكوس^(٨) في خلقه
 وها هو اليوم مسجى فمن

(٢) واسعاً.

(٤) حصناً.

(٦) بضم الشين وكسرهما؛ يقبلنه.

(٨) المردود من القوة إلى الضعف.

(١٠) ارتفعت وانقطعت.

(١) ضيقاً.

(٣) رجع.

(٥) الجديد.

(٧) قاطع وهجر النساء البيض.

(٩) مصائب الهرم.

(١١) لاختصت وانفردت.

الدَّالُّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ كَيْفَ الطَّيْرَانُ بِلا جَنَاحٍ، وَهَلْ عَلَيَّ مِنْ لا يَجِدُ مِنْ جَنَاحٍ؟

قَالَ الرَّأوِي: فَطَفِقَ (١) الْقَوْمُ يَأْتَمِرُونَ (٢)، فِي مَا يَأْمُرُونَ، وَيَتَخَفَتُونَ، فِي مَا يَأْتُونَ، فَتَوَهَّمْ أَنَّهُمْ يَتَمَالَّؤُونَ عَلَيَّ صَرْفِهِ بِحَرْمَانٍ، أَوْ مُطَابَلَتِهِ بِرُهَانٍ، فَفَرَطَ (٣) مِنْهُ أَنْ قَالَ: يَا يَلَامِعَ الْقَاعِ، وَيِرَامِعَ الْبِقَاعِ، مَا هَذَا الْارْتِيَاءُ (٤)، الَّذِي يَأْبَاهُ الْحَيَاءُ؟ حَتَّى كَأَنَّكُمْ كَلَفْتُمْ مَشَقَّةً، لَا شَقَّةً، أَوْ اسْتَوْهَبْتُمْ بِلَدَّةً، لَا بُرْدَةً (٥)، أَوْ هَزِزْتُمْ لَكِسْوَةِ الْبَيْتِ، لَا لَتَكْفِينِ الْمَيْتِ؟ أَفْ لِمَنْ لَا تَنْدَى صَفَاتُهُ، وَلَا تَرُشِحُ حَصَاتُهُ! فَلَمَّا بَصُرَتْ الْجَمَاعَةُ بِذِلَالَتِهِ (٦)، وَمِرَارَةَ مَذَاقَتِهِ، رَفَأَهُ كُلُّ مِنْهُمْ بَنِيْلَهُ (٧)، وَاحْتَمَلَ طَلَّهُ خَوْفَ سَيْلِهِ (٨).

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: وَكَانَ هَذَا السَّائِلُ وَاقْفًا خَلْفِي، وَمُحْتَجِبًا بظَهْرِي عَنْ طَرْفِي، فَلَمَّا أَرْضَاهُ الْقَوْمُ بِسَيِّبِهِمْ، وَحَقَّ عَلَيَّ التَّأْسِي بِهِمْ، خَلَجْتُ (٩) خَاتَمِي مِنْ خَنْصِرِي، وَكَلَفْتُ (١٠) إِلَيْهِ بَصْرِي، فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ بِلا فَرِيَّةٍ (١١)، وَلَا مَرِيَّةٍ، فَأَيَقَنْتُ أَنَّهَا أَكْذُوبَةٌ تَكْذِبُهَا، وَأُحْبُولَةٌ (١٢) نَصَبَهَا، إِلَّا أَنِّي طَوَيْتُهُ عَلَيَّ غَرَّهُ، وَصُنْتُ شِغَاهُ عَنْ فَرِهِ (١٣)، فَحَصَبْتُهُ بِالْخَاتَمِ، وَقُلْتُ: أَرْصِدُهُ لِنَفَقَةِ الْمَاتَمِ، فَقَالَ: وَاهاً لَكَ، فَمَا أَضْرَمَ

(١) أخذ وجعل.

(٢) يتشاورون.

(٣) سبق.

(٤) المشاورة: افتعال من الرأي.

(٥) هي كساء يرتدى به.

(٦) بفضاحة لسانه.

(٧) مخافة كلامه المؤلم جداً.

(٨) جذبت ونزعت.

(٩) رددت.

(١٠) (١٢) الحباله: الفخ والشرك.

(١٣) أي: عن فتح فيه لأعلم سنه، ويراد به هنا: أنه لم يعرف عنه.

شُعَلَّتْكَ^(١)، وأكْرَمَ فَعَلَّتْكَ! ثُمَّ انْطَلَقَ يَسْعَى قُدَمًا، وَيَهْرُولُ هَرُولَهُ قَدَمًا،
فَنَزَعَتْ^(٢) إِلَى عِرْفَانِ مِيَّتِهِ، وَامْتَحَانَ دَعْوَى حَمِيَّتِهِ^(٣)، فَفَرَعَتْ ظُنْبُوبِي،
وَأَلْهَبَتْ أُلْهُوبِي، حَتَّى أَدْرَكْتَهُ عَلَى غَلْوَةٍ^(٤)، وَاجْتَلَيْتُهُ فِي خَلْوَةٍ، فَأَخَذْتُ
بِجُمُعِ أَرْدَانِهِ، وَعُقَّتُهُ^(٥) عَنِ سُنَنِ مِيدَانِهِ.

وَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنِّي مَلْجَأٌ وَلَا مَنَجِي، أَوْ تُرِينِي مِيَّتَكَ
الْمُسْجَى^(٦)! فَكَشَفَ عَن سِرَاوِيلِهِ، وَأَشَارَ إِلَى غُرْمُولِهِ^(٧).

فَقُلْتُ لَهُ: قَاتَلَكَ اللَّهُ فَمَا أَلْعَبُكَ بِالنَّهْيِ، وَأَحْيَلَكَ عَلَى اللَّهِ! ثُمَّ
عُدْتُ إِلَى أَصْحَابِي عَوْدَ الرَّائِدِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَلَا يُرْقِشُ قَوْلَهُ،
فَأَخْبَرْتَهُمْ بِالَّذِي رَأَيْتُ، وَمَا وَرَيْتُ وَلَا رَأَيْتُ، فَفَهَّقَهُوا^(٨) مِنْ كَيْتٍ^(٩)
وَكَيْتٍ، وَلَعَنُوا ذَلِكَ الْمِيَّتَ.



(١) ما أشدَّ التَّهَابِ نَارِكِ.

(٢) اشْتَقَّتْ.

(٣) أَنْفَتَهُ.

(٤) عَلَى قَدْرِ رَمِيَةِ السَّهْمِ.

(٥) وَقَفَّتَهُ وَعَطَلَتْهُ.

(٦) الْمَغْطَى.

(٧) أَذْكَرَهُ.

(٨) ضَحَكُوا بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ.

(٩) حِكَايَةُ مَا مَضَى مِنَ الْحَدِيثِ.

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قالَ: عُنيتُ مذُ أَحكمتُ تَدبيري (١)، وعرفتُ قبيلي من دبيرِي، بأنْ أصغيَ إلى العظاتِ، وألغيَ الكَلِمَ المُحفظاتِ، لأتخلّى بمحاسِنِ الأخلاقِ، وأتخلّى ممَّا يَسِمُ (٢) بالإخلاقِ، وما زلتُ أخذُ نفسي بهذا الأَدبِ، وأُخمدُ (٣) به جَمرةَ الغضبِ، حتّى صارَ التَّطَبُّعُ (٤) فيه طِباعاً، والتكَلَّفُ لَهُ هَوَى مُطاعاً، فلَمَّا حللتُ بالرِّيِّ، وَقَدَ حللتُ حبي الغيِّ، وعرفتُ الحَيَّ (٥) من اللَّيِّ، رأيتُ بِهِ ذاتَ بكرةٍ، زُمرةً (٦) في إثرِ زُمرةٍ، وهم مُتَشَرُّونَ انتِشارَ الجرادِ، ومُسْتَنُونَ استِنانَ الجيادِ (٧)، ومتواصفونَ واعظاً يقصدونه، ويحلون ابنَ سَمعونَ دونه، فلمْ يتكأذني (٨) لاستِمَاعِ المَواعِظِ، واختِبارِ الواعِظِ، أنْ أقاسيَ اللاَّعِظَ (٩)، وأحتمِلَ الضَّاعِظَ (١٠)، فأصحبتُ أصحابَ المَطوَاعَةِ (١١)، وانخرطتُ في سلكِ الجَماعَةِ، حتّى أفضينا إلى نادِ حشدِ النَبِيهِ (١٢) والمَغْمُورِ (١٣)، وفي وَسَطِ هالتهِ، ووسطِ أهْلتهِ، شيخٌ قد تقوَّسَ واقعَنَسَسَ، وتقلَّسَ (١٤) وتطلَّسَ،

(١) هو النظر في العواقب.

(٢) مما يؤثر.

(٣) أطفئ.

(٤) التكلّف.

(٥) الحقّ.

(٦) جماعة.

(٧) جري الجياد، وهي: الخيل.

(٨) يشقّ ويصعب عليّ.

(٩) المزاحم.

(١٠) الكثير الصياح واللّغظ. واللّغظ: أصوات مبهمّة لا تُفهم.

(١١) المشهور بفضلِه وقدره.

(١٢) الناقة الذلّول.

(١٣) المجهول الحامل الذكّر.

(١٤) لبس القلنسوة.

وَهُوَ يَصْدَعُ بوعظ يشفي الصدورَ، ويلين الصُّخُورَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ، وَقَدْ
 افْتَنَّتْ بِهِ الْعُقُولُ: ابن آدمَ مَا أَغْرَاكَ ^(١) بِمَا يَغْرُكَ ^(٢)، وَأَضْرَاكَ بِمَا يَضْرُكَ!
 وَالْهَجَكَ بِمَا يُطْغِيكَ ^(٣)، وَأَبْهَجَكَ بَمَنْ يُطْرِيكَ! تُعْنَى بِمَا يُعْنِيكَ، وَتَهْمَلُ
 مَا يُعْنِيكَ، وَتَنْزِعُ فِي قَوْسِ تَعْدِيكَ ^(٤)، وَتَرْتَدِي الْحَرِصَ الَّذِي يُرْدِيكَ ^(٥)!
 لَا بِالْكَفَافِ تَقْتَنِعُ، وَلَا مِنَ الْحَرَامِ تَمْتَنِعُ، وَلَا لِلْعِظَاتِ تَسْتَمِعُ، وَلَا بِالْوَعِيدِ
 تَرْتَدِعُ! دَابُّكَ أَنْ تَتَقَلَّبَ مَعَ الْأَهْوَاءِ، وَتَخْبِطَ خَبْطَ الْعَشَوَاءِ! وَهَمُّكَ ^(٦) أَنْ
 تَدَابَّ فِي الْإِحْتِرَاثِ ^(٧)، وَتَجْمَعَ الثَّرَاثُ لِلْوَرَاثِ! يُعْجِبُكَ التَّكَاثُرُ بِمَا
 لَدَيْكَ، وَلَا تَذْكُرُ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَتَسْعَى أبدأً لِغَارِيكَ ^(٨)، وَلَا تُبَالِي أَلْكَ أَمْ
 عَلَيْكَ! أَتَظُنُّ أَنْ سَتُتْرَكَ سُدَى ^(٩)، وَأَنْ لَا تُحَاسَبَ غَدًا؟ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ
 الْمَوْتَ يَقْبَلُ الرُّشَى، أَوْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَسَدِ وَالرَّشَاءِ؟ كَلَّا وَاللَّهِ لَنْ يَدْفَعَ
 الْمُنُونَ ^(١٠)، مَالٌ وَلَا بَنُونَ! وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ الْقُبُورِ، سِوَى الْعَمَلِ الْمُبْرورِ!
 فَطُوبَى لِمَنْ سَمِعَ وَوَعَى، وَحَقَّقَ مَا ادَّعَى! وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، وَعَلِمَ
 أَنَّ الْفَائِزَ مِنْ أَرْعَوَى ^(١١)! وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ
 يَرَى، ثُمَّ أَنْشَدَ إِنْشَادَ وَجِلٍ ^(١٢)، بِصَوْتِ زَجَلٍ:

لَعَمْرُكَ مَا تُغْنِي ^(١٣) الْمَغْنَانِي وَلَا الْغَنَى

إِذَا سَكَنَ الْمَثْرِي ^(١٤) الثَّرَى وَثَوَى بِهِ

- | | |
|----------------------------------------|---------------------------------|
| (١) أولئك . | (٢) يخدعك . |
| (٣) يدخلك في الطغيان . | (٤) ظلمك . |
| (٥) يهلكك . | (٦) وجلّ عزمك . |
| (٧) الاكتساب . | (٨) الغاران هما: البطن والفرج . |
| (٩) أي: هملاً . | (١٠) الموت . |
| (١١) كَفَّ وَرَجَعَ عَنْ جِهَالَتِهِ . | (١٢) بكسر الجيم؛ أي: خائف . |
| (١٣) ما تنفع . | (١٤) هو كثير المال . |

فَجُدِّ فِي مَرَاضِي اللّٰهِ بِالْمَالِ رَاضِيَا
 بِمَا تَقْتَنِي ^(١) مَنْ أَجْرَهُ وَثَوَابِهِ
 وَبَادِرْ بِهِ صَرْفَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
 بِمَخْلَبِهِ الْأَشْغَى يَغُولُ ^(٢) وَنَابِهِ
 وَلَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوْوُونَ ^(٣) وَمَكْرَهُ
 فَكَمْ خَامِلٍ أَخْنَى ^(٤) عَلَيْهِ وَنَابِهِ
 وَعَاصٍ هَوَى النَّفْسِ الَّذِي مَا أَطَاعَهُ
 أَخُو ضَلَّةٍ ^(٥) إِلَّا هَوَى مِنْ عِقَابِهِ
 وَحَافِظٍ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ وَخَوْفِهِ
 لَتَنْجُو مِمَّا يُتَّقَى مِنْ عِقَابِهِ
 وَلَا تَلَهُ ^(٦) عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَأَبْكَه
 بِدَمْعِ يَضَاهِي الْمُزْنَ ^(٧) حَالَ مَصَابِهِ
 وَمَثَلِ لِعَيْنَيْكَ الْحَمَامِ وَوَقْعَهُ ^(٨)
 وَرَوْعَةَ مَلْقَاهُ وَمَطْعَمِ صَابِهِ
 وَإِنْ قُصَّارِي مَنْزِلِ الْخِيِّ حُفْرَةٌ
 سَيَنْزِلُهَا مُسْتَنْزِلًا ^(٩) عَنْ قِبَابِهِ
 فَوَاهَا لِعَبْدٍ سَاءَهُ سُوءُ فَعْلِهِ
 وَأَبْدَى التَّلَافِي قَبْلَ إِغْلَاقِ بَابِهِ

(١) تدخّر.

(٢) يهلك.

(٣) كثير الخيانة.

(٤) أهلكه وأفسده.

(٥) صاحب ضلال.

(٦) لا تغفل وتعرض.

(٧) هو السحاب الممطر.

(٨) هجومه.

(٩) منحطًا.

قال: فَظَلَّ الْقَوْمُ بَيْنَ عَبْرَةٍ (١) يُذْرُونَهَا (٢)، وَتَوْبَةٍ يُظْهِرُونَهَا، حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَزُولُ، وَالْفَرِيضَةُ تَعُولُ (٣)، فَلَمَّا خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ، وَالتَّامَ الْإِنْصَاتُ (٤)، وَاسْتَكْنَتِ الْعِبْرَاتُ، وَالْعِبَارَاتُ، وَبَرَزَ الْوَاعِظُ يَتَهَادَى (٥) بَيْنَ رَفْقَتِهِ، وَيَتْبَاهَى بِفَوْزِ صَفْقَتِهِ، وَاعْتَقَبْتُهُ أَخْطُو مُتْقَاصِرًا (٦)، وَأُرِيهِ لِمَحَاً بَاصِرًا، فَلَمَّا اسْتَشَفَّ مَا أُخْفِيهِ، وَفَطِنَ لِتَقَلُّبِ طَرْفِي فِيهِ، قَالَ: خَيْرُ دَلِيلِكَ مِنْ أُرْشَدِي، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنِّي وَأَنْشَدَ:

أَنَا الَّذِي تَعْرِفُهُ يَا حَارِثُ

حَدَّثْتُ مُلُوكَ فَكِهِ مُنَافِثُ (٧)

أَطْرِبُ مَا لَا تُطْرِبُ الْمَثَالِثُ (٨)

طَوْرًا أَخْوَجِدُّ وَطَوْرًا عَابِثُ (٩)

مَا غَيَّرْتَنِي بِغَدِّكَ الْحَوَادِثُ

وَلَا التَّحَى عُدِي خَطْبُ كَارِثُ (١٠)

وَلَا فَرَى (١١) حُدِّي نَابُ فَارِثُ

بَلْ مِخْلَبِي بِكُلِّ صَيْدِ ضَابِثُ (١٢)

وَكُلُّ سَرْحٍ فِيهِ ذُنْبِي عَائِثُ (١٣)

حَتَّى كَأَنِّي لِلْأَنَامِ وَارِثُ

(١) دمعة.

(٢) يسكبونها ويتفرقونها.

(٣) تزيد أجزاءها على جملتها.

(٤) اتفق الاستماع.

(٥) يتمايل في مشيته.

(٦) أي: أمشي خطأً بطيئاً.

(٧) أي صاحب كلام رائق وشعرٍ فاتق.

(٨) من أوتار آلات المغاني جمع المثلث وهو ما كان على ثلاثة.

(٩) للاعب وهازل.

(١٠) الخطب: الأمر العظيم والكارث الثقيل الشاق المحزن.

(١١) قطع وشق.

(١٢) ناشب قابض بشدة.

(١٣) مفسد.

سَامَهُمْ وَحَامَهُمْ وَيَافِثُ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَقُلْتُ لَهُ: تَاللَّهِ إِنَّكَ لِأَبُو زَيْدٍ، وَلَقَدْ قُمْتَ لِلَّهِ
وَلَا عَمْرَوُ بْنُ عَبِيدٍ، فَهَشَّ (١) هَشَاشَةَ الْكَرِيمِ إِذَا أُمَّ، وَقَالَ: اسْمِعْ يَا ابْنَ
أُمَّ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ:

عَلَيْكَ بِالصَّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ

أَحْرَقَكَ الصَّدَقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ (٢)

وَأَبَغِ (٣) رَضَى اللَّهُ فَأَغْضَبَى الْوَرَى

مَنْ أَسْخَطَ (٤) الْمَوْلَى وَأَرْضَى الْعَبِيدَ

ثُمَّ إِنَّهُ وَدَعَ أَخْدَانَهُ (٥)، وَانْطَلَقَ يَسْحَبُ أُرْدَانَهُ (٦)، فَطَلَبْنَاهُ مِنْ بَعْدِ
بِالرَّيِّ، وَاسْتَنْشَرْنَا خَبْرَهُ مِنْ مَدَارِجِ الطِّيِّ (٧)، فَمَا فِينَا مَنْ عَرَفَ قَرَارَهُ (٨)،
وَلَا دَرَى أَيْ الْجَرَادِ عَارَهُ.



(١) فرح واستبشر.

(٢) التهديد بما يُخَوِّفُ.

(٣) أي: اطلب.

(٤) أغضب.

(٥) أصدقاءه.

(٦) يَجْرُ أطراف ثوبه.

(٧) المدرجة: الورقة تُكْتَبُ فيها الرسالة ويُدرَجُ فيها الكتاب، وأضافها إلى الطِّيِّ؛ لأنها تُطَوَّى

على ما فيها.

(٨) أي: مكانه.

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارث بن همام قال: أويتُ في بعضِ الفترات^(١)، إلى سقيِ
الفراتِ، فلقيتُ بها كتاباً أبرعَ^(٢) من بني الفرَاتِ، وأعذبَ أخلاقاً من
الماءِ الفرَاتِ، فأطفتُ بهم^(٣) لتهدبهم، ولألذهبهم، وكأثرتهم لأدبهم،
لا لمأدبهم، فجالستُ منهم أضرابَ قعقاعِ بنِ شورٍ، ووصلتُ بهم إلى
الكوبر^(٤)، بعدَ الحور^(٥)، حتى إنهم أشركوني في المريع^(٦) والمريعِ،
وأحلوني محلَّ الأئملة^(٧) من الإصبعِ، واتخذوني ابنَ أنسهم عندَ الولايةِ
والعزلِ^(٨)، وخازنَ سرهم في الجدِّ والهزلِ، فاتفقَ أن ندبوا^(٩) في بعضِ
الأوقاتِ لاستِقراءِ مزارعِ الرُزداقاتِ، فاخترأوا من الجوارِي^(١٠) المنشآتِ،
جاريةً حالكةَ الشياتِ، تحسبها جامدةً^(١١) وهي تمرُّ مرَّ السحابِ، وتَسَابُ
في الحبابِ كالحبابِ، ثمَّ دعوني إلى الموافقة^(١٢)، فلبيتُ بلسانِ
الموافقةِ، فلما توركنَّا على المطيةِ الدهماء^(١٣)، وتبطنَّا الوكيفةَ الماشيةَ على

(١) أوقات الفراغ والخلو عن الأشغال.

(٢) أفصح.

(٣) لازمتهم.

(٤) الزيادة.

(٥) التُّقْصَانُ

(٦) المريعِ.

(٧) هي طرف الإصبع من أعلاه.

(٨) أنيسهم في الحالتين.

(٩) دُعوا وطلبوا.

(١٠) السفنُ لجريها مع الريحِ.

(١١) واقفة.

(١٢) أجبت دعوتهم موافقاً لهم.

(١٣) السوداء؛ لأنها مقيرة.

الماء، ألفينا بها شيخاً عليه سحق سربال وسب بال، فعافت الجماعة محضره، وعفت من أحضره، وهمت بإبرازه من السفينة، لولا ما تاب إليها من السكينة، فلما لمح منا استثقال ظله^(١)، واستبراد طله، تعرض للمنافثة^(٢)، فصمت وحمدل بعد أن عطس فما شمت، فأخرد ينظر فيما آلت حاله إليه، وينتظر نصرة المبعي عليه^(٣)، وجلنا نحن في شجون، من جد ومجون، إلى أن اعترض ذكر الكتابين^(٤) وفضلهما، وتبيان أفضلهما، فقال قائل: إن كتبة الإنشاء أنبل الكتاب، ومال مائل إلى تفضيل الحساب، واحتد الحجاج، وامتد اللجاج^(٥)، حتى إذا لم يبق للجidal مطرح، ولأ للمراء مسرح، قال الشيخ: لقد أكثرتم يا قوم اللغط^(٦)، وأثرتم الصواب والغلط، وإن جلية الحكم عندي، فارتضوا بنقدي، ولا تستفتوا أحداً بعدي، اعلموا أن صناعة الإنشاء أرفع^(٧)، وصناعة الحساب أنفع، وقلم المكاتبه خاطب، وقلم المحاسبة حاطب، وأساطير البلاغة تُنسخ لتُدرس، ودساتير^(٨) الحسابات تُنسخ وتُدرس، والمنشئ^(٩) جهينة الأخبار، وحقية الأسرار، ونجي العظماء، وكبير الندماء^(١٠)، وقلمه لسان الدولة، وفارس الجولة، ولقمان الحكمة، وترجمان الهمة، وهو البشير والنذير، والشفيع^(١١) والسفير^(١٢)، به تُستخلص الصياصي^(١٢)، وتملك النواصي، ويُقتاد

(٢) للتحدث.

(١) شخصه.

(٤) كتابة الإنشاء والحساب.

(٣) المظلوم.

(٧) أعلى رتبة.

(٦) كثرة الكلام.

(٥) طال التردد والخصام.

(٨) جمع دستور، وهو: النسخة التي يقع منها التحرير.

(٩) ديوان الرسائل الذي يُنشى الكتب. (١٠) جمع نديم، وهو المجلس على الشراب.

(١١) المتوسط في الصلح بين القوم. (١٢) الحصن والقلعة.

العاصي، ويُسْتَدْنِي الْقَاصِي، وصَاحِبُهُ بَرِيءٌ مِنَ التَّبَعَاتِ، آمِنٌ كَيْدِ السَّعَاةِ^(١)، مُقَرَّطٌ^(٢) بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ، غَيْرُ مَعْرُضٍ لِنَظْمِ الْجَمَاعَاتِ، فَلَمَّا انْتَهَى فِي الْفَصْلِ إِلَى هَذَا الْفَصْلِ، لَحَظَ^(٣) مِنْ لِمَحَاتِ الْقَوْمِ أَنَّهُ ازْدَرَعَ حَبًّا وَبُغْضًا، وَأَرْضَى بَعْضًا وَأَحْفَظَ^(٤) بَعْضًا، فَعَقَّبَ كَلَامَهُ بِأَنْ قَالَ: إِلَّا أَنْ صِنَاعَةَ الْحِسَابِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَصِنَاعَةُ الْإِنشَاءِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّلْفِيقِ، وَقَلَمُ الْحَاسِبِ ضَابِطٌ^(٥)، وَقَلَمُ الْمُنشِئِ خَابِطٌ^(٦)، وَبَيْنَ إِتَاوَةِ تَوْظِيفِ الْمُعَامَلَاتِ، وَتِلَاوَةِ طَوَامِيرِ السَّجَلَاتِ، بَوْنٌ^(٧) لَا يُدْرِكُهُ قِيَاسٌ، وَلَا يَعْتَوِرُهُ التَّبَاسُ، إِذِ الْإِتَاوَةُ تَمَلُّ الْأَكْيَاسَ، وَالتَّلَاوَةُ تَفَرِّغُ الرَّأْسَ، وَخَرَاجُ الْأَوَارِجِ يُغْنِي النَّاطِرَ، وَاسْتِخْرَاجُ الْمَدَارِجِ يُعْنِي النَّاطِرَ، ثُمَّ إِنَّ الْحِسْبَةَ حَفْظَةُ الْأَمْوَالِ، وَحَمَلَةٌ الْأَثْقَالِ، وَالتَّقْلَةُ الْأَثْبَاتِ، وَالسَّفَرَةُ الثَّقَاتِ^(٨)، وَأَعْلَامُ الْإِنصَافِ، وَالْإِنصَافِ، وَالشُّهُودُ الْمَقَانِعِ فِي الْإِخْتِلَافِ، وَمِنْهُمْ الْمُسْتَوْفِي الَّذِي هُوَ يَدُ السُّلْطَانِ، وَقُطْبُ الدِّيَوَانِ^(٩)، وَقِسْطَاسُ الْأَعْمَالِ، وَالْمُهَيَّمِنُ^(١٠) عَلَى الْعُمَالِ، وَإِلَيْهِ الْمَابُ فِي السَّلْمِ وَالْهَرَجِ، وَعَلَيْهِ الْمَدَارُ فِي الدَّخْلِ وَالخُرْجِ، وَبِهِ مَنَاطُ^(١١) الضَّرِّ وَالنَّفْعِ، وَفِي يَدِهِ رِبَاطُ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَلَوْلَا قَلَمُ الْحِسَابِ، لَأَوَدَتْ^(١٢) ثَمَرَةُ الْاِكْتِسَابِ، وَلَا تَصَلَ التَّغَابُنُ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ، وَلَكِنْ نِظَامُ الْمُعَامَلَاتِ مَحْلُولًا، وَجُرْحُ الظُّلَامَاتِ مَطْلُولًا، وَجِدُّ التَّنَاصُفِ مَغْلُولًا، وَسَيْفُ التَّظَالُمِ مَسْلُولًا، عَلَى أَنْ يَرَاعَ

(١) أصحاب النميمة.

(٢) ممدوح.

(٣) فهم.

(٤) أغضب.

(٥) حافظ.

(٦) يخطئ ويصيب.

(٧) فرق بعيد.

(٨) جمع ثقة، وهو: العدل.

(٩) الذي عليه مدار الديوان.

(١٠) الأمين والشاهد والرقيب.

(١١) مربوط ومتعلق.

(١٢) لاضمحلت وضاعت.

الإِنشاءَ مَتَقَوَّلٌ^(١)، وَيرَاعُ الحِسَابَ مَتَأَوَّلٌ، وَالمُحَاسِبُ مَنَاقِشٌ، وَالمُنْشِئُ أَبُو بَرَاقِشَ، وَلِكِلَيْهِمَا حُمَةٌ حِينَ يَرُقَى، إِلَى أَنْ يُلْقَى^(٢) وَيُرُقَى، وَإِعْنَاتٌ^(٣) فِيمَا يُنْشَأُ، حَتَّى يُعْشَى^(٤)، وَيُرْشَى، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ.

قَالَ الحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا أُمْتَعَ الأَسْمَاعُ، بِمَا رَاقَ وَرَاعَ، اسْتَنْسَبْنَاهُ^(٥) فَاسْتَرَابَ، وَأَبَى الانْتِسَابَ، وَلَوْ وَجَدَ مُنْسَابًا لِانْتِسَابَ، فَحَصَلَتْ مِنْ لِبْسِهِ عَلَى غُمَّةٍ، حَتَّى ادْكُرْتَ بَعْدَ أُمَّةٍ^(٦)، فَقُلْتُ: وَالَّذِي سَخَرَ الفَلَكَ الدَّوَّارَ، وَالفُلْكَ السَّيَّارَ، إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ أَبِي زَيْدٍ، وَإِنْ كُنْتُ أَعْهَدُهُ ذَا رِوَاءٍ^(٧) وَأَيْدٍ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِي، وَقَالَ: أَنَا هُوَ عَلَى اسْتِحَالَةٍ حَالِي وَحَوْلِي، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا الَّذِي لَا يُفْرَى فَرِيهِ، وَلَا يُبَارَى^(٨) عَبْقَرِيهِ، فَخَطَبُوا مِنْهُ الوُدَّ، وَبَذَلُوا لَهُ الوُجْدَ^(٩)، فَرَغِبَ عَنِ الأُلْفَةِ، وَلَمْ يَرْغَبْ فِي التُّحْفَةِ، وَقَالَ: أَمَّا بَعْدَ أَنْ سَحَقْتُمْ حَقِّي، لِأَجْلِ سَحَقِي^(١٠)، وَكَسَفْتُمْ بَالِي، لِإِخْلَاقِ سِرْبَالِي، فَمَا أَرَاكُمْ إِلَّا بِالعَيْنِ السَّخِينَةِ^(١١)، وَلَا لَكُمْ مِنِّي إِلَّا صُحْبَةُ السَّفِينَةِ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

اسْمَعْ أُخِيَّ وَصِيَّةً مِنْ نَاصِحٍ
لَا تَعْجَلَنَّ بِقَضِيَّةٍ مَبْتَوْتَةٍ^(١٢)
مَا شَابَ مَحْضَ النُّصْحِ مِنْهُ بَغِشُهُ
فِي مَدْحٍ مِنْ لَمْ تَبْلُهُ أَوْ خَدِشُهُ

(١) مفتر كاذب.

(٢) تعب ومشقة وتكلف.

(٤) يقصد.

(٦) بعد حين من الزمان.

(٥) سالناه عن نسيبه.

(٨) لا يعارض ولا يجارى.

(٧) صاحب منظر حسن وقوة.

(١٠) بعد أن هتكتم عرضي لأجل خلق ثوبي.

(٩) بالضم؛ المال الموجود.

(١٢) بحكم مقطوع به.

(١١) أي الحزينة الباكية.

وصَفِيهِ فِي حَالِي رِضَاهُ وَبِطُشِهِ
لِلشَّائِمِينَ ^(٢) وَوَبْلُهُ مِنْ طُشِهِ
كَرْمًا وَإِنْ تَرَمَّا يَزِينُ فَأَفْشِهِ
وَمَنْ اسْتَحَطَّ فَحَطُّهُ فِي حَشِّهِ
خَافَ إِلَى أَنْ يُسْتَشَارَ ^(٥) بِنَبْشِهِ
مَنْ حَكَّهُ لَا مِنْ مَلَا حَةَ نَقْشِهِ
لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْنَقِ رَقْشِهِ ^(٦)
لِدُرُوسِ بَزَّتِهِ وَرِثَّةِ فُرْشِهِ
وَمَفْوَفِ الْبُرْدِينَ عَيْبَ لَفْحُشِهِ
أَسْمَالِهِ إِلَّا مَرَا قِي عَرْشِهِ
خَلْقًا وَلَا الْبَازِي ^(٨) حَقَارَةَ عُشِّهِ

وَقَفَ الْقَضِيَّةَ فِيهِ حَتَّى تَجْتَلِي ^(١)
وَيَبِينَ خُلْبُ بَرْقِهِ مِنْ صَدْقِهِ
فَهُنَاكَ إِنْ تَرَمَّا يَشِينُ فَوَارِهِ
وَمَنْ اسْتَحَقَّ الْارْتِقَاءَ فَرَقَّهُ ^(٣)
وَاعْلَمَ بِأَنَّ التَّبْرَ ^(٤) فِي عَرْقِ الثَّرَى
وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا
وَمَنْ الْغَبَاوَةِ أَنْ تَعْظَمَ جَاهِلًا
أَوْ أَنْ تُهَيَّنَ مَهْدَبًا فِي نَفْسِهِ
وَلَكُمْ أَخِي طَمْرِينَ هَيْبَ لِفَضْلِهِ
وَإِذَا الْفَتَى لَمْ يَغْشَ عَارًا لَمْ تَكُنْ
مَا إِنْ يَضُرُّ الْعَضْبُ ^(٧) كَوْنُ قِرَابِهِ

ثُمَّ مَا عَتَمَ أَنْ اسْتَوْقَفَ الْمَلَّاحَ، وَصَعَدَ مِنَ السَّفِينَةِ وَسَاحَ، فَندِمَ كُلُّ
مَنَا عَلَى مَا فَرَطَ فِي ذَاتِهِ، وَأَغْضَى جَفْنَهُ عَلَى قَدَاتِهِ ^(٩)، وَتَعَاهَدْنَا عَلَى أَنْ
لَا نَحْتَقِرَ شَخْصًا لِرِثَاثَةِ بُرْدِهِ، وَأَنْ لَا نَزْدَرِي ^(١٠) سَيْفًا مَخْبُوءًا فِي غِمْدِهِ.



- (٢) الناظرين الرأقين.
(٤) هو الذهب قبل أن يسبك.
(٦) حُسن زينته.
(٨) الصَّقْر.
(١٠) نحتقر.

- (١) تكشف وتختبر.
(٣) فارفعه وأعلِّ قدره.
(٥) يستخرج.
(٧) السيف.
(٩) ما في جفنه من وسخ الغبار.

المقامة الثالثة والعشرون الشعرية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قالَ: نَبأَ بي مَألفُ الوَطَنِ (١)، في شَرخِ
الزَّمَنِ، لِحَطْبِ (٢) خُشْبِي، وَخَوْفِ غَشْيِي، فَأرَقْتُ كَأَسَ الكَرِي، وَنَصَصْتُ
رِكَابَ السُّرَى، وَجِبْتُ (٣) في سِيْرِي وَعُوراً لَمْ تُدَمِّثْهَا (٤) الخُطَى، وَلَا
أَهْتَدْتُ إِلَيْهَا القَطَا، حَتَّى وَرَدْتُ حِمَى الخِلَافَةِ، وَالْحَرَمَ (٥) العَاصِمَ من
المَخَافَةِ، فَسَرَوْتُ إِيْجَاسَ (٦) الرُّوعِ وَاسْتِشْعَارَهُ، وَتَسَرَّبْتُ لِبَاسِ الأَمْنِ
وَشِعَارَهُ، وَقَصَرْتُ هَمِّي عَلَى لَذَّةِ أَجْتِنِيهَا (٧)، وَمُلْحَةِ أَجْتَلِيهَا، فَبَرَزْتُ يَوْماً
إِلَى الحَرِيمِ لِأرُوضِ طِرْفِي، وَأُجَيْلٍ فِي طِرْقِهِ طِرْفِي، فِإِذَا فُرْسَانٌ مُتتَالُونَ (٨)،
وَرِجَالٌ مُتتَالُونَ، وَشَيْخٌ طَوِيلُ اللِّسَانِ، قَصِيرُ الطَّيْلِسانِ، قَدْ لَبَّبَ فَتَى جَدِيدَ
الشَّبَابِ، خَلَقَ الجَلْبَابِ، فَركَضْتُ فِي إِثْرِ النِّظَارَةِ (٩)، حَتَّى وَافَيْنا بَابَ
الإِمَارَةِ، وَهناكَ صَاحِبُ المَعُونَةِ مُتربِّعاً فِي دَسْتِهِ (١٠)، وَمُرُوعاً بِسَمْتِهِ (١١).

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: أَعَزَّ اللهُ الوَالِي، وَجَعَلَ كَعْبَهُ العَالِي، إِنِّي كَفَلْتُ هَذَا

(١) حب المنزل.

(٢) لأمير عظيم.

(٣) قطعت.

(٤) لم تسهلها وتلينها.

(٥) موضع الأمن.

(٦) توهم وإحساس.

(٧) أتناولها.

(٨) متتابعون.

(٩) عقب الناظرين لما يفعل به.

(١٠) مرتبته.

(١١) هيئته ووقاره.

الغلامَ فَطِيماً، وَرَبِيَّتُهُ يَتِيماً، ثُمَّ لَمْ أَلَهُ تَعْلِيماً، فَلَمَّا مَهَرَ (١) وَبَهَرَ، جَرَدَ سَيْفَ الْعُدُوَانِ وَشَهَرَ، وَكَمْ إِخْلَهُ يَلْتَوِي (٢) عَلَيَّ وَيَتَّقِحُ، حِينَ يَرْتَوِي مِنِّي وَيَلْتَقِحُ.

فَقَالَ لَهُ الْفَتَى: عَلَامَ عَثَرْتَ (٣) مِنِّي، حَتَّى تَنْشُرَ هَذَا الْخِزْيَ عَنِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا سَتَرْتُ وَجْهَ بَرِّكَ، وَلَا هَتَكْتُ حِجَابَ سِتْرِكَ (٤)، وَلَا شَقَقْتُ عَصَا أَمْرِكَ، وَلَا أَلْغَيْتُ تِلَاوَةَ شُكْرِكَ.

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وَيْلَكَ وَأَيُّ رَيْبٍ أَخْزَى مِنْ رَيْبِكَ، وَهَلْ عَيْبٌ أَفْحَشُ مِنْ عَيْبِكَ؟ وَقَدْ ادَّعَيْتَ سِحْرِي وَاسْتَلْحَقْتَهُ (٥)، وَانْتَحَلْتَ شِعْرِي وَاسْتَرَقْتَهُ؟ وَاسْتِرَاقُ الشَّعْرِ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ أَفْظَعُ (٦) مِنْ سِرْقَةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّفْرَاءِ، وَغَيْرَتُهُمْ عَلَى بَنَاتِ الْأَفْكَارِ كَغَيْرَتِهِمْ عَلَى الْبَنَاتِ الْأَبْكَارِ، فَقَالَ الْوَالِي لِلشَّيْخِ: وَهَلْ حِينَ سَرَقَ سَلَخَ أَمْ مَسَخَ، أَمْ نَسَخَ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي جَعَلَ الشَّعْرَ دِيوَانَ الْعَرَبِ، وَتَرَجُّمَانَ الْأَدَبِ، مَا أَحَدَثَ سِوَى أَنْ بَتَرَ شَمْلَ سِرْحِهِ (٧)، وَأَغَارَ عَلَيَّ ثُلْثِي سِرْحِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْشِدْ أَبِيَاتَكَ بِرُمَّتِهَا (٨)، لِيَتَّضِحَ مَا أَحْتَازَهُ مِنْ جُمَلَتِهَا، فَأَنْشَدَ:

شَرَكَ الرَّدَى (٩) وَقَرَارَةَ الْأَكْدَارِ
أَبْكْتُ غَدًا بَعْدَ لَهَا مِنْ دَارِ
مِنْهُ صَدَى الْجَهَامِ (١٠) الْغَرَّارِ

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا إِنَّهَا
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا
وَإِذَا أَظْلَّ سَحَابُهَا لَمْ يَنْتَقِعْ

(١) صار ماهراً حاذقاً.

(٢) على أي شيء وقع مني اطلعت عليه.

(٤) ما أذعت عنك مكروهاً تنتهك به حرمتك.

(٥) ادَّعَيْتَهُ لِنَفْسِكَ.

(٦) أفصح وأشنع.

(٧) اجتماع فرائده.

(٨) بجملتها.

(٩) الموقعة في الهلاك.

(١٠) الجَهَامُ: السَّحَابُ الَّذِي هَرَّاقُ مَاءِهِ.

غَارَاتُهَا مَا تَنْقُضِي وَأَسِيرُهَا (١)
 كَمْ مُزْدَهَى بَغْرُورِهَا حَتَّى بَدَا
 قَلْبَتْ لَهُ ظَهْرَ الْمَجْنَّ (٣) وَأَوْلَعَتْ
 فَارِبًا بِعُمْرِكَ أَنْ يَمُرَّ مُضِيْعًا
 وَأَقْطَعُ عِلَاقَتَ (٤) حُبِّهَا وَطِلَابِهَا
 وَارْقُبْ إِذَا مَا سَأَلْتِ مِنْ كَيْدِهَا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ خُطُوبَهَا تَفْجَأُ وَلَوْ
 لَا يُفْتَدَى بِجَلَائِلِ الْأَخْطَارِ
 مُتَمَرِّدًا (٢) مُتَجَاوِزَ الْمُقْدَارِ
 فِيهِ الْمُدَى وَنَزَتْ لِأَخْذِ الشَّارِ
 فِيهَا سُدَى مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَظْهَارِ
 تَلَقَّ الْهُدَى وَرَفَاهَةَ الْأَسْرَارِ (٥)
 حَرْبَ الْعَدَى وَتَوَثُّبَ الْغَدَارِ
 طَالَ الْمُدَى وَوَنَّتْ سُرَى الْأَقْدَارِ

فَقَالَ لَهُ الْوَالِي: ثُمَّ مَاذَا صَنَعَ هَذَا؟ فَقَالَ: أَقْدَمَ لِلْوَمَةِ فِي الْجَزَاءِ عَلَى
 أَبِياتِي السُّدَاسِيَّةِ الْأَجْزَاءِ، فَحَذَفَ مِنْهَا جُزْأَيْنِ، وَنَقَصَ مِنْ أَوْزَانِهَا وَزَيْنِ،
 حَتَّى صَارَ الرُّزْءُ فِيهَا رُزْأَيْنِ، فَقَالَ لَهُ: بَيْنَ مَا أَخَذَ، وَمَنْ أَيْنَ فَلَذَ؟ فَقَالَ:
 أَرَعْنِي سَمْعَكَ، وَأَخْلٍ لِلتَّفْهَمِ عَنِّي ذَرْعَكَ (٦)، حَتَّى تَتَبَيَّنَ كَيْفَ أَصَلَّتْ (٧)
 عَلَيَّ، وَتَقَدَّرَ قَدْرَ اجْتِرَامِهِ إِلَيَّ، ثُمَّ أَنْشَدَ، وَأَنْفَاسُهُ تَتَّصَعَدُ (٨):

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَى
 دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ
 وَإِذَا أَظْلَلَّ سَحَابُهَا
 غَارَاتُهَا مَا تَنْقُضِي
 كَمْ مُزْدَهَى بَغْرُورِهَا
 قَلْبَتْ لَهُ ظَهْرَ الْمَجْنَّ
 عِةَ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى
 فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَدَا
 لَمْ يَنْتَقِعْ مِنْهُ صَدَى
 وَأَسِيرُهَا لَا يُفْتَدَى
 حَتَّى بَدَا مُتَمَرِّدًا
 نَّ وَأَوْلَعَتْ فِيهِ الْمُدَى

(٢) متجاوز الحد في الفساد.

(٤) أسباب.

(٦) صدرك وقلبك.

(٨) تعلقو إلى فوق من الغيظ.

(١) مملوكها وهو المتشبه بها الطامع فيها.

(٣) أي: تغيرت عليه وساءته.

(٥) البواطن والقلوب.

(٧) جرده وسله.

فَارِبًا بِعُمْرِكَ أَنْ يُمِرَّ مُضِيْعًا فِيهَا سُدى
وَاقْطَعْ عَلائِقَ حُبِّهَا وَطِلابِها تَلَقَّ الْهُدى
وَارْقُبْ إِذا ما سَأَلْتَ مِنْ كَيْدِها حَرْبَ العَدى
وَاعْلَمْ بِأَنَّ خُطوبَها تَفْجَأُ وَلَوْ طَالَ المدى

فالتفتَ الوالى إلى الغلام وقال: تبا لك من خريجِ مارقٍ (١)، وتلميذِ سارقٍ! فقال الفتى: برئتُ (٢) من الأدبِ وبنيه، ولحقتُ بمن يناويه، ويقوضُ مبانِيه، إن كانتُ آيائُهُ نمتُ (٣) إلى علمي، قبلَ أن ألفتُ نظمي، وإنما اتفقَ توارِدُ الخواطرِ (٤)، كما قد يقعُ الحافرُ على الحافرِ، قال: فكأنَّ الوالى جوزَ صدقِ زعمه (٥)، فندمَ على بادرةِ ذمِّه، فظَلَّ يُفكِّرُ في ما يكشفُ له عن الحقائقِ، ويميزُ به الفائقِ (٦)، من المائقِ (٧)، فلم يرَ إلا أخذهما بالمناضلةِ، وكزَّهما (٨) في قرنِ المساجلةِ، فقال لهما: إن أردتما افتِصاحَ العاطلِ، واتِّصاحَ الحقِّ من الباطلِ، فتراسلا (٩) في النظمِ وتباريا، وتجاولا في حلبةِ الإجازةِ وتجاريا، ليهلكَ من هلكَ عن بينةٍ، ويحيا من حيَّ عن بينةٍ، فقالا بلسانِ واحدٍ، وجوابٍ متوارِدٍ (١٠): قد رَضينا بسبرِكَ (١١)، فمرنا بأمرِكَ.

فَقَالَ: إِنِّي مُولِعٌ مِنْ أَنْواعِ البَلاغَةِ بالتَّجَنُّيسِ (١٢)، وَأَراهُ لها كَالرَّئيسِ،

(١) خارجٌ عن الطَّاعةِ.

(٢) ارتفعت وبلغت.

(٣) قوله.

(٤) الأحمق الضعيف التَّديبِ.

(٥) تجاريا.

(٦) باختيارِكَ.

(٧) تنحيَّت وانفصلت.

(٨) التَّوارِدُ بين الشاعرين.

(٩) الفاضل.

(١٠) ضمهما.

(١١) متتابع.

(١٢) تناسُب اللفظ واختلاف المعنى.

فَانظَمَا الْآنَ عَشْرَةَ آيَاتٍ تُلْحِمَانِهَا بَوْشِيهِ، وَتُرْصَعَانِهَا بِحَلِيهِ، وَضَمَّنَاهَا
 شَرْحَ حَالِي^(١)، مَعَ إِنْفِ لِي بَدِيعِ الصَّفَةِ^(٢)، أَلْمَى الشَّفَةِ، مَلِيحِ التَّشْنِي،
 كَثِيرِ التِّيهِ وَالتَّجْنِي، مُغْرَى بِنَاسِي الْعَهْدِ^(٣)، وَإِطَالَةِ الصَّدِّ، وَإِخْلَافِ
 الْوَعْدِ، وَأَنَا لَهُ كَالْعَبْدِ.

قَالَ: فَبَرَزَ الشَّيْخُ مُجَلِّيًا، وَتَلَاهُ الْفَتَى مُصَلِّيًا، وَتَجَارِيَا^(٤) بَيْتًا فَبَيْتًا عَلَى
 هَذَا النَّسَقِ، إِلَى أَنْ كَمَلَ نَظْمَ الْآيَاتِ وَاتَّسَقَ، وَهِيَ:

| | |
|--------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------|
| وَأَحْوَى حَوَى رِقِّي ^(٥) بَرَقَّةِ ثَغْرِهِ | وَغَادَرَنِي إِنْفَ السُّهَادِ ^(٦) بَغَدْرِهِ |
| تَصَدَّى لِقَتْلِي بِالصُّدُودِ ^(٧) وَإِنِّي | لَفِي أَسْرِهِ مُذْ حَازَ قَلْبِي بِأَسْرِهِ |
| أَصْدَقُ مِنْهُ الزُّورَ خَوْفَ أَزْوَرَارِهِ ^(٨) | وَأَرْضِي اسْتِمَاعَ الْهَجْرِ خَشْيَةَ هَجْرِهِ |
| وَأَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ مِنْهُ وَكُلَّمَا | أَجَدَّ عَذَابِي جَدَّ بِي حُبَّ بَرِّهِ ^(٩) |
| تَنَاسَى ذِمَامِي وَالتَّنَاسِي مَذْمَمَةٌ | وَأَحْفَظُ قَلْبِي وَهُوَ حَافِظُ سِرِّهِ |
| وَأَعْجَبُ مَا فِيهِ التَّبَاهِي بِعُجْبِهِ | وَأَكْبِرُهُ عَنْ أَنْ أَفُوهَ ^(١٠) بِكِبْرِهِ |
| لَهُ مِنِّي الْمَدْحُ الَّذِي طَابَ نَشْرُهُ | وَلِي مِنْهُ طِيُّ الْوَدِّ مِنْ بَعْدِ نَشْرِهِ ^(١١) |
| وَلَوْ كَانَ عَدْلًا مَا تَجَنَّى وَقَدْ جَنَى | عَلَيَّ وَغَيْرِي يَجْتَنِي رَشْفَ ثَغْرِهِ ^(١٢) |
| وَلَوْ لَا تَشْنِيهِ ثَنَيْتُ أَعْنَتِي | بِدَارًا إِلَى مَنْ أَجْتَلِي نُورَ بَدْرِهِ |
| وَإِنِّي عَلَى تَصْرِيفِ أَمْرِي وَأَمْرِهِ | أَرَى الْمُرَّ حُلُومًا فِي انْقِيَادِي لِأَمْرِهِ |

(١) اجعلها محتوية على إظهار ما في نفسي.

(٢) مولع بنسيان الصُّحْبَةِ.

(٣) حاز ملكي واسترقني.

(٤) بالاعراض عني.

(٥) أي إحسانه.

(٦) أي بسطه.

(٧) أي أنطق.

(٨) مصّ مبسمه.

(٩) غريب الوصف.

(١٠) تسايقا.

(١١) مصاحب السَّهْرِ.

(١٢) انحرافه وميله عني.

فَلَمَّا أُنشِدَهَا الْوَالِي مُتْرَاسِلِينَ (١)، بُهِتَ لِدَكَاءِ يَهُمَا الْمُتَعَادِلِينَ، وَقَالَ:
أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّكُمْ فِرْقَادَا سَمَاءٍ، وَكَزَنْدَيْنِ فِي وَعَاءٍ، وَأَنَّ هَذَا الْخَدَثَ (٢)
لِيُنْفِقُ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ، وَيَسْتَعْنِي بِوُجْدِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ، فَتُبُّ أَيُّهَا الشَّيْخُ مِنْ
اتِّهَامِهِ، وَتُبُّ إِلَى إِكْرَامِهِ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: هِيَاتَ أَنْ تُرَاجِعَهُ مِقْتِي (٣)، أَوْ تَعْلُقَ بِهِ ثِقْتِي! وَقَدْ بَلَوْتُ
كُفْرَانَهُ لِلصَّنِيعِ، وَمُنِيَّتْ (٤) مِنْهُ بِالْعُقُوقِ (٥) الشَّنِيعِ.

فَاعْتَرَضَهُ الْفَتَى، وَقَالَ: يَا هَذَا إِنَّ اللَّجَاجَ شَوْمٌ، وَالْحِنَقَ لُؤْمٌ، وَتَحْقِيقَ
الظَّنَّةِ إِثْمٌ، وَإِعْنَاتَ الْبَرِيِّ ظُلْمٌ، وَهَبْنِي اقْتَرَفْتُ جَرِيرَةً (٦)، أَوْ اجْتَرَحْتُ
كَبِيرَةً، أَمَا تَذَكَّرُ مَا أَشَدَّتْنِي لِنَفْسِكَ، فِي إِبَانِ أُنْسِكَ:

سَامِحٌ أَخَاكَ إِذَا خَلَطُ مِنْهُ الْإِصَابَةَ بِالْغَلَطِ
وَتَجَافٍ عَنْ تَعْنِيفِهِ
وَاحْفَظْ صَنِيعَكَ عِنْدَهُ
وَاطْعُهُ إِنْ عَاصَى وَهُنُ
وَاقِنَ الْوَفَاءَ وَلَوْ أَخَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ طَلَبُ
مَنْ ذَا الَّذِي مَاسَاءَ قَطُّ

إِنْ زَاغَ (٧) يَوْمًا أَوْ قَسَطُ
شَكَرَ الصَّنِيعَةَ أَمْ غَمَطُ (٨)
إِنْ عَزَّ وَادُنُّ إِذَا شَحَطُ
لَمْ بِمَا اشْتَرَطْتَ وَمَا شَرَطُ
تَ مَهْدَبًا (٩) رُمْتَ الشَّطَطُ (١٠)
طُ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ

(١) متتابعين.

(٢) أي: الشاب.

(٣) محبتي.

(٤) بليت.

(٥) بالقطيعة.

(٦) اكتسبت ذنبًا.

(٧) مالَ عنك.

(٨) غمط النعمة: كفرها، واستحقرها وجحدتها.

(٩) مخلصًا من النقص.

(١٠) طلبت ما لا يُنال.

أومَاترى المَحْبُوبَ وَالـ
كَالشَّوْكَ يَبْدُو فِي الغُصُو
وَلذَاذَةُ العُمَرِ الطَّوِيـ
ولو انتقدت بني الزمما
رُضتُ البَلَاغَةَ وَالبَرَا
فوجدتُ أحسنَ مَا يُرى
مَكروهَ لُزًّا (١) فِي نَمَطُ
ن مَعَ الجَنِيِّ المُلْتَقَطُ (٢)
لِ يَشُوبُهَا نغصُ الشَّمَطُ (٣)
ن وَجَدتُ أَكثَرَهُم سَقَطُ
عَةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالخَطَطُ (٤)
سبَرَ العُلُومَ مَعًا فَقطُ

قال: فجعلَ الشَّيْخُ يُنْضِضُ (٥) نَضْنُضَةَ الصَّلِّ (٦)، وَيُحْمَلِقُ حَمَلِقَةَ
الْبَازِي المَطْلُ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي زَيْنَ السَّمَاءِ بِالشُّهْبِ، وَأَنْزَلَ المَاءَ مِنْ
السُّحْبِ، مَا رُوغِي عَنِ الاصْطِلَاحِ، إِلَّا لِتَوْقِي الاِفْتِضَاحِ (٧)، فَإِنَّ هَذَا
الْفَتَى اعْتَادَ أَنْ أَمُونَهُ، وَأُرَاعِي شُؤُونَهُ (٨)، وَقَدْ كَانَ الدَّهْرُ يَسُحُّ، فَلَمْ أَكُنْ
أَشْحَ، فَأَمَّا الآنَ فَالوَقْتُ عُبُوسٌ، وَحَشُو العَيْشِ بُوسٌ (٩)، حَى إِنَّ بِيْتِي
هَذِهِ عَارَةٌ (١٠)، وَبِيْتِي لَا تَطُورُ بِهِ فَارَةٌ. قَالَ: فَرَقَ لِمَقَالِهِمَا قَلْبُ الوَالِي،
وَأَوَى لَهُمَا مِنْ غَيْرِ اللِّيَالِي، وَصَبَا إِلَيَّ اخْتِصَاصِهِمَا بِالإِسْعَافِ، وَأَمَرَ النِّظَارَةَ
بِالانصِرَافِ.

قَالَ الرَّأوِي: وَكُنْتُ مَتَشَوِّفًا (١١) إِلَى مَرَأَى الشَّيْخِ لَعَلِّي أَعْلَمُ عِلْمَهُ، إِذَا
عَايَنْتُ وَسَمِعْتُهُ، وَلَكِنْ يَكُنُ الزَّحَامُ يَسْفِرُ عَنْهُ، وَلَا يُفْرَجُ لِي فَأَدْنُو مِنْهُ، فَلَمَّا
تَقَوَّضَتِ (١٢) الصُّفُوفُ، وَأَجْفَلَ الوُقُوفُ، تَوَسَّمْتُهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ وَالفَتَى

(١) قُرْنَا وَرَبِطًا.

(٢) هو اختلاطُ بياضِ الشَّيْبِ بِالسَّوَادِ.

(٣) جمعُ خِطَّةٍ - بالكسر - وهي: الطَّرِيقُ.

(٤) الحية التي لا تقبل الرقية.

(٥) التحفظ من الفضيحة.

(٦) يحرك لسانه.

(٧) أحفظ أحواله.

(٨) ضرر وشدة.

(٩) كنت متطلعًا.

(١٠) فلما تفرقت.

(١١) قُرْنَا وَرَبِطًا.

(١٢) هو اختلاطُ بياضِ الشَّيْبِ بِالسَّوَادِ.

فناه، فعرفتُ حينئذٍ مغزاهُ في ما أتاه، وكذتُ أنقضُ (١) عليه لأستعرفَ إليه، فزجرني بإيماضِ طرفه، واستوقفني بإيماءِ كفه، فلزمتُ موقفي، وأخرتُ منصرفي، فقال الوالي: ما مرأمك، ولأي سببٍ مقامك؟ فابتدره (٢) الشيخ وقال: إنه أنيسي، وصاحبُ ملبوسي، فتسمحَّ عند هذا القول بتأنيسي (٣)، ورخص (٤) في جلوسي، ثم أفاضَ عليهما خلعتين (٥)، ووصلهما بنصابِ من العين، واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف، إلى إطلالِ اليومِ المخوف (٦)، فنهضا من ناديه، مُشدين بشكرِ أياديه، وتبعتهما لأعرفَ مثاهما، وأتزوَّدَ من نجواهما (٧)، فلما أجزنا حمى الوالي، وأفضينا إلى الفضاءِ الخالي، أدركني أحدُ جلاوزته، مهيباً بي إلى حوزته (٨)، فقلتُ لأبي زيد: ما أظنه استحضرني، إلا ليستخبرني، فماذا أقول، وفي أيِّ وادٍ معه أجول؟ فقال: بين له غباوة قلبه، وتلعابي بلبه، ليعلم أن ريحه لاقتُ إعصاراً (٩)، وجدوله صادفَ تياراً، فقلتُ: أخافُ أن يتقدَّ غضبه، فيلفحك لهبه، أو يستشري طيشه (١٠)، فيسري إليك بطشه (١١)، فقال: إنني أرحلُ الآن إلى الرهي، وأنى يلتقي سهيلٌ والسهي؟ فلما حضرتُ الوالي وقد خلا مجلسه، وانجلى (١٢) تعبسه، أخذ يصفُ أبا زيد وفضله، ويذمُّ الدهرَ له، ثم قال: نشدتُك (١٣) الله ألسنَ الذي أعاره الدست؟ فقلتُ: لا والذي

(١) أنزل وأسقط.

(٢) فسقه.

(٣) بموانستي وهي ضد الوحشة.

(٤) وسع.

(٥) ثوبين.

(٦) حلول يوم الموت.

(٧) حديثهما سراً.

(٨) ناحيته.

(٩) الإعصار: ريح شديدة تثير الغبار الذي يستدير كالعمود.

(١٠) خفته.

(١١) سطوته.

(١٢) زال تقطَّب وجهه.

(١٣) سألتك بالله.

أَحَلَّكَ فِي هَذَا الدَّسْتِ، مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ الدَّسْتِ، بَلْ أَنْتَ الَّذِي تَمَّ عَلَيْهِ الدَّسْتُ، فَازُورَتْ مُقْلَتَاهُ (١)، وَاحْمَرَّتْ وَجْتَتَاهُ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْجَزَنِي قَطُّ فِضْحُ مُرَيْبٍ، وَلَا تَكْشِيفُ مَعِيبٍ، وَلَكِنْ مَا سَمِعْتُ بِأَنَّ شَيْخًا دَلَّسَ، بَعْدَمَا تَطَلَّسَ (٢) وَتَقَلَّسَ، فَيَهَذَا تَمَّ لَهُ أَنْ لَبَّسَ، أَفْتَدْرِي أَيْنَ سَكَعَ (٣)، ذَلِكَ اللَّكْعُ (٤)؟ قُلْتُ: أَشْفَقَ مِنْكَ لِتَعْدِي طَوْرَهُ (٥)، فَظَعَنَ عَنْ بَعْدَادَ مِنْ فَوْرِهِ، فَقَالَ: لَا قَرَّبَ اللَّهُ لَهُ نَوَى، وَلَا كَلَاهُ (٦) أَيْنَ ثَوَى، فَمَا زَاوَلْتُ أَشَدَّ مِنْ نُكْرِهِ، وَلَا ذُقْتُ أَمْرًا مِنْ مَكْرِهِ، وَلَوْ لَا حُرْمَةُ أَدْبِهِ، لَأَوْغَلْتُ فِي طَلْبِهِ، إِلَى أَنْ يَقَعَ فِي يَدِي فَأَوْقَعَ بِهِ، وَإِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ تَشِيعَ فَعَلْتُهُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، فَأَفْتَضِحَ بَيْنَ الْأَنَامِ، وَتَحَبَّطَ (٧) مَكَانَتِي عِنْدَ الْإِمَامِ، وَأَصِيرَ ضُحْكَةً بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، فَعَاهَدَنِي عَلَيٌّ أَنْ لَا أَفُوهَ (٨) بِمَا اعْتَمَدَ، مَا دُمْتُ حَلًا بِهَذَا الْبَلَدِ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَعَاهَدْتُهُ مُعَاهَدَةً مِنْ لَا يَتَأَوَّلُ (٩)، وَوَفَّيْتُ لَهُ كَمَا وَفَى السَّمَوَالُ.



(٢) لبس الطيلسان وهو: لباس الخواص.

(٤) اللثيم الدنيء القدر.

(٦) حفظه.

(٨) أفوه وأتكلم.

(١) انقلبت ومالت عيناه.

(٣) ذهب وتوجه وسار.

(٥) أي لتجاوز حدّه.

(٧) تبطل وتفسد.

(٩) يطلب التأويل في نقض العهد.

المقامة الرابعة والعشرون القطيعية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قالَ: عاشرتُ بقطيعةَ الربيعِ، في إبانِ الربيعِ،
فنيةً وجوههم أبلجُ من أنواره^(١)، وأخلاقهم أبهجُ من أزهاره، وألفاظهم
أرقُ من نسيمِ أسحاره^(٢)، فاجتليتُ منهم ما يُزري^(٣) على الربيعِ الزاهرِ،
ويُغني عن رناتِ المزاهرِ، وكنا تقاسمنا^(٤) على حفظِ الودادِ، وحظرِ
الاستبدادِ، وأن لا يتفرد أحدنا بالتذادِ، ولا يستأثر وكو برداذِ، فأجمعنا في
يومٍ سما دجنه^(٥)، ونما^(٦) حسنه، وحكم بالاصطباحِ مزنه، على أن نلتهي
بالخروجِ إلى بعضِ المروجِ، لنسرح النواظر^(٧) في الرياضِ النواصِرِ،
ونصقل^(٨) الخواطرِ بشيمِ المواطرِ، فبرزنا ونحن كالشهورِ عدة^(٩)،
وكندمانِي جديمة مودة، إلى حديقة أخذت زحرفها وازينت، وتنوعت
أزاهيرها وتلوّنت، ومعنا الكميتُ الشُموسُ، والسقاةُ الشُموسُ،
والشادي^(١٠) الذي يُطربُ السامعَ ويلهيه، ويقرّي كلَّ سمعٍ ما يشتهيه، فلما
اطمأن بنا الجلوسُ، ودارت علينا الكؤوسُ، وغل علينا دمر^(١١) عليه

(١) أضوا من أزهار الربيع.

(٣) أزرى عليه: عابه.

(٥) ارتفع غيمه.

(٧) لتنزه العيون.

(٩) أي خرجنا ونحن اثنا عشر شخصاً.

(١١) بكسر الذال؛ أي: الشجاع.

(٢) جمع سحر - بالتحريك - وهو آخر الليل.

(٤) تحالفنا.

(٦) زاد.

(٨) نجلو.

(١٠) المغني.

طَمْرٌ، فَجَهَّمْنَاهُ (١) تَجْهَّمُ الْغَيْدِ الشَّيْبَ، وَوَجَدْنَا صَفْوًا يَوْمَنَا قَدْ شَيْبَ (٢)،
إِلَّا أَنَّهُ سَلَّمَ تَسْلِيمَ أَوْلِيِ الْفَهْمِ، وَجَلَسَ يَفْضُ لَطَائِمَ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ، وَنَحْنُ
نَنْزَوِي (٣) مِنْ انْبِسَاطِهِ، وَنَنْبِرِي لَطِيَّ بَسَاطِهِ، إِلَى أَنْ غَنَّى شَادِينَا الْمَغْرِبُ،
وَمَغْرَدْنَا الْمُطْرِبُ:

إِلَامَ سَعَادٍ لَا تَصْلِينَ حَبْلِي وَلَا تَأْوِينِ (٤) لِي مِمَّا أَلَا قِي
صَبْرْتُ عَلَيْكَ حَتَّى عَيْلَ صَبْرِي وَكَادَتْ تَبْلُغُ الرُّوحَ التَّرَاقِي
وَهَا أَنَا قَدْ عَزَمْتُ عَلَى انْتِصَافِ (٥) أُسَاقِي فِيهِ خَلِّي مَا يُسَاقِي
فَإِنْ وَصَلًا أَلَذُّ بِهِ فَوَصَّلْ وَإِنْ صَرَمًا (٦) فَصَرِّمْ كَالطَّلَاقِ

قَالَ: فَاسْتَفْهَمْنَا الْعَابِثَ بِالْمَثَانِي (٧)، لَمْ نَصَبِ الْوَصْلَ الْأَوَّلَ وَرَفَعَ
الثَّانِي؟ فَأَقْسَمَ بِتُرْبَةِ أَبِيهِ، لَقَدْ نَطَقَ بِمَا اخْتَارَهُ سَيُوبِيهِ، فَتَشَعَّبَتْ (٨) حِينْتِ
أَرَأَى الْجَمْعَ، فِي تَجْوِيزِ النَّصْبِ وَالرَّفْعِ. فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: رَفَعَهُمَا هُوَ الصَّوَابُ.
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لَا يَجُوزُ فِيهِمَا إِلَّا الْإِنْتِصَابُ، وَاسْتَبْهَمَ عَلَى آخَرِينَ
الْجَوَابُ، وَاسْتَعَرَّ (٩) بَيْنَهُمُ الْإِصْطِحَابُ، وَذَلِكَ الْوَاغِلُ (١٠) يُبْدِي ابْتِسَامَ
ذِي مَعْرِفَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ بَيْنَتْ شَفَّةً، حَتَّى إِذَا سَكَنْتِ الزَّمَا جِرُّ، وَصَمَتِ
الْمَزْجُورُ وَالزَّاجِرُ. قَالَ: يَا قَوْمُ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَأَمِيرُ صَحِيحِ الْقَوْلِ مِنْ
عَلَيْهِ، إِنَّهُ لَيَجُوزُ رَفْعُ الْوَصْلَيْنِ وَنِصْبُهُمَا، وَالْمَغَايِرَةُ فِي الْإِعْرَابِ بَيْنَهُمَا،

(٢) قَدْ خُلِطَ بِالْكَدْرِ.

(١) اسْتَقْبَلْنَاهُ بِوَجْهِ كَرِيهِ.

(٤) تَرَأَيْنِي بِي وَتَرَحْمِينِي.

(٣) نَنْقَبِضُ.

(٦) قَطَعًا وَهَجْرًا.

(٥) انْتِصَارٌ لِلْحَقِّ.

(٧) أَي: اللَّاعِبُ بِهَا وَالْمَحْرُكُ لَهَا، وَهِيَ أَوْتَارُ الْعُودِ؛ لِكُونِهَا مَثْنَى.

(٨) كَفَرَّتْ وَاخْتَلَفَتْ.

(٩) انْتَهَبَ وَاشْتَدَّ.

(١٠) الدَّخْلُ بِلَا دَعْوَةٍ.

وذلك بحسب اختلاف الإضمار، وتقدير المحذوف في هذا المضمار (١).
 قَالَ: ففَرَطَ مِنَ الْجَمَاعَةِ إِفْرَاطًا فِي مُمَارَاتِهِ (٢)، وَأَنْخَرَاطًا إِلَى مُبَارَاتِهِ،
 فَقَالَ: أَمَا إِذَا دَعَوْتُمْ نَزَالَ، وَتَلَبَّيْتُمْ لِلنِّضَالِ، فَمَا كَلِمَةٌ هِيَ إِنْ شِئْتُمْ حَرْفٌ
 مَحْبُوبٌ، أَوْ اسْمٌ لِمَا فِيهِ حَرْفٌ حَلُوبٌ؟ وَأَيُّ اسْمٍ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ فَرْدٍ حَازِمٍ (٣)،
 وَجَمْعٍ مُلَازِمٍ؟ وَآيَةٌ هَاءٌ إِذَا التَّحَقَّتْ أَمَاطَتُ (٤) الثَّقَلِ، وَأَطْلَقَتِ الْمُعْتَقَلُ؟
 وَأَيْنَ تَدْخُلُ السَّيْنُ فَتَعَزِلُ الْعَامِلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُجَامِلَ؟ وَمَا مَنْصُوبٌ أَبْدَأَ عَلَى
 الظَّرْفِ، لَا يَخْفِضُهُ سِوَى حَرْفٍ؟ وَأَيُّ مُضَافٍ أَخْلَى مِنْ عَرَى الْإِضَافَةِ
 بِعُرْوَةٍ، وَاخْتَلَفَ حُكْمُهُ بَيْنَ مَسَاءٍ وَغُدُوَّةٍ (٥)؟ وَمَا الْعَامِلُ الَّذِي يَتَّصِلُ آخِرُهُ
 بِأَوَّلِهِ، وَيَعْمَلُ مَعَكُوسُهُ مِثْلَ عَمَلِهِ؟ وَأَيُّ عَمَلٍ نَائِبُهُ أَرْحَبُ مِنْهُ وَكْرَأُ،
 وَأَعْظَمُ مَكْرَأُ، وَأَكْثَرُ لِلَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا؟ وَفِي أَيِّ مَوْطِنٍ تَلَبَّسَ الذُّكْرَانُ بِرَاقِعِ
 النِّسْوَانِ، وَتَبَرَّزُوا رِبَّاتِ الْحِجَالِ بِعَمَائِمِ الرِّجَالِ؟ وَأَيْنَ يَجِبُ حِفْظُ الْمَرَاتِبِ
 عَلَى الْمَضْرُوبِ وَالضَّارِبِ؟ وَمَا اسْمٌ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِاسْتِضَافَةِ كَلِمَتَيْنِ، أَوْ
 الْاِقْتِصَارِ مِنْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، وَفِي وَضْعِهِ الْأَوَّلِ التِّزَامُ، وَفِي الثَّانِي الْإِزَامُ؟ وَمَا
 وَصْفٌ إِذَا أُرْدِفَ بِالنُّونِ، نَقَصَ صَاحِبَهُ فِي الْعُيُونِ، وَقُومَ بِالذُّونِ، وَخَرَجَ
 مِنَ الزَّبُونِ، وَتَعَرَّضَ لِلْهُونِ؟ فَهَذِهِ ثِنْتَا عَشْرَةَ مَسْأَلَةً وَفَقَّ عَدَدِكُمْ، وَزِنَةَ
 لَدَدِكُمْ (٦)، وَلَوْ زِدْتُمْ زِدْنَا، وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا، قَالَ الْمُخْبِرُ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ:
 فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ أَحَاجِيهِ اللَّاتِي هَالَتْ (٧)، لَمَّا انْهَالَتْ، مَا حَارَتْ لَهُ الْأَفْكَارُ
 وَحَالَتْ، فَلَمَّا أَعْجَزْنَا الْعَوْمُ فِي بَحْرِهِ، وَاسْتَسَلَّمَتْ تَمَائِمُنَا (٨) لِسِحْرِهِ،

(١) الميدان، وهو في الأصل: محل الحرب.

(٢) مجادلته.

(٣) ضابط.

(٤) أزال.

(٥) وزن خصومتكم الشديدة.

(٦) بكرة النهار.

(٧) جمع تيممة، وهي: العوذة.

(٨) من الهول، وهو ما يروع.

عدلنا من استثقال الرؤية له إلى استتزال الرواية عنه، ومن بغى التبرم^(١) به إلى ابتغاء^(٢) التعلم منه، فقال: والَّذِي نَزَلَ النَّحْوَ فِي الْكَلَامِ، مَنْزِلَةَ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، وَحَجَبَهُ عَنِ بَصَائِرِ الطَّعَامِ^(٣)، لَا أَنْتَلْتُكُمْ مَرَامًا^(٤)، وَلَا شَفِيتُ لَكُمْ غَرَامًا، أَوْ تُخَوِّكُنِي كُلُّ يَدٍ، وَيَخْتَصِنِي كُلُّ مَنْكُمُ بِيَدٍ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْجُمَاعَةِ إِلَّا مَنْ أَدْعَنَ لِحُكْمِهِ، وَنَبَذَ إِلَيْهِ حُبَابَةَ كُفِّهِ، فَلَمَّا حَصَلَتْ تَحْتَ وَكَائِهِ^(٥)، أَضْرَمَ شُعْلَةَ ذِكَائِهِ، فَكَشَفَ حَيْثُنْذَ عَنْ أَسْرَارِ الْغَازِهِ، وَبَدَائِعِ إِعْجَازِهِ، مَا جَلَا^(٦) بِهِ صَدَأَ الْأُذْهَانِ^(٧)، وَجَلَّى مَطْلَعَهُ بِنُورِ الْبُرْهَانِ^(٨).

قَالَ الرَّأْوِي : فَهَمْنَا ، حِينَ فَهَمْنَا ، وَعَجِبْنَا ، إِذْ أُجِبْنَا ، وَنَدِمْنَا عَلَى مَا نَدَمْنَا^(٩) ، وَأَخَذْنَا نَعْتَذِرُ إِلَيْهِ اعْتِذَارَ الْأَكْيَاسِ ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِ ارْتِضَاعَ الْكَاسِ ، فَقَالَ : مَارَبُّ لَا حِفَاوَةَ ، وَمَشْرَبُّ لَمْ يَبْقَ لَهُ عِنْدِي حِلَاوَةٌ ، فَأَطْلُنَا مُرَاوَدَتَهُ ، وَوَالَيْنَا مُعَاوَدَتَهُ ، فَشَمَخَ^(١٠) بَأَنْفِهِ صَلْفًا ، وَنَأَى بِجَانِبِهِ أَنْفًا^(١١) ، وَأَنْشَدَ :

نَهَانِي الشَّيْبُ عَمَّا فِيهِ أَفْرَاحِي
فَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالرَّاحِ
وَهَلْ يَجُوزُ أَصْطَبَاحِي مِنْ مُعْتَقَّةٍ^(١٢)
وَقَدْ أَنْارَ مَشِيبَ الرَّأْسِ إِصْبَاحِي

(١) الضَّجْرُ مِنْهُ . (٢) طَلَبُ .

(٣) السَّفَلَةُ الْأَرْضَالُ مِنَ النَّاسِ . (٤) مَطْلَبًا .

(٥) الْوِكَاءُ : خَيْطٌ يُرْبِطُ بِهِ . (٦) صَقَلَ .

(٧) دَنَسَ الْعُقُولَ وَالصَّدَأُ ، فِي الْأَصْلِ : مَا يَرْكَبُ الْحَدِيدَ .

(٨) الْحِجَّةُ . (٩) مَا فَرِطَ وَانْفَلَتَ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ .

(١٠) رَفَعَ أَنْفَهُ تَكْبِيرًا . (١١) اسْتِنَكَافًا وَحِمِيَّةً .

(١٢) مِنْ خَمْرٍ قَدِيمَةٍ .

آلَيْتُ لَا خَامِرْتَنِي (١) الْخَمْرُ مَا عَلِقَتْ

رُوحِي بِجَسَمِي وَالْفَاضِي بِأَفْصَاحِي

وَلَا اِكْتَسَتْ لِي بِكَاسَاتِ السُّلَافِ (٢) يَدٌ

وَلَا أَجَلْتُ قَدَاحِي بَيْنَ أَقْدَاحِ

وَلَا صَرَفْتُ إِلَى صَرَفِ (٣) مُشْعَشَعَةٍ

هَمِّي (٤) وَلَا رُحْتُ مُرْتَا حَا إِلَى رَاحِ

وَلَا نَظَّمْتُ عَلَى مَشْمُولَةٍ أَبْدًا

شَمْلِي وَلَا اخْتَرْتُ نَدْمَانًا سِوَى الصَّاحِي (٥)

مَحَا الْمَشِيبُ مِرَاحِي حِينَ خَطَّ عَلَى

رَأْسِي فَأَبْغَضُ بِهِ مِنْ كَاتِبِ مَاحِ

وَلَا حَ يَلْحَى (٦) عَلَى جَرِي الْعَنَّانِ إِلَى

مَلْهَى فَسُحْقَالَهُ مِنْ لَائِحِ لَاحِ (٧)

وَلَوْ لَهَوْتُ وَفَوْدِي شَائِبٌ لِحَبَا (٨)

بَيْنَ الْمَصَابِيحِ مِنْ غَسَّانِ مِصْبَاحِي

قَوْمٌ سَجَايَاهُمْ تَوْقِيرٌ ضَيْفُهُمْ

وَالشَّيْبُ ضَيْفٌ لَهُ التَّوْقِيرُ يَا صَاحِ

ثُمَّ إِنَّهُ أَنْسَابَ أَنْسِيَابِ الْأَيْمِ (٩)، وَأَجْفَلَ (١٠) إِجْفَالَ الْغَيْمِ (١١)، فَعَلِمْتُ

(٢) ما سال من العنب قبل أن يُعَصَرَ.

(٤) أي: اهتمامي.

(٦) يلوم.

(٨) لَحَمَدَ وَطَفَى.

(١١) آخر أمرنا وغايتنا.

(١٠) جرى وأسرع.

(١) لا خالطتني وسترت عقلي.

(٣) هي الخالصة غير المشوبة.

(٥) الندمان.

(٧) ظاهر لائم.

(٩) الحية.

أَنَّهُ سِرَاجٌ سُرُوجٌ، وَبَدْرٌ الْأَدَبِ الَّذِي يَجْتَابُ الْبُرُوجَ، وَكَانَ قُصَارَانَا التَّحْرِقَ
لِبُعْدِهِ، وَالتَّفَرُّقَ مِنْ بَعْدِهِ.



تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية

أَمَّا صَدْرُ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ مِنَ الْأُغْنِيَةِ الَّذِي هُوَ (فإن وصلاً ألدُّ به فوصل) فإنه نظير قولهم: المرء مجزيّ بعمله أن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ وهذه المسألة أودعها سيويه كتابه وجوز في إعرابها أربعة أوجه أحدها وهو أجودها أن تنصب خبراً الأول وترفع الثاني وتنصب شراً الأول وترفع الثاني ويكون تقديره إن كَانَ عمله خيراً فجزاؤه خير وإن كَانَ عمله شراً فجزاؤه شر فتنصب الأول عَلَى أَنَّهُ خبر كَانَ وترفع الثاني عَلَى أَنَّهُ خبر مبتدأ محذوف، وَقَدْ حذفت فِي هَذَا الوجه كَانَ واسمها للدلالة حَرْفِ الشَّرْطِ الَّذِي هُوَ أَن عَلَى تقديرهما وحذفت أيضاً المبتدأ للدلالة الفاء الَّتِي هِيَ جواب الشرط عليه لأنه كثيراً مَا يقع بعدها، والوجه الثاني أن تنصبهما جميعاً ويكون تقدير الكلام إن كَانَ عمله خيراً فهو يجزي خيراً وإن كَانَ عمله شراً فهو يجزي شراً فينتصب الأول عَلَى أَنَّهُ خبر كَانَ ويتنصب الثاني انتصاب المفعول به، والوجه الثالث أن ترفعهما جميعاً ويكون تقدير الكلام إن كَانَ فِي عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الأول عَلَى أَنَّهُ اسم كان، ويرتفع خير الثاني على ما بَيَّن في شرح الوجه الأول، وقد يجوز أن يرتفع خير الأول على أنه فاعل كَانَ وتجعل كَانَ المقدرة ههنا هي التامة الَّتِي تأتي بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج إِلَى خبر كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، ويكون التقدير فِي الْمَسْأَلَةِ: إن كَانَ خير فجزاؤه خير

أي إن حدث خير فجزاؤه خير، والوجه الرَّابِعُ - وهو أضعفها - أن ترفع الأول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير إن كَانَ فِي عمله خير فهو يجزي خيراً وعلى حَسَبِ هَذَا التقدير والمقدرات المحذوفات فيه يجرى إعراب البيت الَّذِي غنى به، ومما ينتظم فِي هَذَا السلك قولهم المرء مقتول بِمَا قتل به إن سيفاً فسيفٌ وإن خنجراً فخنجر. (وإما الكلمة الَّتِي هي حَرْفٌ محبوب أو اسم لما فيه حَرْفٌ حلوب: فهي نعم إن أردت بها تصديق الأخبار أو العدة عند السؤال فهي حرف، وإن عنيت بها الإبل فهي اسم، والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على الإبل وعلى كل ماشية فِيهَا إبل، وَفِي الإبل الحَرْف وهي الناقة الضامرة، سميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف، وقيل إنه الضخمة تشبيهاً بحرف الجبل.

وأما الاسمُ الْمُتَرَدَّدُ بَيْنَ فرد حازم وجمع ملازم: فهي سراويل، قَالَ بَعْضُهُمْ: هو واحد وجمعه سراويلات، فعلى هَذَا القول هو فرد، وكنى عن ضمه الخصر بأنه حازم، وَقَالَ آخرون: بل هو جمع واحده سروال مثل شمال وشماليل وسربال وسراويل، فهو على هَذَا القول جمع، ومعنى قوله ملازم أي لا ينصرف، وإنما لم ينصرف هَذَا النوع من الجمع وهو كل جمع ثلثة ألف وبعدها حَرْفٌ مشدد أو حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن لثقله وتفرد دون غيره من الجموع بأن لا نظير له فِي الأسماء الآحاد، وَقَدْ كنى فِي هذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم كَمَا كنى فِي الَّتِي قبلها عما ينصرف باللازم.

وَأَمَّا الهَاءُ الَّتِي إِذَا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل: فهي الهاء

اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك: صيارفة وصياقلة، فينصرف هَذَا الجَمْع عند التحاق الهاء بها لأنها قَدْ أصارته إِلَى أمثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية، فخف بهَذَا السبب وصرف لهذه العلة، وَقَدْ كنى فِي هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كَمَا كنى فِي الَّتِي قبلها عما لا ينصرف بالملازم.

وَأَمَّا السَيْن الَّتِي تعزل العامل من غير أن تجامل: فهي الَّتِي تدخل عَلَى الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن الَّتِي كانت قبل دخولها من أدوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل إِلَى أن تصوير المخففة من الثقيلة، وذلك كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾، وتقديره: علم أَنَّهُ سيكون.

وَأَمَّا الْمَنْصُوبُ عَلَى الظَّرْفِ الَّذِي لا يخفضه سوى حرف: فهو عند إِذْ لا يجره غير «من» خاصة، وقول العامة: ذهبت إِلَى عنده لحن.

وَأَمَّا الْمُضَافِ الَّذِي أَخْل من عرى الإضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة: فهو لدن، ولدن من الأسماء الملازمة للإضافة وكل مَا يَأْتِي بعدها مجرور به إلا غدوة فإن العرب نصبته بلدن لكثرة استعمالهم إياها فِي الكلام، ثُمَّ نَوَّتْهَا أيضاً لِيَتَبَيَّنَ بذلك أنها منصوبة لا أنها من نوع المجرورات الَّتِي لا تنصرف، وعند بَعْضِ النحويين أن لدن بمعنى عند، والصحيح أن بينهما فرقاً لطيفاً وهو أن عند يشتمل معناها عَلَى مَا هو فِي ملكك ومكتتك مما دنا منك وبعد عنك، ولدن يختص معناها بِمَا حضرَكَ وقرب منك.

وَأَمَّا العامل الَّذِي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله: فهو

يا، ومعكوسه أي، وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في الاسم المنادى سيان وإن كانت يا أجول في الكلام وأكثر في الاستعمال، وقد اختار بعضهم أن ينادى بأي القريب فقط كالهزمة.

وأما العامل الذي نأثبه أرحب منه وكرأ وأعظم مكرأ وأكثر لله تعالى ذكراً: فهو باء القسم، وهذه الباء هي أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك: أقسم بالله، ولدخولها أيضاً على المضمر كقولك: بك لأفعلن، وإنما أبدلت الواو منها في القسم لأنهما جميعاً من حروف الشفة ثم لتقارب معنيهما لأن الواو تفيد الجمع والباء تفيد الإلصاق وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان، ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام ولهذا الغز بأنه أكثر لله تعالى ذكراً، ثم إن الواو أكثر موطناً من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر، والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة بإضمار رب وتتنظم أيضاً مع نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر.

وأما الموطن الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال: فهو أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها، كقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾، والهاء في هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك: قائم وقائمة وعالم وعالمة، فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد قلبه وبرز في بزة صاحبه.

وأما الموضع الَّذِي يجب فيه حفظ المراتب عَلَى المضروب والضارب: فهو حيث يشتهب الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو في أحدهما، وذلك إِذَا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى، أو من أسماء الإشارة نحو ذاك وهذا، فيجب حينئذ لإزالة اللبس إقرار كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقديمه والمفعول بتأخره.

وأما الاسمُ الَّذِي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه عَلَى حرفين: فهو مهما، وفيها قولان: أحدهما أنها مركبة من «مه» الَّتِي هي بمعنى اكفف ومن ما، والقول الثاني، وهو الصحيح، إن الأصل فِيهَا «ما» فزيدت عليها ما أخرى كَمَا تزداد عَلَى أن، فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف «ما» الأولى هاء فصارتا «مهما»، ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك: مهما تفعل افعل، وتكون حينئذ ملتزماً للفعل، وإن اقتصرت منها عَلَى حرفين وهما «مه» الَّتِي بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت مُلْزِماً من خاطبته أن يكف.

وأما الوصف الَّذِي إِذَا أردف بالنون نقص صاحبه فِي العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون: فهو ضيف إِذَا لحقته النون استحال إِلَى ضيفن، وهو الَّذِي يتبع الضيف، وينزل فِي النقد منزلة الزيف.



المقامة الخامسة والعشرون الكرجية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: شتوتُ بالكرج (١) لدينٍ أقتضيه، وأربُ أقتضيه، فبلوتُ (٢) من شتائها الكالج (٣)، وصرها النافح، ما عرفني جهدُ البلاء، وعكف بي على الاصطلاء، فلم أكنُ أزايلُ (٤) وجاري، ولا مستوقد ناري، إلا لضرورة أَدفعُ إليها، أو إقامة جماعة أحافظُ عليها، فاضطرتُ في يومٍ جوه مزمهر (٥)، ودجنه مكفهر (٦)، إلى أن برزتُ من كناني، لهمم عَناني (٧)، فإذا شيخُ عاري الجلد، بادي الجردة (٨)، وقد اعتم (٩) بريطة، واستنفر بفويطة، وحواليه جمعٌ كثيفُ الحواشي (١٠)، وهو ينشدُ ولا يحاشي:

يا قوم لا يُنبئكم عن فقري
فاعتبروا بما بدأ من ضري
وحاذروا انقلابَ سلمِ الدهر (١١)

أصدقُ من عري أوان القُرِّ
باطن حالي وخفي أمري
فإنني كنتُ نبيه القدر

(١) أقمت مدة الشتاء بها، وهي بلدة بين أذربيجان وهمدان.

(٢) جربت.

(٣) الشديد.

(٤) أفارق.

(٥) الشديد، ومنه: الزمهير.

(٦) متراكم.

(٧) أهمني.

(٨) لبس العمامة.

(٩) ظاهر البشرة.

(١٠) جماعة ملتصمون من كثرتهم منضم بعضهم إلى بعض.

(١١) احذروا تغير الدهر من الخير إلى الشر.

تُفِيدُ صُفْرِي وَتُبِيدُ سُمْرِي
فَجَرَدَ الدَّهْرُ سِيُوفَ الْغَدْرِ
وَلَمْ يَزَلْ يَسْحَتُنِي وَيَبْرِي
وَبَارَ^(٥) سَعْرِي فِي الْوَرَى وَشَعْرِي
عَارِي الْمَطَا مُجَرِّدًا مِنْ قَشْرِي^(٧)
لَا دَفَاءَ^(٨) لِي فِي الصَّنِّ وَالصَّبْرِ
فَهَلْ خَضَمَ ذُو رِدَاءِ غَمْرِي
طِلَابَ وَجْهِ اللَّهِ لِلسُّكْرِي
ثُمَّ قَالَ: يَا أَرْبَابَ الثَّرَاءِ الرَّافِلِينَ^(١٠) فِي الْفِرَاءِ، مَنْ أُوْتِيَ خَيْرًا فَلْيُنْفِقْ،
وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ^(١١) فَلْيُرْفِقْ، فَإِنَّ الدُّنْيَا عَدُورٌ، وَالدَّهْرُ عَثُورٌ، وَالْمَكْنَةُ
زَوْرَةٌ طَيْفٌ^(١٢)، وَالْفُرْصَةُ مِزْنَةٌ صَيْفٌ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ الشُّتَاءَ
بِكَافَاتِهِ، وَأَعَدَدْتُ الْأُهْبَ^(١٣) لَهُ قَبْلَ مُوَاפَاتِهِ، وَهَذَا أَنَا الْيَوْمَ يَا سَادَتِي،
سَاعِدِي وَسَادَتِي، وَجَلْدَتِي بُرْدَتِي، وَحَفَّتِي جَفَّتِي، فَلْيَعْتَبِرِ الْعَاقِلُ بِحَالِي،
وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ اللَّيَالِي^(١٤)، فَإِنَّ السَّعِيدَ مِنْ اتَّعَطَّ بِسِوَاهُ، وَاسْتَعَدَّ لِمَسْرَاهُ^(١٥)،
فَقِيلَ لَهُ: قَدْ جَلَوْتَ عَلَيْنَا أَدْبَكَ، فَاجْلُ لَنَا نَسَبَكَ، فَقَالَ: تَبًّا لِمُفْتَخِرٍ، بَعْظَمِ

(٢) الكوم: جمع كوماء، وهي: الناقة العظيمة السنم.

(٤) خلت أو درست.

(٦) مهزولاً من الفقر والضيقة.

(٨) ليس لي ما يدفنتي.

(١٠) المتبخرين.

(١٢) كزياره خيال في المنام.

(١٤) حوادثها وتغيراتها.

(١) سلاح يقطع.

(٣) المصائب الشداد.

(٥) كسد.

(٧) ثيابي.

(٩) البروز للشمس.

(١١) الإرفاق النفع.

(١٣) جمع الأهبة، كالعدة.

(١٥) لثواه.

نخر^(١)! إِنَّمَا الْفَخْرُ بِالتَّقَى، والأدبِ الْمُتَّقَى، ثُمَّ أَنشَدَ:
لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى^(٢) يَوْمُهُ لَا ابْنَ أَمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَبْنِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ
ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحَقِّقًا^(٣)، وَأَجْرَنْتُمْ^(٤) مُقْفَفًا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ يَا مَنْ
غَمَرَ بِنَوَالِهِ، وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ، صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنِّي عَلَى الْبَرْدِ
وَأَهْوَالِهِ، وَأَتَحْ لِي حُرًّا يُؤَثِّرُ مِنْ خِصَاصَةٍ، وَيُوَاسِي وَكُوَ بِقِصَاصَةٍ^(٥).

قَالَ الرَّأْوِي: فَلَمَّا جَلَى عَنِ النَّفْسِ الْعِصَامِيَّةِ^(٦)، وَالْمُلْحِ الْأَصْمَعِيَّةِ،
جَعَلَتْ مَلَامِحُ عَيْنِي تَعْجُمُهُ، وَمَرَامِي لِحْظِي تَرْجُمُهُ، حَتَّى اسْتَبْتُ^(٧) أَنَّهُ
أَبُو زَيْدٍ، وَأَنْ تَعْرِيَهُ أُحْبَوْلُهُ صَيْدٍ، وَلَمَحَ هُوَ أَنَّ عِرْفَانِي قَدْ أَدْرَكُهُ، وَكَمْ
يَأْمَنُ أَنْ يَهْتِكُهُ، فَقَالَ: أَقْسَمُ بِالسَّمْرِ وَالْقَمَرِ، وَالزُّهْرِ وَالزَّهْرِ، إِنَّهُ لَنْ
يَسْتُرَنِي إِلَّا مِنْ طَابَ خَيْمُهُ^(٨)، وَأَشْرَبَ مَاءَ الْمُرْوَةِ^(٩) أَدِيمُهُ^(١٠)،
فَعَقَلْتُ مَا عَنَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَذِرِ الْقَوْمُ مَعْنَاهُ، وَسَاءَ لِي مَا يُعَانِيهِ مِنَ الرَّعْدَةِ^(١١)،
وَأَقْشِعِرَارِ الْجِلْدَةِ^(١٢)، فَعَمَدْتُ لِفَرْوَةٍ هِيَ بِالنَّهَارِ رِيَاشِي^(١٣)، وَفِي اللَّيْلِ
فِرَاشِي، فَضَوَّتْهَا^(١٤) عَنِّي، وَقُلْتُ لَهُ: أَقْبَلْهَا مِنِّي، فَمَا كَذَبَ أَنْ افْتَرَاهَا،
وَعَيْنِي تَرَاهَا، ثُمَّ أَنشَدَ:

- (١) أي: بال.
(٢) منحنياً معوجاً.
(٣) انقبض بعضه إلى بعض.
(٤) القصاصه: ما أخذه المقتص من الشعر، والمراد: القليل من العطاء.
(٥) أي: الكريمة.
(٦) الخيم - بالكسر - الطبيعة والكرم.
(٧) علمت وتحققت.
(٨) اضطراب الأعضاء من البرد.
(٩) الفعل الجميل.
(١٠) وجهه.
(١١) تقبض جلده.
(١٢) لباسي الحسن.
(١٣) نزعته.

(٢) ظهر.

لله من البسني فروة
أضحت من الرعدة لي جنه
البسنيها واقياً مهجتي (١)
وقتي شر الإنس والجنه
سيكتسي اليوم ثنائي وفي
غد سيكسي سندس (٢) الجنة

قال: فلما فتن قلوب الجماعة، بافتنانه في البراعة، ألقوا عليه من
الفراء المغشاة، والجباب الموشاة (٣)، ما آده ثقله، ولم يكذ يقله،
فانطلق مستبشراً بالفرج، مستسقياً للكرج، وتبعته إلى حيث ارتفعت التقيّة،
وبدأت السماء نقيّة، فقلت له: لشد (٤) ما قرسك البرد، فلا تتعرّ من بعد!
فقال: ويك ليس من العدل، سرعة العدل (٥)! فلا تعجل بلوم هو ظلم،
ولا تقف ما ليس لك به علم، فوالذي نور الشية (٦)، وطيب تربة طيبة،
لو لم أتعر لرحت بالخيبة (٧)، وصفر العيبة، ثم نزع إلى الفرار، وتبرقع
بالاكفهرار (٨).

وقال: أما تعلم أن شنيشتي (٩) الانتقال من صيد إلى صيد، والانعطاف
من عمرو إلى زيد؟ وأراك قد عقتني (١٠) وعقتني (١١)، وأفتني أضعاف ما
أفدتني، فأعفني عافاك الله من لغوك، واسدد دوني باب جدك ولهوك،
فجبدته جبذ التلعب (١٢)، وجعجت به للدعابة.

(١) صائناً وحافظاً نفسي.

(٣) المنقوشة المزينة.

(٥) المبادرة باللوم.

(٧) بالحرمان.

(٩) طبيعتي وخلقي وعادتي.

(١١) عصيتني.

(١٢) هو الماजन اللاعب؛ أي: الكثير اللب. والهاء للمبالغة.

(٢) السندس: الدياتج الرقيق والإستبرق الغليظ.

(٤) أي: لعظم وما في لشد ما نكرة منصوبة واللام للقسم.

(٦) جعل الشيب نوراً.

(٨) العبوس.

(١٠) منعتني.

وَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أُورِكَ، وَأُغَطَّ عَلَى عَوَارِكِ، لَمَا وَصَلْتُ إِلَى
 صَلَّةٍ، وَلَا انْقَلَبْتَ أَكْسَى مِنْ بَصَلَةٍ، فَجَازَنِي ^(١) عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ، وَسَتَرِي
 لَكَ وَعَلَيْكَ، بِأَنْ تَسْمَحَ لِي بِرَدِّ الْفَرَوَةِ، أَوْ تُعَرِّفَنِي كَافَاتِ الشَّتْوَةِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ
 نَظْرَ الْمُتَعَجِّبِ، وَازْمَهَرَ ^(٢) اَزْمَهْرَارَ الْمُتَغَضِّبِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا رَدُّ الْفَرَوَةِ فَأُبْعَدُ
 مِنْ رَدِّ أَمْسِ الدَّائِرِ ^(٣)، وَالْمَيْتِ الْغَايِرِ، وَأَمَّا كَافَاتُ الشَّتْوَةِ فَسُبْحَانَ مَنْ
 طَبَعَ عَلَى ذَهْنِكَ، وَأَوْهَى وَعَاءَ خَزْنِكَ ^(٤)، حَتَّى أُنْسِيَتْ مَا أَنْشَدْتُكَ
 بِالذُّسْكَرَةِ ^(٥)، لَا بِنِ سُكْرَةٍ:

جَاءَ الشَّتَاءُ وَعِنْدِي مِنْ حَوَائِجِهِ ^(٦)

سَبْعٌ إِذَا الْقَطْرُ ^(٧) عَنْ حَاجَاتِنَا حَبَسَا

كِنْ ^(٨) وَكَيْسٌ وَكَانُونٌ ^(٩) وَكَاسٌ ^(١٠) طَلَاً

بَعْدَ الْكِبَابِ ^(١١) وَكَفَّ نَاعِمٌ وَكَسَا

ثُمَّ قَالَ: لِحَوَابٍ يَشْفِي، خَيْرٌ مِنْ جَلْبَابٍ يُدْفِي، فَكَتَفَ بِمَا وَعَيْتَ
 وَانْكَفَى، فَفَارَقْتُهُ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَرَوْتِي لِشَقَوْتِي ^(١٢)، وَحَصَلْتُ عَلَى الرَّعْدَةِ
 طُولَ شَتَوْتِي.



(١) قابلني .

(٢) الماضي .

(٣) حفظك .

(٤) مصالحه ومرافقه المحتاج إليها فيه .

(٥) بيت الخمار .

(٦) المطر .

(٧) مستوقد صغير، وهو ما يعده الناس للطبخ .

(٨) إنياء تُسقى به الخمر، والمراد: أن عنده الخمر وكأسها .

(٩) اللحم المشوي على الخمر .

(١٠) لشقائي وسوء حظي .

(١١) لشقائي وسوء حظي .

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ قَالَ: حَلَلْتُ سُوقِي الْأَهْوَازِ، لِابْسَاءَ حُلَّةَ
الإعواز (١)، فَلَبِثْتُ فِيهَا مُدَّةً، أَكَابِدُ (٢) شِدَّةً، وَأُزْجِي (٣) أَيَّاماً مُسَوَّدَةً، إِلَى
أَنْ رَأَيْتُ تَمَادِي الْمَقَامِ مِنْ عَوَادِي الْإِنْتِقَامِ، فَرَمَقْتُهَا (٤) بَعَيْنِ الْقَالِي،
وَفَارَقْتُهَا مُفَارَقَةَ الطَّلَلِ الْبَالِي، فَطَعَنْتُ (٥) عَنْ وَشَلِهَا، كَمِيشِ الْإِزَارِ،
رَاكِضاً (٦) إِلَى الْمِيَاهِ الْغِزَارِ (٧)، حَتَّى إِذَا سِرْتُ مِنْهَا مَرِحَلَتَيْنِ (٨)، وَبَعُدْتُ
سُرَى (٩) لَيْلَتَيْنِ، تَرَاءَتْ لِي خِيْمَةٌ مَضْرُوبَةٌ، وَنَارٌ مَشْبُوبَةٌ (١٠)، فَقُلْتُ:
أَتِيهِمَا لَعَلِّي أَنْقَعُ صَدْيِي، أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى ظِلِّ
الْخِيْمَةِ رَأَيْتُ غَلْمَةً رُوقَةً، وَشَارَةً (١١) مَرْمُوقَةً، وَشَيْخاً عَلَيْهِ بَزَّةٌ (١٢) سَنِيةٌ،
وَلَدَيْهِ فَاكِهَةٌ جَنِيةٌ، فَحِيَّتُهُ، ثُمَّ تَحَامَيْتُهُ (١٣)، فَضَحِكَ إِلَيَّ، وَأَحْسَنَ الرَّدَّ
عَلَيَّ، وَقَالَ: أَلَا تَجْلِسُ إِلَى مَنْ تَرُوقُ فَاكِهَتُهُ، وَتَشُوقُ مُفَاكِهَتُهُ؟ فَجَلَسْتُ
لَاغْتِنَامِ مُحَاضَرَتِهِ، لَا لِالْتِهَامِ مَا بِحَضْرَتِهِ، فَحِينَ سَفَرَ عَنْ آدَابِهِ، وَكَشَرَ عَنْ

(١) لباس العدم والفقر والحاجة، والمراد: أنه فقير لا شيء له.

(٢) أقاسي.

(٣) أذفع وأسوق.

(٤) نظرتها.

(٥) رحلت.

(٦) مسرعاً.

(٧) الكثيرة كناية عن كثرة الخير.

(٨) مسافة مرحلتين.

(٩) هو المشي بالليل.

(١٠) موقدة.

(١١) هيئة حسنة.

(١٢) خلعة.

(١٣) تباعدت عنه.

أنيابه، عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ بِحُسْنِ مَلْحِهِ ^(١)، وَقَبِحِ قَلْحِهِ ^(٢)، فَتَعَارَفْنَا حِينَئِذٍ، وَحَفَّتْ بِي فَرَحَتَانِ سَاعَتَيْدٍ، وَكَمْ أَدْرِبَايَهُمَا أَنَا أَضْفَى ^(٣) فَرَحًا، وَأَوْفَى مَرَحًا: أَيْسْفَارِهِ، مِنْ دُجْنَةٍ ^(٤) أَسْفَارِهِ؟ أَمْ بِخَصْبِ رِحَالِهِ، بَعْدَ إِمْحَالِهِ ^(٥)؟ وَتَأَقَّتْ ^(٦) نَفْسِي إِلَى أَنْ أَفْضَ خْتَمَ سِرِّهِ، وَأَبْطَنَ دَاعِيَةَ يُسْرِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَيْنَ إِيَابُكَ، وَإِلَى أَيْنَ انْسِيَابُكَ ^(٧)، وَبِمِ امْتَلَأَتْ عِيَابُكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْمَقْدَمُ فَمِنْ طَوْسٍ، وَأَمَّا الْمَقْصِدُ ^(٨) فِإِلَى السَّوْسِ، وَأَمَّا الْجِدَّةُ ^(٩) الَّتِي أَصَبْتُهَا فَمِنْ رِسَالَةٍ اقْتَضَبْتُهَا ^(١٠)، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَفْرُشَنِي دِخْلَتَهُ ^(١١)، وَيَسْرُدَّ عَلَيَّ رِسَالَتَهُ، فَقَالَ: دُونَ مَرَامِكَ حَرْبُ الْبَسَّوسِ، أَوْ تَصْحَبَنِي إِلَى السَّوْسِ، فَصَاحَبَتُهُ إِلَيْهَا قَهْرًا، وَعَكْفَتْ عَلَيْهِ بِهَا شَهْرًا، وَهُوَ يَعْلُنِي ^(١٢) كَاسَاتِ التَّعْلِيلِ، وَيُجْرِنِي ^(١٣) أَعْنَةَ التَّامِيلِ، حَتَّى إِذَا حَرَجَ صَدْرِي، وَعِيلَ صَبْرِي، قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَكَ عِلَّةٌ، وَلَا لِي فِي الْمَقَامِ تَعَلَّةٌ ^(١٤)، وَفِي غَدٍ أَزْجُرُ غُرَابَ الْبَيْنِ، وَأَرْحَلُ عَنْكَ بِخُفِّي حَيْنِ، فَقَالَ: حَاشَا لِلَّهِ أَنْ أُخْلِفَكَ، أَوْ أُخَالِفَكَ، وَمَا أَرْجَاتُ أَنْ أُحْدِثَكَ، إِلَّا لِأَلْبَيْتِكَ ^(١٥)، وَإِذَا كُنْتَ قَدْ اسْتَرَبْتَ بَعْدَتِي، وَأَغْرَاكَ ظَنُّ السَّوِّءِ بِمُبَاعَدَتِي ^(١٦)، فَأَصِخْ لِقَصَصِ سِيرَتِي الْمُمْتَدَّةِ،

(١) طُرْفَهُ وَالْفَاظَهُ الْحِسَانَ.

(٢) أَكْثَرَ وَأَسْبَغَ.

(٣) جَدْبَهُ.

(٤) ذَهَابِكَ.

(٥) السَّعَّةُ وَالغَنَى.

(٦) بَاطِنَ أَمْرِهِ وَحَقِيقَتِهِ.

(٧) يَحْمِلْنِي عَلَى أَنْ أُجْرَ.

(٨) هِيَ فِي الْأَصْلِ: مَا يَعْجَلُ بِهِ الصَّبِيُّ وَقَدْ نَفِطَ.

(٩) أَيُّ: لِأَجْلِ أَنْ تَلْبَثَ عِنْدِي وَتَمَكُّثَ. (١٠) رَغْبِكَ ظَنُّكَ السَّيِّئِ فِي الْبُعْدِ عَنِّي.

(١١) صَفْرَةَ أَسْنَانِهِ.

(١٢) ظَلَمَةَ وَسَوَادَ.

(١٣) اشْتَأَقْتُ.

(١٤) الْمَتَوَجِّهَ إِلَيْهِ.

(١٥) انْشَأَتُهَا وَارْتَجَلْتُهَا.

(١٦) يَسْقِينِي مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.

وأضفها إلى أخبار الفرج بعد الشدة، فقلت له: هات فما أطول طيلك، وأهول حيلك^(١)! فقال: اعلم أن الدهر العبوس^(٢)، ألقاني إلى طوس، وأنا يومئذ فقيرٌ وقيرٌ، لا فتيل لي ولا نكير، فألجاني^(٣) صفرُ اليدين، إلى التطوق^(٤) بالدين، فادنت لسوء الاتفاق، ممن هو عسرُ الأخلاق، وتوهمتُ تسني النفاق، فتوسعت في الإنفاق، فما أفقت حتى بهطني^(٥) دينٌ لزمي حقه، ولازمي مستحقه، فحررت^(٦) في أمري، وأطلعتُ غريمي على عسري، فلم يصدق إملاقي^(٧)، ولا نزع عن إرهاقي، بل جد في التقاضي، ولج في افتيادي^(٨) إلى القاضي، وكلما خضعت له في الكلام، واستنزكت منه رفق الكرام، ورغبته في أن ينظر لي بمياسرة^(٩)، أو ينظرني إلى ميسرة، قال: لا تطمع في الإنظار، واحتجان النصار، فوحقك ما ترى مسالك^(١٠) الخلاص، أو تُريني سبائك الخلاص! فلما رأيت احتداد لده^(١١)، وأن لا مناص لي من يده، شأغبته، ثم وأثبته^(١٢)، ليرافعني إلى والي الجرائم، لا إلى الحاكم في المظالم، لما كان بلغني من إفضال الوالي وفضله، وتشدد القاضي وبخله، فلما حضرنا باب أمير طوس، آنتت أن لا بأس ولا بوس^(١٣)، فاستدعيت دواةً وبيضاء، وأنشأت رسالة رقطاء، وهي:

- (١) مكرك وخداك. (٢) المقطب وجهه، كناية عن شدته.
 (٣) أحوجني. (٤) التلبس، وأصله لبس الطوق في العنق.
 (٥) أثقلني. (٦) فتحيرت.
 (٧) فقري. (٨) قاده واقتاده سحبه وجرة.
 (٩) بمساهلة. (١٠) جمع مسلك، بمعنى: الطريق.
 (١١) شدة خصومته. (١٢) نازعته وغالبته.
 (١٣) لا ضرر ولا داهية.

أَخْلَاقُ سَيِّدِنَا تُحِبُّ، وَبِعَقْوَتِهِ (١) يَلْبُ، وَقُرْبَهُ تُحَفُّ، وَنَأْيَهُ (٢) تَلْفُ،
وَخَلَّتَهُ نَسَبٌ، وَقَطِيعَتُهُ نَصَبٌ، وَغَرْبَهُ ذَلْقٌ، وَشُهْبَهُ تَأْتَلِقُ، وَظَلْفُهُ زَانَ (٣)،
وَقَوِيمٌ نَهْجُهُ بَانَ، وَذَهْنُهُ (٤) قَلَبٌ وَجَرَبٌ، وَنَعْتُهُ شَرَقٌ وَغَرَبٌ:

سَيِّدٌ قَلْبٌ سَبُوقٌ (٥) مُبَرٌّ فِطْنٌ مُغْرَبٌ عَزُوفٌ عَيُوفٌ
مُخْلَفٌ مُتْلَفٌ أَغْرُفٌ فَرِيدٌ نَابَةٌ (٦) فَاضِلٌ ذَكِيٌّ أَنْوَفٌ
مُفْلَقٌ إِنْ أَبَانَ طَبٌّ إِذَا نَا بٌ (٧) هِيَاجٌ وَجَلٌّ خَطْبٌ مَخُوفٌ

مَنَاظِمٌ شَرْفَهُ تَأْتَلَفُ (٨)، وَشَوْبُوبٌ حَبَائِهِ يَكْفُ (٩)، وَنَائِلٌ يَدِيهِ فَاضٌ،
وَشُحٌّ قَلْبِهِ غَاضٌ (١٠)، وَخَلْفٌ سَخَائِهِ يُحْتَلَبُ، وَذَهَبٌ عِيَابِهِ يُحْتَرَبُ (١١)،
مَنْ لَفَّ لَفَّهُ فَلَجٌ وَغَلَبَ، وَتَاجِرٌ بَابِهِ جَلَبٌ وَخَلَبَ (١٢)، كَفَّ عَنْ هَضْمِ
بَزِيٍّ (١٣)، وَبَرِيٌّ مِنْ دَنْسٍ غَوِيٌّ (١٤)، وَقَرْنٌ لِيَانُهُ بَعِزٌّ، وَنَكَبٌ عَنْ مَذْهَبِ
كَزٍّ، لَيْسَ بَوْتَابٌ عِنْدَ نَهْزَةِ شَرٍّ، بَلْ يَعْفُ عَفَّةً بَرًّا:
فَلِذَا يُحِبُّ وَيُسْتَحَقُّ عَفَافُهُ

شَغَفَافُهُ فُلْبَابُهُ خَلَابٌ (١٥)

أَخْلَاقُهُ غُرْتَرَفٌ وَفُوقُهُ

فُوقٌ إِذَا نَاضَلْتَهُ غَلَابٌ

(١) بفنائته . (٢) بعده من نأى عنه إذا بعد .

(٣) زانه، بمعنى: زينه . (٤) عقله وذكاؤه .

(٥) كثير السبق في المعالي . (٦) أي: رفيع القدر .

(٧) حدث . (٨) تتناسق .

(٩) يقطر ويسيل . (١٠) امتنع .

(١١) يستلب . (١٢) جلب الشيء: قطفه وأماله لنفسه .

(١٣) امتنع عن ظلم من ليس بظالم .

(١٤) ضال . (١٥) خداع .

سُجِحُ يَهْشُ^(١) وَذُو تَلَافٍ إِنْ هَفَا
 خَلُّ فُلَيْسَ بِحَقِّهِ يُرْتَابُ
 لَا بَاخِلٌ بَلْ بَاذِلٌ خَرَقُ^(٢) إِذَا
 يُعْتَرُّ بَرَزٌ لَا يَلِيهِ بَابُ
 إِنْ عَضَّ أَزَلُّ فَلَّ غَرَبَ عَضَاةُ^(٣)
 بِمَنَابِهِ^(٤) فَانْحَتَّ مِنْهُ نَابُ

وَجَدِيرٌ بِمَنْ لَبَّ وَفَطَنَّ، وَقَرُبَ وَشَطَنَّ، أَنْ أَدْعَنَ لِقَرِيحِ زَمَنِ، وَجَابِرِ
 زَمَنِ^(٥)، مُدُّ رَضِعَ ثَدْيِي لِبَانِهِ، حُصَّ بِإِفَاضَةِ تَهْتَانِهِ^(٦)، نَعَشَ وَفَرَجَ،
 وَضَافَرَ فَأَبْهَجَ، وَنَافَرَ فَأَزْعَجَ، وَفَاءَ بِحَقِّ أْبْلَجَ، أَتَعَبَ مَنْ سَيْلِي، وَقُرْطَ^(٧)
 إِذْ هَزَّ وَبُلِي، وَتَوَجَّ صِفَاتِهِ، بِحُبِّ عَفَاتِهِ^(٨):

فَلَا خَلَاذَا بِهَجَّةٍ يَمْتَدُّ ظِلُّ خُصْبِهِ
 فَإِنَّهُ بَرٌّ بِمَنْ أَنَسَ ضَوْءَ شُهْبِهِ^(٩)
 زَانَ مَزَايَا ظَرْفِهِ بَلُّبَسَ خَوْفِ رَبِّهِ

فَلِيَهْنِ سَيِّدَنَا فَوْزُهُ بِمَفَاخِرِ تَأَثَّلَتْ وَجَلَّتْ، وَفَوْتُهُ بِصَنَائِعِ تَمَّتْ وَنَمَّتْ،
 وَيُلَائِمُ قُرْبَ حَضْرَتِهِ، غَبُوثُ رِقَّةٍ بِحِظِّ^(١٠) مِنْ حُظْوَتِهِ، فَإِنَّهُ تَلِيدٌ نَدْبٍ،
 وَشَرِيدٌ جَدْبٍ^(١١)، وَجَرِيحٌ نَوْبٍ أَثَّرَتْ، وَنَاظِمٌ قَلَائِدَ^(١٢) تَسِيرَتْ، إِذَا جَاشَ

(٢) بالكسر - سخي.

(١) يبتسم.

(٤) لقيامته مقامه ونيابته عنه.

(٣) شدة.

(٥) بفتح الميم؛ أي: لسيد مختار في زمنه.

(٦) مصدر هتنت السماء إذا هطلت.

(٨) بحبة سائليه.

(٧) مُدَح.

(١١) طريد قحط.

(١٠) بنصيب.

(٩) رأى نور صفاته.

(١٢) جمع قلادة، المراد بها: مَلَحَ الكلام المنظور والمنثور.

لِخُطْبَةٍ فَلَا يُوْجَدُ قَائِلٌ، ثُمَّ قُسُّ ثُمَّ بَاقِلٌ، فَإِنْ حَبَّرَ (١) قُلْتُ: حَبَّرٌ
 نُمِنْتُ (٢)، وَخَلْتُ رِيَاضًا قَدْ نَمَتَ، هَذَا ثُمَّ شَرِبُهُ بَرُضٌ (٣)، وَقُوْتُهُ
 قَرُضٌ، وَفَلَقُهُ غَسَقٌ، وَجَلْبَابُهُ خَلْقٌ، وَقَدْ قَلِقَ لَتَوَعَّرَ غَرِيمٌ (٤) غَاشِمٌ،
 يَسْتَحْتُهُ بِحَقٍّ لَازِمٍ، فَإِنْ مِنْ سَيِّدُنَا بِكَفِّهِ، بِهَبَاتٍ كَفَّهُ، تَوَشَّحَ بِمَجْدٍ (٥) فَاقٌ،
 وَبَاءَ بِأَجْرٍ فَكِّيٍّ مِنْ وَثَاقٍ، لَا خَلَّتْ سَجَايَا (٦) خُلْفُهُ، تَرَفِدُ شَائِمَ بَرْقِهِ، بِمَنْ
 رَبُّ أَرْكِيٍّ، حَيٌّ أَبَدِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا اسْتَشَفَّ الْأَمِيرُ لِأَلِيهَا، وَلَمَحَ السَّرَّ الْمُوْدَعِ
 فِيهَا، أَوْعَزَ فِي الْحَالِ بِقَضَاءِ دِينِي، وَفَصَلَ بَيْنَ خَصْمِي وَبَيْنِي، ثُمَّ
 اسْتَخْلَصَنِي لِمُكَائِرَتِهِ (٧)، وَاخْتَصَّنِي بِأَثَرَتِهِ (٨)، فَلَبِثْتُ بَضْعَ سِنِينَ أَنْعَمُ فِي
 ضِيَافَتِهِ، وَأَرْتَعُ (٩) فِي رِيْفِ رَافَتِهِ، حَتَّى إِذَا غَمَرْتَنِي مَوَاهِبُهُ (١٠)، وَأَطَالَ
 ذَيْلِي ذَهَبُهُ، تَلَطَّفْتُ فِي الْارْتِحَالِ، عَلَيَّ مَا تَرَى مِنْ حُسْنِ الْحَالِ، قَالَ:
 فَقُلْتُ لَهُ شُكْرًا لِمَنْ أَتَاكَ لَكَ لُقْيَانِ السَّمْحِ الْكَرِيمِ، وَأَنْقَذَكَ بِهِ مِنْ ضَغْطَةِ
 الْغَرِيمِ! فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى سَعَادَةِ الْجَدِّ، وَالْخُلُوصِ مِنَ الْخَصْمِ
 الْإِلْدِيِّ (١١) ثُمَّ قَالَ: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أُحْذِيكَ (١٢) مِنَ الْعَطَاءِ، أَمْ أُتْحَفَكَ
 بِالرَّسَالَةِ الرَّقْطَاءِ؟ فَقُلْتُ: إِمْلَأْ الرِّسَالَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ! فَقَالَ: وَهُوَ وَحَقُّكَ
 أَخْفُ عَلَيَّ، فَإِنَّ نِحْلَةَ مَا يَلِجُ فِي الْأَذَانِ، أَهْوَنُ مِنْ نِحْلَةِ مَا يَخْرُجُ مِنْ

(١) إن كتب وأنشأ.

(٢) نقشت.

(٣) قليل.

(٤) شدة الحر، والغريم: هو رب الدين.

(٥) برفة قدر زائدة.

(٦) جمع سجيّة، بمعنى: الطبيعة.

(٧) لمفاخرته بكثرة العدد.

(٨) بفضيلته وتقدمه.

(٩) أرمى.

(١٠) جمع موهبة، بمعنى: الهبة والعطية.

(١٢) أعطيك.

(١١) الشديد الخصومة.

الأردان ، ثُمَّ كَأَنَّهُ أَنْفَ (١) وَأَسْتَحْيَا ، فَجَمَعَ لِي بَيْنَ الرَّسَالَةِ وَالْحُدُيَا (٢) ،
 فَفَزْتُ مِنْهُ بِسَهْمَيْنِ (٣) ، وَفَصَلْتُ عَنْهُ بَغْنَمَيْنِ ، وَأَبْتُ إِلَى وَطَنِي قَرِيرَ (٤)
 الْعَيْنِ ، بِمَا حَزْتُ مِنْ الرَّسَالَةِ وَالْعَيْنِ .



(١) استنكف .

(٢) العطيّة .

(٣) بنصيين .

(٤) مسروراً .

المقامة السابعة والعشرون الوبرية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: ملتُ في ريقِ زَماني الَّذي غبرَ (١)، إلى
مجاورةِ أهلِ الوبرِ (٢)، لأخذَ إخذَ نفوسِهِم الأبيَّة، والسنتِهِم العربيَّة،
فشمرتُ تشميرَ من لا يألُو (٣) جُهداً، وجعلتُ أضربُ في الأرضِ غوراً
ونجداً، إلى أن اقتنيتُ هجمةً من الراغيةِ (٤)، وثلَّةً من الشاغيةِ (٥)، ثمَّ
أويتُ إلى عربِ أردافِ أقبالٍ، وأبناءِ أقوالٍ، فأوطنوني (٦) أَمنعِ جنابٍ،
وفلُّوا (٧) عني حدَّ كلِّ نابٍ، فما تأوَّبني عندهم همٌّ، ولا قرعَ صفاتي
سهمٌ، إلى أن أضللتُ (٨) في ليلةٍ منيرةِ البدرِ، لقحةً غزيرةَ الدرِّ (٩)، فلمَّ
أطبُ نفساً بالغناءِ طلبها، وإلقاءِ جبلها على غارِبها، فتدثرتُ فرساً
مخضاراً (١٠)، وأعتقلتُ لدنًا خطاراً، وسرَّيتُ ليأتي جمعاءً أجوبُ
البدياءِ، وأقتري (١١) كلَّ شجرَاءَ ومرداءِ، إلى أن نشرَ الصُّبحُ رأياتِهِ،
وحَيَّعَ الداعي إلى صلَّاتِهِ، فنزلتُ عن متنِ الرُّكوبةِ، لأداءِ المكتوبةِ، ثمَّ
حُلَّتْ في صهوتِها (١٢)، وفررتُ عن شحوتِها، وسرتُ لا أرى أثراً إلاَّ

(١) مضى وتقدّم.

(٢) هم أهل البدو.

(٣) يقصر.

(٤) الإبل.

(٥) الغنم.

(٦) أحلوني وأنزلوني.

(٧) كسروا.

(٨) ذهبت لي ضالّة.

(٩) كثير اللبّن.

(١٠) كثير الحضر، وهو العَدُوّ والسُرعة.

(١١) أتبع.

(١٢) الصهوة: مقعد الفارس من الفرس.

قَفَوْتُهُ، وَلَا نَشْرًا (١) إِلَّا عَلَوْتُهُ، وَلَا وَاذِيَا إِلَّا جَزَعْتُهُ، وَلَا رَاكِبًا إِلَّا
 اسْتَطَلَعْتُهُ، وَجِدِّي مَعَ ذَلِكَ يَذْهَبُ هَدْرًا، وَلَا يَجِدُ وَرْدَهُ صَدْرًا، إِلَى أَنْ
 حَانَتْ صَكَّةٌ عُمِيٌّ، وَكَفْحٌ (٢) هَجِيرٌ يُذْهِلُ غِيلَانَ (٣) عَنْ مِيٍّ، وَكَانَ يَوْمًا
 أَطْوَلَ مِنْ ظِلِّ الْقَنَاةِ، وَأَحْرَّ مِنْ دَمْعِ الْمِقْلَاتِ، فَأَيَقُنْتُ أَنِّي إِنْ لَمْ أَسْتَكِنَنَّ مِنْ
 الْوَقْدَةِ (٤)، وَأَسْتَجِمَّ بِالرَّقْدَةِ، أَدْنَفَنِي اللَّغُوبُ، وَعَلَقْتُ بِي شَعُوبٌ، فَعُجْتُ
 إِلَى سَرْحَةٍ كَثِيفَةِ الْأَغْصَانِ، وَرِيقَةٍ (٥) الْأَفْنَانِ، لِأَغُورَ تَحْتَهَا إِلَى الْمُغَيْرِيَانِ،
 فَوَاللَّهِ مَا اسْتَرَوْحَ نَفْسِي، وَلَا اسْتَرَاخَ فَرْسِي، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى سَانِحٍ، فِي
 هَيْئَةِ سَانِحٍ (٦)، وَهُوَ يَنْتَجِعُ نُجْعَتِي (٧)، وَيَشْتَدُّ إِلَى بُقْعَتِي، فَكْرِهْتُ
 أَنْعِيَاجَهُ (٨) إِلَى مَعَاجِي، فَاسْتَعَدْتُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ مُفَاجِي، ثُمَّ تَرَجَّيْتُ أَنْ
 يَتَّصِدِّي مُنْشِدًا (٩)، أَوْ يَتَبَدَّى مُرْشِدًا، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ سَرْحَتِي (١٠)، وَكَادَ
 يَحِلُّ بِسَاحَتِي، أَلْفَيْتُهُ شَيْخَنَا السَّرُوجِيَّ مُتَشِحًا بِجِرَابِهِ، وَمُضْطَغِنًا أَهْبَةً
 تَجْوَابِهِ (١١)، فَانْسَنِي إِذْ وَرَدَ، وَأَنْسَانِي مَا شَرَدَ، ثُمَّ اسْتَوْضَحْتُهُ مِنْ أَيْنَ
 أَثَرُهُ، وَكَيْفَ عَجْرَهُ وَبَجْرَهُ (١٢)؟ فَأَنْشَدَ بَدِيهَاً، وَلَمْ يَقُلْ إِيهَاً:

قُلْ لِمُسْتَطَلِعِ دَخِيلَةَ أَمْرِي

لَكَ عِنْدِي كَرَامَةٌ وَعَزَازَةٌ

(١) هو المكان المرتفع.

(٢) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(٣) اسم ذي الرّمة الشّاعر.

(٤) شدّة الحرّ.

(٥) كثيرة الأوراق.

(٦) ذاهب في الأرض.

(٧) يقصد جهتي.

(٨) انعطافه.

(٩) معرفًا للضّالة.

(١٠) شجرتي.

(١١) سيره في الأرض وقطعه لها.

(١٢) حاله باطنًا وظاهرًا.

أَنَا مَا بَيْنَ جَوْبِ أَرْضِ فَأَرْضِي
 وَسُرِّي فِي مَفَازَةٍ فَمَفَازَةٌ
 زَادِي الصَّيْدُ وَالْمَطِيَّةُ نَعْلِي
 وَجَهَازِي الْجِرَابُ وَالْعُكَّازَةٌ
 فَإِذَا مَا هَبَّتْ مُصْرًا فَبَيْتِي
 غُرْفَةُ الْخَانَ وَالنَّدِيمُ جُزَاةٌ
 لَيْسَ لِي مَا أَسَاءُ^(١) إِنْ فَاتَ أَوْ أَحَدُ
 زَنْ إِنْ جَاوَلَ الزَّمَانَ ابْتِزَاةً^(٢)
 غَيْرَ أَنِّي أَبَيْتُ خَلْوًا مِنَ الْهَاءِ
 مٌ وَنَفْسِي عَنِ الْأَسَى مُنْحَاةً^(٣)
 أَرْقُدُ اللَّيْلَ مِلءًا جَفْنِي وَقَلْبِي
 بَارِدٌ مِنْ حَرَارَةٍ وَحَزَاةً^(٤)
 لَا أَبَالِي مِنْ أَيِّ كَأْسٍ تَفَوَّقْتُ
 سَتْ وَلَا مَا حَلَاوَةٌ مِنْ مَزَاةً^(٥)
 لَا وَلَا أَسْتَجِيزُ أَنْ أَجْعَلَ الذُّ
 لَّ مَجَازًا إِلَى تَسَنِّي إِجَاةً
 وَإِذَا مَطْلَبٌ كَسَا حُلَّةَ الْعَا
 رِفْبُغْدًا لِمَنْ يَرُومُ نَجَاةً

(١) بضم الهمزة؛ أي: أحزن عليه.

(٢) استلابه.

(٣) بعيدة منزلة.

(٤) هي وجع يعتري القلب من الحزن والأنهم.

(٥) هي طعم بين الحلاوة والحُموضة.

وَمَتَى اهْتَزَّ لِلدَّنَاءَةِ (١) نَكْسٌ
عَافَ طَبْعِي طَبَاعَهُ وَاهْتِزَّازَهُ (٢)
فَالْمَنَايَا وَلَا الدَّنَايَا وَخَيْرٌ
مِنْ رُكُوبِ الخَنَا (٣) رُكُوبِ الجِنَازَةِ (٤)

ثُمَّ رَفَعَ إِلَيَّ طَرْفَهُ، وَقَالَ: لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ خَيْرَ نَاقَتِي
السَّارِحَةِ، وَمَا عَانَيْتُهُ فِي يَوْمِي وَالْبَارِحَةِ، فَقَالَ: دِعِ الِالْتِفَاتَ إِلَى مَا فَاتَ،
وَالطَّمَّاحَ (٥) إِلَى مَا طَاحَ، وَلَا تَأْسَ (٦) عَلَى مَا ذَهَبَ، وَكَلِّمْ أَنَّهُ وَادٍ مِنْ
ذَهَبٍ، وَلَا تَسْتَمِلْ مَنْ مَالَ عَنْ رِيحِكَ (٧)، وَأَضْرِمَ نَارَ تَبَارِيحِكَ، وَكَلِّمْ
ابْنَ بُوْحِكَ (٨)، أَوْ شَقِيقَ رُوْحِكَ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَقِيلَ وَتَتَحَامَى
الْقَالَ وَالْقِيلَ؟ فَإِنَّ الْأَبْدَانَ أَنْضَاءُ تَعَبٍ، وَالْهَاجِرَةَ (٩) ذَاتُ لَهَبٍ، وَكَلِّمْ
يَصْقُلَ الْخَاطِرَ، وَيُنَشِّطُ الْفَاتِرَ (١٠) كَقَائِلَةِ الْهُوَاجِرِ، وَخُصُوصاً فِي شَهْرِي
نَاجِرٍ، فَقُلْتُ: ذَاكَ إِلَيْكَ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ، فَافْتَرَشَ التُّرْبَ (١١)
وَأَضْطَجَعَ، وَأَظْهَرَ أَنْ قَدْ هَجَعَ، وَارْتَفَقْتُ عَلَى أَنْ أَحْرُسَ، وَلَا أَنْعَسَ،
فَأَخَذْتَنِي السَّنَةَ، إِذْ زُمَّتِ الْأَلْسِنَةُ (١٢)، فَلَمْ أُفِقْ إِلَّا وَاللَّيْلُ قَدْ تَوَلَّجَ،

- (١) الخساسة.
(٢) فرحه واشتياقه.
(٣) الفحش.
(٤) بالكسر؛ النعش يُحْمَلُ عَلَيْهِ المَيْتُ، وبالفتح؛ المَيْتُ نَفْسُهُ.
(٤) رفع البصر إلى الشيء.
(٦) لا تأسف وتحزن.
(٧) جهتك وجانبك.
(٨) ابن نفسك.
(٩) شدة الحر.
(١٠) يقوي الضعيف.
(١١) جعل التراب فرشه.
(١٢) كفت عن الكلام.

وَالنَّجْمُ قَدْ تَبَلَّجَ، وَلَا السَّرُوجِيَّ وَلَا الْمُسْرَجَ^(١)، فَبِتُّ بَلِيلَةَ نَابِغِيَّةٍ،
 وَأَحْزَانٍ يَعْقُوبِيَّةٍ، أُسَاوِرُ الْوُجُومَ، وَأَسَاهِرُ النُّجُومَ، أَفَكَّرْتُ تَارَةً فِي رُجُلَتِي،
 وَأَخْرَى فِي رَجْعَتِي، إِلَى أَنْ وَضَحَ لِي عِنْدَ افْتِرَارِ ثَغْرِ الضَّوِّ فِي وَجْهِ الْجَوِّ،
 رَاكِبٌ يَخْدُ فِي الدَّوِّ، فَالْمَعْتُ إِلَيْهِ بِثُوبِي، وَرَجَوْتُ أَنْ يُعْرَجَ إِلَى صُوبِي،
 فَلَمْ يَعْبا بِالْمَاعِي، وَلَا أَوَى^(٢) لِالْتِيَاعِي^(٣)، بَلْ سَارَ عَلَى هَيْتِهِ، وَأَصْمَانِي
 بِسَهْمِ إِهَانَتِهِ، فَأَوْفَضْتُ^(٤) إِلَيْهِ لِاسْتَرْدِفِهِ^(٥)، وَأَحْتَمِلَ تَغَطُّفَهُ^(٦)، فَلَمَّا
 أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ الْأَيْنِ، وَأَجَلْتُ فِيهِ مَسْرَحَ الْعَيْنِ، وَجَدْتُ نَاقَتِي مَطِيئَةً، وَضَالَّتِي
 لُقُطْتُهُ، فَمَا كَذَّبْتُ أَنْ أَدْرَيْتُهُ^(٧) عَنْ سَنَامِهَا، وَجَاذَبْتُهُ طَرْفَ زِمَامِهَا، وَقُلْتُ
 لَهُ: أَنَا صَاحِبُهَا وَمُضِلُّهَا^(٨)، وَلِي رِسْلُهَا وَنَسْلُهَا، فَلَا تَكُنْ كَأَشْعَبَ،
 فَتُتْعَبَ وَتَتْعَبَ، فَأَخَذَ يَلْدَغُ^(٩) وَيَصْنِي^(١٠)، وَيَتَّقِحُ^(١١) وَلَا يَسْتَحْيِي،
 وَبَيْنَا هُوَ يَنْزُو^(١٢) وَيَلِينُ، وَيَسْتَأْسِدُ^(١٣) وَيَسْتَكِينُ، إِذْ غَشِينَا أَبُو زَيْدٍ لِابْسَاءَ
 جِلْدَ النَّمْرِ، وَهَاجِمًا هُجُومَ السَّيْلِ الْمُنْهَمِرِ، فَخَفْتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ يَوْمَهُ
 كَأَمْسِهِ، وَبِدْرُهُ مِثْلَ شَمْسِهِ، فَالْحَقَّ بِالْقَارِظِينَ، وَأَصِيرَ خَيْرًا بَعْدَ عَيْنِ، فَلَمْ أَرِ
 إِلَّا أَنْ أَدْرَكَتُهُ الْعُهُودَ الْمُنْسِيَّةَ، وَالْفَعْلَةَ الْإِمْسِيَّةَ، وَنَاشَدْتُهُ اللَّهَ^(١٤)، أَوْافَى

(٢) ولم يرحم ويشفق.

(٤) أسرع.

(٦) تكبره وتبهه. والغطريف: السيد.

(٨) الذي أضعها وصاحب الضالة.

(١٠) يصيح.

(١٢) يشتد ويثب.

(١٤) أقسمت عليه بالله.

(١) لم يجد أبا زيد ولا فرسه.

(٣) حرقة قلبي؛ لأن الالتياح حرقة القلب.

(٥) ليحملني خلفه.

(٧) ألقيته.

(٩) يؤذي بلسانه.

(١١) يفعل الوقاحة وعدم الحياء.

(١٣) يقوى كالأسد.

للتلاني، أم لما فيه إتلافي، فقال: معاذ الله أن أجهز على مكلومي، أو أصل حروري بسمومي^(١)! بل وأفيتك لأخبر كنه حالك، وأكون يميناً لشمالك، فسكن عند ذلك جاشي^(٢)، وأنجاب استيحاشي^(٣)، وأطلعت طلع اللقحة، وتبرقع صاحبي بالقحة^(٤)، فنظر إليه نظر ليث العريسة إلى الفريسة، ثم أشرع قبله الرمح، وأقسم له بمن أنار الصبح، لئن لم ينج منجي الذباب، ويرض من الغنيمة بالإياب، ليوردن سنانهُ وريده، وليفجعن به وليده ووديده^(٥)، فنبذ زمام الناقة وحاص، وأفلت وله حصاص^(٦)، فقال لي أبو زيد: تسلمها وتسمنها، فإنها إحدى الحسينين، وويل أهون من ويلين.

قال الحارث بن همّام: فحرت بين لوم أبي زيد وشكره، وزنة نفعه بضره، فكأنه نوجي بذات صدري، أو تكهن ما خامر سري^(٧)، فقابلني بوجه طليق، وأنشد بلسان ذليق^(٨):

يا أخي الحامل ضيمي
إن يكن ساءك أمسي
فاغتفر ذاك لهذا
دون إخواني وقومي
فلقد سرك يومي
وأطرح شكري ولومي

ثم قال: أنا تتق^(٩)، وأنت متق، فكيف نتفق؟ وولّي يفري أديم الأرض، ويركض طرفه أيما ركض، فما عدوت^(١٠) أن اقتعدت مطيبي،

(٢) الجأش: روع القلب واضطرابه عند الفزع.

(٤) تلبسه بالوقاحة وصلابة الوجه.

(٦) هو العدو والضراط.

(٨) الذليق والذليق: الحاد.

(١٠) انصرفت.

(١) السموم: ريح حارة نهاراً.

(٣) توحشي، وهو ضد الأتس.

(٥) محبة وصديقه.

(٧) ما خالط قلبي.

(٩) مغتاض.

وَعُدْتُ لَطِيبِي ^(١)، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى حِلَّتِي، بَعْدَ اللَّيْتَا ^(٢) وَالَّتِي .



تفسير ما أدوع هذه المقامة

من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله: (ريق زماني) ورائقه يعني أوله وَقَدْ يخفف فيقال: ريق، وَقَوْلُهُ: (أخذ أخذ نفوسهم الآية) يعني اقتدي بهم يُقَالُ مِنْهُ أَخَذَ إِخْذَهُ وَأَخَذَهُ بِكَسْرِ الهمزة وفتحها، (وألهمجة) نحو المائة من الإبل، (وألثلة) القطيع من الغنم، (وألراغية) الإبل، (وألثاغية) الشاة.

ومنه قولهم: ما له راغية و لا ثاغية أي لا ناقة و لا شاة، وَقَوْلُهُ: (أرداف أقيال) أي يخلفون الملوك إذا غابوا، وَقَوْلُهُ: (أبناء أقوال) أي فصحاء، يُقَالُ للمنطق: إِنَّهُ ابْنُ أَقْوَالِهِ، وَقَوْلُهُ: (فتدثرت فرساً محاضراً) التدثر الوثوب على ظهر الفرس، و ألمحضار و ألمحضير الشديد العدو مأخوذ من الحضر وهو العدو، وَقَوْلُهُ: (اقتري كل شجاء ومرداء) الاقتراء تتبع الأرض و الشجاء ذات الشجر، و المراداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الأمرد لخلو وجهه من الشعر، وَقَوْلُهُ: (حيعل الداعي إلى صلاته) يعني به قول المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح، و المصدر مِنْهُ الحَيْعَلَةُ ومثله من المصادر الهيللة و الحمدله و الحوقلة و البسملة و الحسبلة و السيحلة و الجعفلة فالهيللة حكاية قول: لا إله إلا الله، و الحمدله حكاية قول الحمد لله، و الحوقلة حكاية قول لا حول و لا قوة إلا بالله، و البسملة حكاية قول بسم الله، و الحسبلة

(٢) أي: بعد مقاساة الدواهي الصغيرة والعظيمة.

(١) لقصدي وجهتي.

حكاية قول حسبنَا الله، والسبحلة حكاية قول سبحان الله، والجعفلة حكاية قول جعلت فداك، وقَوْلُهُ: (فنزلت عن متن الركوبة) يعني الركوبة يُقَالُ: نَاقَة رُكُوبٍ وَرُكُوبَةٌ وَحُلُوبٌ وَحَلُوبَةٌ وَقَدْ قُرئَ (فمنها رُكُوبَتُهُمْ) (وَالصَّهْوَةُ) مقعد الفارس (وَالشَّحْوَةُ) الخُطْوَةُ (وَالجَزَعُ) قطع الوادي عرضاً، وقَوْلُهُ: (صكة عمي) يعني به قائم الظهرية، وَقَدْ اختلفَ فِي أصله فقيل كَانَ عُمِّي رجلاً مغواراً فغزا أقواماً عند قائم الظهرية وصكهم صكة شديدة فصار مثلاً لكل من جاء ذلك الوقت، وقيل المراد به الظبي لأنه يسدر في الهواجر ويذهب بصره فيصطك وكذلك الحية وَأصطكاك الظبي بِمَا يستقبله كاصطكاك الأعمى ثُمَّ صغر الأعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كَمَا صغروا أسود وأزهر فَقَالُوا سويد وزهير، وقَوْلُهُ: (وكان يوم أطول من ظل القنّاة) يوصف اليَوْمُ الطويل بظل القنّاة كَمَا يوصف اليَوْمُ القصير بإيهام القطاة، وَالعرب تزعم أَن ظل الرمح أطول ظل. ومنه قول شبرمة بن الطفيل:

ويوم كظل الرمح قصر طولُه دم الزق عنا وأصطفاف المزاهر

وقَوْلُهُ: (أحرّ من دمع المقلات) المقلّاة هِيَ المرأة الَّتِي لا يعيش لها ولد فدمعها أبدا حار لحزنها لأنه يُقَالُ: إن دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهَذَا قيل للمدعو له أقر الله عينه مأخوذ من القر وهو البرد، وقيل للمدعو عليه اسخن الله عينه مأخوذ من السخنة وهي الحرارة وقيل أَن إقرار العين مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أَن يرزق ما يقر عينه حتّى لا تطيح إلى ما لغيره، وكانت الجاهلية تزعم أَن المقلّات إِذَا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها وإلى هذا أشار بشر بن أبي حازم فِي قوله:

تظل مقاليت النساء يطأه

يقلن ألا يلقي على المرء مئزر

وقوله: (علقت بي شعوب) يعني المنية ولا يدخل هذا الاسم أداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله: (لا غور تحتها إلى المغيربان) التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة، والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب إلا أن العرب ألحقت آخره ألفاً ونوناً على طريق الشذوذ وقوله: (مضطغناً أهبة تجوابه) الاضطغان أن يحمل الشيء تحت حضنه والاضطبان أن يحمله تحت ضبنه والضبن ما بين الإبط والكشح وكلاهما متقارب ويُقال أول مراتب الحمل الإبط ثم الضبن وهو أسفل الإبط ثم الحُضن وهو عند الجنب، والتجواب مصدر جاب، وجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء إلا قولهم تبيان وتلقاه لا غير وزاد بعضهم تيصال، وقوله: (عجري وبجري) يريد به جميع أمري الظاهر وألباطن، وأصل العجر العقد الناتئة في العصب والبجر العقد الناتئة في البطن، وقوله: (ولم يقل إيهها) أي لم يأمرني بالكف، يُقال للمستزاد إيه وللمستكف إيهها، وقوله: (لأمر ما جدع قصير أنفه) قصير هذا هو مولى جذيمة الإبرش وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة هو الذي جدع أنفه اتهاماً له بأنه غش خاله جذيمة إذ أشار عليه بقصدها، فحظي بهذا القول عندها حتى جهزته مراراً إلى العراق فكان يأتيها بالطرف منه إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل إلى قتلها والأخذ بشأ مولاه منها، وقصته مشهورة، وقوله: (ولو كان ابن بوحك) يعني ولد الصلب إشارة إلى

أَنَّهُ وَلَدٌ فِي بَاحَةِ الدَّارِ وَهِيَ عَرَصَتُهَا وَجَمَعَهَا بُوْحٌ، وَقِيلَ: أَنَّ البُوْحَ مِنْ أَسْمَاءِ الذِّكْرِ، وَقَوْلُهُ: (فِي شَهْرِي نَاجِر) هَمَّا شَهْرَا الحُرِّ، وَقِيلَ: إِنَّهُمَا حَزِيرَانٌ وَتَمُوزٌ، وَأَنْكَرَ أَبُو بَكْرٍ بِنَ دَرِيدٍ هَذَا القَوْلَ وَقَالَ هَمَّا طُلُوعُ نَجْمِينَ، وَقَوْلُهُ: (بِتَ بَلِيلَةَ نَابِغِيَّةٍ) أَوْمَأَ بِهِ إِلَيَّ قَوْلَ النَّابِغَةِ:

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع

وَقَوْلُهُ: (فَأَلَمَعْتُ إِلَيْهِ بِثُوبِي) يَعْنِي أَشْرَأَ إِلَيْهِ يُقَالُ مِنْهُ المَعُ وَلَمَعُ بِمَعْنَى، وَقَوْلُهُ: (يَلْدَغُ وَيَصِيءُ) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَظْلَمُ وَيَشْكُو يُقَالُ صَاتَ العَقْرَبُ تَصَيءٌ صَيئاً وَصَيئاً بَفَتْحِ الصَّادِ وَكسرها إِذَا صَوَّتَ وَكَذَلِكَ الفَرَخُ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي هَذَا المَعْنَى:

تشكي المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
 وَقَوْلُهُ: (يَنْزُو وَيَلِينُ) هَذَا المِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَتَعَزَّزُ ثُمَّ يَذَلُّ وَيُقَالُ: إِنَّ أَصْلَهُ الجُدِّي يَنْزُو وَهُوَ صَغِيرٌ فَإِذَا كَبُرَ لَانَ، وَقَوْلُهُ: (لَابَساً جِلْدَ النَّمْرِ) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِلْمَتَّقِ الجُرِيِّ لِأَنَّ النَّمْرَ أَجْرَأُ سَبْعٍ وَأَقْلَهُ اِحْتِمَالاً لِلضَّيْمِ وَمِنْ هَذَا اِشْتِقَاقُ قَوْلِهِمْ تَنْمَرُ أَيُّ صَارَ مِثْلَ النَّمْرِ، وَقَوْلُهُ: (فَالْحَقُّ بِالقَارِظِينَ) الأَصْلُ فِي القَارِظِ أَنَّهُ الَّذِي يَجْنِي القَرْظَ وَهُوَ النَبَاتُ المُدْبِوْغُ بِهِ، وَالقَارِظَانِ المِشَارُ إِلَيْهِمَا أَحَدُهُمَا مِنْ عَنزَةٍ وَالأخْرَ مِنَ النَّمْرِ بِنِ قَاسِطٍ وَكَانَا خَرَجَا يَجْنِيَانِ القَرْظَ فَلَمْ يَرْجِعَا وَلَا عَرَفَ لَهُمَا خَبْرَ فَضْرَبَ بِهِمَا المِثْلَ لِكُلِّ غَائِبٍ لَا يَرْجَى إِيَابَهُ وَإِلَيْهِمَا أَشَارَ أَبُو ذُؤَيْبٍ فِي قَوْلِهِ:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل

وَقَوْلُهُ: (حَرُورِي بِسُمُومِي) الحُرُورُ الرِّيحُ الحَارَةُ لَيْلاً وَالسُّمُومُ الرِّيحُ

الحارة نهاراً وَقَدْ يُقَالُ إِحْدَاهُمَا مَقَامَ الْأُخْرَى مَجَازاً، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْحُرُورُ
يَكُونُ لَيْلاً وَنَهَاراً وَالسَّمُومُ يَخْتَصُّ بِالنَّهَارِ، وَقَوْلُهُ: (لَيْثُ الْعَرِيْسَةِ) يَعْنِي
مَأْوَى السَّبْعِ وَيُقَالُ فِيهِ عَرِيْسٌ وَعَرِيْسَةٌ بِإِثْبَاتِ الْهَاءِ وَحَذْفِهَا كَمَا يُقَالُ غَابَ
وِغَابَةٌ وَعَرِيْنٌ وَعَرِيْنَةٌ، فَأَمَّا الْغَيْلُ وَالْخَيْسُ فَلَمْ يَلْحَقُوا بِهِمَا الْهَاءُ، وَقَوْلُهُ:
(أَفْلَتَ وَلَهُ حِصَاصٌ) هَذَا الْمَثَلُ يَضْرِبُ لِمَنْ نَجَا مِنْ هَلَكَةِ أَشْفَى عَلَيْهَا بَعْدَ مَا
كَادَ يَهْوِي فِيهَا وَالْحِصَاصُ الْعَدُوُّ وَقِيلَ أَنَّهُ الضَّرَاطُ، وَقَوْلُهُ: (وَيْلٌ أَهْوَنُ مِنْ
وَيْلَيْنِ) هَذَا مَثَلٌ يَضْرِبُ تَسْلِيَةً لِمَنْ نَابَهُ بَعْضُ الْمَكْرُوهِ وَمِثْلُهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

أَبَا مَنْدَرَ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَنَّانِيكَ بَعْضِ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وَقَوْلُهُ: (أَنَا تَتَّقُ وَأَنْتَ مَتَّقٌ فَكَيْفَ نَتَّقُ) هَذَا الْمَثَلُ يَضْرِبُ لِلْمَتَنَافِيَيْنِ فِي
الْخَلْقِ فَإِنَّ التَّتَّقُ هُوَ الْمَمْتَلِيُّ غَيْظاً مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَتَأْتَقُ الْإِنَاءَ إِذَا مَلَأْتَهُ،
وَالْمَتَّقُ هُوَ الْبَاكِي فَكَأَنَّ التَّتَّقُ يَنْزِعُ إِلَى الشَّرِّ لَغِيْظِهِ وَالْمَتَّقُ يَضِيقُ ذَرْعاً بِاحْتِمَالِهِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ أَنَا كَلْفٌ وَأَنْتَ صَلْفٌ، فَكَيْفَ نَأْتَلِفُ، وَقَوْلُهُ: (لَطِيْتِي)
يَعْنِي لِقْصِدِي وَوَجْهَتِي وَقَدْ يُقَالُ فِيهَا: طِيَّةٌ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَوْلُهُ: (بَعْدَ اللَّتِيَا
وَالَّتِي) اللَّتِيَا تَصْغِيرُ الَّتِي وَهُوَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسِ التَّصْغِيرِ الْمَطْرُودِ لِأَنَّ الْقِيَاسَ أَنَّ
يُضْمُ أَوَّلَ الْاسْمِ إِذَا صَغُرَ وَقَدْ أَقْرَ هَذَا الْاسْمَ عَلَى الْفَتْحَةِ الْأَصْلِيَّةِ عِنْدَ
تَصْغِيرِهَا إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ عَوَّضَتْهُ عَنْ ضَمِّ أَوَّلِهِ بِأَنَّ زَادَتْ أَلْفاً فِي آخِرِهِ
وَأَجْرَتْ أَسْمَاءَ الْإِشَارَةِ عِنْدَ تَصْغِيرِهَا عَلَى حِكْمِهِ فَقَالَتْ فِي تَصْغِيرِ الَّذِي
وَالَّتِي اللَّذِيَا وَاللَّتِيَا، وَفِي تَصْغِيرِ ذَا وَذَاكَ ذِيَا وَذِيَاكَ، وَقَدْ اِخْتَلَفَ فِي مَعْنَى
قَوْلِهِمْ: بَعْدَ اللَّتِيَا وَاللَّتِيَا فَقِيلَ: هُمَا مِنْ أَسْمَاءِ الدَّاهِيَةِ وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمَا
بَعْدَ صَغِيرِ الْمَكْرُوهِ وَكَبِيرِهِ.

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية

أخبرَ الحارثُ بنُ همامٍ قالَ: استَبْضَعْتُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِي القَنْدَ (١)،
 وَقَصَدْتُ سَمَرْقَنْدَ، وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ قَوِيمَ الشُّطَّاطِ (٢)، جَمُومَ النَّشَاطِ، أُرْمِي
 عَن قَوْسِ المِرَاحِ إِلَى غَرَضِ الأَفْرَاحِ، وَأَسْتَعِينُ بِمَاءِ الشُّبَابِ عَلَى مَلامِحِ
 السَّرَابِ، فَوَافِيئُهَا بَكْرَةٌ عَرُوبَةٌ (٣)، بَعْدَ أَنْ كَابَدْتُ الصُّعُوبَةَ، فَسَعَيْتُ وَمَا
 وَنَيْتُ (٤)، إِلَى أَنْ حَصَلَ البَيْتُ، فَلَمَّا نَقَلْتُ إِلَيْهِ قَنْدِي، وَمَلَكْتُ قَوْلَ
 عِنْدِي، عَجَبْتُ (٥) إِلَى الحَمَامِ عَلَى الأَثْرِ، فَأَمَطْتُ عَنِّي وَعَثَاءَ السَّفَرِ،
 وَأَخَذْتُ فِي غُسْلِ الجُمُعَةِ (٦) بِالْأَثْرِ، ثُمَّ بَادَرْتُ فِي هَيْئَةِ الخَاشِعِ إِلَى
 مَسْجِدِهَا الجَامِعِ، لِأَلْحَقَ بِمَنْ يَقْرُبُ مِنَ الإِمَامِ، وَيَقْرَبُ أَفْضَلَ الأَنْعَامِ،
 فَحَظِيْتُ بِأَنْ جَلَيْتُ فِي الحَلْبَةِ، وَتَخَيَّرْتُ المَرْكَزَ (٧) لِاسْتِمَاعِ الخُطْبَةِ، وَكَمْ
 يَزَلِ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجًا، وَيُرِدُونَ فُرَادَى وَأَزْوَاجًا، حَتَّى إِذَا
 اكْتَضَ الجَامِعُ بِحَفْلِهِ (٨)، وَأَظَلَّ تَسَاوِي الشَّخْصِ وَظَلَّهُ، بَرَزَ الخَطِيبُ فِي
 أُهْبَتِهِ، مُتَهَادِيًا خَلْفَ عَصْبَتِهِ، فَارْتَقَى فِي مَنَبِرِ الدَّعْوَةِ، إِلَى أَنْ مَثَلَ (٩)

(١) عقيد ماء قصب السكر.

(٢) معتدل القامة.

(٣) هو يوم الجمعة.

(٤) ما تراخيت.

(٥) انعطفت.

(٦) بالخبر المأثور في غسل الجمعة.

(٧) أراد موضع الجلوس، وأصله: وسط الدائرة.

(٨) انتصب قائمًا.

(٩) بجمعه.

بالذروة، فَسَلَّمَ مُشِيرًا بِالْيَمِينِ، ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى خَتِمَ نَظْمَ التَّأْدِينِ، ثُمَّ قَامَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُدَوِّحِ الْأَسْمَاءِ، الْمُحْمَدِ الْآلَاءِ، الْوَاسِعِ الْعَطَاءِ، الْمَدْعُوِّ لِحَسَنِ الْأَوَاءِ (١)، مَالِكِ الْأَمَمِ، وَمُصَوِّرِ الرَّمَمِ (٢)، وَأَهْلِ السَّمَّاحِ وَالْكَرَمِ، وَمَهْلِكِ عَادٍ وَإِرَمَ، أَدْرَكَ كُلَّ سِرِّ عِلْمِهِ، وَوَسِعَ كُلَّ مُصِرِّ حِلْمِهِ، وَعَمَّ كُلَّ عَالِمٍ طَوْلُهُ، وَهَدَى (٣) كُلَّ مَارِدٍ حَوْلَهُ (٤)، أَحْمَدَهُ حَمْدَ مُوَحِّدٍ مُسْلِمٍ، وَأَدْعَوْهُ دُعَاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّمٍ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْعَادِلُ الصَّمَدُ، لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ، وَلَا رِدَاءَ مَعَهُ (٥) وَلَا مُسَاعِدَ، أَرْسَلَ مُحَمَّدًا لِلْإِسْلَامِ مُمَهَّدًا، وَلِلْمِلَّةِ مُوَطِّدًا، وَلِلدِّينِ الرُّسُلِ مُؤَكِّدًا، وَلِلْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ مُسَدِّدًا (٦)، وَصَلَ الْأَرْحَامَ، وَعَلَّمَ الْأَحْكَامَ، وَوَسَمَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَرَسَمَ الْإِحْلَالَ وَالْإِحْرَامَ، كَرَّمَ اللَّهُ مَحَلَّهُ، وَكَمَّلَ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لَهُ، وَرَحِمَ آلَهُ الْكِرْمَاءَ، وَأَهْلَهُ الرُّحَمَاءَ، مَا هَمَّرَ رُكَامًا، وَهَدَرَ (٧) حَمَامًا، وَسَرَحَ سَوَامًا، وَسَطَا حُسَامًا (٨)، اَعْمَلُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَمَلَ الصُّلَحَاءِ، وَانْكَدَحُوا لِمَعَادِكُمْ كَدْحَ الْأَصِحَّاءِ، وَارْدَعُوا أَهْبَاءَكُمْ رَدْعَ الْأَعْدَاءِ، وَأَعْدُوا لِلرَّحْلَةِ (٩) إِعْدَادَ السُّعْدَاءِ، وَادَّرِعُوا حُلُلَ الْوَرَعِ، وَدَاوُوا عِلَلَ الطَّمَعِ، وَسَوُّوا (١٠) أَوْدَ الْعَمَلِ، وَعَاصُوا وَسَاوِسَ الْأَمَلِ، وَصَوَّرُوا لِأَوْهَامِكُمْ حُؤُولَ الْأَحْوَالِ (١١)، وَحَلُولَ الْأَهْوَالِ، وَمُسُورَةَ الْأَعْلَالِ (١٢)، وَمُصَارِمَةَ

- | | |
|-------------------------------------------|--------------------------|
| (١) لقطع الشدة. | (٢) معيد العظام البالية. |
| (٣) كسر وهدم. | (٤) قوته. |
| (٥) ليس معه معين. | (٦) مصلحًا ومرشدًا. |
| (٧) صوت وصاح. | (٨) أي: صال سيف قاطع. |
| (٩) المراد بها الانتقال من الدنيا بالموت. | (١٠) قوموا وعدلوا. |
| (١١) تغيير الحالات. | (١٢) موأبة العلل. |

الْمَالِ وَالْأَلِ، وَأَذْكُرُوا الْحِمَامَ (١) وَسَكْرَةَ مَصْرَعِهِ، وَالرَّمْسَ (٢) وَهَوْلَ
 مُطَّلَعِهِ، وَاللَّحْدَ وَوَحْدَةَ مُودِعِهِ، وَالْمَلِكَ وَرَوْعَةَ سُؤَالِهِ وَمَطَّلَعَهُ، وَالْمَحْوَا
 الدَّهْرَ وَلُؤْمَ كَرِّهِ، وَسُوءَ مِحَالِهِ وَمَكْرِهِ، كَمْ طَمَسَ مَعْلَمًا، وَأَمَرَ مَطْعَمًا،
 وَطَحَّطَحَ عَرْمَرَمًا (٣)، وَدَمَّرَ مَلِكًا مُكْرَمًا، هَمُّهُ سَكُّ الْمَسَامِعِ، وَسَحَّ
 الْمَدَامِعِ (٤)، وَإِكْدَاءُ الْمَطَامِعِ، وَإِرْدَاءُ الْمُسْمِعِ وَالسَّامِعِ، عَمَّ حُكْمُهُ
 الْمُلُوكَ وَالرَّعَاعَ (٥)، وَالْمَسُودَ وَالْمُطَاعَ، وَالْمَحْسُودَ وَالْحُسَادَ،
 وَالْأَسَاوِدَ وَالْأَسَادَ (٦)، مَا مَوْلَ إِلَّا مَالَ، وَعَكْسَ الْأَمَالِ، وَمَا وَصَلَ إِلَّا
 وَصَالَ، وَكَلَّمَ الْأَوْصَالَ (٧)، وَلَا سِرًّا إِلَّا وَسَاءَ، وَلُؤْمٌ (٨) وَأَسَاءَ، وَلَا أَصَحَّ
 إِلَّا وَلَدَ الدَّاءَ، وَرَوَعَ الْأَوْدَاءَ (٩)، اللَّهُ اللَّهُ، رَعَاكُمُ اللَّهُ! إِلَّا مَ مَدَاوِمَةُ اللَّهِوِ،
 وَمُواصَلَةُ السَّهْوِ؟ وَطُولُ الْإِصْرَارِ، وَحَمْلُ الْأَصَارِ؟ وَأَطْرَاحُ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ،
 وَمُعَاصَاةُ إِلَهِ السَّمَاءِ؟ أَمَا الْهَرَمُ حِصَادُكُمْ، وَالْمَدْرُ مِهَادُكُمْ! أَمَا الْحِمَامُ
 مُدْرِكُكُمْ، وَالصِّرَاطُ مَسْلِكُكُمْ! أَمَا السَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ، وَالسَّاهِرَةُ مَوْرِدُكُمْ! أَمَا
 أَهْوَالُ الطَّامَةِ (١٠) لَكُمْ مُرْصَدَةٌ (١١)، أَمَا دَارُ الْعِصَاةِ الْحُطْمَةُ الْمُؤْصَدَةُ!
 حَارِسُهُمْ مَالِكٌ، وَرَوَاؤُهُمْ (١٢) حَالِكٌ، وَطَعَامُهُمْ السُّمُومُ، وَهَوَاؤُهُمْ
 السُّمُومُ، لَا مَالَ أَسْعَدُهُمْ وَلَا وَلَدَ، وَلَا عِدَدَ حَمَاهُمْ وَلَا عُدَدَ، أَلَا رَحِمَ

(١) اذكروا الموت.

(٢) القبر.

(٣) العرمرم: الجيش الكثير لا يقاومه شيء.

(٤) سيلها وصبها.

(٥) الأردال.

(٦) جمع الأسد.

(٧) جرح وقطع الأوصال.

(٨) قبح.

(٩) الأحباب.

(١٠) من أسماء القيامة.

(١١) مُعَدَّةٌ مُنْتَظَرَةٌ.

(١٢) منظرهم الحسن.

اللَّهُ امْرَأً مَلِكٌ هَوَاهُ^(١) ، وَأُمَّ مَسَالِكَ هُدَاهُ ، وَأَحْكَمَ طَاعَةَ مَوْلَاهُ ، وَكَدَحَ لِرَوْحِ مَأْوَاهُ^(٢) ، وَعَمِلَ مَا دَامَ الْعُمُرُ مُطَاوِعًا ، وَالذَّهْرُ مُوَادِعًا ، وَالصَّحَّةُ كَامِلَةً ، وَالسَّلَامَةُ حَاصِلَةً ، وَإِلَّا دَهَمَهُ عَدَمُ الْمَرَامِ ، وَحَصَرَ الْكَلَامِ ، وَالْمَامُ الْآلَامِ ، وَحُمُومُ الْحِمَامِ ، وَهُدُوُّ الْحَوَاسِ ، وَمِرَاسُ^(٣) الْأَرْمَاسِ ، آهًا لَهَا حَسْرَةً أَلْمَهَا مُؤَكَّدًا ، وَأَمْدَهَا سَرْمَدًا^(٤) ، وَمُمَارِسُهَا مُكَمَّدًا ! مَا لَوْلَاهِ حَاسِمٌ ، وَلَا لَسَدَمِهِ رَاحِمٌ ، وَلَا لَهُ مِمَّا عَرَاهُ^(٥) عَاصِمٌ ! أَلْهَمَكُمُ اللَّهُ أَحْمَدَ الْإِلَهَامِ ، وَرَدَّاكُمْ رِذَاءَ الْإِكْرَامِ ، وَأَحَلَّكُمْ^(٦) دَارَ السَّلَامِ ! وَأَسْأَلُهُ الرَّحْمَةَ لَكُمْ وَلِأَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ أَسْمَحُ الْكِرَامِ ، وَالْمُسْلِمِ وَالسَّلَامِ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا رَأَيْتُ الْخُطْبَةَ نُخْبَةً بَلَ سَقَطِ^(٧) ، وَعَرَوْسًا بَغِيرِ نَقْطِ^(٨) ، دَعَانِي الْإِعْجَابُ بِنَمَطِهَا الْعَجِيبِ ، إِلَى اسْتِجْلَاءِ وَجْهِ الْخَطِيبِ ، فَأَخَذْتُ أُتَوَسَّمُهُ جِدًّا ، وَأَقَلَّبْتُ الطَّرْفَ فِيهِ مُجِدًّا ، إِلَى أَنْ وَضَحَ لِي بِصِدْقِ الْعَلَامَاتِ ، أَنَّهُ شَيْخُنَا صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ بَدًّا مِنْ الصَّمْتِ ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَأَمْسَكْتُ حَتَّى تَحَلَّلَ مِنَ الْفَرَضِ ، وَحَلَّ الْإِنْتِشَارُ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ وَاجَهْتُ تَلْقَاءَهُ ، وَابْتَدَرْتُ^(٩) لِقَاءَهُ ، فَلَمَّا لَحَظَنِي^(١٠) خَفَّ فِي الْقِيَامِ ، وَأَحْفَى فِي الْإِكْرَامِ ، ثُمَّ اسْتَصْحَبَنِي إِلَى دَارِهِ ، وَأَوْدَعَنِي خَصَائِصَ أَسْرَارِهِ ، وَحِينَ انْتَشَرَ جَنَاحُ الظَّلَامِ^(١١) ، وَحَانَ مِيقَاتُ الْمَنَامِ

(١) خالف نفسه الأمارة .

(٣) علاج .

(٥) اعتراه وحلَّ به .

(٧) لا عيب فيها .

(٩) أسرعت .

(٢) لأجل نسيم منزله ومقره .

(٤) مدتها دائمة لا تنتهي .

(٦) أنزلكم .

(٨) ليست منقشة .

(١٠) نظرنِي . (١١) كناية عن دخول الليل .

(١) ، أَحْضَرَ أَبَارِيقَ الْمُدَامِ (٢) ، مَعْكُومَةً (٣) بِالْفِدَامِ .

فَقُلْتُ: أَتَحْسُوهَا أَمَامَ النَّوْمِ، وَأَنْتَ إِمَامُ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ: مَهْ أَنَا بِالنَّهَارِ
خَطِيبٌ، وَبِاللَّيْلِ أَطِيبٌ (٤)! فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَعْجَبُ مِنْ تَسْلِيكَ عَنْ
أُنَاسِكَ، وَمَسَقَطِ رَاسِكَ (٥)، أَمْ مِنْ خُطَابَتِكَ مَعَ أَدْنَاكِ، وَمَدَارِ كَاسِكَ؟
فَأَشَاحَ (٦) بِوَجْهِهِ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: اسْمَعْ مِنِّي:

لَا تَبِكْ إِلْفًا (٧) نَأَى وَلَا دَارًا
وَاتَّخِذِ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا
وَأَصْبِرْ عَلَى خُلُقِ مَنْ تُعَاشِرُهُ
وَلَا تُضِعْ فُرْصَةَ السَّرُورِ فَمَا
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الْمُنُونَ جَائِلَةٌ (٩)

وَدُرِّمَعَ الدَّهْرَ كَيْفَمَا دَارًا
وَمَثَّلِ الْأَرْضَ كُلَّهَا دَارًا
وِدَارِهِ (٨) فَالَلَّبِيبُ مِنْ دَارِي
تَدْرِي أَيَوْمًا تَعِيشُ أَمْ دَارًا
وَقَدْ أَدَارَتْ عَلَى الْوَرَى (١٠) دَارًا

وَأَقْسَمَتْ لَا تَزَالُ قَانِصَةً
فَكَيْفَ تُرْجَى النَّجَاةُ مِنْ شَرِّكَ
قَالَ: فَلَمَّا اعْتَوَرْتُنَا (١٢) الْكُؤُوسُ، وَطَرَبَتِ النَّفُوسُ، جَرَعَنِي الْيَمِينِ
الْغُمُوسَ، عَلَى أَنْ أَحْفَظَ عَلَيْهِ النَّامُوسَ، فَاتَّبَعْتُ مَرَامَهُ، وَرَعَيْتُ
ذِمَامَهُ (١٣)، وَنَزَلَتْهُ بَيْنَ الْمَلَأِ (١٤) مَنزِلَةَ الْفُضَيْلِ، وَسَدَلْتُ الذَّيْلَ عَلَى

(١) آن وقت النوم.

(٢) الخمر.

(٣) مشدودة.

(٤) أطرب.

(٥) بلدك التي ولدت بها.

(٦) أعرض متكرهاً.

(٧) الإلف والأليف: الصَّاحِبُ الْمُوَافِقُ.

(٨) من المداراة، وهي الملائفة.

(٩) دائرة ومترددة.

(١٠) المخلوقات.

(١١) هما: الغداة والعشي، وقيل: الليل والنهار.

(١٢) تداولت علينا.

(١٣) عهده.

(١٤) أشرف الناس.

مَخَازِي اللَّيْلِ (١)، وَكَمْ يَزَلُ ذَلِكَ دَابَّهُ (٢) ودَابِّي، إِلَى أَنْ تَهَيَّأَ إِيَّابِي (٣)،
فَوَدَّعْتَهُ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى التَّدْلِيسِ، وَمُسِرٌّ حَسَوَ الْخُنْدَرِيسِ.



(١) فضائحه .

(٢) عادته .

(٣) آن وأمكن رجوعي وعودي .

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قالَ: أَلَجَانِي حُكْمُ دَهْرٍ قَاسِطٍ ^(١)، إِلَى أَنْ
 أَنْتَجَعَ أَرْضَ وَاسِطٍ، فَقَصَدْتُهَا وَأَنَا لَا أَعْرِفُ بِهَا سَكَنًا، وَلَا أَمْلِكُ فِيهَا
 مَسْكَنًا، وَكَمَا حَلَلْتُهَا حُلُولَ الْحَوْتِ ^(٢) بِالْبَيْدَاءِ، وَالشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءُ فِي اللَّيْمَةِ
 السُّودَاءِ، قَادَنِي الْحِطُّ النَّاقِصُ، وَالْجَدُّ النَّاقِصُ ^(٣)، إِلَى خَانَ ^(٤) يَنْزِلُهُ
 شَذَاذُ الْآفَاقِ، وَأَخْلَاطُ ^(٥) الرَّفَاقِ، وَهُوَ لِنِظَافَةِ مَكَانِهِ، وَظَرَافَةِ سَكَّانِهِ،
 يُرَعِّبُ الْغَرِيبَ فِي إِطَانِهِ، وَيُنْسِيهِ هَوَى أَوْطَانِهِ، فَاسْتَفَرَّدَتْ مِنْهُ بِحُجْرَةٍ ^(٦)،
 وَكَمْ أَنْفَسٌ فِي أُجْرَةٍ، فَمَا كَانَ إِلَّا كَلَمَحَ طَرْفٍ، أَوْ خَطَّ حَرْفٍ، حَتَّى
 سَمِعْتُ جَارِي بَيْتَ بَيْتٍ ^(٧)، يَقُولُ لِنَزِيلِهِ فِي الْبَيْتِ: قُمْ يَا بُنَيَّ لَا قَعْدَ
 جَدُّكَ، وَلَا قَامَ ضِدُّكَ ^(٨)، وَاسْتَصْحَبَ ^(٩) ذَا الْوَجْهِ الْبَدْرِيِّ، وَاللَّوْنِ
 الدَّرِيِّ، وَالْأَصْلِ النَّقِيِّ ^(١٠)، وَالْجِسْمِ الشَّقِيِّ، الَّذِي قُبِضَ وَنُشِرَ، وَسُجِنَ
 وَشُهِرَ ^(١١)، وَسَقِيَ وَفُطِمَ، وَأُدْخِلَ النَّارَ بَعْدَمَا لُطِمَ، ثُمَّ ارْكُضْ بِهِ إِلَى
 السُّوقِ، رَكُضَ الْمَشُوقِ ^(١٢)، فَقَايِضْ بِهِ اللَّاقِحَ الْمَلْقَحَ، الْمُمْسِدَ

- (١) جائر ومائل.
 (٢) السعد الراجع إلى خلف.
 (٣) جمع خليط، وهم: المجتمعون من نواح شتى.
 (٤) هو الفندق.
 (٥) الذي منزله ملاصق لمنزلي.
 (٦) بيت صغير.
 (٧) أخذ معك.
 (٨) عدوك ومبغضك.
 (٩) أراد به الحنطة الجيدة.
 (١٠) أخرج منها.
 (١١) المشتاق.
 (١٢) السمك.

المُصْلِحَ، المُمْكِدَ (١) المُمْفِرِحَ، المُمْعِنِي المُمْرُوحَ، ذَا الزَّفِيرِ (٢)
 المُمْحَرِقِ، وَالْجَنِينِ المُمْشَرِقِ، وَاللَّفْظِ المُّقْنِعِ، وَالنَّيْلِ (٣) المُّمْتَعِ، الَّذِي
 إِذَا طُرِقَ، رَعَدَ وَبَرَقَ، وَبَاحَ بِالْحُرْقِ (٤)، وَنَفَثَ فِي الْخُرْقِ.

قَالَ: فَلَمَّا قَرَّتْ شِقْشِقَةُ الهَادِرِ (٥)، وَكَلِمَ يَبْقَ إِلَّا صَدْرُ الصَّادِرِ، بَرَزَ فَتَى
 يَمِيسٌ (٦)، وَمَا مَعَهُ أَنَيْسٌ، فَرَأَيْتُهَا عَضْلَةً تَلْعَبُ بِالْعُقُولِ، وَتُغْرِي بِالذُّخُولِ
 فِي الْفُضُولِ، فَانطَلَقْتُ فِي أَثَرِ الْغُلَامِ، لِأَخْبَرَ فَحَوَى (٧) الْكَلَامِ، فَلَمْ يَزَلْ
 يَسْعَى سَعَى الْعَقَارِيثِ، وَيَتَفَقَّدُ نَضَائِدَ الْحَوَائِثِ، حَتَّى انْتَهَى عِنْدَ الرَّوَّاحِ
 إِلَى حِجَارَةِ الْقَدَّاحِ، فَنَاولَ بَائِعَهَا رَغِيْفًا، وَتَنَاوَلَ مِنْهُ حَجْرًا لَطِيْفًا، فَعَجِبْتُ
 مِنْ فِطَانَةِ المُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ، وَعَلِمْتُ أَنَّهَا سَرُوجِيَّةٌ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلْ، وَمَا
 كَذَّبْتُ (٨) أَنْ بَادَرْتُ إِلَى الْخَانَ، مَنْطَلِقَ الْعِنَانِ (٩)، لِأَنْظُرَ كُنْهَ فَهْمِي،
 وَهَلْ قَرُطَسَ فِي التَّكْهَنِ (١٠) سَهْمِي، فَإِذَا أَنَا فِي الْفِرَاسَةِ فَارِسٌ، وَأَبُو زَيْدٍ
 بَوَصِيدِ الْخَانَ جَالِسٌ، فَتَهَادَيْتُنَا بِشَرَى الْإِلْتِقَاءِ، وَتَقَارَضْنَا تَحِيَّةَ الْأَصْدِقَاءِ، ثُمَّ
 قَالَ: مَا الَّذِي نَابَكَ (١١)، حَتَّى زَايَلْتَ جَنَابَكَ (١٢)؟ فَقُلْتُ: دَهْرٌ هَاضٌ،
 وَجَوْرٌ (١٣) فَاضٌ! فَقَالَ: وَالَّذِي أَنْزَلَ الْمَطْرَ مِنَ الْغَمَامِ، وَأَخْرَجَ الشَّمْرَ مِنَ
 الْأَكْمَامِ (١٤)، لَقَدْ فَسَدَ الزَّمَانُ، وَعَمَّ الْعُدْوَانُ، وَعُدِمَ الْمِعْوَانُ (١٥)، وَاللَّهُ

(١) المحزن.

(٣) العطاء.

(٥) صوت المتكلم.

(٧) معناه.

(٩) مسرعًا من غير توانٍ.

(١١) أصابك.

(١٣) ظلم كثير.

(٢) ما يخرج من النار عند قدحه.

(٤) أظهر ناره.

(٦) يتمايل ويتبختر.

(٨) ما تأخرت في الحال.

(١٠) هو الحكم على الغيب بالتخمين.

(١٢) فارقت ناحيتك.

(١٤) أوعية الثمر.

(١٥) المعين.

المُسْتَعَانُ، فَكَيْفَ أَفَلَّتْ، وَعَلَى أَيِّ وَصْفِيكَ أَجْفَلْتِ؟ فَقُلْتُ: اتَّخَذْتُ
 اللَّيْلَ قَمِيصاً (١)، وَأَدْجُتُ فِيهِ خَمِيصاً، فَأَطْرَقَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، وَيَفَكِّرُ
 فِي ارْتِيَادِ الْقَرْضِ وَالْفَرْضِ، ثُمَّ اهْتَزَّ هَزَّةً مَن أَكْثَبَهُ قَنْصٌ، أَوْ بَدَتْ لَهُ
 فُرْصٌ، وَقَالَ: قَدْ عَلِقَ بِقَلْبِي أَنْ تُصَاهِرَ مِنْ يَأْسُو جِرَاحَكَ (٢)، وَيَرِيشُ
 جِنَاحَكَ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ غُلٍّ وَقُلٍّ، وَمَنِ الَّذِي يَرْغَبُ فِي ضُلِّ
 بِنِ ضُلِّ؟ فَقَالَ: أَنَا الْمُشِيرُ بِكَ وَإِلَيْكَ، وَالْوَكِيلُ لَكَ وَعَلَيْكَ، مَعَ أَنَّ دِينَ
 الْقَوْمِ (٣) جَبْرُ الْكَسِيرِ، وَفَكُّ الْأَسِيرِ، وَاحْتِرَامُ الْعَشِيرِ (٤)، وَاسْتِنْصَاحُ
 الْمُشِيرِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَوْ خَطَبَ إِلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ آدَهَمَ، أَوْ جَبَلَةُ بْنُ الْأَيْهَمِ، لَمَا
 زَوَّجُوهُ إِلَّا عَلَى خَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ، اقْتِدَاءً بِمَا مَهَرَ الرَّسُولُ ﷺ زَوْجَاتِهِ،
 وَعَقَدَ بِهِ أَنْكِحَةَ بَنَاتِهِ، عَلَى أَنَّكَ لَنْ تُطَالَِبَ بِصَدَاقٍ، وَلَا تُتَلَجَأُ إِلَى طَلَاقٍ،
 ثُمَّ إِنِّي سَأَخْطُبُ فِي مَوْقِفِ عَقْدِكَ، وَمَجْمَعِ حَشْدِكَ (٥)، خُطْبَةً لَمْ تَفْتُقْ
 رَتَقَ سَمْعٍ، وَلَا خُطِبَ بِمِثْلِهَا فِي جَمْعٍ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَازْدَهَانِي (٦) بِوَصْفِ الْخُطْبَةِ الْمَتْلُوءَةِ (٧) دُونَ
 الْخُطْبَةِ الْمَجْلُوءَةِ، حَتَّى قُلْتُ لَهُ: قَدْ وَكَلْتُ إِلَيْكَ هَذَا الْخُطْبَ (٨)، فَدَبَّرَهُ
 تَدْبِيرَ مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ، فَنَهَضَ مُهْرُولاً، ثُمَّ عَادَ مَتَهَلِّلاً (٩)، وَقَالَ: أَبْشِرْ
 بِإِعْتَابِ الدَّهْرِ، وَاحْتِلَابِ الدُّرِّ! فَقَدْ وَلَّيْتُ الْعَقْدَ (١٠)، وَأُكْفَلْتُ النِّقْدَ،

(١) أنه عاري الجسد.

(٢) يداويها ويطبها.

(٣) عاداتهم.

(٤) المعاشر والزوج.

(٥) من اجتمع من الناس لحضور العقد.

(٦) استخفني واستفزني.

(٧) التي ستلى وتقرأ.

(٨) ألقى إليك أمر هذا المهم.

(٩) تاللاً من الفرح.

(١٠) توليته بأن صرت وكيلاً.

وكان قد، ثم أخذ في موعدة أهل الخان، وإعداد حلواء الخوان (١)، فلما
مدَّ الليلُ أطنابه، وأغلق كلُّ ذي بابٍ بابَهُ، أذنَ في الجماعة: ألا احضروا
في هذه الساعة! فلم يبقَ فيهم إلا من لبيَّ صوته، وحضر بيته،
فلما اصطَفوا لديه (٢)، واجتمعَ الشاهدُ والمشهودُ عليه، جعلَ يرفعُ
الأصطرلابَ (٣) ويضعه، ويلحظُ التقويمَ ويدعه، إلى أن نعى القومُ،
وغشيَ النومُ، فقلتُ له: يا هذا ضَعِ الفأسَ في الرأسِ، وخلِّصِ النَّاسَ مِنَ
النُّعاسِ، فنظرَ نظرةً في النُّجومِ، ثمَّ انتشَطَ (٤) من عَقْلَةِ الوجومِ (٥)،
وأقسمَ بالطُّورِ، والكتابِ المُسطورِ، لينكشِفَنَّ سرَّ هذا الأمرِ المُستورِ،
وليتَّشِرَنَّ ذكره إلى يومِ النُّشورِ (٦)، ثمَّ إنَّهُ جثا على رُكبته، وأسترعى
الأسماعَ لخطبته، وقال: الحمدُ لله الملكِ المحمودِ، المالكِ الودودِ، مُصوِّرِ
كلِّ مولودٍ، ومألِّ كلِّ مطرودٍ (٧)، ساطِحِ المهادِ (٨)، وموطِّدِ الأطوادِ (٩)،
ومُرْسِلِ الأمطارِ، ومُسَهِّلِ الأوطارِ (١٠)، وعالِمِ الأسرارِ ومُدْرِكِها، ومُدْمِرِ
الأملاكِ ومُهْلِكِها، ومُكَوِّرِ الدُّهورِ ومُكْرِرِها، ومُورِدِ الأمورِ ومُصْدِرِها، عمَّ
سَمَاحُهُ وكَمَلِ، وهَطَلِ رُكَّامُهُ وهَمَلِ، وطَاوَعَ (١١) السُّؤْلَ والأَمَلَ، وأوسَعَ
المُرْمِلِ والأرْمَلَ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا مَمْدودًا مَدَاهُ (١٢)، وأوَحَدَهُ كَمَا وَحَدَهُ
الأوَاهُ، وَهُوَ اللّاهُ لا إِلَهَ لِلأُمَّمِ سِوَاهُ، وَلَا صَادِعَ لِمَا عَدَلَهُ وَسِوَاهُ، أَرْسَلَ

(١) هو ما يوضع عليه الطعام، ويسمى: بالمائدة.

(٢) هو ميزان الشمس وهي كلمة يونانية.

(٣) العقلة: داء السكوت، الوجوم: الحزن المكثوم.

(٤) هو من طرده أمر مهم.

(٥) جمع الطود، وهو الجبل.

(٦) هو من طرده أمر مهم.

(٧) جمع الطود، وهو الجبل.

(٨) أجب.

(٩) أجب.

(١٠) أجب.

(١١) أجب.

(١٢) أجب.

مُحَمَّدًا عَلِمًا لِلإِسْلَامِ ، وَإِمَامًا لِلْحُكَّامِ ، وَمُسَدِّدًا^(١) لِلرَّعَاعِ^(٢) ،
وَمُعْطَلًا^(٣) أَحْكَامَ وُدِّ وَسُوءِ عِرَاقٍ ، أَعْلَمَ وَعَلَّمَ^(٤) ، وَحَكَمَ وَأَحْكَمَ ، وَأَصَلَ
الْأُصُولَ وَمَهَّدَ ، وَأَكَّدَ الْوَعُودَ وَأَوْعَدَ ، وَأَصَلَ اللَّهُ لَهُ الْإِكْرَامَ ، وَأَوْدَعَ رُوحَهُ
دَارَ السَّلَامِ ، وَرَحِمَ آلَهُ وَأَهْلَهُ الْكِرَامِ ، مَا لَمَعَ آلٌ ، وَمَلَعَ^(٥) رَالٌ ، وَطَلَعَ
هِلَالٌ ، وَسُمِعَ إِهْلَالٌ^(٦) .

اعْمَلُوا - رَعَاكُمْ اللَّهُ - أَصْلَحَ الْأَعْمَالِ ، وَأَسْأَلُكُمْ مَسَالِكَ الْخِلَالِ ،
وَأَطْرِحُوا الْحَرَامَ وَدَعُوهُ ، وَأَسْمَعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَعَوَهُ^(٧) ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ
وَرَاعُواهَا ، وَعَاصُوا الْأَهْوَاءَ وَارْدَعُواهَا ، وَصَاهِرُوا^(٨) لِحُمِّ الصَّلَاحِ وَالْوَرَعِ ،
وَصَارِمُوا رَهْطَ الْلَهْوِ وَالطَّمَعِ ، وَمُصَاهِرُكُمْ أَطْهَرُ الْأَحْرَارِ مَوْلِدًا ،
وَأَسْرَاهُمْ^(٩) سُودَدًا^(١٠) ، وَأَخْلَاهُمْ مَوْرِدًا ، وَأَصَحَّهِمْ مَوْعِدًا^(١١) ، وَهَا
هُوَ أَمَّكُمْ ، وَحَلَّ حَرَمَكُمْ^(١٢) ، مُمْلِكًا عَرُوسَكُمْ الْمَكْرَمَةَ ، وَمَاهِرًا لَهَا كَمَا
مَهَرَ الرَّسُولُ أُمَّ سَلَمَةَ ، وَهُوَ أَكْرَمُ صِهْرٍ أَوْدَعَ الْأَوْلَادَ ، وَمَلِكٌ مَنْ أَرَادَ ، وَمَا
سَهَا مُمْلِكُهُ وَلَا وَهَمَ^(١٣) ، وَلَا وَكِسَ^(١٤) مُلَاحِمُهُ وَلَا وَصِمَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ
لَكُمْ إِحْمَادَ وَصَالَهُ وَدَوَامَ إِسْعَادِهِ ، وَأَلْهَمَ كُلَّ إِصْلَاحِ حَالِهِ وَالْإِعْدَادَ لِمَعَادِهِ ،
وَلَهُ الْحَمْدُ السَّرْمَدُ^(١٥) ، وَالْمَدْحُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ الْبَدِيعَةِ

- | | |
|----------------------------------|------------------------------------|
| (١) مُرْشِدًا . | (٢) هم سفلة الناس وجهالهم . |
| (٣) مبطلًا ومدمرًا . | (٤) أخبر وعرف . |
| (٥) أسرع وعدًا . | (٦) هو رفع الصوت عند رؤية الهلال . |
| (٧) أمر من الوعي بمعنى : الحفظ . | (٨) صاهر القوم : تزوج منهم . |
| (٩) أشرفهم . | (١٠) شرفًا وسيادة . |
| (١١) أصدقهم في الوفاء بالوعد . | (١٢) نزل ساحتكم وبلدكم . |
| (١٣) أي : ما غلط . | (١٤) ما نقص . |
| | (١٥) الدائم . |

النَّظَامِ، العَرِيَّةِ مِنَ الإِعْجَامِ، عَقَدَ العَقْدَ عَلَى الخَمْسِ المِئِينَ، وَقَالَ لِي: بالرِّفَاءِ والبِنِينَ، ثُمَّ أَحْضَرَ الحَلْوَاءَ الَّتِي كَانَ أَعْدَهَا، وَأَبْدَى الأَبْدَةَ (١) عِنْدَهَا، فَأَقْبَلْتُ إِقْبَالَ الجَمَاعَةِ عَلَيْهَا، وَكَدْتُ أَهْوِي بِيَدِي إِلَيْهَا، فَجَرَنِي عَنِ المُوَاكَلَةِ، وَأَنْهَضَنِي (٢) لِلْمُنَاوَلَةِ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ تَصَافُحِ (٣) الأَجْفَانِ، حَتَّى خَرَّ القَوْمُ لِلأَذْقَانِ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ كَاعْجَازِ نَخْلِ خَاوِيَةٍ (٤)، أَوْ كَصِرْعَى بِنْتِ خَايِيَةٍ، عَلِمْتُ أَنَّهَا لِأَحْدَى الكُبَرَى، وَأُمُّ العَبْرَى، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عُدِّي نَفْسَهُ، وَعُيَيْدَ فَلْسِهِ! أَعَدَدْتَ لِلقَوْمِ حُلُوِي، أَمْ بَلُوِي؟ فَقَالَ: لَمْ أَعُدْ خَبِيصَ البَنِّجِ، فِي صِحَافِ الخَلْنَجِ! فَقُلْتُ: أَقْسِمُ بِمَنْ أَطْلَعَهُ زُهْرًا، وَهَدَى بِهَا السَّارِينَ طُرًّا (٥)، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكْرًا، وَأَبْقَيْتَ لَكَ فِي المُخْزِيَّاتِ (٦) ذِكْرًا، ثُمَّ حَرْتُ فِكْرَةً فِي صَيُورِ أَمْرِهِ (٧)، وَخِيفَةً مِنْ عَدُوِي عِرَّةً، حَتَّى طَارَتْ نَفْسِي شِعَاعًا، وَأُرْعِدَتْ (٨) فَرَائِصِي ارْتِبَاعًا (٩)، فَلَمَّا رَأَى اسْتِطَارَةَ فِرْقِي، وَاسْتِشْطَاةَ قَلْقِي، قَالَ: مَا هَذَا الفِكْرُ المَرْمِضُ (١٠)، وَالرَّوْعُ المَوْمِضُ (١١)؟ فَإِنْ يَكُنْ فِكْرُكَ فِي أَجْلِي، مِنْ أَجْلِي، فَأَنَا الآنَ أَرْتَعُ وَأُطْفِرُ، وَأَقْوِي هَذِهِ البُقْعَةَ مِنِّي وَأَقْفِرُ، وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفِرُ، وَإِنْ يَكُنْ نَظْرًا لِنَفْسِكَ، وَحَذْرًا مِنْ حَبْسِكَ، فَتَنَاولَ فُضَالَةَ الخَبِيصِ (١٢)، وَطَبَّ نَفْسًا عَنِ القَمِيصِ، حَتَّى تَأْمَنَ المُسْتَعْدِي وَالمُعْدِي (١٣)، وَيَتَمَهَّدَ

(١) الفعلة التي يبقى ذكرها أبدأ؛ لغرابتها.

(٢) تلاقيها.

(٣) جميعاً.

(٤) عاقبته ومآله.

(٥) فرعاً وخوقاً.

(٦) اللامع الظاهر.

(٧) صاحب العدو وهو المستعان به.

(٨) ما فضل وبقي من الحلواء.

(٩) أخذ بيدي وأقامني.

(١٠) كأصول نخل ساقطة من مغارسها.

(١١) النقائص المخزية.

(١٢) ارتعدت واهتزت.

(١٣) المحرق.

لَكَ الْمَقَامُ (١) بَعْدِي، وَإِلَّا فَالْمَمْفَرَّ الْمَمْفَرَّ، قَبْلَ أَنْ تُسْحَبَ وَتُجَرَّ، ثُمَّ
 عَمَدَ لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِي الْبَيْوتِ، مِنْ الْأَكْيَاسِ (٢) وَالتُّخُوتِ (٣)، وَجَعَلَ
 يَسْتَخْلِصُ خَالِصَةَ كُلِّ مَخْزُونٍ، وَنُخْبَةَ كُلِّ مَذْرُوعٍ وَمَوْزُونٍ، حَتَّى غَادَرَ مَا
 أَلْغَاهُ فَخُهُ (٤)، كَعَظْمٍ اسْتُخْرِجَ مِنْهُ، فَلَمَّا هَمَّنَ مَا اصْطَفَاهُ وَرَزَمَ، وَشَمَّرَ
 عَنْ ذِرَاعِيهِ وَتَحَزَّمَ، أَقْبَلَ عَلَيَّ إِقْبَالَ مَنْ لَيْسَ الصَّفَاقَةَ (٥)، وَخَلَعَ الصَّدَاقَةَ،
 وَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي الْمُصَاحَبَةِ إِلَى الْبَطِيحَةِ، لِأَزْوَاجِكَ بِأُخْرَى مَلِيحَةٍ؟
 فَأَقْسَمْتُ لَهُ بِالَّذِي جَعَلَهُ مُبَارِكًا أَيْنَمَا كَانَ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِمَّنْ خَانَ فِي خَانٍ،
 إِنَّهُ لَا قِبَلَ لِي (٦) بِنِكَاحِ حُرَّتَيْنِ، وَمُعَاشَرَةِ ضَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَلْتُ لَهُ قَوْلَ الْمُتَطَبِّعِ
 بِطَبَاعِهِ، الْكَائِلِ لَهُ بِصَاعِهِ: قَدْ كَفَّتُنِي الْأَوْلَى فِخْرًا، فَاطْلُبْ آخَرَ لِالْأُخْرَى،
 فَتَبَسَّمَ مِنْ كَلَامِي، وَدَلَّفَ (٧) لِالْتِزَامِي، فَلَوِيْتُ عَنْهُ عِذَارِي، وَأَبْدَيْتُ لَهُ
 اِزْوَرَارِي (٨)، فَلَمَّا بَصُرَ بِانْقِبَاضِي، وَتَجَلَّى لَهُ إِعْرَاضِي، أَنْشَدَ:

يَا صَارِفًا عَنِّي الْمَوَدَّةَ وَالزَّمَانَ لَهُ صُرُوفُ (٩)
 وَمُعَنِّي (١٠) فِي فَضْحِ مَنْ جَاوَرْتُ تُعْنِيفَ الْعَسُوفُ
 لَا تَلْحَنِي فِيمَا أَتَيْتُ فَيَأْنِي بِهِمْ عَرُوفُ
 وَلَقَدْ نَزَلْتُ بِهِمْ فَلَمْ أَرَهُمْ يُرَاعُونَ الضُّيُوفُ
 وَيَلَوُّهُمْ (١١) فَوَجَدْتُهُمْ لَمَّا سَبَكْتُهُمْ زُيُوفُ

(١) الإقامة.

(٣) أوعية الدراهم.

(٥) اللواعة.

(٧) مشى مسرعًا وتقدم.

(٩) تقلبات.

(١١) اختبرتهم وجربتهم.

(٢) الصناديق.

(٤) الفخ: ما يصطاد به الصيد.

(٦) لا طاقة لي ولا قدرة.

(٨) إعراضي عنه.

(١٠) موبخي ولائمي.

مَا فِيهِمْ إِلَّا مُخِيبٌ
 لَا بِالصَّفِيِّ^(١) وَلَا الْوَفِيِّ
 فَوُثِبَتْ فِيهِمْ وَثْبَةُ الْـ
 وَتَرَكْتُهُمْ صَرَعَى^(٢) كَأَنَّهُ
 وَتَحَكَّمَتْ فِي مَا أَقْتَنُوا
 ثُمَّ أَنْشَنْيْتُ بِمَغْنَمٍ
 وَلَطَالَمَا خَلَّفْتُ مَكَّ
 وَوَتَّعْتُ أَرْبَابَ الْأَرَا
 وَلَكُمْ بَلَغْتُ بِحِيلَتِي
 وَوَقَفْتُ فِي هَوْلٍ تُرَا
 وَلَكُمْ سَفَكْتُ وَكَمْ فَتَكْتُ^(٦)
 وَكَمْ ارْتِكَاضُ^(٧) مَوْبِقٍ
 لَكُنِّي أَعَدَدْتُ حُسْنُ

قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ لَجَّ فِي الْأَسْتِعْبَارِ^(١٠)، وَأَلْظَمَ^(١١)
 بِالْأَسْتِغْفَارِ، حَتَّى اسْتَمَالَ هَوَى قَلْبِي الْمُنْحَرِفِ^(١٢)، وَرَجَوْتُ لَهُ مَا يُرْجَى

(١) المختار.

(٢) جمع صريع، بمعنى: مصروع؛ أي: مطروح لا يعي.

(٣) جمع الخفف، وهو: الموت والمينة.

(٤) قهراً عنهم.

(٦) فتك به: قتله على غرة.

(٥) مجروح الأمعاء.

(٨) شدة الإسراع.

(٧) من الركض، وهو: المشي دون الجري.

(١٠) زاد في البكاء.

(٩) كثير الرأفة والرحمة.

(١٢) المغتاض منه.

(١١) داوم وتابع.

للمُقْتَرِفِ الْمُعْتَرِفِ، ثُمَّ إِنَّهُ غِيَضَ دَمْعَهُ الْمُنْهَلَّ، وَتَأَبَّطَ جِرَابَهُ وَأَنْسَلَ،
 وَقَالَ لِابْنِهِ: احْتَمَلِ الْبَاقِي، وَاللَّهُ الْوَاقِي، قَالَ الْمُخْبِرُ بِهِذِهِ الْحِكَايَةِ: فَلَمَّا
 رَأَيْتُ أَنْسِيَابَ (١) الْحَيَّةِ وَالْحَيَّةِ، وَانْتِهَاءَ الدَّاءِ إِلَى الْكِيَّةِ (٢)، عَلِمْتُ أَنْ
 تَرِيثِي (٣) بِالْخَانَ، مَجْلِبَةً لِلْهُوَآنِ (٤)، فَضَمَمْتُ رُحَيْلِي، وَجَمَعْتُ لِلرَّحَلَةِ
 ذَيْلِي، وَبَتُّ لَيْلَتِي أُسْرِي إِلَى الطَّيْبِ، وَأَحْتَسِبُ اللَّهُ عَلَى الْخَطِيبِ.



(١) أي: جري.

(٢) إلى آخره وأصله من قولهم: آخر الطب الكي.

(٣) تمكثي وإقامتي.

(٤) جالب لذلي وإهانتني.

المقامة الثلاثون الصورية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: ارتحلتُ من مدينة المنصور، إلى بلدة صور، فلما حصلتُ بها ذا رفعةٍ وخفضٍ (١)، ومالكٍ رفعٍ وخفضٍ، تُقتُ (٢) إلى مصرَ توقانَ السقيمِ إلى الأساة، والكريمِ إلى المؤاساة (٣)، فرفضتُ علائقَ الاستقامة، ونفضتُ عوائقَ الإقامة، واعروريتُ ظهرَ ابنِ النعامِ، وأجفلتُ نحوها إجفالَ (٤) النعامِ، فلما دخلته بعدَ معاناة الأينِ (٥)، ومدانة الحينِ (٦)، كلفتُ به كلفَ النشوانِ (٧) بالاصطباج، والحيرانِ بتنفُسِ الصباحِ، فبينما أنا يوماً بها أطوفُ، وتحتي فرسٌ قَطوفُ، إذ رأيتُ على جردٍ (٨) من الخيلِ، عُصبةً (٩) كمصاييحِ الليلِ، فسألتُ لانتجاعِ النزهة، عنِ العُصبةِ والوجهة، فقيلَ: أمّا القومُ فشهودٌ، وأمّا المقصدُ فإملاكٌ (١٠) مشهودٌ، فحدثني ميعَةُ النشاطِ، على أن سرتُ مع الفُراطِ، لأفوز بحلاوة اللُّقَاطِ، وأحوزَ حلواءَ السَّمَّاطِ، فأفضينا بعدَ مكابدةِ العناءِ، إلى دارِ ربيعةِ البناءِ، وسيعَةِ الفناءِ، تشهدُ لبانيها بالثراءِ

(١) صاحب حشمة ونعمة.

(٢) الإعطاء.

(٣) مقاساة العناء والإعياء.

(٤) السكزان.

(٥) جماعة ما بين العشر إلى الأربعين.

(٦) اشتقت.

(٧) جمع أجرد، وهو: قصير الشعر.

(٨) جمع أجرد، وهو: قصير الشعر.

(٩) تزويج.

(١٠) تزويج.

والسَّاءُ (١)، فَلَمَّا نَزَلْنَا عَنْ صَهَوَاتِ الْخُيُولِ، وَقَدَمْنَا الْأَقْدَامَ لِلدَّخُولِ،
 رَأَيْتُ دَهْلِيْزَهَا مُجَلَّلًا (٢) بِأَطْمَارٍ مُخْرَقَةٍ، وَمُكَلَّلًا بِمَخَارِفٍ مَعْلَقَةٍ، وَهَنَّاكَ
 شَخْصٌ عَلَى قَطِيفَةٍ، فَوْقَ دَكَّةٍ لَطِيفَةٍ، فَرَابِنِي عُنْوَانِ الصَّحِيفَةِ، وَمَرَأَى هَذِهِ
 الطَّرِيفَةَ، وَدَعَانِي التَّطْيِيرُ بِتِلْكَ الْمَنَاحِسِ (٣)، إِلَى أَنْ عَمَدْتُ لَذَلِكَ
 الْجَالِسِ، فَعَزَمْتُ عَلَيْهِ بِمُصَرِّفِ الْأَقْدَارِ، لِيُعَرِّفَنِي مَنْ رَبُّ هَذِهِ الدَّارِ، فَقَالَ:
 لَيْسَ لَهَا مَالِكٌ مَعِيْنٌ، وَلَا صَاحِبٌ مُبَيَّنٌ، إِنَّمَا هِيَ مَصْطَبَةٌ الْمُقَيِّفِينَ
 وَالْمَدْرُوزِينَ (٤)، وَوَكِيْجَةٌ الْمُشَقِّقِينَ وَالْمُجَلُّوزِينَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّا لِلَّهِ
 عَلَى ضِلَّةٍ الْمُسْعَى، وَإِمْحَالِ الْمُرْعَى، وَهَمَمْتُ فِي الْحَالِ بِالرُّجْعَى (٥)، لَكِنِّي
 اسْتَهْجَنْتُ (٦) الْعَوْدَ مِنْ فُورِي، وَالْقَهْقَرَةَ (٧) دُونَ غَيْرِي، فَوَلَجْتُ الدَّارَ
 مَتَجَرِّعًا الْغُصَصَ (٨)، كَمَا يَلِجُ الْعُصْفُورُ الْقَفْصَ، فَإِذَا فِيهِ أَرَائِكُ مَنْقُوشَةٌ،
 وَطَنَافِسُ مَفْرُوشَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَسُجُوفٌ مَرْصُوفَةٌ وَقَدْ أَقْبَلَ الْمَمْلِكُ (٩)
 يَمِيْسُ فِي بُرْدَتِهِ، وَيَتَبَهَّنَسُ بَيْنَ حَفْدَتِهِ (١٠)، فَحِينَ جَلَسَ كَأَنَّهُ ابْنُ مَاءِ
 السَّمَاءِ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ قَبْلِ الْأَحْمَاءِ: وَحُرْمَةٌ سَاسَانُ أَسْتَادِ الْأَسْتَادِينَ،
 وَقُدُوءُ الشَّحَّادِينَ (١١)، لَا عَقْدَ هَذَا الْعَقْدِ الْمُبْجَلِّ، فِي هَذَا الْيَوْمِ
 الْأَغْرُ (١٢) الْمُحْجَلِّ (١٣)، إِلَّا الَّذِي جَالٌ وَجَابٌ، وَشَبَّ فِي الْكُدِيَّةِ

(١) العلو والرُّفْعَةُ.

(٣) الصفات المنحوسة.

(٥) بالرجوع.

(٧) الرجوع إلى الخُلف.

(٩) العروس.

(١١) الملحين في الطُّلب.

(١٣) أبيض الأطراف.

(٢) مستورا ومُعْطَى.

(٤) المدروز الذي يتعرَّض للصنائع الخسيسة.

(٦) الهجئة: العيب والعار.

(٨) شاربًا ما يُغْصُ بِهِ.

(١٠) خدمه وأعوانه.

(١٢) أبيض الوجه.

وشاب! فأعجب رهط الصهر ما أشاروا إليه، وأذنوا في إحضار المنصوص عليه (١)، فبرز حينئذ شيخ قد أمال الملوان قامته، ونور الفتیان ثغامته، فتباشرت الجماعة بإقباله، وتبادرت إلى استقباله، فلما جلس على زريته، وسكنت الضوضاء لهيبته، ازدلف (٢) إلى مسنده، ومسح سبلته (٣) بيده، ثم قال: الحمد لله المبتدئ بالإفضال، المبتدع للنوال، المتقرب إليه بالسؤال، المؤمل لتحقيق الآمال، الذي شرع الزكاة في الأموال، وزجر عن نهر السؤال وندب (٤) إلى مؤاساة المضطر، وأمر بإطعام القانع والمعتر، ووصف عباده المقربين، في كتابه المبين، فقال وهو أصدق القائلين:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥] ، أحمدته على ما رزق من طعمة هنية، وأعوذ به من استماع دعوة بلا نية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً يجزي المتصدقين والمتصدقات، ويمحق (٥) الربا ويربي الصدقات (٦)، وأشهد أن محمداً عبده الرحيم، ورسوله الكريم، ابتعته لينسخ الظلمة بالضياء (٧)، ويتنصف للفقراء من الأغنياء، فرقق ﷺ بالمسكين (٨)، وخفض جناحه للمستكين (٩)، وفرض الحقوق في أموال المثرين (١٠)، وبين ما يجب للمقلين على المكثرين، صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة، وعلى أصفياه (١١) أهل الصفة. أما

- | | |
|------------------------------|------------------------------------|
| (١) المحكوم عليه . | (٢) اقترب . |
| (٣) السبله: اللحية . | (٤) حب وحرص . |
| (٥) يذهب بركته . | (٦) يزيد في ثوابها وينميه . |
| (٧) ليمحو الضلال بالهدى . | (٨) هو الذي لا شيء له . |
| (٩) الخاضع . | (١٠) جمع المثري، وهو: كثير المال . |
| (١١) جمع صفي، وهو: المختار . | |

بَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ النِّكَاحَ لَتَتَعَفَّفُوا، وَسَنَ التَّنَاسُلَ لِكَي تَتَضَاعَفُوا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ لَتَعْرِفُوا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣] ، وَهَذَا أَبُو الدَّرَّاجِ، وَوَلَّاجُ بْنُ خُرَّاجٍ، ذُو الْوَجْهِ الْوَقَاحِ (١)، وَالْإِفْكَ الصُّرَاحِ (٢)، وَالْهَرِيرِ وَالصِّيَاحِ، وَالْإِبْرَامِ (٣) وَالْإِلْحَاحِ، يَخْطُبُ سَلِيطَةَ أَهْلِهَا، وَشَرِيطَةَ (٤) بَعْلِهَا، قَبْسُ بِنْتُ أَبِي الْعَنْبَسِ، لَمَّا بَلَغَهُ مِنَ التَّحَافِهَا، بِالْحَافِهَا، وَإِسْرَافِهَا، فِي إِسْفَافِهَا، وَأَنْكِمَاشِهَا (٥) عَلَى مَعَاشِهَا، وَانْتِعَاشِهَا (٦) عِنْدَ هِرَاشِهَا (٧)، وَقَدْ بَدَّلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ شِلَاقًا وَعُكَازًا (٨)، وَصِقَاعًا وَكَرَّازًا، فَأَنْكِحُوهُ إِنْكَاحَ مِثْلِهِ، وَصَلُّوا جِبْلَكُمْ بِجِبْلِهِ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، أَقُولُ قَوْلِي وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَكْثِرَ فِي الْمَصَاطِبِ نَسْلَكُمْ، وَيُحْرُسَ مِنَ الْمَعَاطِبِ شَمْلَكُمْ، فَلَمَّا فَرَّغَ الشَّيْخُ مِنْ خُطْبَتِهِ، وَأَبْرَمَ (٩) لِلخْتَنِ عَقْدَ خُطْبَتِهِ، تَسَاقَطَ مِنَ النَّارِ مَا اسْتَعْرَقَ حَدَّ الْإِكْثَارِ، وَأَغْرَى الشَّحِيحَ بِالْإِيثَارِ، ثُمَّ نَهَضَ الشَّيْخُ يَسْحَبُ ذِلَازِلَهُ، وَيَقْدُمُ أَرَاذِلَهُ (١٠).

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَتَبِعْتُهُ لِأَنْظُرَ عُرْجَةَ الْقَوْمِ، وَأَكْمَلَ بِهِجَةَ الْيَوْمِ، فَعَاجَ (١١) بِهِمْ إِلَى سِمَاطٍ (١٢) زِينَتُهُ طُهَاتُهُ، وَتَنَاصَفَتْ (١٣) فِي الْحُسْنِ

(١) البارد الصَّلب الذي لا يستحيي من الملام.

(٢) الكذب الواضح.

(٣) الإضجار والإنتقال.

(٤) الموافقة لزوجها.

(٥) إسراعها.

(٦) تهيجها واضطرابها.

(٧) مخاصمتها.

(٨) عصا في أسفلها حديدة.

(٩) أي: أحكم.

(١٠) يتقدم على قومه الأردال.

(١١) عطف ومأل.

(١٢) ما صَفَّ مِنَ الْأَطْعَمَةِ.

(١٣) تساوت.

جَهَاتُهُ، فَحِينَ رَبَعَ كُلُّ شَخْصٍ فِي رِبْضَتِهِ، وَطَفِقَ يَرْتَعُ (١) فِي رَوْضَتِهِ،
 انْسَلَّتْ (٢) مِنَ الصَّفِّ، وَفَرَرْتُ مِنَ الزَّحْفِ، فَحَانَتْ (٣) مِنَ الشَّيْخِ لَفْتَةً
 إِلَيَّ، وَنَظْرَةً هَجَمَ بِهِ طَرْفُهُ (٤) عَلَيَّ.

فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ يَا بُرْمُ (٥)، هَلَّا عَاشَرْتَ مُعَاشِرَةً مَن فِيهِ كَرَمٌ؟

فَقُلْتُ: وَالَّذِي خَلَقَهَا طَبَاقًا، وَطَبَّقَهَا إِشْرَاقًا، لَا ذُقْتُ لِمَاقًا (٦)، وَلَا
 لُسْتُ رُقَاقًا، أَوْ تُخْبِرَنِي أَيْنَ مَدَبُّ صَبَاكُ (٧)، وَمَنْ أَيْنَ مَهَبُّ صَبَاكُ؟
 فَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ (٨) مَرَارًا، وَأَرْسَلَ الْبُكَاءَ مَدْرَارًا، حَتَّى إِذَا اسْتَنْزَفَ الدَّمْعَ،
 اسْتَنْصَتَ الْجَمْعَ، وَقَالَ لِي: أُرْعِنِي السَّمْعَ:

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| وَبِهَآ كُنْتُ أَمْوَجُ (٩) | مَسْقَطُ الرَّأْسِ سَرُوجُ |
| كُلُّ شَيْءٍ وَيَرْوُجُ (١٠) | بَلَدَةٌ يَوْجَدُ فِيهَا |
| وَصَحَارِيهَا مُرُوجُ (١١) | وَرَدَهَا مِنْ سَلْسَبِيلٍ |
| هَمْ نُجُومٌ وَبُرُوجُ | وَبَنُوها وَمَغَانِي |
| هَا وَمَرَاهَا الْبَهِيحُ (١٢) | حَبَّذَا نَفْحَةٌ رِيًا |
| حِينَ تَنْجَابُ الثُّلُوجُ | وَأَزَاهِي رُوبَاهَا (١٣) |

(١) جعل يأكل.

(٢) خرجت منسلاً برفق.

(٣) اتفقت.

(٤) بصره.

(٥) يا بخيل، أو: يا لئيم.

(٦) قليلاً من مأكول أو مشروب.

(٧) أين ولدت وربيت.

(٨) تنفساً شديداً.

(٩) أتردد.

(١٠) يتيسر ويتسهل.

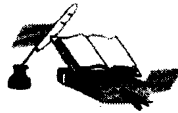
(١١) بساتين.

(١٢) الحسن الذي يعجب من يراه ويسره.

(١٣) ما ارتفع من الأرض.

مَن رَأَهَا قَال مَرْسَى
 وَلَمَن يَنْزَاحُ عَنْهَا
 مِثْلُ مَا لَاقَيْتُ مُذْزَحًا
 عَبْرَةً (٢) تَهْمِي (٣) وَشَجْوًا (٤)
 وَهَمُّومٌ كُلُّ يَوْمٍ
 وَمَسَاعٍ فِي التَّرَجِّي (٦)
 لَيْتَ يَوْمِي حَمًّا (٨) لَمَّا

قَالَ: فَلَمَّا بَيْنَ بَلَدَهُ، وَوَعَيْتُ (٩) مَا أَنشَدَهُ، أَيْقَنْتُ أَنَّهُ عَلَامَتَا أَبُو زَيْدٍ،
 وَإِنْ كَانَ الْهَرَمُ قَدْ أَوْثَقَهُ بِقَيْدٍ، فَبَادَرْتُ إِلَى مُصَافَحَتِهِ، وَاغْتَنَمْتُ
 مُؤَاكَلَتَهُ (١٠) مِنْ صَحْفَتِهِ، وَظَلْتُ مُدَّةً مَقَامِي بِمِصْرَ أَعَشُو (١١) إِلَى
 شِوَاظِهِ (١٢)، وَأَحْشَوْ صَدَقَتِي مِنْ دُرِّ أَلْفَاظِهِ، إِلَى أَنْ نَعَبَ بَيْنَنَا غُرَابٌ
 الْبَيْنِ، فَفَارَقْتُهُ مُفَارَقَةَ الْجَفْنِ لِلْعَيْنِ.



- (١) جمع زفرة، وهي: إخراج النفس بشدة.
- (٢) دمة.
- (٣) تنسكب.
- (٤) حزن.
- (٥) ينبعث ويزداد.
- (٦) التأمل.
- (٧) جمع خطوة، أي: خطاهن قصيرة.
- (٨) قضى.
- (٩) عقلت وعرفت.
- (١٠) الأكل معه.
- (١١) أقصد.
- (١٢) لهب ونار.

المقامة الحادية والثلاثون الرمليّة

حكى الحارث بن همام قال: كنتُ في عنفوانٍ (١) الشباب، وريعانِ
العيشِ اللُّبابِ (٢)، أقلي (٣) الاكتنانَ بالغاب، وأهوى الاندلاقَ (٤) من
القرابِ، لعلمي أنَّ السفرَ ينفجُ السفرَ، وينتجُ الظفرَ (٥)، ومعاقرَةَ الوطنِ،
تَعقرُ الفطنَ، وتحقرُ من قطنَ (٦)، فأجلتُ قداحَ الاستشارة، واقتدحتُ
زنادَ الاستخارة (٧)، ثمَّ استجشتُ جاشاً (٨) أثبتَ من الحجارة، وأصعدتُ
إلى ساحلِ الشامِ للتجارة، فلما خيمتُ (٩) بالرملة، وألقيتُ بها عصاً
الرحلة، صادفتُ (١٠) بها ركاباً تُعدُّ للسرى (١١)، ورحالاً تُشدُّ إلى أمِّ
القرى، فعصفتُ بي ريحُ الغرامِ، وأهتاجَ لي شوقُ إلى البيتِ الحرامِ،
فزمنتُ ناقتي (١٢)، ونبذتُ علقِي وعلاقتي (١٣).

وقلتُ للائمى أفصرُ فإني
وأنفقُ ما جمعتُ بأرضِ جمعِ
سأختارُ المقامَ على المقامِ
وأسلو بالحطيمِ عن الحطامِ (١٤)

(١) هو من كل شيء خالصة.

(٢) أبغض.

(٣) أي: أقام.

(٤) جمعت قلباً وعزماً.

(٥) وجدت ولاقيت.

(٦) جعلت زمامها فيها.

(٧) متاع الدنيا.

(١) أوله.

(٢) أبغض.

(٣) يولد الفوز.

(٤) طلب الخيرة.

(٥) أتمت.

(٦) تهيأ لسير الليل.

(٧) ما يتعلق بي.

ثُمَّ انْتَضَمَتْ مَعَ رُفْقَةٍ كَنُجُومِ اللَّيْلِ، لَهُمْ فِي السَّيْرِ جَرِيَةُ السَّيْلِ، وَإِلَى
 الْخَيْرِ جَرِيُ الْخَيْلِ، فَلَمْ نَزَلْ بَيْنَ إِدْلَاجٍ وَتَأْوِيبٍ (١)، وَإِجَافٍ وَتَقْرِيبٍ،
 إِلَى أَنْ حَبَبْنَا (٢) أَيْدِي الْمَطَايَا بِالتُّحْفَةِ فِي إِيْصَالِنَا إِلَى الْجُحْفَةِ، فَحَلَلْنَاهَا
 مُتَاهِبِينَ (٣) لِلْإِحْرَامِ، مُتَبَاشِرِينَ بِإِدْرَاكِ الْمَرَامِ، فَلَمْ يَكُ إِلَّا أَنْ أَنْخَنَا بِهَا
 الرُّكَّابَ، وَحَطَطْنَا الْحَقَائِبَ، حَتَّى طَلَعَ عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِ الْهَضَابِ شَخْصٌ
 ضَاحِي الْإِهَابِ، وَهُوَ يُنَادِي: يَا أَهْلَ ذَا النَّادِي (٤)، هَلُمَّ إِلَيَّ مَا يُنْجِي يَوْمَ
 التَّنَادِي (٥)! فَانْخَرَطَ إِلَيْهِ الْحَجِيجُ وَانْصَلَّتُوا، وَاحْتَفُوا بِهِ وَأَنْصَتُوا، فَلَمَّا
 رَأَى تَأْتِفَهُمْ (٦) حَوْلَهُ، وَاسْتَعْظَمَهُمْ قَوْلَهُ تَسَنَّمَ إِحْدَى الْآكَامِ (٧)، ثُمَّ تَنَحَّحَ
 مُسْتَفْتِحًا لِلْكَلامِ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحُجَّاجِ النَّاسِلِينَ (٨) مِنَ الْفَجَاجِ،
 أَتَعْلَمُونَ مَا تُوَاجِهُونَ، وَإِلَى مِنْ تَتَوَجَّهُونَ؟ أَمْ تَدْرُونَ عَلَيَّ مَنْ تَقْدَمُونَ،
 وَعِلَامٌ تَقْدَمُونَ؟ أَتَخَالُونَ (٩) أَنَّ الْحَجَّ هُوَ اخْتِيَارُ الرَّوَّاحِلِ (١٠)، وَقَطْعُ
 الْمَرَّاحِلِ، وَاتِّخَاذُ الْمَحَامِلِ، وَإِيقَارُ الزَّوَامِلِ (١١)؟ أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ النَّسْكَ هُوَ
 نَضْوُ الْأَرْدَانِ، وَإِنْضَاءُ الْأَبْدَانِ (١٢)، وَمُفَارَقَةُ الْوِلْدَانِ، وَالتَّنَائِي (١٣) عَنِ
 الْبُلْدَانِ؟ كَلَّا وَاللَّهِ بَلْ هُوَ اجْتِنَابُ الْخَطِيئَةِ (١٤)، قَبْلَ اجْتِلَابِ الْمَطِيئَةِ،
 وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ فِي قَصْدِ تِلْكَ الْبَنِيَّةِ (١٥)، وَإِمْحَاضُ الطَّاعَةِ عِنْدَ وُجْدَانِ

(١) السير في النهار.

(٢) أعطتنا.

(٣) مستعدين.

(٤) المجلس.

(٥) يوم القيامة.

(٦) تجمعهم كتجمع الأثافي.

(٧) جمع أكمة، وهي: المحل المرتفع.

(٨) المرعين.

(٩) أي: أحمسون.

(١٠) هي الإبل الهجان.

(١١) تثقيلها بالأحمال والزوامل: الإبل التي يحمل عليها.

(١٢) البُعد.

(١٣) إهزالها من الإتعاب.

(١٤) الكعبة.

(١٥) ترك الإثم.

الاستطاعة، وإصلاح المعاملات، أمّا إعمال اليعمّلات، فوالذي شرع
 المناسك للناسك، وأرشد السالك في الليل الحالك، ما ينقي الاغتسال
 بالذنوب من الانغماس في الذنوب! ولا تعدل تعرية الأجسام بتعبية
 الأجرام^(١)، ولا تغني لبسة الإحرام^(٢) عن المتلبس بالحرام، ولا ينفع
 الاضطباع بالإزار مع الاضطلاع بالأوزار^(٣)، ولا يجدي التقرب بالخلق
 مع التقلب في ظلم الخلق، ولا يرحض^(٤) التمسك في التقصير درن
 التمسك بالتقصير، ولا يسعد بعرفة، غير أهل المعرفة، ولا يزكو بالخيف
 من يرغب في الخيف^(٥)، ولا يشهد المقام، إلا من استقام، ولا يحظى
 بقبول الحجة، من زاع^(٦) عن المحجة^(٧)، فرحم الله امرأ صفاً، قبل
 مسعاه إلى الصفا، وورد شريعة الرضى، قبل شروعه على الأضا^(٨)، ونزع
 عن تلبيسه، قبل نزع ملبوسه، وقاض بمعروفه^(٩)، قبل الإفاضة من
 تعريفه، ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم، وكاد يززع الجبال الشم،
 وأنشد:

مَا الْحَجُّ سِيرُكَ تَأْوِيباً^(١٠) وَإِدْلاجاً

وَلَا اعْتِيَامُكَ^(١١) أَجْمَالاً وَأَحْداجاً

الْحَجُّ أَنْ تَقْصِدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ عَلَى

تَجْرِيدِكَ الْحَجِّ لَا تَقْضِي بِهِ حَاجاً

(١) بحمل الآثام.

(٢) ما يستتر به الحاج بعد تجرده للإحرام.

(٣) جمع الوزر، بمعنى: الذنوب.

(٤) يغسل.

(٥) الجور والتعدي.

(٦) من مال وحاد.

(٧) أي: عن طريق الحق.

(٨) جمع أضاة، وهي: الغدير، وأراد به: زمزم.

(٩) أحسن برة وتفضل بخيره.

(١٠) سير النهار وسير الليل.

(١١) اختيارك.

وَمَتَّطِي كَاهِلَ الْإِنصَافِ مَتَّخِذًا
 رَدْعَ الْهَوَى هَادِيَا وَالْحَقَّ مِنْهَا جَا
 وَأَنْ تُؤَاسِيَ (١) مَا أُوتِيَتْ مَقْدَرَةً
 مَنْ مَدَّ كَفًّا إِلَى جَدْوَاكَ مُحْتَاجَا
 فَهَذِهِ إِنْ حَوَّتْهَا حِجَّةٌ كَمَلْتِ
 وَإِنْ خَلَا الْحُجُّ مِنْهَا كَانَ إِخْدَاجَا (٢)
 حَسْبُ الْمُرَائِينَ غَبْنًا (٣) أَنَّهُمْ غَرَسُوا
 وَمَا جَنَوْا وَلَقُوا كَدًّا وَإِزْعَاجَا (٤)
 وَأَنَّهُمْ حُرِمُوا أَجْرًا وَمَحْمَدَةً
 وَالْحُمُومَ عَرَضَهُمْ مَنْ عَابَ أَوْ هَاجَى
 أُخِيَّ فَبِغِ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ قُرْبِ
 وَجْهِ الْمُهَيَّمِنِ وَلَا جَأَ وَخَرَّاجَا (٥)
 فَلَيْسَ تَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ
 إِنْ أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ أَوْ دَاجَى (٦)
 وَيَادِرِ الْمَوْتِ بِالْحُسْنَى تُقَدِّمُهَا
 فَمَا يُنْهِنُهُ (٧) دَاعِي الْمَوْتِ إِنْ فَاجَا (٨)
 وَاقْنَ التَّوَاضُّعَ (٩) خُلُقًا لَا تُزَايِلُهُ
 عَنكَ اللَّيَالِي وَلَوْ أَلْبَسْنَاكَ التَّاجَا

(١) تتكرم.

(٢) نقصانًا.

(٣) الغبن: الخديعة في البيع.

(٤) الإزعاج: مفارقة الوطن.

(٥) داخلًا وخارجًا.

(٦) من المداجاة، وهي هنا بمعنى: التفاق.

(٧) فما يؤخر ولا يمنع من نهته.

(٨) إن أتى بغتة.

(٩) ألزمه وأمسكه.

وَلَا تَشِمُ كُلَّ خَالٍ لَاحَ بَارِقُهُ^(١)
 وَلَوْ تَرَأَى هَتُونَ السَّكْبِ^(٢) ثَجَّاجَا
 مَا كُلَّ دَاعٍ بِأَهْلٍ أَنْ يُصَاخَ^(٣) لَهُ
 كَمْ قَدْ أَصَمَّ بِنَعْيٍ بَعْضُ مَنْ نَاجَى
 وَمَا اللَّيْبُ سِوَى مَنْ بَاتَ مُقْتِنَعًا
 بِبُلْغَةِ تَدْرِجِ الْأَيَّامِ^(٤) إِدْرَاجَا
 فَكُلُّ كَثْرٍ إِلَى قُلٍّ مَغْبَتِهِ
 وَكُلُّ نَازٍ^(٥) إِلَى لِينٍ وَإِنْ هَاجَا

قَالَ الرَّأوي: فَلَمَّا أُلْفِحَ عَقَمَ الْأَفْهَامِ بِسِحْرِ الْكَلَامِ، اسْتَرَوْحَتْ رِيحَ أَبِي زَيْدٍ، وَمَادَ بِي الْأَرْتِيَاخُ إِلَيْهِ أَيَّ مَيْدٍ، فَمَكَّتْ حَتَّى اسْتَوْعَبَ^(٦) نَثَّ حِكْمَتَهُ، وَأَنحَدَرَ مِنْ أَكْمَتِهِ، ثُمَّ دَلَفْتُ^(٧) إِلَيْهِ لِأَتَصَفَّحَ صَفْحَاتِ مُحْيَاهُ، وَأَسْتَشْفَّ^(٨) جَوْهَرَ حِلَاهُ، فَإِذَا هُوَ الضَّالَّةُ الَّتِي أَنشُدَهَا، وَنَاطِمُ الْقَلَائِدِ اللَّاتِي أَنشُدَهَا، فَعَانَقْتُهُ عِنَاقَ اللَّامِ لِلْأَلْفِ، وَنَزَلْتُهُ مِنْزَلَةَ الْبُرِّ^(٩) عِنْدَ الدَّنْفِ^(١٠)، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُلَازِمَنِي فَأَبَى، أَوْ يُزَامِلَنِي فَنَبَا^(١١)، وَقَالَ: أَلَيْتَ فِي حِجَّتِي هَذِهِ أَنْ لَا أَحْتَقِبَ وَلَا أَعْتَقِبَ^(١٢)، وَلَا أَكْتَسِبَ وَلَا أَنْتَسِبَ، وَلَا أُرْتَفِقَ^(١٣)، وَلَا أُرَافِقَ، وَلَا أُوَافِقَ مِنْ يُنَافِقُ، ثُمَّ ذَهَبَ يَهْرُولُ،

(١) لا تنظر إلى كل غيم برق.

(٣) يسمع له.

(٥) نهاية كل متشدد إلى الارتخاء.

(٧) الدلف: المشي رويدًا.

(٩) الخلاص من الداء والشقاء منه.

(١١) فامتنع وانفصل.

(٢) متتابع القطر.

(٤) تسوقها وتمضيها.

(٦) استوفى.

(٨) أبصر وأتحقق.

(١٠) المريض.

(١٢) المناوبة في السير.

(١٣) أمتنع.

وَعَادَرَنِي أَوْلُوهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَقْرِبِهِ نَظْرِي، وَأَوْدُ لَوْ يَمِشِي عَلَيَّ نَاطِرِي، حَتَّى تَوَقَّلَ (١) أَحَدَ الْأَطْوَادِ (٢)، وَوَقَّفَ لِلْحَجِيجِ بِالْمُرْصَادِ، فَلَمَّا شَاهَدَ إِيضَاعَ الرُّكْبَانَ فِي الكُثْبَانَ، وَقَعَ بِالْبَنَانِ عَلَى البَنَانِ، وَأَنْدَفَعَ يُنْشِدُ:

لَيْسَ مِنْ زَارٍ رَأَى كَبَابًا مِثْلَ سَاعٍ عَلَى الْقَدَمِ
لَا وَلَا خَنَادِمٌ أَطَا عَ كَعَاصٍ مِنَ الخَدَمِ
كَيْفَ يَا قَوْمٍ يَسْتَوِي سَعْيِي بَانَ وَمَنْ هَدَمَ
سَيُقِيمُ الْمُفْرَطُو نَ غَدًا مَاتُمْ النَّدَمِ
وَيَقُولُ الَّذِي تَقَرَّرَ بَ طُوبَى لِمَنْ خَدَمَ
وَيْكَ يَا نَفْسُ قَدَمِي صَالِحًا عِنْدَ ذِي الْقَدَمِ
وَأَزْدَرِي (٣) زُخْرُفَ الْحَيَا ةَ فَوَجَدَانَهُ عَدَمِ
وَأذْكَرِي مَصْرِعَ الْحَمَا مِ إِذَا خَطْبُهُ (٤) صَدَمِ
وَأَنْدُبِي فَعَلَكَ الْقَبِي حَ وَسُحِّي (٥) لَهُ بَدَمِ
وَأَذْبُغِيهِ بِتَوْبَةٍ قَبْلَ أَنْ يَحْلَمَ الْأَدَمِ
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَقِي كَ السَّعِيرَ الَّذِي اخْتَدَمَ (٦)
يَوْمَ لَا عَثْرَةٌ تُقَا لُ وَلَا يَنْفَعُ السَّدَمِ (٧)

ثُمَّ إِنَّهُ أَغْمَضَ عَضْبَ لِسَانِهِ، وَأَنْطَلَقَ لِشَانِهِ (٨)، فَمَا زِلْتُ فِي كُلِّ مَوْرِدٍ (٩) نَرِدَهُ، وَمَعْرَسٍ (١٠) نَتَوَسَّدُهُ، أَنْفَقْتَهُ فَأَفْقَدَهُ،

- (١) صعد وعلا.
(٢) جمع الطود وهو الجبل.
(٣) احتفري.
(٤) أمره العظيم الهائل.
(٥) سيلبي.
(٦) التهب واضطرم وأشتد حره.
(٧) الندم.
(٨) أي: لحاله.
(٩) هو محل ورود الماء.
(١٠) موضع النزول آخر الليل.

وَأَسْتَنْجِدُ (١) بِمَنْ يَنْشُدُهُ فَلَا يَجِدُهُ، حَتَّى خَلْتُ أَنَّ الْجِنَّ اخْتَطَفْتَهُ (٢)، أَوْ
 الْأَرْضَ اقْتَطَفْتَهُ، فَمَا كَابَدْتُ (٣) فِي الْعُرْبَةِ، كَهَذِهِ الْكُرْبَةِ (٤)، وَلَا مُنِيتُ
 فِي سَفْرَةٍ، بِمِثْلِهَا مِنْ زَفْرَةٍ.



-
- (١) أطلب من ينجدني ويساعدني على طلبه.
 (٢) أخذته بسرعة.
 (٣) قاسيت.
 (٤) الضيق.

المقامة الثانية والثلاثون الطبية

حكى الحارث بن همام قال: أجمعت^(١) حين قضيت مناسك الحج، وأقمت وظائف العج^(٢) والشج، أن أقصد طيبة^(٣)، مع رفقة من بني شيبه، لأزور قبر النبي المصطفى، وأخرج من قبيل من حج وجفا، فأرجف بأن المسالك شاغرة^(٤)، وعرب الحرميين متشاجرة^(٥)، فحرت بين إشفاق يبطني^(٦)، وأشواق تنشطني^(٧)، إلى أن ألقى في روعي الاستسلام، وتغليب زيارة قبره عليه السلام، فأعتمت القعدة، وأعددت العدة، وسرت والرفقة لا نلوي على عرجة^(٨)، ولا نني في تأويب ولا دجة، حتى وافينا بني حرب، وقد أبوا من حرب، فأزمعنا^(٩) أن نقضي ظل اليوم^(١٠) في حلة القوم، وبينما نحن نتخير المناخ، ونرود الورد النقاخ^(١١)، إذ رأيناهم يركضون^(١٢)، كأنهم إلى نصب يوفضون، فرأبنا انشأهم، وسألنا: ما بالهم^(١٣)؟ فقيل قد حضر ناديم فقيه العرب، فأهراعهم^(١٤) لهذا السبب، فقلت لرفقتي: أئن نشهد مجمع الحبي، لتبين

(١) عزمت.

(٣) هي مدينة الرسول ﷺ.

(٤) أي: مخوفة.

(٥) مختلفة بينها حرب.

(٦) يقعدني ويعوقني.

(٧) تستوفيني وتذهب بي.

(٨) لا نميل إلى تعريج، أي: إقامة.

(٩) أي: طوله.

(١٠) عزمنا.

(١٢) يسرعون.

(١١) العذب البارد.

(١٤) الإسراع في فرع ورعدة.

(١٣) ما الذي أصابهم؟

الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ؟ فَقَالُوا: لَقَدْ أَسْمَعْتَ إِذْ دَعَوْتَ، وَنَصَحْتَ وَمَا أَلَوْتَ (١)،
 ثُمَّ نَهَضْنَا نَتَبِعُ الْهَادِي (٢)، وَنَوْمُ النَّادِي (٣)، حَتَّى إِذَا أَظْلَلْنَا عَلَيْهِ،
 وَاسْتَشْرَفْنَا الْفَقِيهَ الْمَنُهَوْدَ إِلَيْهِ، أَلْفَيْتُهُ أَبَا زَيْدَ ذَا الشُّقْرِ وَالْبُقْرِ، وَالْفَوَاقِرِ
 وَالْفَقْرِ، وَقَدْ اعْتَمَّ الْقَفْدَاءَ، وَاشْتَمَلَ الصَّمَاءَ، وَقَعَدَ الْقُرْفُصَاءَ (٤)،
 وَأَعْيَانُ الْحَيِّ بِهِ مُحْتَفُونَ (٥)، وَأَخْلَاطُهُمْ عَلَيْهِ مُلْتَفُونَ، وَهُوَ يَقُولُ:
 سَلُونِي عَنِ الْمَعْضَلَاتِ (٦)، وَاسْتَوْضِحُوا مِنِّي الْمَشْكَلاتِ، فَوَالَّذِي فَطَرَ
 السَّمَاءَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ، إِنِّي لَفَقِيهُ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ، وَأَعْلَمُ مِنْ تَحْتِ
 الْجَرَبَاءِ، فَصَمَدٌ لَهُ فَتَى فَتِيْقُ اللِّسَانِ، جَرِيءُ الْجَنَانِ، وَقَالَ: إِنِّي حَاضِرْتُ
 فُقَهَاءَ الدُّنْيَا، حَتَّى انْتَخَلْتُ مِنْهُمْ مَائَةً فُتِيًّا (٧)، فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَرِغَبُ عَنْ
 بَنَاتِ غَيْرِ، وَيَرِغَبُ مَنَّا فِي مِيرِ، فَاسْتَمِعْ وَأَجِبْ، لِنُقَابِلَ (٨) بِمَا يَجِبُ،
 فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، سَيِّينٌ (٩) الْمَخْبِرُ، (١٠) وَيُنْكَشِفُ الْمُضْمِرُ (١١)،
 فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ تَوْضَأُ ثُمَّ لَمَسَ ظَهْرَ نَعْلِهِ؟ قَالَ:
 انْتَقَضَ وَضُؤُهُ بِفَعْلِهِ، قَالَ: فَإِنْ تَوْضَأُ ثُمَّ أَتَكَاهُ الْبَرْدُ (١٢)؟ قَالَ: يُجَدِّدُ
 الْوُضُوءَ مِنْ بَعْدِ، قَالَ: أَيَمْسَحُ الْمُتَوَضَّئُ أُثْيِيَهُ (١٣)؟ قَالَ: قَدْ نُدِبَ إِلَيْهِ،
 وَكَمْ يُوْجِبُ عَلَيْهِ، قَالَ: أَيَجُوزُ الْوُضُوءُ مِمَّا يَقْدِفُهُ الثَّعْبَانُ؟ قَالَ: وَهَلْ
 أَنْظَفُ مِنْهُ لِلْعُرْبَانِ؟ قَالَ: أَيُسْتَبَاحُ مَاءِ الضَّرِيرِ (١٤)؟ قَالَ: نَعَمْ وَيُجْتَنَبُ

(١) ما أخرت عنا نصحا.

(٢) الدليل.

(٣) نقصد المجلس.

(٤) جلسة المحتبي.

(٥) مستديرون حوله.

(٦) المشكلات التي تعجز العلماء.

(٧) المسائل التي يفتي بها.

(٨) لتجازي.

(٩) سيظهر.

(١٠) باطن الأمر وحقيقته.

(١١) المستور.

(١٢) أضجعه على صورة التكني.

(١٣) الأذنان.

(١٤) المتبادر أنه الأعمى.

مَاءَ الْبَصِيرِ، قَالَ: أَيَحُلُّ التَّطَوُّفُ^(١) فِي الرَّبِيعِ؟ قَالَ: يُكْرَهُ ذَلِكَ لِلْحَدَثِ الشَّيْخِ، قَالَ: أَيَجِبُ الْغُسْلُ عَلَى مَنْ أَمْنَى^(٢)؟ قَالَ: لَا وَكَلَوْتُ، قَالَ: فَهَلْ يَجِبُ عَلَى الْجَنْبِ غَسْلُ فَرْوَتِهِ؟ قَالَ: أَجَلٌ وَغَسْلُ إِبْرَتِهِ، قَالَ: أَيَجِبُ عَلَيْهِ غَسْلُ صَحِيفَتِهِ^(٣)؟ قَالَ: نَعَمْ كَغَسْلِ شَفْتِهِ، قَالَ: فَإِنْ أَخَلَّ بِغَسْلِ فَأْسِهِ؟ قَالَ: هُوَ كَمَا لَوْ أَلْغَى غَسْلَ رَأْسِهِ، قَالَ: أَيَجُوزُ الْغُسْلُ فِي الْجُرَابِ^(٤)؟ قَالَ: هُوَ كَالْغُسْلِ فِي الْجَبَابِ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ تَيْمَمَ ثُمَّ رَأَى رَوْضًا؟ قَالَ: بَطَلَ تَيْمُمُهُ فَلْيَتَوَضَّأْ، قَالَ: أَيَجُوزُ أَنْ يَسْجُدَ الرَّجُلُ فِي الْعَدْرَةِ^(٥)؟ قَالَ: نَعَمْ وَلِيُجَانِبَ الْقَدْرَةَ، قَالَ: فَهَلْ لَهُ السُّجُودُ عَلَى الْخِلَافِ؟ قَالَ: لَا وَلَا عَلَى أَحَدِ الْأَطْرَافِ، قَالَ: فَإِنْ سَجَدَ عَلَى شِمَالِهِ^(٦)؟ قَالَ: لَا بِأَسْبَغِ، قَالَ: فَهَلْ يَجُوزُ السُّجُودُ عَلَى الْكِرَاعِ^(٧)؟ قَالَ: نَعَمْ دُونَ الذَّرَاعِ، قَالَ: أَيُصَلِّي عَلَى رَأْسِ الْكَلْبِ؟ قَالَ: نَعَمْ كَسَائِرِ الْهَضْبِ^(٨)، قَالَ: أَيَجُوزُ لِلدَّارِسِ^(٩) حَمْلُ الْمَصَاحِفِ؟ قَالَ: لَا وَلَا حَمْلُهَا فِي الْمَلَاخِفِ^(١٠)، قَالَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ صَلَّى وَعَانَتْهُ بَارِزَةٌ؟ قَالَ: صَلَاتُهُ جَائِزَةٌ، قَالَ: فَإِنْ صَلَّى وَعَلَيْهِ صَوْمٌ؟ قَالَ: يُعِيدُ وَكَلَوْتُ صَلَّي مِائَةَ يَوْمٍ، قَالَ: فَإِنْ حَمَلَ جِرْوًا^(١١) وَصَلَّى؟ قَالَ: هُوَ كَمَا لَوْ حَمَلَ بَاقِلِي، قَالَ: أَتُصِحُّ صَلَاةُ حَامِلِ الْقَرْوَةِ^(١٢)؟ قَالَ: لَا وَكَلَوْتُ صَلَّي فَوْقَ الْمَرْوَةِ، قَالَ: فَإِنْ

(١) الطواف والدوران حول الشيء.

(٢) نزل منى.

(٣) الصحيفة: الكتاب.

(٤) جوف البئر.

(٥) فناء الدار.

(٦) الشمال: جمع شملة، وهي مخالفة للقيلة.

(٧) ما استطال من الحرة وهي أرض ذات حجارة سود.

(٨) جمع هضبة، وهي: الصخرة العظيمة، أو الكُدَيْة الصغيرة.

(٩) الحائض.

(١٠) الملاءات.

(١١) ولد الكلب، فحمله مبطل للصلاة.

(١٢) جلدة الخصيتين إذا عظمت وانتفخت.

قَطَرَ عَلَى ثَوْبِ الْمُصَلِّي نَجْوًا؟ قَالَ: يَمْضِي فِي صَلَاتِهِ وَلَا غَرَوَ، قَالَ: أَيْجُوزُ أَنْ يُؤَمَّ الرَّجَالَ مَقْنَعٌ؟ قَالَ: نَعَمْ وَيُؤَمَّهُمْ مُدْرَعٌ^(١)، قَالَ: فَإِنْ أَمَّهُمْ مَنْ فِي يَدِهِ وَقْفٌ؟ قَالَ: يُعِيدُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَلْفٌ. قَالَ: فَإِنْ أَمَّهُمْ مَنْ فَخَذَهُ بَادِيَةً؟ قَالَ: صَلَاتُهُ وَصَلَاتُهُمْ مَاضِيَةٌ، قَالَ: فَإِنْ أَمَّهُمُ الثَّورُ الْأَجَمُ^(٢)؟ قَالَ: صَلِّ وَخَلَكَ ذِمٌّ، قَالَ: أَيْدْخُلُ الْقَصْرُ^(٣) فِي صَلَاةِ الشَّاهِدِ؟ قَالَ: لَا وَالْغَائِبِ الشَّاهِدِ، قَالَ: أَيْجُوزُ لِلْمَعْدُورِ^(٤) أَنْ يُفْطِرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؟ قَالَ: مَا رُخِّصَ إِلَّا لِلصَّبِيَّانِ، قَالَ: فَهَلْ لِلْمُعْرَسِ^(٥) أَنْ يَأْكُلَ فِيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ بِمِلءٍ فِيهِ. قَالَ: فَإِنْ أَفْطَرَ فِيهِ الْعُرَاةُ^(٦)؟ قَالَ: لَا تُنْكِرُ عَلَيْهِمُ الْوَلَاةُ^(٧)، قَالَ: فَإِنْ أَكَلَ الصَّائِمُ بَعْدَمَا أَصْبَحَ؟ قَالَ: هُوَ أَحْوَطُ^(٨) لَهُ وَأَصْلَحُ، قَالَ: فَإِنْ عَمَدَ لِأَنْ أَكَلَ لَيْلًا؟ قَالَ: لِيُشْمَرَ لِلْقَضَاءِ ذَيْلًا، قَالَ: فَإِنْ أَكَلَ قَبْلَ أَنْ تَتَوَارَى الْبَيْضَاءُ^(٩)؟ قَالَ: يَلْزِمُهُ - وَاللَّهِ - الْقَضَاءُ، قَالَ: فَإِنْ اسْتَثَارَ^(١٠) الصَّائِمُ الْكَيْدَ^(١١)؟ قَالَ: أَفْطَرَ وَمَنْ أَحَلَّ الصَّيْدَ، قَالَ: أَلَهُ أَنْ يُفْطِرَ بِالْحَاحِ الطَّابِخِ؟ قَالَ: نَعَمْ لَا بِطَاهِي الْمَطَابِخِ، قَالَ: فَإِنْ ضَحَكَتِ الْمَرْأَةُ فِي صَوْمِهَا؟ قَالَ: بَطَلَ صَوْمُ يَوْمِهَا، قَالَ: فَإِنْ ظَهَرَ الْجُدْرِيُّ عَلَى ضَرْبَتِهَا^(١٢)؟ قَالَ: تُفْطِرُ إِنْ آذَنَ بِمَضْرَبَتِهَا، قَالَ: مَا يَجِبُ فِي مِائَةِ

- (١) درع الحديد، وهو من شأن الرجل.
(٢) الذي لا قرن له وهو حيوان لا يعقل فضلاً.
(٣) هو قَصْرُ الصَّلَاةِ الرَّبَاعِيَّةِ.
(٤) من أصابه عذر يوجب له الفطر.
(٥) أعرس: إذا دَخَلَ بالعروس.
(٦) جمع عارٍ، وهو: ضد المُكْتَسِي.
(٧) وجع وال، قاضيا كان أو غيره.
(٨) الاحتياط: هو الأخذ بالخزم في الأمور.
(٩) تغيب وتستر، والبيضاء: المورى بها المرأة. (١٠) استدعى.
(١١) هو الغيظ واستثارته لا تفطر.
(١٢) المرأة المجتمعة معها تحت عصمة زوجها.

مُصْبَاحٍ؟ قَالَ: حَقَّتَانِ (١) يَا صَاحِبَ، قَالَ: فَإِنْ مَلَكَ عَشْرَ خَنَاجِرٍ (٢)؟ قَالَ: يُخْرِجُ شَاتَيْنِ وَلَا يُشَاجِرُ، قَالَ: فَإِنْ سَمَحَ لِلسَّاعِي بِحَمِيمَتِهِ (٣)؟ قَالَ: يَا بُشْرَى لَهُ يَوْمَ قِيَامَتِهِ! قَالَ: أَيْسَحَقُ حَمَلَةُ الأَوْزَارِ (٤) مِنَ الزَّكَاةِ جُزْأً؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَانُوا غَزَى، قَالَ: أَيْجُوزُ لِلحَاجِّ أَنْ يَعْتَمِرَ (٥)؟ قَالَ: لَا وَلَا أَنْ يَخْتَمِرَ، قَالَ: فَهَلْ لَهُ أَنْ يَقْتُلَ الشُّجَاعَ؟ قَالَ: نَعَمْ كَمَا يَقْتُلُ السَّبَاعَ، قَالَ: فَإِنْ قَتَلَ زَمْرَةً فِي الحَرَمِ؟ قَالَ: عَلَيْهِ بَدَنَةٌ مِنَ النِّعَمِ، قَالَ: فَإِنْ رَمَى سَاقَ حُرٍّ فَجَدَلَهُ؟ قَالَ: يُخْرِجُ شَاةً بَدَلَهُ، قَالَ: فَإِنْ قَتَلَ أُمَّ عَوْفٍ بَعْدَ الإِحْرَامِ؟ قَالَ: يَتَّصِدَقُ بِقَبْضَةٍ مِنْ طَعَامٍ، قَالَ: أَيْجِبُ عَلَى الحَاجِّ اسْتِصْحَابَ القَارِبِ (٦)؟ قَالَ: نَعَمْ لَيْسَوْفَهُمْ إِلَى المَشَارِبِ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي الحَرَامِ بَعْدَ السَّبْتِ؟ قَالَ: قَدْ حَلَّ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي بَيْعِ الكُمَيْتِ (٧)؟ قَالَ: حَرَامٌ كَبَيْعِ المَيْتِ، قَالَ: أَيْجُوزُ بَيْعُ الخَلِّ بِلَحْمِ الجَمَلِ؟ قَالَ: وَلَا بِلَحْمِ الحَمَلِ، قَالَ: أَيْحَلُّ بَيْعُ الهَدِيَّةِ (٨)؟ قَالَ: لَا وَلَا بَيْعُ السَّبِيَّةِ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي بَيْعِ العَقِيْقَةِ (٩)؟ قَالَ: مَحْظُورٌ عَلَى الحَقِيْقَةِ، قَالَ: أَيْجُوزُ بَيْعِ الدَّاعِي (١٠)، عَلَى الرَّاعِي؟ قَالَ: لَا وَلَا عَلَى السَّاعِي، قَالَ: أَيْبَاعُ الصَّقْرِ (١١)

- (١) التي مضى عليها ثلاث سنوات ودخلت في الرابعة؛ لأنها استحقت طرق الفحل.
- (٢) السكين المعروفة التي توضع في الحزام للزينة.
- (٣) أعز الأهل والأقارب.
- (٤) المرتكبون للذنوب.
- (٥) الإتيان بالعمرة، وهي عبادة أركانها: الإحرام، والطواف، والسعي.
- (٦) هو ضرب من السفن صغير يستعمله أصحاب السفن في قضاء مصالحهم.
- (٧) الفرس الذي اسودَّ عرفه وذنبه من الكمته وهي لون يُضْرَبُ إلى السواد.
- (٨) المهداة من الأحباب.
- (٩) ما يُدْبِحُ عن المولود في اليوم السابع من ولادته.
- (١٠) هي بقية اللبن في الدرع.
- (١١) الطائر المعروف من جوارح الطير.

بالتَّمْر؟ قَالَ: لَا وَمَالِكُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، قَالَ: أَيَشْتَرِي الْمُسْلِمُ سَلْبَ (١)
 الْمُسْلِمَاتِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَيُورِثُ عَنْهُ إِذَا مَاتَ، قَالَ: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُبْتَاعَ
 الشَّافِعُ (٢)، قَالَ: مَا لَجَوَازِهِ مِنْ دَافِعٍ، قَالَ: أَيَبَاعُ الْإِبْرِيْقُ عَلَى بَنِي
 الْأَصْفَرِ (٣)؟ قَالَ: يُكْرَهُ كَبَيْعِ الْمَغْفَرِ، قَالَ: أَيَجُوزُ أَنْ يَبِيعَ الرَّجُلُ صَفِيَّهُ؟
 قَالَ: لَا وَلَكِنْ لِيَبِيعَ صَفِيَّهُ، قَالَ: فَإِنْ اشْتَرَى عَبْدًا فَبَانَ بِأُمَّه جِرَاحٌ (٤)؟
 قَالَ: مَا فِي رَدِّهِ مِنْ جِنَاحٍ، قَالَ: أَتَثَبَتُ الشُّفْعَةُ لِلشَّرِيكِ فِي الصَّحْرَاءِ؟
 قَالَ: لَا وَلَا لِلشَّرِيكِ فِي الصَّفْرَاءِ، قَالَ: أَيَحِلُّ أَنْ يُحْمَى مَاءَ الْبِئْرِ وَالْخَلَا؟
 قَالَ: إِنْ كَانَ فِي الْفَلَا فَلَا، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي مَيْتَةِ الْكَافِرِ (٥)؟ قَالَ: حِلٌّ
 لِلْمُقِيمِ وَالْمُسَافِرِ، قَالَ: أَيَجُوزُ أَنْ يُضْحَى بِالْحَوْلِ (٦)؟ قَالَ: هُوَ أَجْدَرُ
 بِالْقَبُولِ، قَالَ: فَهَلْ يُضْحَى بِالطَّلِقِ (٧)؟ قَالَ: نَعَمْ وَيُقْرَى (٨) مِنْهَا
 الطَّارِقُ، قَالَ: فَإِنْ ضَحِيَ قَبْلَ ظُهُورِ الْغَزَالَةِ؟ قَالَ: شَاءَ لَحْمِ (٩) بِلَا مَحَالَةٍ،
 قَالَ: أَيَحِلُّ التَّكْسَبُ بِالطَّرْقِ (١٠)؟ قَالَ: هُوَ كَالْقِمَارِ بِلَا فَرْقٍ، قَالَ: أَيُسَلَّمُ
 الْقَائِمُ عَلَى الْقَاعِدِ؟ قَالَ: مَحْظُورٌ فِيمَا بَيْنَ الْأَبَاعِدِ، قَالَ: أَيَنَامُ الْعَاقِلُ تَحْتَ
 الرَّقِيعِ؟ قَالَ: أَحَبُّ بِهِ فِي الْبَقِيعِ (١١)، قَالَ: أَيَمْنَعُ الدَّمِيُّ مِنْ قَتْلِ الْعَجُوزِ؟
 قَالَ: مُعَارَضَتُهُ فِي الْعَجُوزِ لَا تَجُوزُ، قَالَ: أَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَقِلَ الرَّجُلُ عَنْ

(١) مَا يُؤْخَذُ مِنَ النِّسَاءِ مِنَ السَّلْبِ كَالْحُلِيِّ وَالنِّيَابِ.

(٢) الشَّافِعُ: أَي ذُو الشَّفَاعَةِ. (٣) بَنُو الْأَصْفَرِ: الرُّومِ.

(٤) أُمَّه: وَالِدَتُهُ، وَلَا دَخَلَ لِجِرَاحِ أُمَّه. (٥) الْأَدْمِيُّ الْكَافِرُ، الْمَقَابِلُ لِلْمُؤْمِنِ.

(٦) جَمْعُ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ الَّذِي يَمِيلُ سَوَادَ عَيْنِهِ عَنْ مَوْضِعِهِ.

(٧) الَّتِي طَلَّقَهَا زَوْجَهَا. (٨) مَا يَقْدَمُ لِلضَّيْفِ مِنَ الطَّعَامِ.

(٩) لَا تَقَعُ أَضْحِيَّةٌ بِلَ هِيَ لَحْمٌ يُبَاعُ وَيُؤْكَلُ.

(١٠) طَرَقَ الصَّوْفُ؛ أَي: ضَرَبَهُ بِنَحْوِ قَضِيبِ.

(١١) مَقْبَرَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

عَمَارَةَ أَبِيهِ (١)؟ قَالَ: مَا جُوِّزَ لِحَامِلٍ وَلَا نَبِيٍّ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي
 التَّهَوُّدِ (٢)؟ قَالَ: هُوَ مِفْتَاحُ التَّرَهُدِ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي صَبْرِ الْبَلِيَّةِ (٣)؟
 قَالَ: أَعْظَمُ بِهِ مِنْ خَطِيئَةٍ، قَالَ: أَيَحِلُّ ضَرْبُ السَّفِيرِ (٤)؟ قَالَ: نَعَمْ
 وَالْحَمْلُ عَلَى الْمُسْتَشِيرِ (٥)، قَالَ: أَيُعَزُّزُ الرَّجُلُ أَبَاهُ؟ قَالَ: يَفْعَلُهُ الْبِرُّ وَلَا
 يَأْبَاهُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ أَفْقَرَ أَخَاهُ (٦)؟ قَالَ: حَبْدًا مَا تُوَخَّاهُ! قَالَ: فَإِنْ
 أَعْرَى وَكَدَّهُ؟ قَالَ: يَا حُسْنَ مَا اعْتَمَدَهُ! قَالَ: فَإِنْ أَصْلَى مَمْلُوكَهُ النَّارَ (٧)؟
 قَالَ: لَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا عَارٌ، قَالَ: أَيَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصْرِمَ بَعْلَهَا (٨)؟ قَالَ:
 مَا حَظَرَ (٩) أَحَدٌ فَعْلَهَا، قَالَ: فَهَلْ تُؤَدِّبُ الْمَرْأَةُ عَلَى الْحُجْلِ (١٠)؟ قَالَ:
 أَجَلٌ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ نَحَتَ أَثْلَةَ أَخِيهِ؟ قَالَ: أَثْمَ وَكُوْ أَدْنَى لَهُ فِيهِ،
 قَالَ: أَيَحْجُرُ الْحَاكِمُ عَلَى صَاحِبِ الثَّوْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ لِيَأْمَنَ غَائِلَةَ
 الْجَوْرِ (١١)، قَالَ: فَهَلْ لَهُ أَنْ يَضْرِبَ عَلَى يَدِ الْيَتِيمِ؟ قَالَ: نَعَمْ إِلَى أَنْ
 يَسْتَقِيمَ، قَالَ: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَتَّخِذَ لَهُ رِبْضًا (١٢)؟ قَالَ: لَا وَكُوْ كَانَ لَهُ
 رِضْيٌ، قَالَ: فَمَتَى يَبِيعُ بَدْنَ السَّفِينَةِ (١٣)؟ قَالَ: حِينَ يَرَى لَهُ الْحِظَّ فِيهِ،
 قَالَ: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَبْتَاعَ لَهُ حَشًا؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُغَشًى، قَالَ:

(١) ما كان يعمره أبوه من دار وغيرها.

(٢) صبر الإنسان وعدم جزعه على ما يصيبه من البلاء.

(٣) الرسول المصلح بين القوم.

(٤) الذي يطلب إرشاد المشير له إلى أحسن الأحوال.

(٥) الفقار والفقرات: محرقة خرزات سلسلة الظهر.

(٦) البعل: هو الزوج وصرمها له كناية عن عدم موافقتها له.

(٧) الحظر: المنع.

(٨) غائلة الإنسان: شره وانحرافه عن الحق.

(٩) الحظر: المنع.

(١٠) الاستحياء.

(١١) جسد السفينة.

(١٢) ما كان خارجاً عن سور المدينة من الأبنية.

أيجوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَاكِمُ ظَالِمًا ^(١)؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَانَ عَالِمًا، قَالَ: أَيْسْتَفْضَى مِنْ لَيْسَتْ لَهُ بَصِيرَةٌ ^(٢)؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا حَسُنَتْ مِنْهُ السَّيْرَةُ، قَالَ: فَإِنْ تَعَرَّى مِنَ الْعَقْلِ؟ قَالَ: ذَاكَ عُنْوَانُ الْفَضْلِ، قَالَ: فَإِنْ كَانَ لَهُ زَهُوٌ جَبَّارٍ؟ قَالَ: لَا إِنْكَارَ عَلَيْهِ وَلَا إِكْبَارَ، قَالَ: أَيْجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّاهِدُ مُرِيبًا ^(٣)؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَانَ أَرِيبًا ^(٤)، قَالَ: فَإِنْ بَانَ أَنَّهُ لَا طَ؟ قَالَ: هُوَ كَمَا لَوْ خَاطَ، قَالَ: فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُ غَرِيبٌ؟ قَالَ: تُرَدُّ شَهَادَتُهُ وَلَا تُقْبَلُ، قَالَ: فَإِنْ وَضَحَ ^(٥) أَنَّهُ مَائِنٌ؟ قَالَ: هُوَ لَهُ وَصْفُ زَائِنٍ، قَالَ: مَا يَجِبُ عَلَى عَابِدِ الْحَقِّ؟ قَالَ: يُحْلَفُ بِإِلَهِ الْخَلْقِ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي مَنْ فَقَأَ عَيْنَ بَلْبُلٍ ^(٦) عَامِدًا؟ قَالَ: تُفْقَأُ عَيْنُهُ قَوْلًا وَاحِدًا، قَالَ: فَإِنْ جَرَحَ قِطَاةَ امْرَأَةٍ ^(٧) فَمَاتَتْ؟ قَالَ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ إِذَا فَاتَتْ، قَالَ: فَإِنْ أَلْقَتِ الْحَامِلُ حَشِيشًا ^(٨) مِنْ ضَرْبِهِ؟ قَالَ: لِيُكْفَرَ بِالْإِعْتَاقِ عَنْ ذَنْبِهِ، قَالَ: مَا يَجِبُ عَلَى الْمُخْتَفِي ^(٩) فِي الشَّرْعِ؟ قَالَ: الْقَطْعُ لِإِقَامَةِ الرَّدْعِ، قَالَ: فَمَا يُصْنَعُ بِمَنْ سَرَقَ أَسَاوِدَ الدَّارِ؟ قَالَ: يُقَطَّعُ إِنْ سَاوَيْنَ رُبْعَ دِينَارٍ، قَالَ: فَإِنْ سَرَقَ ثَمِينًا مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا قَطْعَ كَمَا لَوْ غَضَبَ، قَالَ: فَإِنْ بَانَ عَلَى الْمَرْأَةِ السَّرْقُ؟ قَالَ: لَا حَرَجَ عَلَيْهَا وَلَا فَرْقَ، قَالَ: أَيْنَعَقْدُ نِكَاحٌ لَمْ يَشْهَدَهُ الْقَوَارِي ^(١٠)؟ قَالَ: لَا وَالْخَالِقِ الْبَارِي، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي عَرُوسٍ بَاتَتْ بِبَلِيلَةٍ حُرَّةٍ، ثُمَّ رَدَّتْ فِي حَافِرَتِهَا

(١) الظالم ضد العادل، والحاكم لا يجوز له الظلم.

(٢) لا يتبصر في أمور مصالح الخصوم. (٣) العيب والشك.

(٤) عاقلاً. (٥) تبيين وظهر.

(٦) النوع المعروف من العصافير. (٧) القِطَاة: واحدة القِطَا، وهي: الطير المعروف.

(٨) ما ينبت من الكلال. (٩) المستكن في محل لا يخرج منه.

(١٠) جمع قارية، وهو نوع من الطير يتيمن به الأعراب.

بِسُحْرَةٍ (١)؟ قَالَ: يَجِبُ لَهَا نِصْفُ الصَّدَاقِ، وَلَا تَلْزِمُهَا عِدَّةُ الطَّلَاقِ، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ لِمَ دَرَكْتَ مِنْ بَحْرِ لَا يُغْضِغُهُ الْمَاتِحُ (٢)، وَحَبِيرٌ لَا يَبْلُغُ مَدْحَهُ الْمَادِحُ! ثُمَّ أَطْرَقَ (٣) إِطْرَاقَ الْحَيِيِّ (٤)، وَأَرَمَ (٥) إِرْمَامَ الْعَيِيِّ (٦)، فَقَالَ لَهُ أَبُو زَيْدٍ: إِيهَ يَا فَتَى! فَإِلَى مَتَى وَإِلَى مَتَى؟ فَقَالَ لَهُ: لَمْ يَبْقَ فِي كِنَانَتِي مِرْمَاةٌ، وَلَا بَعْدَ إِشْرَاقِ صُبْحِكَ مُمَارَاةٌ (٧)، فَبِاللَّهِ أَيُّ ابْنِ أَرْضٍ أَنْتَ، فَمَا أَحْسَنَ مَا أَبْنَتَ، فَأَنْشَدَ بِلِسَانِ ذَلِكَ (٨)، وَصَوْتِ صَهْصَلِقٍ (٩):

أَنَا فِي الْعَالَمِ مِثْلَهُ وَأَهْلُ الْعِلْمِ قَبْلَهُ (١٠)
غَيْرَ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ تَعْرِيْسٍ (١١) وَرِحْلَةٍ
وَالْغَرِيبُ الدَّارِ لَوْ حَا لَّ بِطُوبَى لَمْ تَطِبْ لَهُ

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ كَمَا جَعَلْتَنَا مِمَّنْ هُدِيَّ وَيَهْدِي، فَاجْعَلْهُمْ مِمَّنْ يَهْدِي (١٢) وَيُهْدِي (١٣)، فَسَاقَ إِلَيْهِ الْقَوْمُ ذَوْدًا مَعَ قَيْنَةٍ (١٤)، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَزُورَهُمُ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ (١٥)، فَنَهَضَ يَمْنِيهِمُ الْعُودَ (١٦)، وَوِزْجِي (١٧) الْأُمَّةَ وَالذَّوْدَ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَاعترضته (١٨) وَقُلْتُ لَهُ: عَهْدِي بِكَ سَفِيهَاً،

- | | |
|------------------------|--------------------------------------------------|
| (١) هي آخر الليل. | (٢) الذي يسقي فوق البئر. |
| (٣) سكت. | (٤) المستحي. |
| (٥) صمت وسكت. | (٦) كسكوت المتصف بعدم القدرة على التكلم. |
| (٧) مجادلة. | (٨) حاد فصيح. |
| (٩) شديد. | (١٠) يتوجهون إلي. |
| (١١) النزول آخر الليل. | (١٢) يستدل. |
| (١٣) يعطي الهدية. | (١٤) جارية تعمل جيداً، وقيل: هي الجميلة المغنية. |
| (١٥) الحين بعد الحين. | (١٦) الرجوع إليهم. |
| (١٧) يسوق. | (١٨) وقفت له في الطريق وحالت بينه وبين السير. |

فمَتَى صرْتَ فقيهاً؟ فَظَلَّ هنيهةً (١) يَجولُ، ثُمَّ أَنشدَ يَقولُ:

لبسْتُ لِكُلِّ زَمَانٍ لبوساً
وعَاشَرْتُ كُلَّ جَلِيسٍ بما
فَعِنْدَ الرِّوَاةِ أديرُ الكَلَامَ
وَطَوَّراً بوعَظي أُسِيلُ الدُّمُوعَ
وأقري المَسَامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ
وإن شئتُ أَرَعَفَ (٥) كَفِّي اليرَاعَ (٦)
وَكَمَ مُشكلاتِ حَكِينِ السُّهَى
وَكَمَ مُلِحَ لي خَلْبِنَ العُقُولِ (٩)
وعَذراءُ فَهتُ بها فأنثني
على أَنني من زَمَانٍ خُصِصْتُ
يسَعَّرُ (١٠) لي كُلَّ يَوْمٍ وِغَى
ويَطْرُقُني بِالخَطُوبِ (١١) الَّتِي
ويُدْني إليَّ البَعِيدَ البَغِيضَ
ولولا خَسَاسَةُ أَخلاقِهِ (١٢)

فَقُلْتُ لَهُ: خَفِّضِ الأَحْزَانَ، وَلَا تَلَمَّ الزَّمَانَ، وَأشْكُرْ لِمَنْ تَقَلَّكَ عَن

- (١) برهة أو ساعة وقطعة من الزمان.
(٢) تصريفية.
(٣) يوافق.
(٤) فصاحة كالسحر.
(٥) أسأل.
(٦) القلم.
(٧) يزين الكتب.
(٨) بياني وإيضاحي.
(٩) خدعتها.
(١٠) يشعل ويلهب.
(١١) المصائب.
(١٢) أخلاق الزمان.

مَذْهَبَ إِبْلِيسَ، إِلَى مَذْهَبِ ابْنِ إِدْرِيسَ، فَقَالَ: دَعِ الْهَيْتَارَ (١)، وَلَا تَهْتِكِ
 الْأُسْتَارَ! وَأَنْهَضُ بِنَا لِنَضْرِبَ إِلَى مَسْجِدِ يَثْرِبَ، فَعَسَى أَنْ نَرْحُضَ (٢)
 بِالْمَزَارِ (٣) دَرْنَ الْأَوْزَارِ، فَقُلْتُ: هَيْهَاتَ أَنْ أَسِيرَ، أَوْ أَفْقَهَ (٤) التَّفْسِيرَ!
 فَقَالَ: تَاللَّهِ لَقَدْ أُوجِبْتَ ذِمًّا (٥)، وَطَلَبْتَ إِذْ طَلَبْتَ أُمَّمًا (٦)، فَهَكَكَ مَا
 يَشْفِي النَّفْسَ، وَيَنْفِي اللَّبْسَ (٧)، قَالَ: فَلَمَّا أَوْضَحَ لِي الْمُعَمَّى (٨)،
 وَكَشَفَ عَنِّي الْعُمَّى، شَدَدْنَا الْأَكْوَارَ (٩)، وَسَرْتُ وَسَارَ، وَكَمْ أَزَلُّ مِنْ
 مُسَامَرَتِهِ، مُدَّةَ مُسَايَرَتِهِ، فِي مَا أَنْسَانِي طَعْمَ الْمَشَقَّةِ، وَوَدَدْتُ مَعَهُ بَعْدَ
 الشُّقَّةِ (١٠)، حَتَّى إِذَا دَخَلْنَا مَدِينَةَ الرَّسُولِ، وَفَزْنَا مِنَ الزِّيَارَةِ بِالرَّسُولِ (١١)،
 أَشَامَ وَأَعْرَقْتُ (١٢)، وَغَرَّبَ (١٣) وَشَرَّقْتُ (١٤).



- | | |
|----------------------------------------|-----------------------------------------|
| (١) الفُحْشُ أَوْ الدَّاهِيَةُ. | (٢) نَغْسَلُ وَنَطْهَرُ. |
| (٣) الزِّيَارَةُ. | (٤) حَتَّى أَعْلَمَ وَأَفْهَمَ. |
| (٥) جَمْعُ ذِمَّةٍ، وَهِيَ: الْعَهْدُ. | (٦) شَيْئًا هَيْئًا قَرِيبًا. |
| (٧) التَّخْلِيضُ. | (٨) هُوَ الْكَلَامُ الْمَلْغُزُ بِهِ. |
| (٩) الرَّحَالُ. | (١٠) طَوْلُ مَسَافَةِ السَّفَرِ. |
| (١١) بِيَلُوغِ الْأَمَلِ. | (١٢) قَصَدْتُ. |
| (١٣) تَوَجَّهَ إِلَى الْمَغْرِبِ. | (١٤) وَسَرْتُ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ. |

المقامة الثالثة والثلاثون التقليسية

حكى الحارث بن همام قال: عاهدتُ الله تعالى مُذِ يَفَعْتُ، أَنْ لَا أُؤَخِّرَ الصَّلَاةَ مَا اسْتَطَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَ جَوْبِ الفَلَوَاتِ (١)، وَلَهُوَ الْخَلَوَاتِ (٢) أُرَاعِي أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ، وَأُحَاذِرُ مِنْ مَائِمِ الفَوَاتِ (٣)، وَإِذَا رَافَقْتُ فِي رِحْلَةٍ، أَوْ حَلَلْتُ بِحِلَّةٍ (٤)، مَرَحَبْتُ بِصَوْتِ الدَّاعِي إِلَيْهَا، وَأَقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا، فَاتَّفَقَ حِينَ دَخَلْتُ تَفْلَيْسَ، أَنْ صَلَّىتُ مَعَ زُمْرَةِ مَفَالَيْسَ (٥)، فَلَمَّا قَضَيْتُ الصَّلَاةَ، وَأَزْمَعْنَا الْانْفِلَاتَ، بَرَزَ شَيْخٌ بَادِي (٦) اللِّقْوَةَ، بِالِي الكُسُوفَةِ والقُوَّةِ، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيَّ مِنْ خَلْقٍ مِنْ طَيِّبَةِ الْحُرِّيَّةِ، وَتَفُوقَ دَرِّ العَصِيَّةِ (٧)، إِلَّا مَا تَكَلَّفَ لِي لُبْثَةٌ (٨)، وَاسْتَمَعَ مِنِّي نَفْثَةً، ثُمَّ لَهُ الْخِيَارُ مِنْ بَعْدِ، وَبِيَدِهِ الْبَدْلُ وَالرَّدُّ (٩)، فَعَقَدَ لَهُ الْقَوْمُ الْحَبِي، وَرَسَوْا (١٠) أَمْثَالَ الرَّبِيِّ، فَلَمَّا آتَسَ (١١) حُسْنَ إِنْصَاتِهِمْ، وَرَزَانَةَ حَصَاتِهِمْ، قَالَ: يَا أُولِي الْأَبْصَارِ الرَّامِقَةَ (١٢)، وَالبَصَائِرِ الرَّائِقَةَ (١٣)، أَمَا يُغْنِي عَنِ الْخَبْرِ الْعِيَانُ، وَيُنْبِئُ عَنِ النَّارِ الدُّخَانُ؟ شَيْبٌ لَائِحٌ (١٤)، وَوَهْنٌ

(٢) لعب أوقات الفراغ.

(١) قطع القفار.

(٤) نزلت بقوم أو ببلدة.

(٣) إثم فوات وقت الصلاة.

(٦) ظاهر.

(٥) فقراء.

(٩) المنع والحرمان.

(٨) وقفة.

(٧) أن يدعو إلى نصرته عصبته.

(١٢) الناظرة.

(١١) أحسن وعلم ورأى.

(١٠) ثبتوا وسكنوا.

(١٤) أي: ظاهر.

(١٣) الصافية المعجبة.

فَادِحٌ، وَدَاءٌ وَأَصِحُّ، وَالْبَاطِنُ فَاصِحٌ، وَلَقَدْ كُنْتُ وَاللَّهِ مِمَّنْ مَلَكَ وَمَالَ،
 وَوَلِيَّ وَآلٍ، وَرَفَدَ وَأَنَالَ، وَوَصَلَ وَصَالَ، فَلَمْ تَزَلِ الْجَوَائِحُ تُسْحَتُ،
 وَالنَّوَائِبُ (١) تُنَحَّتُ، حَتَّى الْوَكْرُ (٢) قَفَرُ، وَالْكَفُّ صَفْرٌ (٣)، وَالشَّعَارُ
 ضُرٌّ، وَالْعَيْشُ مُرٌّ، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ (٤) مِنَ الطَّوَى، وَيَتَمَنُّونَ مُصَاصَةً
 النَّوَى، وَلَمْ أَقُمْ هَذَا الْمَقَامَ الشَّائِنَ، وَأَكْشِفُ لَكُمْ الدَّفَائِنَ (٥)، إِلَّا بَعْدَمَا
 شَقِيتُ وَلُقِيتُ، وَشَبِتُ مِمَّا لَقِيتُ، فَلَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ بِقَيْتُ، ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوَّهَ
 الْأَسِيفِ، وَأَنْشَدَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ:

أَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ
 وَحَادِثَاتٍ قَرَعَتْ مَرُوتِي
 وَاهْتَصَرَتْ عُوْدِي (٧) وَيَا وَيْلَ مَنْ
 وَأَمَحَلَّتْ رَبْعِي حَتَّى جَلَّتْ
 وَغَادَرْتَنِي (٩) حَائِرًا بَائِرًا
 مَنْ بَعْدَ مَا كُنْتُ أَخَا ثِرْوَةٍ
 يَخْتَبِطُ الْعَافُونَ أَوْرَاقَهُ
 فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ
 وَازْوَرَّ (١٢) مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا
 فَهَلْ فَتَى يَحْزَنُهُ مَا يَرَى

تَقَلَّبَ الدَّهْرَ وَعُدْوَانَهُ (٦)
 وَقَوَّضَتْ مَجْدِي وَبُنْيَانَهُ
 تَهْتَصِرُ الْأَحْدَاثُ (٨) أَغْصَانَهُ
 مِنْ رَبْعِي الْمُمَحَلِّ جِرْدَانَهُ
 أَكْبَادُ الْفَقْرِ وَأَشْجَانَهُ
 يَسْحَبُ فِي النَّعْمَةِ أُرْدَانَهُ
 وَيَحْمَدُ السَّارُونَ (١٠) نِيرَانَهُ
 أَعَانَهُ الدَّهْرُ الَّذِي عَانَهُ (١١)
 وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عَرْفَانَهُ
 مِنْ ضُرِّ شَيْخٍ دَهْرُهُ خَانَهُ

(١) الدَّوَاهِي.

(٣) فارغ من الدراهم وغيرها.

(٥) الأمور المستورة.

(٧) أمالت ظهري.

(٩) تركتني.

(١١) الذي أصابه بالعين.

(٢) البيت.

(٤) يكون بصياح.

(٦) ظلمه.

(٨) الخطوب والمصائب.

(١٠) المسافرون ليلاً.

(١٢) مال وأعرض وامتنع من مواجهته.

فَيَفْرِجَ الِّهْمَ الَّذِي هَمَّهُ وَيُصْلِحَ الشَّانَ الَّذِي شَانَهُ (١)

قَالَ الرَّأوي: فَصَبَتِ الْجُمَاعَةُ إِلَى أَنْ تَسْتَشْبِثَهُ (٢)، لَتَسْتَنْجِشَ خُبَاتَهُ، وَتَسْتَنْفِضَ حَقِيْبَتَهُ، فَقَالَتْ لَهُ: قَدْ عَرَفْنَا قَدْرَ رُبَّتِكَ، وَرَأَيْنَا دَرَّ مُزْنَتِكَ، فَعَرَفْنَا دَوْحَةَ شُعْبَتِكَ (٣)، وَأَحْسِرِ اللَّثَامَ (٤) عَنْ نَسْبَتِكَ، فَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ مَنْ مَنِيَ بِالْإِعْنَاتِ (٥)، أَوْ بُشِّرَ بِالْبَنَاتِ، وَجَعَلَ يَلْعَنُ الضَّرُورَاتِ، وَيَتَأَفَّفُ (٦) مِنْ تَغْيِضِ الْمُرُوءَاتِ، ثُمَّ أَنْشَدَ بَلْفَظٍ صَادِعٍ (٧)، وَجَرَسِ خَادِعٍ:

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ فَرْعٍ يَدُلُّ
فَكُلُّ مَا حَالَ حِينَ تُؤْتَى بِهِ
وَمَيِّزٌ إِذَا مَا اعْتَصَرْتَ الْكُرُومَ
لِتُغْلِي وَتُرْخِصَ عَنْ خَبْرَةٍ
فَعَارٌ عَلَى الْفَطَنِ اللَّوْدَعِيُّ

جَنَاهُ (٨) اللَّذِيذُ عَلَى أَصْلِهِ
وَلَا تَسْأَلِ الشَّهْدَ (٩) عَنْ نَحْلِهِ
سُلَافَةَ عَصْرِكَ مِنْ خَلِّهِ (١٠)
وَتَشْرِي كَلًّا شَرَى مِثْلِهِ
دُخُولُ الْغَمِيْزَةِ فِي عَقْلِهِ

قَالَ: فَازْدَهَى الْقَوْمُ بِذَكَائِهِ وَدَهَائِهِ، وَاخْتَلَبَهُمْ بِحُسْنِ أَدَائِهِ مَعَ دَائِهِ، حَتَّى جَمَعُوا لَهُ خَبَايَا الْخُبْنِ، وَخَفَايَا الثُّبْنِ، وَقَالُوا لَهُ: يَا هَذَا إِنَّكَ حُمْتَ (١١) عَلَى رَكِيَّةٍ (١٢) بِكِيَّةٍ (١٣)، وَتَعَرَّضْتَ لِحَلِيَّةٍ خَلِيَّةٍ، فَخُذْ هَذِهِ الصُّبَابَةَ (١٤)، وَهَبْهَا لَا خَطَأَ وَلَا إِصَابَةَ، فَنَزَلَ قَلْبُهُمْ مَنَزَلَةَ الْكَثْرِ، وَوَصَلَ

(١) عابه. (٢) تعرفه حتى وقف على حقيقته.

(٣) أراد أصله ونسبه، والدوحة في الأصل: الشجرة العظيمة.

(٤) اكشفه وازله؛ أي: بين وأظهر لنا.

(٥) بتكلف المشقة.

(٦) أي: يقول أف أف.

(٧) ظاهر مكشوف.

(٨) ثمره.

(٩) من فاسده.

(١٠) هي البثر.

(١١) الشيء اليسير. وأصلها: بقية الماء في الإناء.

قَبُولُهُ بِالشُّكْرِ، ثُمَّ تَوَلَّى يَجْرُ شَقَّهُ، وَيَنْهَبُ بِالْخَبْطِ طُرْقَهُ (١)، قَالَ الْمُخْبِرُ
 بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ، فَصَوَّرَ لِي أَنَّهُ مُحِيلٌ (٢) لِحَلَّتِيهِ، مُتَّصِعٌ فِي مَشِيَّتِهِ، فَنَهَضْتُ
 أَنَّهُجٌ مِنْهَاجَهُ، وَأَقْفُو أَدْرَاغَهُ (٣)، وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَزْرًا، وَيُوسِعُنِي هَجْرًا،
 حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقُ، وَأَمَكْنَ التَّحْقِيقُ، نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ،
 وَمَا حَضَّ (٤) بَعْدَمَا غَشَّ، وَقَالَ: إِنِّي لِإِخَالِكَ أَخَا غَرْبَةٍ، وَرَائِدَ صُحْبَةٍ،
 فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُقُ بِكَ وَيُرْفُقُ (٥)، وَيَنْفُقُ عَلَيْكَ وَيُنْفُقُ (٦)؟ فَقُلْتُ لَهُ:
 لَوْ أَنَّنِي هَذَا الرَّفِيقُ، لَوَاتَانِي التَّوْفِيقُ، فَقَالَ لِي: قَدْ وَجَدْتَ فَاغْتَبِطُ (٧)،
 وَاسْتَكْرَمْتَ فَارْتَبِطُ، ثُمَّ ضَحِكَ مَلِيًّا (٨)، وَتَمَثَّلَ لِي بَشْرًا سَوِيًّا، فَإِذَا هُوَ
 شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ لَا قَلْبَةَ بِجِسْمِهِ، وَلَا شُبْهَةَ فِي وَسْمِهِ، فَفَرِحْتُ بِلُقْبَتِهِ،
 وَكَذَبَ لِقَوْتِهِ (٩)، وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ، عَلَى سُوءِ مَقَامَتِهِ، فَشَحَا (١٠) فَاهُ،
 وَأَنْشَدْتُ قَبْلَ أَنْ أَلْحَاهُ:

ظَهَرْتُ بُرْثٌ لَكَيْمَا يُقَالُ فَفَقِيرٌ يُزَجِّي (١١) الزَّمَانَ الْمُزَجِّي
 وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنْ قَدْ فُلَجْتُ (١٢) فَكَمْ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجِّي
 وَلَوْ لَا الرَّثَائِةُ لَمْ يُرْثَ لِي وَلَوْ لَا التَّفَالِجُ لَمْ أَلْقُ فُلَجَا
 ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي بِهَذِهِ الْأَرْضِ مَرْتَعٌ (١٣)، وَلَا فِي أَهْلِهَا مَطْمَعٌ،

(١) يقطع الأرض ويطويها بالخبط، وهو: السير على غير معرفة.

(٢) مغير.

(٣) أثاره.

(٤) أخلص وده.

(٥) بضم أوله؛ أي: يعين.

(٦) يعطيك النفقة.

(٧) فافرح بما وجدت.

(٨) طويلًا.

(٩) ففتح فمه.

(١٠) أصابني الفالج.

(١١) مأكلاً، وأصله محل رعي الدواب.

(١٢) يسوق.

فَإِنْ كُنْتَ الرَّفِيقَ، فَالطَّرِيقَ الطَّرِيقَ، فَسِرْنَا مِنْهَا مَتَجَرِّدِينَ (١)، وَرَافَقْتَهُ
 عَامِينَ أَجْرَدِينَ (٢)، وَكُنْتُ عَلَيَّ أَنْ أَصْحَبَهُ مَا عَشْتُ، فَأَبَى الدَّهْرُ
 الْمُسْتُ (٣).



(١) منفردين عن الناس.

(٢) تامين.

(٣) الزمان المفرق.

المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية

أخبر الحارث بن همام قال: لما جئتُ (١) البيد إلى زبيد صحبني غلامٌ
قد كنتُ ربيتهُ إلى أن بلغ أشدهُ، وثقفتهُ (٢) حتى أكمل رشدَهُ، وكان قد
أنسَ بأخلاقِي، وخبرَ مجالِبَ وفاقي، فلم يكن يتخطى مرامي (٣)، ولا
يخطئ في المرامي، لا جرم (٤) أن قربه التاطت (٥) بصفري (٦)،
وأخلصتهُ لحضري وسفري، فالوى (٧) به الدهر المييد، حين ضممتنا زبيد،
فلما شالت نعامتهُ (٨)، وسكنت نامتهُ، بقيتُ عامًا، لا أسيغُ طعامًا،
ولا أريغُ (٩) غلامًا، حتى ألجأني شوائبُ الوحدة، ومتاعبُ القومة
والقعدة (١٠)، إلى أن أعتاض (١١) عن الدرِّ الخرز، وأرتاد (١٢) من هو
سدادٌ من عوز، فقصدتُ من يبيع العبيد بسوق زبيد، فقلت: أريدُ غلامًا
يعجب إذا قلب، ويحمد إذا جرب، وليكن ممن خرجه الأكياس (١٣)،

- | | |
|---------------------------------------|----------------------|
| (١) قطعت. | (٢) قومه وأدبته. |
| (٣) مقاصدي. | (٤) حقًا ولا محالة. |
| (٥) التصقت. | (٦) بقلبي. |
| (٧) أهلكه. | (٨) أي: مات. |
| (٩) أطلب وأريد. | (١٠) القيام والقيود. |
| (١١) أستبدل. | (١٢) أطلب. |
| (١٣) العقلاء ذوو الكياسة، وهي: العقل. | |

وَأَخْرَجَهُ إِلَى السُّوقِ الْإِفْلَاسُ، فَاهْتَزَّ كُلُّ مِنْهُمْ لِطَلْبِي وَوَثْبَ، وَبَدَلَ
تَحْصِيلَهُ عَنْ كَثْبِ (١)، ثُمَّ دَارَتْ الْأَهْلَةُ دَوْرَهَا، وَتَقَلَّبَتْ كَوْرَهَا
وَحَوْرَهَا (٢)، وَمَا نَجَزَ مِنْ وَعُودِهِمْ وَعَدًّا، وَلَا سَحَّ لَهَا رَعْدًا، فَلَمَّا رَأَيْتُ
النَّخَاسِينَ (٣) نَاسِينَ أَوْ مَتَنَاسِينَ، عَلِمْتُ أَنْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ خَلَقَ يَفْرِي، وَأَنْ
لَنْ يَحُكَّ جِلْدِي مِثْلُ ظُفْرِي، فَرَفَضْتُ مَذْهَبَ التَّفْوِيضِ، وَبَرَزْتُ إِلَى
السُّوقِ بِالصُّفْرِ وَالْبَيْضِ (٤)، فَإِنِّي لِأَسْتَعْرِضُ الْغُلَمَانَ، وَأَسْتَعْرِفُ الْأَثْمَانَ،
إِذْ عَارَضَنِي رَجُلٌ قَدْ اخْتَطَمَ بِلثَامٍ، وَقَبِضَ عَلَيَّ زَنْدِ (٥) غُلَامٍ، وَقَالَ:

من يشتري مني غلامًا صنعًا
بكل ما نطت به مضطلعًا
وإن تُصَبِّكَ عَثْرَةٌ يَقُلْ لَعَا
وإن تُصَاحِبَهُ وَلَوْ يَوْمًا رَعَى
وهو على الكيس (٧) الذي قد جمعا
ولا أجاب مطمعا حين دعا
وطالما أبدع في ما صنعًا
والله لو لا ضنك عيش صدعا (١٠)

فِي خَلْقِهِ وَخُلِقَهُ قَدْ بَرَعَا (٦)
يَشْفِيكَ إِنْ قَالَ وَإِنْ قُلْتَ وَعَى
وَإِنْ تَسْمُهُ السَّعْيُ فِي النَّارِ سَعَى
وَإِنْ تُقَنَّعُهُ بِظُلْفٍ قَنَّعَا
مَا فَاهَ قَطُّ كَاذِبًا لَا أَدْعَى
وَلَا اسْتَجَازَ (٨) نَتَّ سِرًّا أَوْ دَعَا (٩)
وَفَاقَ فِي النَّثْرِ وَفِي النَّظْمِ مَعَا
وَصَبِيَّةٌ أَضْحَوْا عُرَاةً جُوعَا

مَا بَعْتُهُ بِمَلِكٍ كَسَرَى أَجْمَعَا

(٢) تمامها ونقصانها.
(٤) الدنانير والدراهم.
(٦) فاق غيره.
(٨) استحل.
(١٠) شق القلب وكسره.

(١) عن قرب.
(٣) الدلائل في الرقيق.
(٥) هو الساعد من اليد.
(٧) الحذق والعقل.
(٩) أوتمن عليه واستحفظه.

قَالَ: فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ خَلْقَهُ الْقَوِيمَ (١)، وَحُسْنَهُ الصَّمِيمَ (٢)، خَلْتُهُ مِنْ
وَلْدَانِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، وَقُلْتُ: مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ! ثُمَّ
اسْتَنْطَقْتُهُ عَنْ اسْمِهِ، لَا لِرَغْبَةٍ فِي عِلْمِهِ، بَلْ لِأَنْظُرَ أَيْنَ فَصَاحْتُهُ مِنْ
صَبَاحَتِهِ (٣)، وَكَيْفَ لَهْجَتُهُ مِنْ بَهْجَتِهِ، فَلَمْ يَنْطِقْ بِحُلُوةٍ وَلَا مُرَّةٍ (٤)، وَلَا
فَاهٍ فَوْهَةً ابْنَ أُمَّةٍ وَلَا حُرَّةٍ، فَضْرَبْتُ عَنْهُ صَفْحًا، وَقُلْتُ لَهُ: قُبْحًا لِعَيْكَ
وَشُقْحًا! فَغَارَ فِي الضَّحْكَ وَأَنْجَدَ، ثُمَّ أَنْغَضَ رَأْسَهُ (٥) إِلَيَّ وَأَنْشَدَ:

يَا مَنْ تَلَهَّبَ غَيْظُهُ إِذْ لَمْ أُبْحِ بِاسْمِي لَهُ مَا هَكَذَا مَنْ يُنْصَفُ
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا كَشْفُهُ فَأَصِحْ (٦) لَهُ أَنَا يُوسُفُ أَنَا يُوسُفُ
وَلَقَدْ كَشَفْتُ لَكَ الْغِطَاءَ فَإِنْ تَكُنْ فَطِنًا عَرَفْتَ وَمَا إِخَالُكَ تَعْرِفُ

قَالَ: فَسَرَى عَتْبِي بِشِعْرِهِ، وَاسْتَبَى لُبِّي (٧) بِسِحْرِهِ، حَتَّى شُدَّهْتُ عَنْ
التَّحْقِيقِ، وَأُنْسِيْتُ قِصَّةَ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ إِلَّا مُسَاوَمَةُ
مَوْلَاهُ فِيهِ، وَاسْتِطْلَاعُ طَلْعِ الثَّمَنِ (٨) لِأَوْفِيهِ، وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ سَيَنْظُرُ
شِزْرًا إِلَيَّ، وَيُغْلِي السِّيمَةَ (٩) عَلَيَّ، فَمَا حَلَّقَ إِلَيَّ حَيْثُ حَلَّقْتُ، وَلَا
اعْتَلَقَ بِمَا بِهِ اعْتَلَقْتُ بَلْ قَالَ: إِنَّ الْغُلَامَ إِذَا نَزَرَ (١٠) ثَمْنُهُ، وَخَفَّتْ
مُؤْنُهُ (١١)، تَبَرَّكَ بِهِ مَوْلَاهُ، وَالتَّحَفَ (١٢) عَلَيْهِ هَوَاهُ، وَإِنِّي

(١) المستقيم الحسن.

(٢) الخالص.

(٣) حسن وجهه.

(٤) بكلمة حسنة ولا قبيحة.

(٥) حركه متعجباً على سبيل الاستهزاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١].

(٦) استمع.

(٧) ملك قلبي وأسره.

(٨) قدره.

(٩) القيمة.

(١٠) قل.

(١١) كلفه.

(١٢) اشتمل.

لأوثر^(١) تحبيب هذا الغلام إليك، بأن أخفف ثمنه عليك، فزن مائتي درهم إن شيت، واشكر لي ما حيت! فنقدته المبلغ في الحال، كما ينقد في الرخيص الحلال، ولم يخطر لي ببال، أن كل مرخص غال، فلما تحققت الصفة، وحققت الفرقة، هملت عيننا الغلام، ولا همول دمع الغمام، ثم أقبل على صاحبه وقال:

لحَاكَ اللهُ هَلْ مِثْلِي يُبَاعُ
وَهَلْ فِي شِرْعَةِ الْإِنْصَافِ أَنِي
وَأَنْ أُبْلَى بِرُوعٍ بَعْدَ رُوعٍ
أَمَا جَرَّبْتَنِي فَخَبَّرْتَ مِنِّي
وَكَمْ أَرَصَدْتَنِي^(٥) شَرَكًا لَصِيدٍ
وَنُطِتَ^(٧) بِي الْمِصَاعِبَ فَاسْتَقَادَتْ
وَأَيُّ كَرِيهَةٍ^(٨) لَمْ أُبَلِّ فِيهَا
وَمَا أَبَدَتْ لِي الْأَيَّامُ جُرْمًا
وَلَمْ تَعْثُرْ بِحَمْدِ اللهِ مِنِّي
فَأَتَى سَاعَ عِنْدِكَ نَبْذُ عَهْدِي
وَلَمْ سَمَحْتَ قَرُونُكَ بِامْتِهَانِي^(١١)

لَكَيْمَا تَشْبَعَ الْكَرْشُ الْجِيَاعُ
أَكْلَفُ^(٢) خُطَّةً لَا تُسْتَطَاعُ
وَمِثْلِي حِينَ يُبْلَى لَا يُرَاعُ
نِصَائِحَ لَمْ يَمَازِجْهَا^(٣) خَدَاعُ^(٤)
فَعُدْتُ وَفِي حَبَائِلِي^(٦) السَّبَاعُ
مُطَاوَعَةً وَكَانَ بِهَا امْتِنَاعُ
وَعُنْمٌ لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ بَاعُ
فِيُكْشَفُ فِي مُصَارَمَتِي^(٩) الْقِنَاعُ
عَلَى عَيْبِ يَكْتُمُ أَوْ يُذَاعُ
كَمَا نَبَذَتْ بُرَايَتَهَا الصَّنَاعُ^(١٠)
وَأَنْ أُشْرَى كَمَا يُشْرَى الْمَتَاعُ

(١) أقدم.

(٢) مشقة.

(٣) لم يخالطها.

(٤) مكر وحيلة.

(٥) أعددتني ونصبتني.

(٦) أشراكي.

(٧) وعلقت.

(٨) حرب.

(٩) مقاطعتي.

(١٠) المرأة الحاذقة بالصنعة.

(١١) بإذلال.

وَهَلَّا صُنْتَ عَرْضِي عَنْهُ صَوْنِي
وَقُلْتَ لِمَنْ يُسَاوِمُ فِي هَذَا
فَمَا أَنَا دُونَ ذَلِكَ الطَّرْفِ لَكِنْ
عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي

حَدِيثَكَ يَوْمَ جَدَّ بِنَا الْوَدَاعُ
سَكَابَ فَمَا يُعَارُ وَلَا يُبَاعُ
طَبَاعَكَ فَوْقَهَا تِلْكَ الطَّبَاعُ
أَضَاعُونِي (١) وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا

قَالَ: فَلَمَّا وَعَى الشَّيْخُ أَبِياتَهُ، وَعَقَلَ مُنَاغَاتَهُ (٢)، تَنَفَّسَ الضُّعْدَاءُ،
وَبَكَى حَتَّى أَبْكَى الْبُعْدَاءَ، ثُمَّ قَالَ لِي: إِنِّي أُحِلُّ هَذَا الْغُلَامَ مَحَلًّا وَلَدِي،
وَلَا أَمِيزُهُ عَنْ أَفْلَازِ كِبْدِي، وَلَوْلَا خُلُوُّ مُرَاجِي (٣)، وَخُبُوُّ مِصْبَاحِي (٤)، لَمَا
دَرَجَ عَنْ عَشْيِي، إِلَى أَنْ يُشَيِّعَ نَعْشِي، وَقَدْ رَأَيْتَ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ،
وَالْمُؤْمِنُ هَيْنَ لَيْنٌ، فَهَلْ لَكَ فِي تَسْلِيَةِ قَلْبِهِ، وَتَسْرِيَةِ (٥) كَرْبِهِ، بِأَنْ
تُعَاهِدَنِي عَلَى الْإِقَالَةِ فِيهِ مَتَى اسْتَقَلْتُ، وَأَنْ لَا تَسْتَقْلِنِي إِذَا ثَقَلْتُ (٦)؟ فَفِي
الْآثَارِ الْمُتَّقَاةِ، الْمَرْوِيَّةِ عَنِ الثَّقَاتِ: مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ، أَقَالَهُ اللَّهُ عَشْرَتَهُ.
قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَوَعَدْتُهُ وَعَدًّا أَبْرَزَهُ الْحَيَاءُ، وَفِي الْقَلْبِ أَشْيَاءُ،
فَاسْتَدْنِي حِينَئِذٍ الْغُلَامَ إِلَيْهِ، وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَأَنْشَدَ وَالِدَمْعُ يَرْفُضُ (٧)
مَنْ جَفْنِيهِ:

خَفِضُ فِدَتِكَ النَّفْسُ مَا تُلَاقِي
فَمَا تَطُولُ مُدَّةُ الْفِرَاقِ

مَنْ بُرْحَاءَ (٨) الْوَجْدِ وَالْإِشْفَاقِ (٩)
وَلَا تَنِي (١٠) رَكَائِبُ التَّلَاقِي

بِحُسْنِ عَوْنِ الْقَادِرِ الْخَلَّاقِ

(١) لَمْ يَعْرِفُوا قَدْرِي.

(٢) كَلَامُهُ.

(٣) مَنْزِلِي.

(٤) خَمُودٌ سِرَاجِي.

(٥) إِزَالَتُهُ.

(٦) أَكْثَرْتُ الْكَلَامَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ.

(٧) يَتَرَشَّشُ وَيَتَفَرَّقُ.

(٨) شِدَّةٌ.

(٩) نَفَرْتُ وَتَضَعُفُ.

(١٠) لُحُوفٌ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَسْتُوْدِعُكَ مِنْ هُوَ نَعْمَ الْمُؤَلَّى، وَشَمَّرَ ذَيْلَهُ وَوَلَّى، فَلَبِثَ
 الْغُلَامُ فِي زَفِيرٍ (١) وَعَوِيلٍ (٢)، رِيثِمًا (٣) يَقْطَعُ مَدَى مِيلٍ، فَلَمَّا اسْتَفَاقَ،
 وَكَفَكَفَ دَمْعَهُ الْمُهْرَاقَ (٤)، قَالَ: أَتَدْرِي لِمَ أَعَوَّلْتُ، وَعَلَامَ عَوَّلْتُ؟
 فَقُلْتُ: أَظُنُّ فِرَاقَ مُوَلَاكَ، هُوَ الَّذِي أَبْكَاكُ! فَقَالَ: إِنَّكَ لَفِي وَاَدٍ وَأَنَا فِي
 وَاَدٍ، وَلَكُمْ بَيْنَ مُرِيدٍ وَمُرَادٍ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

لَمْ أَبْكِ وَاللَّهِ عَلَى إِلْفِ نَزْحٍ (٥) وَلَا عَلَى فَوْتِ نَعِيمٍ وَفَرَحٍ
 وَإِنَّمَا مَدَمْعُ أَجْفَانِي سَفْحٌ عَلَى غَيْبِي (٦) لَحْظُهُ (٧) حِينَ طَمَحُ
 وَرَطُّهُ حَتَّى تَعْنَى وَأَفْتَضَحُ وَضِعَ الْمُنْقُوشَةَ الْبَيْضَ الْوَضَحُ
 وَيُكَ أَمَا نَاجَتِكَ هَاتِيكَ الْمَلْحُ (٨) بِأَنْتِي حُرٌّ وَيَّعِي لَمْ يُبَحْ (٩)

إِذْ كَانَ فِي يُوسُفَ مَعْنَى قَدْ وَضَحُ

قَالَ: فَتَمَثَّلْتُ (١٠) مَقَالَهُ فِي مَرَاةِ الْمُدَاعِبِ (١١)، وَمَعْرِضِ
 الْمُلَاعِبِ. فَتَصَلَّبَ (١٢) تَصَلَّبَ الْمُحَقُّ، وَتَبَرَّأَ مِنْ طِينَةِ (١٣) الرِّقِّ، فَجَلُنَا
 فِي مُخَاصِمَةٍ، اتَّصَلْتُ بِمَلَائِكَةٍ، وَأَفْضَتُ (١٤) إِلَى مُحَاكِمَةٍ، فَلَمَّا أَوْضَحْنَا
 لِلْقَاضِي الصُّورَةَ، وَتَلَوْنَا عَلَيْهِ السُّورَةَ، قَالَ: أَلَا إِنَّ مِنْ أَنْدَرٍ فَقَدْ أَعْذَرَ،
 وَمَنْ حَذَرَ كَمَنْ بَشَرَ، وَمَنْ بَصَرَ (١٥) فَمَا قَصَرَ، وَإِنْ فِيمَا شَرَحْتُمَاهُ لَدَلِيلًا

(١) هو إخراج النَّفْسِ بِشِدَّةٍ.

(٢) بكاء بصياح.

(٣) مقدار ما.

(٤) المنصب.

(٥) صاحب بَعْدُ.

(٦) جاهل.

(٧) نظره.

(٨) الكلمات المستحسنة.

(٩) لم يحل.

(١٠) تصورت.

(١١) الممازح.

(١٢) توقف.

(١٥) عرف حقيقة الحال.

(١٤) وصلت.

(١٣) تخلص وتنحى عن كونه رقًا.

عَلَى أَنْ هَذَا الْغُلَامَ قَدْ نَبِهَكَ فَمَا ارْعَوَيْتَ (١)، وَنَصَحَ لَكَ فَمَا وَعَيْتَ،
 فَاسْتُرْ دَاءَ بِلَهْكَ وَآكُتْمَهُ، وَلَمْ نَفْسِكَ وَلَا تَلْمَهُ، وَحَدَارٍ مِنْ اعْتِلَاقِهِ (٢)،
 وَالطَّمَعِ فِي اسْتِرْقَاقِهِ، فَإِنَّهُ حُرُّ الْأَدِيمِ، غَيْرُ مَعْرَضٍ لِلتَّقْوِيمِ، وَقَدْ كَانَ
 أَبُوهُ أَحْضَرَهُ أَمْسٍ، قُبَيْلَ أَقْوَالِ الشَّمْسِ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ فَرَعُهُ الَّذِي
 أَنْشَأَهُ، وَأَنْ لَا وَارِثَ لَهُ سِوَاهُ، فَقُلْتُ لِلْقَاضِي: أَوْتَعَرَفُ أَبَاهُ، أَخْزَاهُ اللَّهُ؟
 فَقَالَ: وَهَلْ يُجْهَلُ أَبُو زَيْدٍ الَّذِي جَرَحَهُ جُبَارٌ، وَعِنْدَ كُلِّ قَاضٍ لَهُ أَخْبَارٌ
 وَإِخْبَارٌ؟ فَتَحَرَّقْتُ حَيْثُذُ وَحَوَّقَلْتُ (٣)، وَأَفَقْتُ وَلَكِنْ حِينَ فَاتَ الْوَقْتُ!
 وَأَيَقَنْتُ أَنْ لثَامَهُ كَانَ شَرَكٌ مَكِيدَتِهِ، وَبَيْتَ قَصِيدَتِهِ، فَنَكَّسَ طَرْفِي (٤) مَا
 لَقَيْتُ، وَآلَيْتُ (٥) أَنْ لَا أَعَامِلَ مِثْلَهَا مَا بَقَيْتُ، وَلَمْ أَزَلْ أَنَاوَهُ الْخُسْرَ
 صَفَقْتِي، وَافْتِضَّاحِي بَيْنَ رُفَقَتِي، فَقَالَ لِي الْقَاضِي، حِينَ رَأَى امْتِعَاضِي (٦)،
 وَتَبَيَّنَ حَرَّ ارْتِمَاضِي (٧): يَا هَذَا مَا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ، وَلَا أَجْرَمَ
 إِلَيْكَ مَنْ أَيْقَظَكَ (٨)، فَاتَّعَظُ بِمَا نَابَكَ، وَكَاتِمِ أَصْحَابِكَ مَا أَصَابَكَ، وَتَذَكَّرْ
 أَبْدَأُ مَا دَهَمَكَ (٩)، لَتَقِي الذِّكْرَى دِرَاهِمَكَ، وَتَخْلُقُ بِخُلُقٍ مِنْ ابْتِلَى فَصْبَرَ،
 وَتَجَلَّتْ لَهُ الْعَبْرُ فَاعْتَبَرَ، قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَوَدَّعْتُهُ لَابِسًا ثَوْبَ الْخُجَلِ
 وَالْحَزَنِ، سَاحِبًا ذَيْلِي الْغَبَنِ وَالْغَبَنِ، وَنَوَيْتُ مَكْشَفَةً (١٠) أَبِي زَيْدٍ بِالْهَجْرِ،
 وَمُصَارَمَتَهُ (١١) يَدَ الدَّهْرِ، فَجَعَلْتُ أَتَنْكَبُ عَنْ ذَرَاهُ (١٢)، وَأَتَجَنَّبُ أَنْ

(١) فما انتبهت ولا انكففت.

(٢) إمساكه.

(٣) قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٤) آمال عيني إلى أسفل.

(٥) حلفت.

(٦) الامتعاض: القلق والتوجع والتحرق، وقيل: الغضب.

(٧) حرقه توجعي.

(٨) نبهك.

(٩) غشيك.

(١٠) إظهار عداوته.

(١١) مقاطعته.

(١٢) أعدل وأتباعه عن بيته.

أَرَاهُ، إِلَى أَنْ غَشِيَنِي (١) فِي طَرِيقِ ضَيْقٍ، فحَيَّانِي تَحِيَّةً شَيْقٍ، فَمَا زِدْتُ عَلَيَّ
 أَنْ عَبَسْتُ، وَمَا نَبَسْتُ (٢)، فَقَالَ: مَا بِالْكَ شَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، عَلَيَّ
 إِلْفِكَ؟ (٣) فَقُلْتُ: أُنْسَيْتَ أَنَّكَ احْتَلْتِ وَخَتَلْتِ (٤)، وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي
 فَعَلْتَ؟ فَأَضْرَطَّ بِي (٥) مُتَهَازِيًا، ثُمَّ أَنْشَدَ مُتَلَفِيًا:

| | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| يَا مَنْ بَدَأَ مِنْهُ صُدُو | دُمُوحِشٌ وَتَجَاهُهُمْ (٦) |
| وَعَدَا يَرِيشٌ مَلَاوِمًا (٧) | مَنْ دُونَهُنَّ الْأَسْهُمُ |
| وَيَقُولُ هَلْ حُرِّيْبَا | عُ كَمَا يُبَاعُ الْأَذْهُمُ |
| أَقْصِرْ فَمَا أَنَا فِيهِ بَدُ | عَا مَثَلَمَا تَتَوَهَّمُ |
| قَدْ بَاعَتْ الْأَسْبَاطُ قَبُ | لِي يَوْسُفًا وَهُمْ هُمُ |
| هَذَا وَأُقْسِمُ بِالَّتِي | يَسْرِي إِلَيْهَا الْمُتْهُمُ |
| وَالطَّائِفِينَ بِهَا وَهُمْ | شُعْتُ النَّوَاصِي (٨) سُهُمُ |
| مَا قُمْتُ ذَاكَ الْمَوْقِفَ الـ | مُخْزِي (٩) وَعِنْدِي دَرَهُمُ |
| فَاعْذِرْ أَخَاكَ وَكُفَّ عَنُ | هُ مَلَامٌ مَنْ لَا يَنْفَهُمُ |

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مَعْدِرَتِي فَقَدْ لَاحَتْ، وَأَمَّا دَرَاهِمُكَ فَقَدْ طَاحَتْ (١٠)، فَإِنْ
 كَانَ أَقْشِعْرَارُكَ (١١) مِنِّي، وَازْوِرَارُكَ عَنِّي، لِفِرْطِ شَفَقَتِكَ (١٢)، عَلَيَّ غَبْرٍ

(١) لقيني وقابلني.

(٢) رفعت أنفك تكبراً على صاحبك.

(٣) سخر مني.

(٤) جمع ملامة، بمعنى: اللوم.

(٥) الذي يورث الخزي.

(٦) انقباضك.

(٧) تكلمت.

(٨) خدعت.

(٩) عبوس.

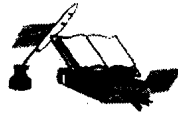
(١٠) غبر الرؤوس.

(١١) وقعت وفنيت.

(١٢) لكثرة خوفك.

نَفَقَتِكَ، فَلَسْتُ مِمَّنْ يَلْسَعُ مَرَّتَيْنِ، وَيُوطِئُ عَلَى جَمْرَتَيْنِ، وَإِنْ كُنْتَ طَوَّيْتَ
 كَشْحَكَ، وَأَطَعْتَ شُحَّكَ، لَتَسْتَنْقِذَ مَا عَلِقَ بِأَشْرَاكِي، فَلَتَبِكَ عَلَى عَقْلِكَ
 البواكي.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَاضْطَرَّنِي بِلَفْظِهِ الْخَالِبِ (١)، وَسِحْرِهِ
 الْغَالِبِ (٢)، إِلَى أَنْ عُدْتُ لَهُ صَفِيًّا، وَبِهِ حَفِيًّا، وَنَبَذْتُ فَعَلَّتُهُ ظَهْرِيًّا، وَإِنْ
 كَانَتْ شَيْئًا فَرِيًّا (٣).



(١) الخادع.

(٢) القوي.

(٣) أمراً عظيماً.

المقامة الخامسة والثلاثون الشيرازية

حكى الحارثُ بنُ همَّامٍ قال: مررتُ في تطوافي (١) بشيرازَ على نادٍ يستوقفُ المُجتازَ (٢)، ولو كانَ على أوفاز، فلم أستطعُ تعدِّيهِ، ولا خطتُ قدمي في تخطيهِ (٣)، فعجتُ إليه لأسبكَ سرَّ جوهرهِ (٤)، وأنظرَ كيفَ ثمرهُ من زهرهِ، فإذا أهلهُ أفرادٌ، والعائجُ (٥) إليهمُ مفادٌ، وبينما نحنُ في فكاهاةٍ أطربَ من الأغاريدِ، وأطيبَ من حلبِ العناقيدِ (٦)، إذ احتفَّ بنا (٧) ذو طمرين (٨)، قد كادَ يَناهُزُ العُمَريينَ، فحيا بلسانِ طليقي، وأبانَ إبانةَ منطيق (٩)، ثمَّ احتبى حُبوةَ المُمتدِّينَ، وقال: اللهمَّ اجعلنا من المُهتدِّينَ، فازدراهُ القومُ لطمريهِ، ونسوا أنَّ المرءَ بأصغريهِ (١٠)، وأخذوا يتداعونَ (١١) فصلَ الخطَّابِ، ويعتدُّونَ عودَهُ من الأحطَّابِ، وهو لا يُفِيصُ (١٢) بكلمةٍ، ولا يُبينُ عن سِمةٍ، إلى أن سبرَ قرائِحَهُمُ (١٣)، وخبرَ شائِلَهُمُ ورَاجِحَهُمُ (١٤)، فحينَ استخرجَ دفائنَهُمُ، واستثَلَّ كنائِلَهُمُ، قال: يا قومُ لو

- | | |
|-----------------------------|----------------------------------------|
| (١) دوراني. | (٢) المار. |
| (٣) مفارقتهِ. | (٤) باطن أمرهِ. |
| (٥) العاطف المائل. | (٦) كناية عن الخمر. |
| (٧) توسطنا. | (٨) ثوبين بالين. |
| (٩) ذي نطق فصيح. | (١٠) قلبه ولسانه. |
| (١١) يدعون بمعنى: يتفاوضون. | (١٢) بالصاد المهملة؛ أي: لا يبين. |
| (١٣) اختبر أفهامهم. | (١٤) عاطلهم وفاضلهم أو ناقصهم وكاملهم. |

عَلِمْتُمْ أَنَّ وِرَاءَ الْفِدَامِ، صَفْوَةَ الْمُدَامِ، لَمَّا احْتَقَرْتُمْ ذَا أَخْلَاقٍ، وَقُلْتُمْ: مَا لَهُ مِنْ خَلَقٍ! ثُمَّ فَجَّرَ مِنْ يَنَابِيعِ الْأَدَبِ وَالنُّكْتِ النَّخْبِ (١)، مَا جَلَبَ بِهِ بَدَائِعَ الْعَجَبِ، وَاسْتَوْجَبَ أَنْ يُكْتَبَ بِذَوْبِ الذَّهَبِ، فَلَمَّا خَلَبَ (٢) كُلَّ خَلَبٍ، وَقَلَبَ إِلَيْهِ كُلَّ قَلْبٍ، تَمْلِحَلْ، لِيَرَحَلْ، وَتَاهَبْ، لِيَذْهَبْ، فَعَلَقَتْ الْجَمَاعَةُ بِذَيْلِهِ (٣)، وَعَاقَتْ مُسْرَبَ سَيْلِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: قَدْ أَرَيْتَنَا وَسَمَّ قَدْحَكَ، فَخَبَرْنَا عَنْ قَيْضِكَ وَمُحْكِكَ، فَصَمَتَ صُمُوتَ مَنْ أُفْحِمَ (٤)، ثُمَّ أَعْوَلَ حَتَّى رُحِمَ.

قَالَ الرَّأْوِيُّ: فَلَمَّا رَأَيْتُ شَوْبَ أَبِي زَيْدٍ وَرَوْبَهُ، وَأُسْلُوبَهُ (٥) الْمَأْلُوفَ وَصُوبَهُ، تَأَمَّلْتُ الشَّيْخَ عَلَى سُهومةٍ مُحَيَّاهُ (٦)، وَسُهُوكَةِ رِيَّاهُ، فَإِذَا هُوَ إِيَّاهُ، فَكَتَمْتُ سِرَّهُ كَمَا يُكْتَمُ الدَّاءُ الدَّخِيلُ، وَسَتَرْتُ مَكْرَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يُخِيلُ (٧)، حَتَّى إِذَا نَزَعَ عَنْ إِعْوَالِهِ، وَقَدْ عَرَفَ عَثُورِي (٨) عَلَى حَالِهِ، رَمَقَنِي بَعَيْنٍ مُضْحَاكٍ، ثُمَّ طَفَقَ يَنْشُدُ بِلِسَانِ مُتَبَاكَ (٩):

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَعْنُو لَهُ (١٠)
 يَا قَوْمُ كَمْ مِنْ عَاتِقِ عَانَسٍ
 قَتَلْتُهَا (١١) لَا أَتَّقِي وَارثاً
 وَكُلَّمَا اسْتَدْنَبْتُ فِي قَتْلِهَا
 مِنْ فَرَطَاتٍ أَثْقَلَتْ ظَهْرِيَه
 مَمْدُوحَةَ الْأَوْصَافِ فِي الْأَنْدِيَه
 يَطْلُبُ مِنِّي قَوْداً أَوْ دِيَه
 أَحَلَّتْ بِالذَّنْبِ عَلَى الْأَقْضِيَه (١٢)

(١) هي النوادر المختارة من الكلام.

(٢) أطراف ثيابه.

(٣) فنه.

(٤) يتلبس ويشتبه.

(٥) هو الذي يظهر أنه يبكي ولم يبك.

(٦) تغير وجهه من وعشاء السفر.

(٧) أراد بالقتل هنا: مزجها بالماء.

(٨) أطلعني.

(٩) جمع القضاء؛ أي: أقول هذا بالقضاء والقدر.

(١٠) أسكت لانقطاع حجته.

(١١) أضع له.

(١٢) جمع القضاء؛ أي: أقول هذا بالقضاء والقدر.

وَلَمْ تَزَلْ نَفْسِي فِي غِيَّهَا
 حَتَّى نَهَانِي الشَّيْبُ لَمَّا بَدَا
 فَلَمْ أُرَقْ مُذْ شَابَ فَوْدِي (٣) دَمًا
 وَهَا أَنَا الْآنَ عَلَى مَا يُرَى
 أَرُبُّ بُكْرًا طَالَ تَعْنِيسُهَا
 وَهِيَ عَلَى التَّعْنِيسِ مَخْطُوبَةٌ
 وَلَيْسَ يَكْفِينِي لِتَجْهِيزِهَا
 وَالْيَدُ لَا تُوكِي (٨) عَلَى دِرْهِمٍ
 فَهَلْ مُعِينٌ لِي عَلَى نَقْلِهَا
 فَيَغْسِلَ الْهَمَّ بِصَابُونِهِ
 وَيَقْتَنِي مِنِّي الثَّنَاءَ الَّذِي
 قَالَ الرَّأْيِي: فَلَمْ يَبْقَ فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا مِنْ نَدَيْتَ لَهُ (١٢) كَفُّهُ، وَأَنْبَاعَ
 إِلَيْهِ عُرْفُهُ (١٣)، فَلَمَّا نَجَحَتْ بُغْيَتُهُ، وَكَمَلَتْ مِثَّتُهُ، أَخَذَ يُثْنِي عَلَيْهِمْ
 بِصَالِحٍ، وَيُشَمِّرُ عَنْ سَاقِ سَارِحٍ، فَتَبِعْتَهُ لِأَسْتَعْرِفَ رَبِيبَةَ خِدْرِهِ، وَمَنْ قَتَلَ

(١) مزجها أنواع الخمر.

(٣) جانب رأسي من أعلى الصدغ.

(٥) هي المرأة الجميلة التي غنيت عن التزين لجمالها.

(٦) الكافية عن غيرها.

(٨) لا تقبض، والوكاء: خيط يشدُّ به فم السقاء.

(٩) الجميلة المغنية.

(١١) نفوح راثحته الذكبة.

(١٣) العُرف: المعروف.

(٢) متمادية.

(٤) ذات صبية؛ أي: كبيرة.

(٧) مائة دينار أو درهم.

(١٠) المطربة.

(١٢) رشحت بالعطاء يده.

فِي حَدِيثَانِ أَمْرِهِ، فَكَأَنَّ وَشُكَّ قِيَامِي (١)، مَثَلٌ لَهُ مَرَامِي (٢)، فَازْدَلَفَ
مَنِّي (٣)، وَقَالَ: أَفْقَهُ (٤) عَنِّي:

قَتْلُ مِثْلِي يَا صَاحِبَ مِزْجِ الْمُدَامِ لَيْسَ قَتْلِي بِلَهْذَمٍ (٥) أَوْ حُسَامِ
وَالَّتِي عُنَسَتْ هِيَ الْبِكْرُ بِنْتُ أَلِ كَرَمٍ لَا الْبِكْرُ مِنْ بَنَاتِ الْكِرَامِ
وَلتَجْهِيْزَهَا إِلَى الْكَاسِ وَالطَّاءِ سِ قِيَامِي الَّذِي تَرَى وَمُقَامِي (٦)
فَتَفْهَمُ مَا قُلْتَهُ وَتَحْكَمُ فِي التَّفَاضِي (٧) إِنْ شِئْتَ أَوْ فِي الْمَلَامِ

ثُمَّ قَالَ: أَنَا عَرِيدٌ، وَأَنْتَ رَعِيدٌ (٨)، وَبَيْنَنَا بَوْنٌ بَعِيدٌ، ثُمَّ وَدَعَنِي
وَانطَلَقَ، وَزَوَّدَنِي نَظْرَةً مِنْ ذِي عَلَقِي.



-
- (١) سرعة قيامي .
(٢) صور له مطلوبي .
(٣) قرب مني .
(٤) افهم واحفظ .
(٥) اللهزم: سنان حاد، والحسام: القاطع .
(٦) إقامتي ومكثي .
(٧) الاحتمال .
(٨) جبان .

المقامة السادسة والثلاثون المطوية

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ قَالَ: أَنْخَتُ بِمَطْوِيَّةٍ مَطِيَّةَ الْبَيْنِ (١)، وَحَقِيبَتِي
مَلَأَى مِنَ الْعَيْنِ، فَجَعَلْتُ هَجِيرَايَ (٢)، مُذْ أَلْقَيْتُ بِهَا عَصَايَ، أَنْ أَنْوَرَدَ (٣)،
مَوَارِدَ الْمَرْحِ، وَأَتَصِيدُ شَوَارِدَ الْمُلْحِ (٤)، فَلَمْ يَفْتِنِي بِهَا مَنْظَرٌ وَلَا مَسْمَعٌ،
وَلَا خَلَا مِنِّي مَلْعَبٌ وَلَا مَرْتَعٌ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ لِي فِيهَا مَأْرَبٌ (٥)، وَلَا فِي
الثَّوَاءِ بِهَا مَرْغَبٌ، عَمَدْتُ لِإِنْفَاقِ الذَّهَبِ فِي ابْتِيَاعِ الْأُهْبِ (٦)، فَلَمَّا أَكْمَلْتُ
الإِعْدَادَ، وَتَهَيَّأْتُ الظَّنَّ (٧) مِنْهَا أَوْ كَادَ، رَأَيْتُ تَسْعَةَ رَهْطٍ قَدْ سَبَّوْا قَهْوَةً،
وَارْتَبَّوْا (٨) رِبْوَةً، وَدَمَأَتْهُمْ (٩) قَيْدُ الْأَحَاطِ، وَفُكَاهَتْهُمْ (١٠) حُلُوءُ
الْأَلْفَازِ، فَنَحَوْتُهُمْ طَلْبًا لِمُنَادِمَتِهِمْ (١١)، لَا لِمُدَامَتِهِمْ، وَشَغَفًا بِمُمَازَجَتِهِمْ (١٢)
لَا بِزُجَاجَتِهِمْ، فَلَمَّا انْتَضَمْتُ عَاشِرَهُمْ، وَأَضْحَيْتُ مُعَاشِرَهُمْ، أَلْفَيْتُهُمْ أَبْنَاءَ
عَلَاتٍ، وَقَدَائِفَ فَلَوَاتٍ، إِلَّا أَنَّ لِحْمَةَ الْأَدَبِ قَدْ أَلْفَتْ شَمْلَهُمْ أَلْفَةً
النَّسَبِ (١٣)، وَسَاوَتْ بَيْنَهُمْ فِي الرُّتْبِ، حَتَّى لَاحُوا (١٤) مِثْلَ كَوَاكِبِ

(١) راحلة الفراق.

(٢) دأبي وعادتي.

(٣) أرد وأدخل.

(٤) نواذر النكت اللطيفة.

(٥) المأرب، والأرب: الحاجة.

(٦) في اشتراء ما استعد للارتحال عنها.

(٧) الارتحال.

(٨) ارتبأ البقاع: علاه وظهر فوقه.

(٩) سهولة خلقهم ولينهم.

(١٠) فاكهتهم التي يتفكّهون بها.

(١١) لمحدثهم.

(١٢) بمخالطتهم ومصاحبتهم.

(١٣) كألّفه القرابة.

(١٤) حتى صاروا.

الْجَوْزَاءِ، وَبَدَوْا كَالْجُمْلَةِ الْمُتَنَاسِبَةِ الْأَجْزَاءِ، فَأَبْهَجَنِي الْاِهْتِدَاءُ إِلَيْهِمْ،
 وَأَحْمَدْتُ الطَّلَعَ الَّذِي أَطْلَعَنِي عَلَيْهِمْ، وَطَفِقْتُ (١) أُفِيضُ بِقَدْحِي مَعَ
 قَدَاحِهِمْ، وَأَسْتَشْفِي (٢) بَرِيَاحِهِمْ (٣) لَا بِرَاحِهِمْ، حَتَّى أَدْتَنَا شُجُونُ
 الْمُفَاوِضَةِ، إِلَى التَّحَاجِي (٤) بِالْمُقَايِضَةِ، كَقَوْلِكَ إِذَا عَنَيْتَ بِهِ الْكِرَامَاتِ:
 مَا مِثْلُ النَّوْمِ فَاتَ، فَأَنْشَأْنَا (٥) نَجْلُو السُّهَى وَالْقَمَرَ، وَنَجْنِي الشُّوْكَ وَالثَّمَرَ،
 وَبَيْنَا نَحْنُ نَنْشُرُ الْقَشِيبَ (٦) وَالرِّثَّ، وَنَنْشُلُ السَّمِينَ وَالغَثَّ، وَغَلَّ (٧) عَلَيْنَا
 شَيْخٌ قَدْ ذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ (٨)، وَبَقِيَ خَبْرُهُ وَسَبْرُهُ، فَمَثَلَ (٩) مَثُولَ مَنْ
 يَسْمَعُ وَيَنْظُرُ، وَيَلْتَقِطُ مَا نَنْثُرُ، إِلَى أَنْ نَفِضْتَ الْأَكْيَاسُ، وَحَصَّحَصَ الْيَاسُ،
 فَلَمَّا رَأَى إِنْجِبَالَ الْقَرَائِحِ، وَإِكْدَاءَ الْمَآتِحِ وَالْمَائِحِ، جَمَعَ أَذْيَالَهُ، وَوَلَّانَا
 قَدَالَهُ (١٠)، وَقَالَ: مَا كُلُّ سُودَاءِ تَمْرَةٍ (١١)، وَلَا كُلُّ صُهْبَاءِ خَمْرَةٍ، فَاعْتَلَقْنَا
 بِهِ اعْتِلَاقَ الْحَرْبَاءِ بِالْأَعْوَادِ، وَضَرْبَنَا دُونَ وَجْهَتِهِ بِالْأَسْدَادِ، وَقَلْنَا لَهُ: إِنْ دَوَّاءَ
 الشَّقِّ أَنْ يُحَاصَّ، وَإِلَّا فَالْقِصَاصَ الْقِصَاصَ، فَلَا تَطْمَعُ فِي أَنْ تُجْرَحَ
 وَتَطْرَحَ، وَتُنْهَرَ الْفَتْقَ وَتَسْرَحَ! فَلَوَى عَنَانَهُ رَاجِعًا، ثُمَّ جَثَمَ (١٢) بِمَكَانِهِ
 رَاصِعًا (١٣)، وَقَالَ: أَمَّا إِذَا اسْتَثَرْتُمُونِي (١٤) بِالْبَحْثِ، فَلَا حُكْمَ حُكْمَ

- (١) شرعت .
 (٢) يريد بادابهم .
 (٣) مطارحة المسائل العويصة .
 (٤) فشرعنا .
 (٥) أي: أدخل .
 (٦) انتصب قائمًا .
 (٧) مثل يُضْرَبُ فِي خَطَا الظَّنِّ .
 (٨) الرصوع: اللزوم والالصوق .
 (٩) أشفي نفسي وأروحها .
 (١٠) القذال: مجتمع مؤخر الرأس .
 (١١) طلبتم إثارة كلامي واستنطقتموني .
 (١٢) هيبته وحسنه .
 (١٣) جلس .
 (١٤) أي: أهدأ .

سُلَيْمَانَ فِي الْحَرْثِ، اعْلَمُوا يَا ذَوِي الشَّمَائِلِ (١) الأَدْبِيَّةَ، وَالشَّمُولِ
الذَّهَبِيَّةَ (٢)، أَنَّ وَضْعَ الْأُحْجِيَّةِ (٣) لَامْتِحَانِ الْأَلْمَعِيَّةِ (٤)، وَاسْتِخْرَاجِ الْخَبِيَّةِ
الْخَفِيَّةِ، وَشَرْطُهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتَ مُمَائِلَةٍ حَقِيقِيَّةٍ، وَأَلْفَازٍ مَعْنَوِيَّةٍ، وَلَطِيفَةٍ
أَدْبِيَّةٍ، فَمَتَى نَافَتْ هَذَا النَّمَطَ، ضَاهَتْ السَّقَطُ (٥)، وَكَمْ تَدْخُلُ السَّقَطَ،
وَكَمْ أَرْكُمُ حَافِظَتُمْ عَلَى هَذِهِ الْحُدُودِ، وَلَا مَزْتَمَ بَيْنَ الْمَقْبُولِ وَالْمُرْدُودِ، فَقُلْنَا
لَهُ: صَدَقْتَ، وَبِالْحَقِّ نَطَقْتَ، فَكُلُّ لَنَا مِنْ لُبَابِكَ (٦)، وَأَفْضُ عَلَيْنَا مِنْ
عُبَابِكَ، فَقَالَ: أَفْعَلُ لئَلَّا يَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٧)، وَيَظُنُّوا بِي الظُّنُونَ، ثُمَّ
قَابَلَ نَاطُورَةَ الْقَوْمِ، وَقَالَ:

فِي الْفَضْلِ وَارِي الزِّنَادِ (٨)
جُوعٌ (٩) أُمِدَّ بِزَادِ

يَا مَنْ سَمَّابِذَكَاءِ
مَاذَا يُمَائِلُ قَوْلِي
ثُمَّ ضَحِكَ إِلَى الثَّانِي وَأَنْشَدَ:

وَلَمْ يُدْنِسْهُ شَيْنٌ
ظَهَرَ أَصَابَتَهُ عَيْنٌ

يَا ذَا الَّذِي فَاقَ فَضْلاً
مَا مِثْلُ قَوْلِ الْمُحَاجِي
ثُمَّ لَحَظَ الثَّلَاثَ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

مِثْلُ النُّقُودِ الْجَائِزَةِ (١٠)
حَاجِيَتْ صَادَفَ جَائِزَهُ

يَا مَنْ نَتَّاجُ فُكْرِهِ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي

(٢) الشبيهة في اللون بالذهب.

(٤) الذكاء والفتنة.

(٦) اللباب الخاص من كل شيء.

(٨) كناية عن حدة الفهم.

(١٠) النافذة.

(١) الأخلاق.

(٣) المسألة العويصة.

(٥) مائلت الرديء.

(٧) من ليسوا على حق.

(٩) هو معلوم.

ثُمَّ أَتَعَ (١) إِلَى الرَّابِعِ، وَقَالَ:

أَيَا مُسْتَنْبِطَ (٢) الْغَامِضِ
أَلَا اكْشِفْ لِي مَا مِثْلُ

ثُمَّ رَمَى الْخَامِسَ بِبَصْرِهِ، وَقَالَ:

يَا أَيُّهَا الَّذِي الْأَعْمَى
مَا مِثْلُ أَهْمَلِ حَلِيَّةٌ

ثُمَّ التَفَتَ لِفَتِ السَّادِسِ وَقَالَ:

يَا مَنْ تَقَصَّرُ عَنْ مَدَا
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي

ثُمَّ خَلَجَ السَّابِعَ بِحَاجِبِهِ وَقَالَ:

يَا مَنْ لَهُ فِطْنَةٌ تَجَلَّتْ (٧)
بَيْنَ فَمَا زَلْتِذَا بَيَانَ

ثُمَّ اسْتَنْصَتَ الثَّامِنَ (٩)، وَأَنْشَدَ:

يَا مَنْ حَدَائِقُ فَضْلِهِ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَا

ثُمَّ حَدَجَ التَّاسِعَ بِبَصْرِهِ، وَقَالَ:

مِنْ لُغْزٍ وَإِضْمَارٍ (٣)
تَنَاوَلُ أَلْفَ دِينَارٍ

ي (٤) أَخُو الذِّكَاءِ الْمُنْجَلِيِّ (٥)
بَيْنَ هُدَيْتَ وَعَجَلٍ

ه (٦) خُطِيَ مُجَارِيهِ وَتَضَعُفُ
أَضْحَى يُحَاجِيكَ أَكْفُفِ أَكْفُفُ

وَرْتَبَةٌ فِي الذِّكَاءِ جَلَّتْ (٨)
مَا مِثْلُ قَوْلِي الشَّقِيقُ أَفَلْتُ

مَطْلُولَةُ الْأَزْهَارِ غَضَّه (١٠)
جِي ذِي الْحِجَى (١١) مَا اخْتَارَ فِضَّةً

(١) مد عنقه .

(٣) إخفاء .

(٥) المنكشف المرئي .

(٧) تكشفت ووضحت .

(٩) طلبت إنصاته؛ أي: سكوته .

(٢) مستخرج .

(٤) الفطن الحاد الفهم .

(٦) غايته .

(٨) سبقت .

(١٠) طرية رطبة .

(١١) صاحب العقل .

يَا مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ فِي الْـ أَوْضِحْ لَنَا مَا مِثْلُ قَوْلِ
قَلْبِ الذِّكِيِّ وَفِي الْبَرَاعَةِ لَكَ لِلْمُحَاجِي دَسُّ جَمَاعَةٍ

قَالَ الرَّأوي: فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ، هَزَّ مَنْكَبِي^(١)، وَقَالَ:

يَا مَنْ لَهُ النُّكْتُ الَّتِي أَنْتَ الْمُبِينُ فَقُلْ لَنَا
يُشْجِي الْخُصُومَ^(٢) بِهَا وَيَنْكُتُ
مَا مِثْلُ قَوْلِي خَالِي اسْكُتْ

ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَنَهَلْتُمْ وَأَمَهَلْتُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَعْلِكُمْ عَلَّيْتُمْ، قَالَ:
فَأَلْجَأْنَا لِهَبِّ الْعُلَلِ^(٣)، إِلَى اسْتِسْقَاءِ الْعَلَلِ، فَقَالَ: لَسْتُ كَمَنْ يَسْتَأْثِرُ عَلَيَّ
نَدِيمِهِ، وَلَا مِمَّنْ سَمِنَهُ فِي أَدِيمِهِ، ثُمَّ كَرَّرَ عَلَيَّ الْأَوَّلَ، وَقَالَ:

يَا مَنْ إِذَا أَشْكَلَ^(٤) الْمَعْمَى
جَلَّتْهُ أَفْكَارُهُ الدَّقِيقَةُ
إِنْ قَالَ يَوْمًا لَكَ الْمُحَاجِي
خَذْ تِلْكَ مَا مِثْلُهُ حَقِيقَةُ

ثُمَّ ثَنَى^(٥) جِيدَهُ إِلَى الثَّانِي، وَقَالَ:

يَا مَنْ بَدَأَ بَيَانُهُ^(٦)
عَنْ فَضْلِهِ مُبَيِّنًا
مَاذَا مِثَالُ قَوْلِهِمْ
حِمَارٌ وَحُشٌّ زِينًا

ثُمَّ أَوْحَى^(٧) إِلَيَّ الثَّلَاثَ بِلِحْظِهِ^(٨)، وَقَالَ:

يَا مَنْ غَدَا فِي فَضْلِهِ
وَذَكَائِهِ كَالْأَصْمَعِيِّ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلذِّي
حَاجَاكَ أَنْفِقْ تَقْمَعَ^(٩)

ثُمَّ حَمَلْتُ^(١٠) إِلَى الرَّابِعِ، وَأَنْشَدَ:

(١) المنكب: الكتف.

(٢) شدة حرارة العطش، كناية عن الاشتياق.

(٣) أمال عنقه وعطفه.

(٤) أوماً.

(٥) بجانب عينه.

(٦) القمع: القهر والإذلال.

(٧) أخذ النظر.

(٨) أي: يخصصهم.

(٩) زاد في الصعوبة والخفاء.

(١٠) ظهر علمه بالبلاغة.

دجا أنارَ ظلامه
إستنش^(٢) ریح مُدامه

عن أن يُروِّي أو يشكَّا
أضحى يحاجي غطُّ هلكي^(٤)

بانَ فيها كماله
أي شيءٍ مثاله

أقام في الناس سوقه
ما مثلُ أحبِّ فروقه

في الجند فاقَت كلَّ ذروره^(٧)
ريقاً يلوحُ بغيرِ عروه

ية^(٨) والبيان بغير شكِّ
جي ذي الذكاء^(٩) الثور ملكي

يا مَنْ إِذَا مَا عَوِيص^(١)
مَاذَا يُمَائِلُ قَوْلِي

ثُمَّ أَوْمَضَ إِلَى الْخَامِسِ وَقَالَ:
يَا مَنْ تَنْزَهَ^(٣) فَهَمُّهُ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي

ثُمَّ أَقْبَلَ قَبْلَ السَّادِسِ، وَأَنْشَدَ:
يَا أَخَا الْفِطْنَةِ^(٥) الَّتِي
سَارَ بِاللَّيْلِ مُدَّةً

ثُمَّ نَحَا بَصْرَهُ إِلَى السَّابِعِ، وَقَالَ:
يَا مَنْ تَحَلَّى بِفَهْمٍ
لَكَ الْبَيَانُ فَبَيَّنْ

ثُمَّ قَصَدَ قَصْدَ الثَّامِنِ، وَأَنْشَدَ:
يَا مَنْ تَبَوَّأَ^(٦) ذِرْوَةَ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ أَعْطِ ابْنَ

ثُمَّ ابْتَسَمَ إِلَى التَّاسِعِ، وَقَالَ:
يَا مَنْ حَوَى حُسْنَ الدَّرِّ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَا

(١) صعب مشكل.

(٣) تباعد.

(٥) صاحب الذكاء.

(٧) الذروة أعلى الجبل.

(٢) استنشق وتشمم.

(٤) جمع هالك، بمعنى: باثر.

(٦) أي: حلّ وتمكّن.

(٨) العلم والمعرفة.

(٩) صاحب الفطنة.

ثُمَّ قَبِضَ بِجُمُعِهِ عَلَى رُدْنِي، وَقَالَ:

يَا مَنْ سَمَا بِثُقُوبِ فَطْنَتِهِ فِي الْمَشْكَلَاتِ وَنُورِ كُوكِبِهِ
مَاذَا مِثَالُ صَفِيرٍ جَحْفَلَةٍ (١) بَيْنَهُ تَبْيَانًا يَنْمُ بِهِ (٢)

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا أَطْرَبْنَا بِمَا سَمِعْنَاهُ، وَطَالَبْنَا مُكَاشَفَةَ
مَعْنَاهُ، قُلْنَا لَهُ: لَسْنَا مِنْ خَيْلِ هَذَا الْمِيدَانِ، وَلَا لَنَا بِحَلِّ هَذِهِ الْعُقْدِ
يَدَانِ، فَإِنْ أَبَيْتَ، مَنَنْتَ (٣)، وَإِنْ كَتَمْتَ، غَمَمْتَ، فَظَلَّ يُشَاوِرُ نَفْسِيهِ (٤)،
وَيُقَلِّبُ قَدْحِيهِ، حَتَّى هَانَ بَذْلُ الْمَاعُونِ عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ حِينَئِذٍ عَلَى الْجَمَاعَةِ،
وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَالْبِرَاعَةِ، سَأَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، وَلَا ظَنَنْتُمْ
أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ، فَأَوْكُوا (٥) عَلَيْهِ الْأَوْعِيَةَ، وَرَوَّضُوا بِهِ الْأَنْدِيَةَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي
تَفْسِيرِ صَقَلٍ (٦) بِه الْأَذْهَانَ، وَاسْتَفْرَغَ (٧) مَعَهُ الْأَرْدَانَ، حَتَّى أَصَبَتْ (٨)
الْأَفْهَامُ أَنْوَرَ مِنَ الشَّمْسِ، وَالْأَكْمَامُ كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ، وَكَمَا هُمْ
بِالْمَفْرِّ، سُئِلَ عَنِ الْمَفْرِّ، فَتَنَفَّسَ كَمَا تَتَنَفَّسُ الثُّكُولُ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

كُلُّ شُعْبٍ لِي شُعْبٌ (٩) وَبِهِ رَبِّي رَحْبٌ
غَيْرَ أَنِّي بِسَرُوجٍ مُسْتَهَامُ الْقَلْبِ صَبٌ (١٠)
هِيَ أَرْضِي الْبِكْرُ وَالْجَجْ وَ الَّذِي فِيهِ الْمَهَبُ
وَإِلَى رَوْضَتِهَا الْغَفْ نَاءٌ دُونَ الرِّوْضِ أَصَبُو (١١)
مَا حَلَا لِي بَعْدَهَا حُلْ وَوَلَا أَعْدُوذَبَ عَذْبُ

(١) لذي الحافر كالشفة للإنسان.

(٢) صارت لك المنة علينا.

(٣) فشدوا وربطوا.

(٤) جلا ونظف.

(٥) فرغ وأخلى.

(٦) صارت.

(٧) كل طريق لي طريق.

(٨) عاشق.

(٩) أميل.

قَالَ الرَّأوي: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هَذَا أَبُو زَيْدِ السَّرْوجِيِّ، الَّذِي أُدْنِي مُلْحَهُ
 الْأَحَاجِي، وَأَخَذْتُ أَصْفُ لَهُمْ حُسْنَ تَوْشِيَّتِهِ (١)، وَانْقِيَادَ الْكَلَامِ لِمَشِيَّتِهِ، ثُمَّ
 التَّفْتُ فَإِذَا بِهِ قَدْ طَمَرَ (٢)، وَنَاءَ (٣) بِمَا قَمَرَ (٤)، فَعَجِبْنَا مِمَّا صَنَعَ إِذْ
 وَقَعَ، وَلَمْ نَدْرِ أَيْنَ سَكَعَ (٥) وَصَقَعَ (٦).



-
- (١) تزيينه للكلام.
 (٢) وثب.
 (٣) نهض وقام به بثقل.
 (٤) بما حازه من القمار.
 (٥) ذهب من غير هداية.
 (٦) أخذ صقعا من الأرض وهو الناحية.

تفسير الأحاجي المودعة هذه المقامة

أما جوع أمدَّ بزداد، فمثله طوامير، وأما ظهر إصابته عين، فمثله مطاعين، وأما صادف جائزة، فمثله الفاصلة، وأما تناول ألف دينار، فمثله هادية، وأما أهمل حلية، فمثله الغاشية، وأما اكفف اكفف، فمثله مهمه، وأما الشقيق افلت، فمثله أخطار، وأما ما اختار فضة، فمثله أبارقة، لأن الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي ﷺ، فقال: «في الرقة ربع العشر»، وأما دس جماعة، فمثله طافية، وأما خالي اسكت، فمثله خالصة، لأنك إذا ناديت مضافاً إلى نفسك جاز لك حذف الياء وإثباتها ساكنة ومتحركة، وقد حذف ههنا حرف النداء كما حذفه في أصل الأحجية، وصه بمعنى اسكت، وأما خذ تلك، فمثله هاتيك، وأما حمار وحش زينا، فمثله فرازين؛ لأنَّ الفراء حمار الوحش، ومنه الحديث: كلَّ الصيِّد في جوف الفراء، وأما قوله انفق تقمع، فمثله منتقم، لأن الأمر من مان يمون من، ومضارع وقمت تقم، وأما استنش ريح مدامة، فمثله رحراح؛ لأن الأمر من استدعاء الرائحة رح، وأما غطَّ هلكى، فمثله صنبور، لأن البور هم الهلكى، وفي القرآن: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾، وأما سار بالليل مدة، فمثله سراحين، وأما احبب فروقة، فمثله مقلاع، لأن الأمر من ومق يمق مق، واللاع الجبان، يُقالُ فلان هاع لاع إذا كان جباناً جزوعاً، وأما اعط إبريقاً يلوح بغير عروة، فمثله اسكوب، لأن الأوس الإعطاء والأمر اس، والكوب الإبريق بغير عروة، وأما الثور ملكي، فمثله اللآلي، لأن اللآلى على وزن القنأ هو ثور الوحش، وأما صفير جحفلة، فمثله مكاشفة،

لأن المَاءَ الصْفِيرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾؛
 وَالْأَصْلُ فِي الْمُكَاءِ الْمُدُّ وَلَكِنَّهُ قَصْرُهُ فِي هَذِهِ الْأَحْجِيَةِ كَمَا حُذِفَ هَمْزَةُ الْفِرَاءِ
 فِي أَحْجِيَّتِهِ، وَكَلَا الْأَمْرَيْنِ مِنْ قَصْرِ الْمُدُودِ وَحُذْفِ هَمْزَةِ الْمُهْمُوزِ جَائِزٌ.



المقامة السابعة والثلاثون الصعدية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: أصعدتُ إلى صعدة، وأنا ذو شطَاطٍ يحكي الصعدةَ (١)، واشتداد (٢) يدرُ بنات صعدة، فلَمَّا رأيتُ نضرتَها، ورعيتُ خضرتَها، سألتُ نحاريرَ (٣) الرواة، عمّن تحويه من السراة، ومعادن الخيرات، لاتّخذهُ جدوةً في الظلمات، ونجدةً (٤) في الظلمات (٥) فُعتَ لي قاضٍ بها رحيبُ الباع، خصيبُ الرباع (٦)، تمييُ النسبِ والطباع، فلم أزلُ أتقربُ إليه بالإلمام (٧)، وأتفقُ عليه بالإجمام (٨)، حتّى صرتُ صدَى صوتِهِ، وسلّمانَ بيتهِ وكنتُ معَ اشتيارِ شهدهِ، وانتشاقِ رندهِ (٩) أشهدُ مشاجرَ الخُصومِ، وأسفرُ بينَ المعصومِ (١٠) منهمُ والموصومِ (١١) فبينما القاضي جالسٌ للإسجالِ، في يومِ المحفلِ والاحتفالِ، إذ دخلَ شيخٌ بالي الرياشِ، بادي الارتعاشِ، فتبصرَ الحفلَ تبصراً (١٢) نقاداً، ثمَّ زعمَ أنَّهُ لهُ خصماً غيرَ منقادٍ، فلم يكنُ إلا كضوءِ شرارةِ (١٣)، أو وحيِّ إشارة، حتّى

(١) قوام معتدل.

(٢) عدو.

(٣) جمع نحير - بالكسر - وهو الحاذق المتمكّن.

(٤) هي الشجاعة والقوة.

(٥) جمع ظلامة، وهو ما يشتكيه المظلوم.

(٦) يعني: أنه متيسر الحال.

(٧) بالاجتماع عليه وتردد الزيارة.

(٨) يعني: بتقليل زيارته.

(٩) الرند: شجر طيب الرائحة كالعود.

(١٠) الذي لا عيب عنده.

(١١) المعيب.

(١٢) هو من يميّز بين الجيد والزيّف.

(١٣) كأسرع مدة سيرة.

أَحْضِرَ غُلَامٌ، كَأَنَّهُ ضَرَعَاؤُهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِيَّ، وَعَصَمَهُ مِنْ التَّغَاضِي، إِنَّ ابْنِي هَذَا كَالْقَلَمِ الرَّدِيِّ، وَالسِّيفِ الصَّدِيِّ، يَجْهَلُ أَوْصَافَ الْإِنْصَافِ، وَيَرْضَعُ أَخْلَافَ الْخِلَافِ، إِنَّ أَقْدَمْتَ أَحْجَمَ (١)، وَإِذَا أُعْرِبْتُ أُعْجَمَ (٢)، وَإِنْ أُذْكَبْتُ (٣) أُخْمَدَ (٤)، وَمَتَى شَوَيْتُ رَمْدًا، مَعَ أَنِّي كَفَلْتُهُ مُذْ دَبَّ (٥)، إِلَى أَنْ شَبَّ، وَكُنْتُ لَهُ الْأَطْفَافَ مِنْ رَبِّي وَرَبِّ، فَأَكْبَرَ الْقَاضِي مَا شَكَا إِلَيْهِ، وَأَطْرَفَ بِهِ مِنْ حَوَالِيهِ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ الْعُقُوقَ أَحَدُ الثُّكُلَيْنِ، وَلِرَبِّ عُقْمٍ أَقْرُّ لِلْعَيْنِ (٦)، فَقَالَ الْغُلَامُ، وَقَدْ أَمْعَضَهُ (٧) هَذَا الْكَلَامُ: وَالَّذِي نَصَبَ الْقُضَاةَ لِلْعَدْلِ، وَمَلَكَهُمْ أَعْنَةَ الْفَضْلِ وَالْفَضْلِ، إِنَّهُ مَا دَعَا قَطُّ إِلَّا آمَنْتُ، وَلَا أَدْعَى إِلَّا آمَنْتُ، وَلَا لَبِي إِلَّا أَحْرَمْتُ، وَلَا أَوْرَى إِلَّا أَضْرَمْتُ (٨)، بِيَدِ أَنَّهُ كَمَنْ يَبْغِي بِيضَ الْأَنْثُوقِ، وَيَطْلُبُ الطَّيْرَانَ مِنَ النَّوْقِ! فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: وَبِمَ أَعْنَتِكَ، وَامْتَحَنَ طَاعَتِكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ مُذْ صَفَرَ مِنَ الْمَالِ، وَمُنِيَ بِالْإِمْحَالِ (٩)، يَسُومُنِي أَنْ أَتَلَمَّظَ بِالسُّؤَالِ، وَأَسْتَمَطَّرَ سَحْبَ النَّوَالِ (١٠)، لِيَفِيضَ شَرِبُهُ الَّذِي غَاضَ، وَيُنْجِبَ مِنْ حَالِهِ مَا انْهَاضَ (١١)، وَقَدْ كَانَ حِينَ أَخَذَنِي بِالدَّرْسِ، وَعَلَّمَنِي أَدَبَ النَّفْسِ، أَشْرَبَ قَلْبِي أَنَّ الْحَرِصَ مَتَعَبَةً، وَالطَّمْعَ مَعْتَبَةً، وَالشَّرَّ (١٢) مَتَّخِمَةً (١٣)، وَالْمَسْأَلَةَ مَلَأْمَةً، ثُمَّ أَنشَدَنِي مِنْ فُلُقٍ فِيهِ، وَنَحْتِ قَوَافِيهِ:

- (١) تأخر .
 (٢) أبهم واستعجم استبهم .
 (٣) أشعلت .
 (٤) أطفأ .
 (٥) من وقت أن مشى على يديه ورجليه .
 (٦) أروح للإنسان من الولد العاق .
 (٧) شق عليه وأغضبه .
 (٨) أشعلت وقويت .
 (٩) يكلفني .
 (١٠) هو العطاء .
 (١١) ما انكسر .
 (١٢) شدة الحرص وغلبته .
 (١٣) مفسدة .

شُكِرَ مِنَ الْقُلِّ كَثِيرٌ لَدَيْهِ
يَحُطُّ قَدْرَ الْمُتْرَاقِي إِلَيْهِ
كَمَا يُحَامِي اللَّيْثُ عَنْ لِبْدَتِيهِ
صَبْرٌ أُولِي الْعِزْمِ وَأَغْمَضُ عَلَيْهِ (٢)
خَوْلَكَ (٣) الْمَسْئُولُ مَا فِي يَدَيْهِ
أَخْفَى قَدَي جَفْنِيهِ عَنْ نَاطِرِيهِ
لَمْ يَرَ أَنَّ يُخْلَقَ دِيْبَاجَتِيهِ

إِرْضَ بِأَدْنَى الْعَيْشِ وَاشْكُرْ عَلَيْهِ
وَجَانِبَ الْحَرِصِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ
وَحَامٍ عَنْ عَرْضِكَ وَاسْتَبَقَهُ
وَاصْبِرْ عَلَى مَا نَابَ مِنْ فَاقَةٍ (١)
وَلَا تُرْقِ مَاءَ الْمُحَيَّا وَلَوْ
فَالْحُرُّ مَنْ إِنْ قَذِيَتْ عَيْنُهُ
وَمَنْ إِذَا أُخْلِقَ دِيْبَاجُهُ

قَالَ: فَعَبَسَ الشَّيْخُ وَكَفَهَرَ (٤)، وَانْدَرَأَ عَلَى ابْنِهِ وَهَرَّ، وَقَالَ لَهُ: صَهْ يَا
عَقْقُ (٥)، يَا مَنْ هُوَ الشَّجِيُّ وَالشَّرْقِيُّ! وَيَكُ أَتَعَلَّمُ أُمَّكَ الْبِضَاعَ، وَظَنَّرَكَ (٦)
الْإِرْضَاعَ؟ لَقَدْ تَحَكَّكَتِ الْعَقْرَبُ بِالْأَفْعَى، وَاسْتَنَّتِ الْفِصَالُ حَتَّى الْقِرْعَى! ثُمَّ
كَأَنَّهُ نَدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْ فِيهِ، وَحَدَّثَهُ الْمَقَّةُ عَلَى تَلَافِيهِ، فَرَنَا إِلَيْهِ بَعِينَ
عَاطِفٍ، وَخَفَضَ لَهُ جَنَاحَ مُلَاطِفٍ، وَقَالَ لَهُ: وَيَكُ يَا بُنِيَّ إِنْ مَنَّ أَمْرٌ
بِالْقِنَاعَةِ، وَزُجِرَ عَنِ الضَّرَاعَةِ (٧)، هُمْ أَرْبَابُ الْبِضَاعَةِ (٨)، وَأَوْلُو الْمَكْسَبَةِ
بِالصَّنَاعَةِ، فَأَمَّا ذَوُو الضَّرُورَاتِ، فَقَدْ اسْتُنِّيَ بِهِمْ فِي الْمَحْظُورَاتِ (٩)،
وَهَبَكَ جَهَلْتُ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَكَمْ يَبْلُغُكَ مَا قِيلَ، أَلَسْتَ الَّذِي عَارَضَ أَبَاهُ،
فِي مَا قَالَ وَمَا حَابَاهُ:

لَا تَقْعُدَنَّ عَلَى ضُرٍّ وَمُسْغَبَةٍ (١٠) لَكِي يُقَالُ عَزِيزُ النَّفْسِ مُصْطَبِرٌ

(١) أصاب من فقر.

(٣) ملكك.

(٥) يا عاقق.

(٧) الخضوع والتذلل.

(٩) المحظورات؛ أي: رخص لهم فيها.

(٢) استره ولا تظهره.

(٤) اشتد عبوسه.

(٦) الظئر: المرصعة.

(٨) هم التجار أصحاب الأموال.

(١٠) جوع.

وانظر بعينك هل أرضٌ معطلةٌ (١)
 فعدَّ عما تُشيرُ الأغبياءُ (٢) به
 وارحلْ ركابك عن ربعٍ ظمئت به
 واستنزل الرِّيَّ من درِّ السحابِ فإنْ
 وإن رُدَّتْ فما في الردِّ منقصةٌ
 من النَّباتِ كأرضِ حفها الشَّجرُ
 فأبي فضلٌ لعودٍ ما له ثمرُ
 إلى الجنابِ الَّذي يهمني به (٣) المطرُ
 بُلَّتْ يَدَاكَ به فليهنك الظَّفَرُ
 عليك قد رُدَّ موسى قبلُ والحَضِرُ

قال: فلَمَّا أن رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعله، وتحليته (٤) بما ليس
 من أهله، نظرَ إليه بعين غضبي، وقال: أتميمياً مرةً وقسيماً أخرى؟ أف لمن
 ينقض ما يقول، ويتلون كما تتلون الغول! فقال الغلام: والَّذي جعلك
 مفتاحاً للحق، وفتاحاً بين الخلق (٥)، لقد أنسيت مذ أسيت (٦)، وصدئي
 ذهني مذ صديت، على أنه أين الباب الفتح، والعطاء السرح (٧)؟ وهل بقي
 من يتبرع باللهي، وإذا استطعم يقولها؟ فقال له القاضي: مه! فمع
 الخواطي سهم صائب، وما كلُّ برقٍ خالب (٨)، فميز البروق إذا شمت،
 ولا تشهد إلا بما علمت.

فلَمَّا تبين للشَّيخ أن القاضي قد غضب للكرايم، وأعظم تبخيل جميع
 الأنام، علم أنه سينصرُ كلمته، ويظهرُ أكرومه، فما كذب (٩) أن نصب
 شبكته، وشوى في الحريق سمكته، وأنشأ يقول:
 يا أيها القاضي الَّذي علمه وحلمه أرسخ من رضوى

(١) خالية.

(٢) يسيل به.

(٣) حاكماً. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ الآية [الأعراف: ٨٩]؛ أي: احكم.

(٤) مذ حزنت من الأسى، وهو: الحزن. (٧) السهل الكثير السريع.

(٨) لا غيث فيه. (٩) فما لبث.

قد ادعى هذا على جهله
وما درى أنك من معشر
فجذب يثنيه (٣) مستخزياً (٤)
وأنثني جذلان (٥) أنثني بما
أن ليس في الدنيا أخو جدوى (١)
عطاؤهم كالمن والسلوى (٢)
مما افتري من كذب الدعوى
أوليت من جدوى (٦) ومن عدوى (٧)

قال: فهش القاضي لقوله، وأجزل له من طوله، ثم لفت وجهه إلى
الغلام، وقد نصل له أسهم الملام، وقال له: أرأيت بطل زعمك، وخطأ
وهمك؟ فلا تعجل بعدها بدم، ولا تحت عوداً (٨) قبل عجم، وإياك
وتأبيك، عن مطاوعة أبيك! فإنك إن عدت تعقه (٩)، حاق بك مني ما
تستحقه، فسقط الفتى في يده، ولاذ بحقو والده، ثم نهض يحفد (١٠)،
وتبعه الشيخ ينشد:

من ضامه (١١) أو ضاره دهره
سماحه (١٢) أزرى بمن قبله
فليقصد القاضي في صعدته
وعدله أتعب من بعدته

قال الراوي: فحرت (١٣) بين تعريف الشيخ وتنكيره، إلى أن
أحرورف (١٤) لمسيره، فجاجت النفس باتباعه، وكو إلى رباعه (١٥)، لعلني
أظهر على أسراره، وأعرف شجرة ناره (١٦)، فنبذت العلق، وانطلقت

- (١) صاحب جدوى، وهي: العطية والكرم.
(٢) بما يرده.
(٣) وأرجع فرحاً مسروراً.
(٤) هنا بمعنى الإعانة بإزالة إحدى المظالم.
(٥) تعصيه وتغضبه.
(٦) من الضيم، وهو: الظلم.
(٧) تحيرت.
(٨) طائر يشبه السمان.
(٩) من الخزية، وهي: الحياء.
(١٠) هي العطية.
(١١) لا تنجره.
(١٢) قام يسعى.
(١٣) جوده.
(١٤) انحرف؛ أي: مال وعدل.
(١٥) يريد حقيقة حاله.
(١٦) دياره ومنازله.

حيث انطلق، ولم يزل يخطو وأعتقب، ويبعد وأقترب، إلى أن تراءى
الشخصان، وحق التعارف على الخُلصان، فأبدى حينئذ الاهتِشاش^(١)،
ورفع الارتعاش، وقال: من كاذب أخاه فلا عاش! فعرفتُ عند ذلك أنه
السروجي بلا محالة^(٢)، ولأحوالِ حالة، فأسرعتُ إليه لأصافحه،
وأستعرفَ سانحه وبارحه^(٣)، فقال: دونك ابن أخيك البر^(٤)، وتركني
ومر^(٥)، فلم يعد الفتى أن افتر، ثم فر كما فر، فعدتُ وقد استبنتُ
عينهما، ولكن أين هما.



(١) الطرب والفرح.

(٢) من غير شك.

(٣) يريد خيره وشره.

(٤) البار بأبيه.

(٥) ذهب لحاله.

المقامة الثامنة والثلاثون المروية

حكى الحارث بن همام قال: حُبِّبَ إِلَيَّ مَذَّ سَعَتِ قَدَمِي، وَنَفَثَ قَلَمِي، أَنْ أَتَخَذَ الْأَدَبَ شِرْعَةً، وَالْاِقْتِبَاسَ (١) مِنْهُ نُجْعَةً، فَكُنْتُ أَنْقِبُ (٢) عَنْ أَخْبَارِهِ، وَخَزَنَةَ أَسْرَارِهِ، فَإِذَا أَلْفَيْتُ مِنْهُمْ بُغْيَةَ الْمَلْتَمَسِ (٣)، وَجُدُوءَ الْمُقْتَبَسِ، شَدَدْتُ يَدِي بِغَرْزِهِ، وَاسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ زَكَاةَ (٤) كَنْزِهِ، عَلَى أَنِّي لَمْ أَلْقَ كَالسَّرُوجِيِّ فِي غَزَاةِ السُّحْبِ (٥)، وَوَضَعَ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسِيرَ مِنَ الْمَثَلِ، وَأَسْرَعَ مِنَ الْقَمَرِ فِي النُّقْلِ، وَكُنْتُ لَهُوَى مُلَاقَاتِهِ (٦)، وَاسْتِحْسَانَ مَقَامَاتِهِ، أَرْغَبُ فِي الْاِغْتِرَابِ، وَأَسْتَعِذُّ بِالسَّفَرِ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، فَلَمَّا تَطَوَّحْتُ (٧) إِلَى مَرَوْ، وَلَا غَرَوْ (٨)، بَشَرْنِي بِمَلَقَاهُ زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالْفَالُ الَّذِي هُوَ بَرِيدُ الْخَيْرِ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْشُدُهُ فِي الْمَحَافِلِ (٩)، وَعِنْدَ تَلْقَى الْقَوَافِلِ (١٠)، فَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُخْبِرًا، وَلَا أَرَى لَهُ أَثْرًا وَلَا عَثِيرًا، حَتَّى غَلَبَ الْيَأْسُ الطَّمَعِ، وَانزَوَى (١١) التَّأْمِيلُ وَأَنْقَمَعَ، فَإِنِّي لَذَاتَ يَوْمٍ بِحَضْرَةِ وَالِي مَرَوْ، وَكَانَ مِمَّنْ جَمَعَ الْفَضْلَ وَالسَّرَّو، إِذْ طَلَعَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَلْقِ مِمْلَاقٍ، وَخُلِقَ مِلَاقٍ، فَحَيًّا تَحِيَّةَ الْمُحْتَاجِ، إِذَا لَقِيَ رَبَّ التَّاجِ (١٢)، ثُمَّ

(١) الاستفادة.

(٢) أبحث وأنفحص.

(٣) طلبه الطالب وحاجته.

(٤) تطلب منه زكاة ماله.

(٥) جمع سحابة، وكني به عن كثرة العلم.

(٦) لرغبتني في التلاقي معه.

(٧) رميت بنفسي.

(٨) لا غرابة في ذلك.

(٩) جمع المحفل، وهو: مجتمع الناس.

(١٠) استقبال المسافرين.

(١١) اختفى.

(١٢) هو الملك.

قَالَ لَهُ: اعْلَمْ وَقِيَتَ الذَّمَّ، وَكُفَيْتَ الِهَمَّ، أَنَّ مِنْ عُدَقَتِ بِهِ الْأَعْمَالُ، أُعْلَقَتْ بِهِ الْأَمْالُ، وَمَنْ رُفِعَتْ لَهُ الدَّرَجَاتُ، رُفِعَتْ إِلَيْهِ الْحَاجَاتُ، وَأَنَّ السَّعِيدَ مَنْ إِذَا قَدَرَ، وَوَاتَاهُ الْقَدْرُ^(١)، أَدَّى زَكَاةَ النَّعْمِ، كَمَا يُوَدِّي زَكَاةَ النَّعْمِ، وَالتَّزَمَ لِأَهْلِ الْحَرَمِ مَا يُلتَزَمُ لِلأَهْلِ وَالْحَرَمِ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَمِيدَ مِصْرِكَ^(٢)، وَعَمَادَ عَصْرِكَ، تَزَجِي^(٣) الرِّكَاثِ إِلَى حَرَمِكَ، وَتُرْجِي^(٤) الرِّغَائِبَ مِنْ كَرَمِكَ، وَتُنْزِلُ الْمَطَالِبَ بِسَاحَتِكَ، وَتُسْتَنْزِلُ الرَّاحَةَ مِنْ رَاحَتِكَ^(٥). وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا، وَإِحْسَانُهُ لَدَيْكَ عَمِيمًا، ثُمَّ إِنِّي شَيْخٌ تَرِبَ بَعْدَ الْإِثْرَابِ^(٦)، وَعَدِمَ الْإِعْشَابَ حِينَ شَابَ، قَصَدْتُكَ مِنْ مَحَلَّةِ نَارِحَةٍ^(٧)، وَحَالَةٍ رَازِحَةٍ، أَمَلُ مِنْ بَحْرِكَ دُفْعَةً، وَمِنْ جَاهِكَ رِفْعَةً، وَالتَّامِيلُ أَفْضَلُ وَسَائِلِ السَّائِلِ، وَنَائِلِ النَّائِلِ^(٨)، فَأَوْجِبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيْكَ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْوِي عِذَارَكَ^(٩)، عَمَّنْ اذْدَرَاكَ، وَأَمَّ دَارَكَ، أَوْ تَقْبِضَ رَاحَكَ، عَمَّنْ امْتَاكَ^(١٠)، وَامْتَارَ سَمَاحَكَ، فَوَاللَّهِ مَا مَجَدَ^(١١) مَنْ جَمَدَ^(١٢)، وَلَا رَشَدَ مِنْ حَشَدٍ، بَلِ اللَّيْبُ مَنْ إِذَا وَجَدَ جَادَ^(١٣)، وَإِنْ بَدَأَ بِعَائِدَةِ عَادَ، وَالكَرِيمُ مَنْ إِذَا اسْتَوْهَبَ الذَّهَبَ، لَمْ يَهَبْ أَنْ يَهَبَ^(١٤)، ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أُكُلَ غَرْسِهِ، وَيُرْصِدُ^(١٥) مَطْيِبَةَ

(١) وساعده ما قدره الله .

(٢) الْعَمِيدُ: السِّيدُ الَّذِي يُعَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ؛ أَي: يُقْصَدُ، وَالْمِصْرُ: الْمَدِينَةُ مُطْلَقًا.

(٣) تساق .

(٤) تؤمل .

(٥) من كفك .

(٦) بعد الاستغناء بكثرة المال .

(٧) منزل بعيد .

(٨) عطاء المعطي .

(٩) يعني: تصرف وجهك .

(١٠) طلب عطاءك .

(١١) ما شرف .

(١٢) من بخل .

(١٣) أعطى .

(١٤) أن يعطي الهبة .

(١٥) بمعنى: يرقب .

نَفْسِهِ (١)، وَأَحَبَّ الْوَالِي أَنْ يَعْلَمَ هَلْ نُطِفَتْهُ ثَمَدٌ، أَمْ لَقْرِيحَتِهِ مَدَدٌ،
فَأَطْرَقَ (٢) يَرَوِي فِي اسْتِيرَاءِ زَنْدِهِ، وَاسْتِشْفَافِ فَرْنِدِهِ، وَالتَّبَسُّ عَلَى أَبِي زَيْدٍ
سِرُّ صَمْتَتِهِ، وَإِرْجَاءِ صَلْتِهِ (٣)، فَتَوَغَّرَ (٤) غَضَبًا، وَأَنْشَدَ مُقْتَضِبًا:

لَا تَحْقِرَنَّ أَبَيْتَ اللَّعْنِ ذَا أَدَبٍ

لَأَنْ بَدَأَ خَلْقَ السَّرْبَالِ (٥) سُبْرُوتَا (٦)

وَلَا تُضِعْ لِأَخِي التَّامِيلِ (٧) حُرْمَتَهُ

أَكَانَ ذَا لِسَنٍ أَمْ كَانَ سَكَيْتَا

وَانْفَحْ بِعُرْفِكَ مِنْ وَاثَاكَ مَخْتَبِطًا (٨)

وَانعَشْ بِغَوْثِكَ (٩) مِنْ أَلْفَيْتِ مَنَكُوتَا

فَخَيْرُ مَالِ الْفَتَى مَالُ أَشَادِلَهُ

ذَكَرْنَا تَنَاقَلَهُ الرُّكْبَانَ أَوْ صَيْتَا

وَمَا عَلَى الْمُشْتَرِي حَمْدًا بِمَوْهَبَةٍ

غَبْنٌ (١٠) وَلَوْ كَانَ مَا أُعْطَاهُ يَاقُوتَا

لَوْ لَا الْمُرُوءَةُ ضَاقَ الْعُذْرُ عَنْ فَطْنِ

إِذَا اشْرَأَبَ (١١) إِلَى مَا جَاوَزَ الْقُوتَا (١٢)

(١) ما تطيب به نفسه .

(٢) أكب برأسه .

(٣) تأخير عطيته .

(٤) تلهب من الوغرة، وهي: شدة توقد النار .

(٥) رث الثوب .

(٦) فقيراً لا يملك شيئاً .

(٧) لصاحب الأمل المترجى .

(٨) سائلاً يطلب معروفك .

(٩) بإغاثتك .

(١٠) هو تجاوز ثمن المبيع فوق قيمته .

(١١) مدَّ عنقه إلى شيء ينظر إليه، فاستعير للطمع .

(١٢) طلب الزيادة عن الكفاية .

لَكِنَّهُ لَابْتِنَاءَ الْمَجْدِ جَدًّا (١) وَمِنْ
 حُبِّ السَّمَّاحِ ثَنَى نَحْوَ الْعُلَى (٢) لَيْتَا (٣)
 وَمَا تَنْشَقُّ نَشْرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ
 إِلَّا وَأَزْرَى بِنَشْرِ الْمَسْكِ مَفْتَوْتَا
 وَالْحَمْدُ وَالْبُخْلُ لَمْ يُقْضِ اجْتِمَاعَهُمَا (٤)
 حَتَّى لَقَدْ خَيْلَ ذَا ضَبَّاءَ وَذَا حَوْتَا
 وَالسَّمْحُ (٥) فِي النَّاسِ مَحْبُوبٌ خَلَاتِقُهُ
 وَالْجَامِدُ الْكَفُّ (٦) مَا يَنْفَكُ مَمْقُوتَا
 وَلِلشَّحِيحِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ (٧)
 يَوْسَعُنُهُ أَبَدًا ذَمًّا (٨) وَتَبْكِيْتَا
 فَجَدُّ بِمَا جَمَعْتَ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ (٩)
 حَتَّى يُرَى مُجْتَدِي جُدُوكَ (١٠) مَبْهُوتَا
 وَخُذْ نَصِيْبَكَ مِنْهُ قَبْلَ رَائِعَةٍ
 مِنَ الزَّمَانِ تُرِيكَ الْعُودَ مَنْحُوتَا (١١)
 فَالِدَّهْرُ أَنْكَدُ مَنْ أَنْ تَسْتَمْرَبَهُ
 حَالٌ تَكْرَهْتَ تِلْكَ الْحَالَ أَمْ شَيْتَا
 فَقَالَ لَهُ الْوَالِي: تَاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ، فَأَيُّ وَلَدِ الرَّجُلِ أَنْتَ؟ فَنظَرَ إِلَيْهِ عَنْ

(١) سعى واجتهد لرفع مرتبته.

(٢) لفت إلى جهة المعالي.

(٣) هو صفحة العنق.

(٤) لا يجتمعان.

(٥) الجواد.

(٦) كناية عن البخل.

(٧) أعدار.

(٨) يكثرن ذمّه دائماً.

(٩) مال.

(١٠) طالب عطائك، والجادى: السائل. الجدوى وهي: العطيّة.

(١١) مقوساً.

عُرْضٍ، وَأَنْشَدَ وَهُوَ مُغْضٍ (١):

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ مَنْ أَبَوْهُ وَرُزُّ
خَلَالَهُ (٢) ثُمَّ صَلِّهِ أَوْ فَاصِرِمِ (٣)
فَمَا يَشِينُ (٤) السُّلَافَ (٥) حِينَ حَلَا
مَذَاقُهَا كُؤُنُهَا ابْنَةَ الْحِصْرِ

قَالَ: فَقَرَّبَهُ الْوَالِي لِيَبَانِهِ الْفَاتِنِ (٦)، حَتَّى أَحَلَّهُ مَقْعَدَ الْخَاتِنِ، ثُمَّ فَرَضَ
لَهُ مِنْ سِيُوبِ (٧) نَيْلِهِ، مَا آذَنَ بِطُولِ ذَيْلِهِ، وَقَصَرَ لَيْلِهِ، فَنَهَضَ عَنْهُ بَرْدُنِ
مَلَانٍ، وَقَلْبِ جَدْلَانِ (٨)، وَتَبِعْتُهُ حَازِيَا حَذْوَهُ، وَقَافِيَا خَطْوَهُ، حَتَّى إِذَا
خَرَجَ مِنْ بَابِهِ، وَفَصَلَ (٩) عَنْ غَابِهِ، قُلْتُ لَهُ: هُنْتُتَ بِمَا أُوتَيْتَ، وَمُلِّيتَ
بِمَا أُوتَيْتَ! فَاسْفَرَ وَجْهَهُ وَتَلَالَا (١٠)، وَوَالَى شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ خَطَرَ
اِخْتِيَالًا، وَأَنْشَدَ ارْتِجَالًا (١١):

مَنْ يَكُنْ نَالَ بِالْحِمَاقَةِ حَظًّا أَوْ سَمَا قَدْرَهُ لَطِيبَ الْأُصُولِ
فِيْفِضْلِي انْتَفَعْتُ لَا بِفُضُولِي (١٢) وَبِقَوْلِي ارْتَفَعْتُ لَا بِقِيُولِي (١٣)
ثُمَّ قَالَ: تَعَسَا (١٤) لَمَنْ جَدَبَ (١٥) الْأَدَبَ، وَطُوبَى لِمَنْ جَدَّ فِيهِ
وَدَابَ (١٦)! ثُمَّ وَدَعَنِي وَذَهَبَ، وَأَوْدَعَنِي اللَّهَبَ.

(١) مقارب بين جفنيه.

(٢) خصاله.

(٣) اقطع الصُّحْبَةَ.

(٤) يعيب.

(٥) الخمر الصالحة.

(٦) السالب للعقل.

(٧) عطاياه.

(٨) فرح مسرورًا.

(٩) خرج.

(١٠) لمع.

(١١) من غير فكرة.

(١٢) لا بدخولي فيما لا يعنيني.

(١٣) لا بملوكي؛ لأنَّ القليل الملك بلغة حمير، والجمع: قِيُول.

(١٤) دام عليه وتعب فيه.

(١٥) عاب.

(١٦) هلاكًا، وأصله الكب.

المقامة التاسعة والثلاثون العمانية

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَهَجْتُ^(١) مُذْ أَخْضَرَ إِزَارِي، وَبَقَلَ^(٢) عَذَارِي^(٣)، بِأَنْ أَجُوبَ^(٤) الْبَرَارِي^(٥) عَلَى ظُهُورِ الْمَهَارِي، أَنْجِدُ طَوْرًا، وَأَسْلُكُ تَارَةً غَوْرًا^(٦)، حَتَّى فَلَيْتُ الْمَعَالِمَ وَالْمَجَاهِلَ، وَبَلَوْتُ الْمَنَازِلَ وَالْمَنَاهِلَ^(٧)، وَأَدْمَيْتُ السَّنَابِكَ وَالْمَنَاسِمَ، وَأَنْضَيْتُ السَّوَابِقَ^(٨) وَالرَّوَاسِمَ، فَلَمَّا مَلَيْتُ الْإِصْحَارَ^(٩)، وَقَدْ سَنَحَ لِي أَرْبُ بِصُحَارَ، مَلْتُ إِلَى اجْتِيَارِ التِّيَارِ، وَاجْتِيَارِ الْفُلْكِ السِّيَّارِ^(١٠)، فَنَقَلْتُ إِلَيْهِ أَسَاوِدِي، وَاسْتَصْحَبْتُ زَادِي وَمَزَاوِدِي، ثُمَّ رَكِبْتُ فِيهِ رُكُوبَ حَازِرِ^(١١) نَازِرِ، عَادَلْتُ^(١٢) لِنَفْسِهِ عَادِرِ^(١٣)، فَلَمَّا شَرَعْنَا فِي الْقَلْعَةِ، وَرَفَعْنَا الشُّرْعَ^(١٤) لِلسُّرْعَةِ، سَمِعْنَا مِنْ شَاطِئِ الْمَرَسَى حِينَ دَجَا اللَّيْلُ وَأَغْسَى^(١٥)، هَاتِفًا يَقُولُ: يَا أَهْلَ ذَا الْفُلْكِ الْقَوِيمِ، الْمَزْجَى فِي الْبَحْرِ الْعَظِيمِ، بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى

- | | |
|--------------------------|----------------------------------|
| (١) ولعت واشتدَّ حُبِّي. | (٢) نبت. |
| (٣) شعر خدِّي. | (٤) أقطع. |
| (٥) الصحارى. | (٦) ما انخفض منها. |
| (٧) مواضع الماء. | (٨) الخيل. |
| (٩) السير في الصحراء. | (١٠) كثير السير. |
| (١١) خائف. | (١٢) لائم. |
| (١٣) ملتصق لها عذراً. | (١٤) جمع شراع، وهو: قلع السفينة. |
| (١٥) اشتدَّت ظلمته. | |

تِجَارَةٌ تُنَجِّيْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ؟ فَقُلْنَا لَهُ: أَقْبِسْنَا نَارَكَ أَيُّهَا الدَّلِيلُ، وَأرْشِدْنَا
 كَمَا يُرْشِدُ الْخَلِيلُ الْخَلِيلَ، فَقَالَ: أَتَسْتَصْحِبُونَ ابْنَ سَبِيلٍ، زَادَهُ فِي زَبِيلٍ،
 وَظَلَّهُ (١) غَيْرُ ثَقِيلٍ، وَمَا يَبْغِي سِوَى مَقِيلٍ (٢)؟ فَأَجْمَعْنَا عَلَى الْجُنُوحِ (٣)
 إِلَيْهِ، وَأَنْ لَا نَبْخَلَ بِالْمَاعُونَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْفُلِّ، قَالَ: أَعُوذُ
 بِمَالِكِ الْمَلِكِ، مِنْ مَسَالِكِ الْهَلِكِ (٤) ! ثُمَّ قَالَ: إِنَّا رُوِينَا فِي الْأَخْبَارِ
 الْمُنْقُولَةِ عَنِ الْأَخْبَارِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَخَذَ عَلَى الْجُهَالِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا، حَتَّى
 أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَعْلَمُوا، وَإِنَّ مَعِيَ لَعُودَةً عَنِ الْأَنْبِيَاءِ مَأْخُودَةً، وَعِنْدِي
 لَكُمْ نَصِيحَةٌ، بَرَاهِينُهَا (٥) صَاحِبَةٌ، وَمَا وَسَعَنِي الْكُتْمَانُ، وَلَا مِنْ خِيَمِي
 الْحَرْمَانُ، فَتَدَبَّرُوا الْقَوْلَ وَتَفَهَّمُوا، وَاعْمَلُوا بِمَا تُعَلَّمُونَ وَعَلَّمُوا، ثُمَّ صَاحَ
 صَاحَةً الْمُبَاهِي (٦)، وَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هِيَ؟ هِيَ وَاللَّهِ حِرْزُ السَّفْرِ، عِنْدَ
 مَسِيرِهِمْ فِي الْبَحْرِ، وَالْجُنَّةُ مِنَ الْغَمِّ، إِذَا جَاشَ (٧) مَوْجُ الْيَمِّ، وَبِهَا
 اسْتَعَصَمَ نُوْحٌ مِنَ الطُّوفَانِ، وَنَجَا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْحَيَوَانِ، عَلَى مَا
 صَدَعَتْ (٨) بِهِ آيَةُ الْقُرْآنِ، ثُمَّ قَرَأَ بَعْضَ أَسَاطِيرَ (٩) تَلَاهَا، وَزَخَارِفَ (١٠)
 جَلَاهَا (١١)، وَقَالَ: ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا، ثُمَّ تَنَفَّسَ
 تَنَفُّسَ الْمُغْرَمِينَ، أَوْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُكْرَمِينَ، وَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ قُمتُ فِيكُمْ
 مَقَامَ الْمَبْلُغِينَ (١٢)، وَنَصَحْتُ لَكُمْ نُصْحَ الْمَبْلُغِينَ، وَسَلَكْتُ بِكُمْ مَحَجَّةً

- | | |
|--------------------|----------------------|
| (١) شخصه . | (٢) موضع جلوس . |
| (٣) الميل . | (٤) الهلاك . |
| (٥) حججها . | (٦) المفاخر . |
| (٧) تحرَّكٌ وهاج . | (٨) نطقت وصرحت . |
| (٩) أباطيل . | (١٠) تمويهات مزينة . |
| (١١) كشفها . | (١٢) المجتهدين . |

الرَّاشِدِينَ (١)، فَاشْهَدِ اللَّهُمَّ وَأَنْتَ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَأَعْجَبْنَا بِيَانِهِ السَّبَادِي الطَّلَاوَةَ، وَعَجَّتْ (٢) لَهُ
أَصْوَاتُنَا بِالتَّلَاوَةِ، وَأَنْسَ قَلْبِي مِنْ جَرَسِهِ (٣)، مَعْرِفَةَ عَيْنِ شَمْسِهِ، فَقُلْتُ لَهُ:
بِالَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ اللَّجِّيَّ (٤)، أَلَسْتَ السَّرُوجِيَّ؟ فَقَالَ لِي: بَلَى، وَهَلْ
يَخْفَى ابْنَ جَلَا؟ فَأَحْمَدْتُ حَيْثُذُ السَّفَرِ، وَسَفَرْتُ عَنْ نَفْسِي إِذْ سَفَرًا، وَكَمْ
نَزَلَ نَسِيرُ وَالْبَحْرِ رَهْوًا (٥)، وَالْجَوْ صَحْوًا، وَالْعَيْشُ صَفْوًا، وَالزَّمَانُ لَهْوًا، وَأَنَا
أَجْدُ لِلْقِيَانَةِ، وَجَدَّ الْمَثْرِي بِعَقْيَانِهِ، وَأَفْرَحُ بِمُنْجَاتِهِ (٦)، فَرَحَ الْغَرِيقِ
بِمُنْجَاتِهِ، إِلَى أَنْ عَصَفَتِ الْجَنُوبُ، وَعَسَفَتِ الْجَنُوبُ، وَنَسِيَ السَّفَرُ مَا
كَانَ، وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَمَلْنَا لِهَذَا الْحَدَثِ الشَّائِرِ (٧)، إِلَى
إِحْدَى الْجَزَائِرِ، لِنُزِيحٍ وَنَسْتَرِيحَ، رِيثَمَا تَوَاتِي (٨) الرِّيحُ، فَمَمَادَى اعْتِيَاصُ
الْمَسِيرِ، حَتَّى نَفِدَ الزَّادُ غَيْرَ الْيَسِيرِ، فَقَالَ لِي أَبُو زَيْدٍ: إِنَّهُ لَنْ يُحْرَزَ جَنِي
الْعُودِ (٩) بِالْقُعُودِ، فَهَلْ لَكَ فِي اسْتِثَارَةِ (١٠) السُّعُودِ بِالصُّعُودِ (١١)؟ فَقُلْتُ
لَهُ: إِنِّي لِأَتَّبِعُ لَكَ مِنْ ظِلِّكَ، وَأَطُوعُ مِنْ نَعْلِكَ، فَنَهْدُنَا إِلَى الْجَزِيرَةِ، عَلَى
ضُعْفِ الْمَرِيرَةِ (١٢)، لِنُرْكُضَ فِي امْتِرَاءِ الْمِيرَةِ (١٣)، وَكَلَانَا لَا يَمْلِكُ فُتَيْلًا،
وَلَا يَهْتَدِي فِيهَا سَبِيلًا، فَأَقْبَلْنَا نَجُوسٌ خِلَالَهَا، وَنَتَفِيًا (١٤) ظِلَالَهَا، حَتَّى

(١) طريقة الهادين .

(٣) صوته الخفي .

(٥) ساكن لا تضطرب أمواجه .

(٧) الأمر الطارئ الهائج .

(٩) فمرة الأمل .

(١١) الطلوع من السفينة .

(١٣) لنجد في طلب العطاء .

(٢) ارتفعت .

(٤) الذي لا يدرك قراره .

(٦) بنجاته وسلامته .

(٨) توافق .

(١٠) استخراج .

(١٢) القوة .

(١٤) نستظل .

أَفْضَيْنَا إِلَى قَصْرِ مَشِيدٍ، لَهُ بَابٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَدُونَهُ زُمْرَةٌ مِنْ عَبِيدٍ،
فَنَاسَمْنَاهُمْ لِنَتَّخِذَهُمْ سُلَّمًا إِلَى الْارْتِقَاءِ، وَأَرْشِيَةً لِلِاسْتِقَاءِ، فَأَلْفَيْنَا كُلًّا مِنْهُمْ
كَثِيرًا حَسِيرًا (١)، حَتَّى خَلْنَاهُ كَسِيرًا أَوْ أَسِيرًا، فَقُلْنَا: أَيُّهَا الْغُلْمَةُ، مَا هَدَى
الْغُمَّةُ؟ فَلَمْ يُجِيبُوا النَّدَاءَ، وَلَا فَاهُوا (٢) بِيَضَاءِ (٣) وَلَا سَوْدَاءِ (٤)، فَلَمَّا
رَأَيْنَا نَارَهُمْ نَارَ الْجُبَابِ، وَخُبْرَهُمْ (٥) كَسْرَابِ السَّبَاسِبِ (٦)، قُلْنَا:
شَاهَتِ (٧) الْوُجُوهُ، وَقَبِحَ اللَّكْعُ وَمَنْ يَرْجُوهُ! فَاثْتَدَرَ خَادِمٌ قَدْ عَلَتْهُ (٨)
كَبْرَةٌ، وَعَرَّتَهُ (٩) عِبْرَةٌ، وَقَالَ: يَا قَوْمُ لَا تَوْسِعُونَا (١٠) سَبًّا، وَلَا تَوْجِعُونَا
عُتْبًا، فَإِنَّا لَفِي حُزْنٍ شَامِلٍ، وَشُغْلٍ عَنِ الْحَدِيثِ شَاغِلٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو زَيْدٍ:
نَفْسُ خِنَاقِ الْبَثِّ (١١)، وَانْفُثْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى النَّفْثِ (١٢)، فَإِنَّكَ سَتَجِدُ
مِنِّي عَرَافًا كَافِيًا، وَوَصَافًا شَافِيًا، فَقَالَ لَهُ: ااعْلَمْ أَنَّ رَبَّ هَذَا الْقَصْرِ هُوَ
قُطْبُ هَذِهِ الْبُقْعَةِ، وَشَاهُ هَذِهِ الرُّقْعَةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ كَمَدٍ، لِحُلُوهِ مِنْ
وَلَدٍ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَكْرِمُ الْمَغَارِسَ، وَيَتَّخِرُ مِنَ الْمَفَارِشِ النَّفَائِسَ، إِلَى أَنْ
بُشِّرَ بِحَمْلِ عَقِيلَةٍ، وَأَذْنَتْ (١٣) رَقْلَتُهُ (١٤) بِفَسِيلَةٍ، فَنُذِرَتْ لَهُ النُّذُورُ،
وَأُحْصِيَتِ الْأَيَّامُ وَالشُّهُورُ، وَلَمَّا حَانَ التَّاجُ (١٥)، وَصَيَغَ الطَّوْقُ وَالتَّاجُ،

(١) حزينًا متحسرًا.

(٢) نطقوا.

(٣) كلمة طيبة.

(٤) كلمة رديئة.

(٥) حقيقة أمرهم وباطنه.

(٦) السباسب: جمع سبب، وهي: الصحراء الواسعة.

(٧) غشيت.

(٨) قبحت.

(٩) اعترته ومسته.

(١٠) لا تكثروا سبنا.

(١١) هونٌ شدة الحزن.

(١٢) تكلم إن أمكنك الكلام.

(١٣) أعلمت.

(١٤) المراد: زوجته.

(١٥) وضع الجنين.

عَسْرَ مَخَاضِ الْوَضْعِ (١)، حَتَّى خِيفَ عَلَى الْأَصْلِ (٢) وَالْفَرَعِ (٣)، فَمَا فِينَا
 مَنْ يَعْرِفُ قُرَارًا، وَلَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا، ثُمَّ أَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ وَأَعْوَلَ،
 وَرَدَّدَ الْاسْتِرْجَاعَ وَطَوَّلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو زَيْدٍ: اسْكُنْ يَا هَذَا وَاسْتَبْشِرْ، وَابْشِرْ
 بِالْفَرْجِ وَبِشْرًا! فَعِنْدِي عَزِيمَةٌ الطَّلَقِ، الَّتِي انْتَشَرَ سَمْعُهَا فِي الْخَلْقِ،
 فَتَبَادَرَتِ الْغَلْمَةُ إِلَى مَوْلَاهُمْ، مُتَبَاشِرِينَ بَانْكَشَافِ بِلَوَاهِمٍ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلَا
 وَلَا حَتَّى بَرَزَ مَنْ هَلَمَّ بِنَا (٤) إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَمِثْلُنَا (٥) بَيْنَ يَدَيْهِ،
 قَالَ لِأَبِي زَيْدٍ: لِيَهْنِكَ مَنَالُكَ (٦)، إِنْ صَدَقَ مَقَالُكَ، وَكَمْ يَفِلُ فَالُكَ،
 فَاسْتَحْضَرَ قَلَمًا مَبْرِيًّا، وَزَبَدًا بَحْرِيًّا، وَزَعْفَرَانًا قَدْ دَيْفَ (٧)، فِي مَاءٍ وَرَدٍ
 نَظِيفٍ، فَمَا إِنْ رَجَعَ النَّفْسُ، حَتَّى أُحْضِرَ مَا التَّمَسَّ، فَسَجَدَ أَبُو زَيْدٍ
 وَعَفَّرَ (٨)، وَسَبَّحَ وَاسْتَغْفَرَ، وَأَبْعَدَ الْحَاضِرِينَ وَنَفَّرَ، ثُمَّ أَخَذَ الْقَلَمَ
 وَاسْحَنَفَرَ، وَكَتَبَ عَلَى الزَّيْدِ بِالْمُزَعَفَرِ:

أَيْهَذَا الْجَنِينُ إِنِّي نَصِيحٌ
 لَكَ وَالنُّصْحُ مِنْ شُرُوطِ الدِّينِ
 أَنْتَ مُسْتَعْصِمٌ (٩) بِكُنْ (١٠) كَنِينٌ (١١)
 وَقَرَارٌ مِنَ السُّكُونِ مَكِينٌ
 مَا تَرَى فِيهِ مَا يَرُوعُكَ مِنْ إِلٍ
 فَ مِدَاجٍ (١٢) وَلَا عَدُوٍّ مُبِينِ

- (١) وجع الولادة وهو المعروف بالطَّلَقِ.
 (٢) الأم.
 (٣) الولد.
 (٤) قال لنا: هلموا.
 (٥) حضرنا ووقفنا.
 (٦) ما تناله من العطاء.
 (٧) سُحْق.
 (٨) قلب خديه في التراب.
 (٩) متمسك وممتنع.
 (١٠) بيت.
 (١١) ساتر.
 (١٢) أليف منافق.

فمَتَى مَا بَرَزْتَ مِنْهُ تُحَوِّلْ
 ————— (١) إِلَى مَنْزِلِ الْأَذَى
 وَالهُونِ وَتَرَاءَى لَكَ الشَّقَاءُ الَّذِي تَلُو
 قَى فَتَبْكِي لَهُ بِدَمْعِ هَتُونَ
 فَاسْتَدِمَّ عَيْشَكَ (٢) الرَّغِيدَ وَحَاذِرُ
 أَنْ تَبِيعَ الْمَحْقُوقَ بِالْمُظَنُّونِ
 وَاحْتَرِسْ مِنْ مُخَادِعِ لَكَ يَرْقِي
 كَ لِيُلْقِيكَ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ
 وَلَعَمْرِي لَقَدْ نَصَحْتُ وَلَكِنْ
 كَمْ نَصِيحٍ مُشَبَّهِ بِظَنِينِ (٣)

ثُمَّ إِنَّهُ طَمَسَ الْمَكْتُوبَ عَلَى غَفْلَةٍ، وَتَفَلَّ عَلَيْهِ مَائَةٌ تَفْلَةً، وَشَدَّ الزَّبْدَ
 فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ، بَعْدَمَا ضَمَّخَهَا (٤) بِعَبِيرٍ (٥)، وَأَمَرَ بِتَعْلِقِهَا عَلَى فَخْذِ
 الْمَاخِضِ (٦)، وَأَنْ لَا تَعْلَقَ بِهَا يَدُ حَائِضٍ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَذُّوَاقِ شَارِبٍ،
 أَوْ فُوَاقِ حَالِبٍ، حَتَّى انْدَلَقَ شَخْصُ الْوَلَدِ، لِخَصِيصَى الزَّبْدِ (٧)، بِقُدْرَةِ
 الْوَاحِدِ الصَّمَدِ، فَامْتَلَأَ الْقَصْرُ جُبُورًا، وَاسْتُطِيرَ عَمِيدُهُ وَعَبِيدُهُ سُورَرًا،
 وَأَحَاطَتِ الْجَمَاعَةُ بِأَبِي زَيْدٍ تُثْنِي عَلَيْهِ، وَتُقَبِّلُ يَدَيْهِ، وَتَتَبَرَّكُ بِمَسَاسِ
 طَمْرِيهِ، حَتَّى خِيلَ إِلَيَّ أَنَّهُ الْقَرْنِيُّ أَوْيسٌ، أَوْ الْأَسَدِيُّ دُبَيْسٌ، ثُمَّ انْثَالَ (٨)

(١) انتقلت.

(٢) فالزم معيشتك.

(٣) بمتهم.

(٤) لطحها.

(٥) بأخلاق من الطيب.

(٦) التي أخذها المخاض، وهو: الطلق.

(٧) لشدة اختصاصه بذلك.

(٨) تتابع وانصب.

عَلَيْهِ مِنْ جَوَائِزِ الْمُجَازَاةِ (١) ، وَوَصَائِلِ الصَّلَاتِ ، مَا قِيضَ (٢) لَهُ الْغِنَى ،
 وَبِيضَ وَجْهِ الْمُنَى ، وَكَمْ يَزَلُ يَنْتَابُهُ (٣) الدَّخْلُ (٤) ، مُدُّ نَتِجِ السَّخْلِ ، إِلَى
 أَنْ أُعْطِيَ الْبَحْرُ الْأَمَانَ ، وَتَسْنَى الْإِتْمَامُ (٥) إِلَى عُمَانَ ، فَكَتَفَى أَبُو زَيْدٍ
 بِالنُّحْلَةِ ، وَتَاهَبَ لِلرَّحْلَةِ ، فَلَمْ يَسْمَحِ الْوَالِي بِحَرَكَتِهِ (٦) ، بَعْدَ تَجْرِبَةِ بَرَكَتِهِ ،
 بَلْ أَوْعَزَ (٧) بِضَمِّهِ إِلَى حَزَانَتِهِ ، وَأَنْ تُطَلَّقَ يَدُهُ فِي خَزَانَتِهِ ، قَالَ الْحَارِثُ بْنُ
 هَمَّامٍ : فَلَمَّا رَأَيْتَهُ قَدْ مَالَ إِلَى حَيْثُ يُكْتَسَبُ الْمَالُ ، أَنْحَيْتُ عَلَيْهِ بِالتَّعْنِيفِ ،
 وَهَجَنْتُ لَهُ مُفَارَقَةَ الْمَالَفِ وَالْأَلِيفِ (٨) ، فَقَالَ إِلَيْكَ عَنِّي ، وَاسْمَعْ مِنِّي :
 لَا تَصْبُؤَنَّ (٩) إِلَى وَطَنِ
 وَارْحَلْ عَنِ الدَّارِ الَّتِي
 وَاهْرُبْ إِلَى كَنْ يَقِي
 وَارْبَأْ (١٢) بِنَفْسِكَ أَنْ تُقِي
 وَجِبَ الْبِلَادَ فَأَيُّهَا
 وَدَعِ التَّذْكَرَ لِلْمَعَا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْحُرَّ فِي
 كَالدَّرِّ فِي الْأَصْدَافِ يُسْتَنْزُ
 فِيهِ تُضَامُ وَتُمْتَهَنُ (١٠)
 تُعْلِي الْوَهَادَ (١١) عَلَى الْقُنُنِ
 وَلَوْ أَنَّهُ حَضُنَا حَضُنُ
 مَ بِحَيْثُ يُغْشَاكَ الدَّرَنُ (١٣)
 أَرْضَاكَ (١٤) فَاخْتَرَهُ وَطَنُ
 هَدِ وَالْحَنِينَ إِلَى السَّكَنِ
 أَوْطَانَهُ يَلْقَى الْغَبْنَ
 رَى (١٥) وَيُبْخَسُ فِي الثَّمَنِ

(١) عطايا المقابلة .

(٢) ما سبب .

(٣) يأتيه نوبة بعد نوبة .

(٤) الرزق الداخل .

(٥) المضي .

(٦) أي : سفره .

(٧) أشار وأمر .

(٨) الصاحب .

(٩) تميلن وتشتاقن .

(١٠) تحتقر .

(١١) جمع وهدة ، وهي : ما انخفض من الأرض .

(١٢) ارفع .

(١٣) الوسخ ، وأراد به : الهوان والذل .

(١٤) يحتقر .

(١٥) أعجبك ورضيت له .

ثُمَّ قَالَ: حَسْبُكَ مَا اسْتَمَعْتَ، وَحَبِّذَا أَنْتَ لَوْ اتَّبَعْتَ (١)! فَأَوْضَحْتُ لَهُ
 مَعَاذِيرِي (٢)، وَقُلْتُ لَهُ: كُنْ عَذِيرِي، فَعَذَرَ وَاعْتَذَرَ، وَزَوَّدَ حَتَّى لَمْ يَذَرُ،
 ثُمَّ شَيَّعَنِي (٣) تَشْيِيعَ الْأَقَارِبِ، إِلَى أَنْ رَكِبْتُ فِي الْقَارِبِ، فَوَدَّعْتُهُ وَأَنَا
 أَشْكُو الْفِرَاقَ وَأَذْمُهُ، وَأُودُّ لَوْ كَانَ هَلَكَ الْجَنِينُ وَأُمَّهُ.



-
- (١) طارعت .
 (٢) أَعْذَارِي .
 (٣) وَدَّعَنِي .

المقامة الأربعون التبريزية

أخبر الحارث بن همام قال: أزمعتُ التبريزَ من تبريز، حين نبتُ
بالدليل والعزير، وختتُ من المُجير (١) والمُجير، فبيننا أنا في إعدادِ
الأهبة (٢)، وارتياذِ الصُحبة (٣)، ألفتُ بها أبا زيدَ السروجيَ ملتقًا بكساء،
ومحتفًا (٤) بنساء، فسألتُهُ عن خطبه (٥)، وإلى أين يسربُ (٦) مع سربه؟
فأوماً إلى امرأةٍ منهنَّ بأهرةِ السفور، ظاهرةِ النفور، وقال: تزوجتُ هذه
لتؤنسني في الغربة، وترحضَ (٧) عني قشفَ العزبة، فلقيتُ منها عرقَ
القربة، تمطلني بحقي، وتكلفني فوقَ طوقي (٨)، فأنا منها نضوٌ وجي،
وحلفُ شجوٍ (٩) وشجي. وهما نحنُ قدُ تساعينَا إلى الحاكم، ليضربَ على
يدِ الظالم، فإن انتظمَ بيننا الوفاقُ، وإلا فالطلاقُ والانطلاقُ (١٠)، قال:
فملتُ إلى أن أخبرَ لمن الغلبُ، وكيف يكونُ المُنقلبُ، فجعلتُ شغلي دبرَ
أذني، وصحبتهما وإن كنتُ لا أغني (١١)، فلما حضرَ القاضي وكان ممن
يرى فضلَ الإمساك (١٢)، ويضنُّ بنفائةِ السواك، جثًا (١٣) أبو زيدٍ بينَ

(١) من الجوار، وهو: الأمان.

(٢) طلب من يصاحبه في السفر.

(٣) أمره وشأنه.

(٤) تغسل وتزيل.

(٥) ملازم للحزن من سوء عشرتها.

(٦) لا أنفع.

(٧) تهيئة حوائج السفر.

(٨) ومحاطًا حوله.

(٩) يذهب ويسير.

(١٠) طاقتي.

(١١) الذهب.

(١٢) البخل والشح.

(١٣) أي: برك.

يَدِيهِ، وَقَالَ: أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِيَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، إِنَّ مَطِيَّتِي هَذِهِ أَيْبَةُ الْقِيَادِ، كَثِيرَةُ الشَّرَادِ، مَعَ أَنِّي أَطْوَعُ لَهَا مِنْ بَنَانِهَا (١)، وَأَحْنِي عَلَيْهَا مِنْ جَنَانِهَا (٢). فَقَالَ لَهَا الْقَاضِي: وَيْحَكَ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النُّشُورَ (٣) يُغْضِبُ الرَّبَّ، وَيُوجِبُ الضَّرْبَ؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُ مِمَّنْ يَدُورُ خَلْفَ الدَّارِ، وَيَأْخُذُ الْجَارَ بِالْجَارِ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: تَبَّ لَكَ (٤)! أَتَبْذُرُ فِي السَّبَّاحِ، وَتَسْتَفْرِخُ حَيْثُ لَا إِفْرَاحَ؟ اعْزُبْ (٥) عَنِّي لَا نَعِمَ عَوْفُكَ، وَلَا أَمِنْ خَوْفُكَ!

فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: إِنَّهَا وَمُرْسِلِ الرِّيَّاحِ، لَا كُذِّبُ مِنْ سَجَاحٍ! فَقَالَتْ: بَلْ هُوَ وَمَنْ طَوَّقَ الْحَمَامَةَ (٦)، وَجَنَحَ النَّعَامَةَ (٧)، لَا كُذِّبُ مِنْ أَبِي ثُمَامَةَ، حِينَ مَخْرَقَ بِالْيَمَامَةَ، فَزَفَرَ أَبُو زَيْدٍ زَفِيرَ الشُّوَاطِ (٨)، وَاسْتَشْطَاطَ اسْتَشْطَاةَ الْمُغْتَاطِ، وَقَالَ لَهَا: وَيْلَكَ يَا دِفَارٍ يَا فَجَارِ، يَا غُصَّةَ الْبَعْلِ وَالْجَارِ! أَتَعْمِدِينَ فِي الْخَلْوَةِ لِتَعْذِيبِي، وَتُبْدِينَ فِي الْحَفْلَةِ تَكْذِيبِي؟ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي حِينَ بَنَيْتُ عَلَيْكَ (٩)، وَرَنَوْتُ إِلَيْكَ (١٠)، أَلْفَيْتُكَ أَقْبَحَ مِنْ قَرْدَةٍ، وَأَيْسَ مِنْ قَدَةٍ، وَأَخْشَنَ مِنْ لَيْفَةٍ، وَأَنْتَنَ مِنْ جَيْفَةٍ، وَأَثْقَلَ مِنْ هَيْضَةٍ (١١)، وَأَقْدَرَ مِنْ حَيْضَةٍ، وَأَبْرَزَ مِنْ قَشْرَةٍ (١٢)، وَأَبْرَدَ مِنْ قَرَّةٍ (١٣)، وَأَحْمَقَ مِنْ رِجْلَةٍ، وَأَوْسَعَ مِنْ دِجْلَةٍ! فَسْتَرْتُ عَوَارِكَ (١٤)، وَلَكَمْ أَبْدِ عَارِكَ (١٥)، عَلَى أَنَّهُ لَوْ

(١) أطراف أصابعها.

(٢) قلبها.

(٣) مخالفة الزوج.

(٤) خسراً وهلاكاً.

(٥) أبعد.

(٦) جعل لها طوقاً.

(٧) جعل لها جناحين.

(٨) النار بلا دخان.

(٩) ليلة دخولي بك.

(١٠) نظرتك.

(١١) تخمة ينشأ عنها القيء والإسهال.

(١٢) أنها غير مخدرة.

(١٣) من ليلة باردة.

(١٤) عيبك.

(١٥) لم أظهر فضيحتك.

حَبَّتْكَ شِيرِينَ بِجَمَالِهَا، وَزَيْدَةً بِمَالِهَا، وَبَلْقَيْسُ بِعَرَشِهَا، وَبُورَانُ بِفَرَشِهَا،
وَالزَّبَاءُ بِمُلْكِهَا، وَرَابِعَةٌ بِسُكِّهَا، وَخِنْدِفٌ بِفَخْرِهَا، وَالخُنْسَاءُ بِشِعْرِهَا فِي
صَخْرِهَا، لَأَنْفَتُ (١) أَنْ تَكُونِي قَعِيدَةً رَحْلِي (٢)، وَطَرُوقَةً فَحْلِي! قَالَ:
فَتَذَمَّرَتْ (٣) الْمَرْأَةُ وَتَنَمَّرَتْ، وَحَسَرَتْ عَنْ سَاعِدِهَا وَشَمَّرَتْ، وَقَالَتْ لَهُ: يَا
أَلَامَ مِنْ مَادِرٍ (٤)، وَأَشَامَ مِنْ قَاشِرٍ، وَأَجْبَنَ مِنْ صَافِرٍ، وَأَطِيشَ مِنْ طَامِرٍ!
أَتْرَمِينِي بِشَنَارِكَ (٥)، وَتَفْرِي (٦) عَرِضِي بِشِفَارِكَ (٧)؟ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَحَقُّ
مِنْ قَلَامَةِ (٨)، وَأَعْيَبُ مِنْ بَغْلَةِ أَبِي دَلَامَةَ، وَأَفْضَحُ مِنْ حَبَقَةِ فِي حَلَقَةِ،
وَأَحِيرُ مِنْ بَقَّةٍ فِي حُقَّةٍ! وَهَبَكَ الْحَسَنَ فِي وَعْظِهِ وَلَفْظِهِ، وَالشَّعْبِيَّ فِي عِلْمِهِ
وَحِفْظِهِ، وَالْخَلِيلَ فِي عَرُوضِهِ وَنَحْوِهِ، وَجَرِيرًا فِي غَزَلِهِ (٩) وَهَجْوِهِ (١٠)،
وَقَسًّا فِي فَصَاحَتِهِ وَخِطَابَتِهِ، وَعَبْدَ الْحَمِيدِ فِي بِلَاغَتِهِ وَكِتَابَتِهِ (١١)، وَأَبَا
عَمْرٍو فِي قِرَاءَتِهِ وَإِعْرَابِهِ، وَابْنَ قُرَيْبٍ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ أَعْرَابِهِ (١٢)، أَتُظَنُّنِي
أَرْضَاكَ إِمَامًا لِمَحْرَابِي، وَحُسَامًا لِقِرَابِي؟ لَا وَاللَّهِ وَلَا بَوَّابًا لِبَابِي، وَلَا عَصَا
لِجِرَابِي! فَقَالَ لَهُمَا الْقَاضِي: أَرَاكُمَا شَنًّا وَطَبَقَةً، وَحِدَاةً وَبُنْدُقَةً، فَاتْرُكْ
أَيُّهَا الرَّجُلُ اللَّدَدَ (١٣)، وَاسْأَلْكَ فِي سِيرِكَ الْجَدَدَ، وَأَمَّا أَنْتَ فَكُفِّي عَنْ
سَبَابِهِ (١٤)، وَقَرِّبِي (١٥) إِذَا أَتَى الْبَيْتَ مِنْ بَابِهِ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: وَاللَّهِ مَا

(١) لكرهت.

(٢) القعيدة: ما يركب عليه.

(٣) غضبت.

(٤) رجل بخيل لئيم.

(٥) عارك وعيبك.

(٦) تقطع.

(٧) بكلامك المؤلم.

(٨) ما يُقَصُّ مِنَ الظُّفْرِ وَيُرْمَى.

(٩) الغزل: ذكْرُ محاسن المحبوب ومدحه.

(١٠) ذكر قبائح المبعوض وذمه.

(١١) إنشائه.

(١٢) هم أهل البادية.

(١٣) الخصومة الشديدة.

(١٤) سبه.

(١٥) اسكني.

أَسْجُنُ (١) عَنْهُ لِسَانِي، إِلَّا إِذَا كَسَانِي، وَلَا أَرْفَعُ لَهُ شِرَاعِي، دُونَ إِشْبَاعِي،
 فَحَلَفَ أَبُو زَيْدٍ بِالْمُحَرَّجَاتِ الثَّلَاثِ، أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ سِوَى أَطْمَارِهِ الرَّثَاثِ (٢)،
 فَنظَرَ الْقَاضِي فِي قِصَصِهِمَا (٣) نَظَرَ الْأَمْعِيِّ، وَأَفْكَرَ فِكْرَةَ اللَّوْذَعِيِّ (٤)، ثُمَّ
 أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا بِوَجْهِ قَدْ قَطَبَهُ، وَمَجَنُّ قَدْ قَلَبَهُ، وَقَالَ: أَلَمْ يَكْفِكُمَا التَّسَافُهُ (٥)
 فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ، وَالْإِقْدَامُ عَلَى هَذَا الْجُرْمِ (٦)، حَتَّى تَرَاقَيْتُمَا مِنْ
 فُحْشِ الْمُقَادَعَةِ (٧)، إِلَى خُبْثِ الْمُخَادَعَةِ؟ وَإِيْمُ اللَّهِ لَقَدْ أَخْطَأْتَ اسْتِكْمَا
 الْحُفْرَةَ، وَلَمْ يُصَبْ سَهْمُكُمَا الثُّغْرَةَ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعَزَّ اللَّهُ بِبَقَائِهِ
 الدِّينَ، نَصَبَنِي لِأَقْضِي بَيْنَ الْخُصَمَاءِ، لَا لِأَقْضِي دِينَ الْغُرَمَاءِ (٨)، وَحَقٌّ
 نِعْمَتُهُ الَّتِي أَحَلَّتَنِي هَذَا الْمَحَلَّ، وَمَلَكَتَنِي الْعَقْدَ وَالْحَلَّ، لَيْتَ لَمْ تُوضِحْ لِي
 جَلِيَّةَ (٩) خَطْبِكُمَا، وَخَيْبَةَ (١٠) خَبِكُمَا، لِأُنَدِدَنَّ بِكُمَا فِي الْأَمْصَارِ (١١)،
 وَلَا جَعَلَنَكُمَا عِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ! فَاطَّرَقَ أَبُو زَيْدٍ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ، ثُمَّ قَالَ
 لَهُ: سَمَاعِ سَمَاعِ:

أَنَا السَّرُوجِيُّ وَهَذِي عِرْسِي (١٢)

وَلَيْسَ كُفْوُ الْبَدْرِ غَيْرَ الشَّمْسِ

وَمَا تَنَافَى (١٣) أَنْسُهَا وَأُنْسِي

وَلَا تَنَاءَى دَيْرُهَا عَنْ قَسِّي

- | | |
|-----------------------|-----------------------------------------------------|
| (١) ما أكف. | (٢) البالية. |
| (٣) خبرهما. | (٤) الفطن الذكي الظريف الحاد الذهن. |
| (٥) الإفحاش والتشائم. | (٦) الذنب. |
| (٧) المشاقمة. | (٨) جمع غريم، وهو: من عليه الدين ومن له الدين معاً. |
| (٩) حقيقة. | (١٠) ما أخفيتما من خداعكما. |
| (١١) المدائن. | (١٢) زوجتي. |
| | (١٣) تباعد واختلف. |

وَلَا عَدَتْ (١) سُقْيَايَ أَرْضَ غَرْسِي (٢)
 لَكِنَّا مِنْذُ لَيْالٍ خَمْسٍ
 نُصْبِحُ فِي ثَوْبِ الطَّوَى (٣) وَنُمْسِي
 لَا نَعْرِفُ الْمَضْغَ وَلَا التَّحْسِي (٤)
 حَتَّى كَأَنَّا لِحُفُوتِ النَّفْسِ (٥)
 أَشْبَاهُ (٦) مَوْتَى نُشْرُوا مِنْ رَمْسٍ (٧)
 فَحِينَ عَزَّ الصَّبْرُ (٨) وَالتَّأْسِي
 وَشَقْنَا الضَّرَّ الْأَلِيمَ الْمَسَّ
 قُمْنًا لِسَعْدِ الْجَدِّ (٩) أَوْ لِلنَّحْسِ (١٠)
 هَذَا الْمَقَامَ لاجْتِلَابِ فُلْسٍ
 وَالْفَقْرُ يُلْحِي الْحُرَّ حِينَ يُرْسِي
 إِلَى التَّحَلِّي فِي لِبَاسِ اللَّبْسِ
 فَهَذَا حَالِي وَهَذَا دَرْسِي
 فَاَنْظُرْ إِلَى يَوْمِي وَسَلْ عَنْ أَمْسِي
 وَأْمُرْ بِجَبْرِي إِنْ تَشَاءُ أَوْ حَبْسِي
 فَفِي يَدَيْكَ صِحَّتِي (١١) وَنُكْسِي (١٢)

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| (١) تجاوزت . | (٢) محلّ الولد . |
| (٣) الجوع . | (٤) الأكل والشرب . |
| (٥) ضعفها من شدة الجوع . | (٦) أجساد . |
| (٧) خرجوا من قبر . | (٨) قلّ . |
| (٩) الحظ والبخت . | (١٠) للخبيّة والحرمّان . |
| (١١) شفائي من المرض . | (١٢) خيبتني . |

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: لِيُثْبُ أَنْسُكَ، وَلِتَطْبُ نَفْسُكَ، فَقَدْ حَقَّ لَكَ أَنْ تُغْفَرَ
خَطِيئَتِكَ، وَتُوَفَّرَ عَطِيئَتِكَ، فَثَارَتِ الزَّوْجَةُ عِنْدَ ذَلِكَ وَاسْتَطَالَتْ، وَأَشَارَتْ إِلَى
الْحَاضِرِينَ وَقَالَتْ:

يا أهل تبريز لكم حاكمٌ
ما فيه من عيب سوى أنه
قصدته والشيخُ نبغي جنى
فسرح الشيخُ (٣) وقد نال من
وردني أخيب من شائم (٥)
كأنه لم يدر أنني التي
وأنتي إن شئت غادرتُه (٦)

أوفى على الحكام تبريزاً (١)
يوم الندى قسّمته ضيزى
عود له ما زال مهزوزاً (٢)
جدواه (٤) تخصيصاً وتميزاً
برقاً خفا في شهر تموزاً
لقنتُ ذا الشيخ الأراجيزاً
أضحوكة في أهل تبريزاً

قال: فلما رأى القاضي اجترأ جنانهما (٧)، وانصلت لسانهما، علم
أنه قد مني (٨) منهما بالداء العياء، والداهية الدهياء (٩)، وأنه متى منح
أحد الزوجين، وصرف الآخر صفر اليدين، كان كمن قضى الدين بالدين،
أو صلى المغرب ركعتين، فطلسم وطرسم، واخرنطم وبرطم، وهمهم
وغمغم، ثم التفت يمنة وشامة (١٠)، وتململ (١١) كآبةً وندامةً (١٢)،
وأخذ يذم القضاء ومتاعبه، ويعد شوائبه ونوائبه (١٣)، ويفند طالبه

- (١) ظهوراً وسبقاً. (٢) مقصوداً يقصده كل أحد ويهزه لينال من ثمره.
(٣) أرضاه. (٤) عطيته.
(٥) ناظر. (٦) تركته.
(٧) قوة قلبها. (٨) ابتلي.
(٩) المصيبة العظمى الشديدة الدهاء. (١٠) يميناً وشمالاً، أو جهة اليمين وجهة الشام.
(١١) اضطرب. (١٢) حسرة. (١٣) مصائبه.

وخاطبه^(١)، ثم تنفس كما يتنفس الحريب^(٢)، وانتحب^(٣) حتى كاد يفضحه النحيب، وقال: إن هذا لشيء عجيب، أأرثق^(٤) في موقفٍ بسهمين، أألزم في قضية بمغرمين، أأطيق أن أرضي الخصمين، ومن أين ومن أين؟ ثم عطف إلى حاجبه المنفذ لمآربه، وقال: ما هذا يوم حكم وقضاء، وفصل وإمضاء^(٥)! هذا يوم الاعتام، هذا يوم الاغترام، هذا يوم البحران، هذا يوم الخسران^(٦)، هذا يوم عصب، هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب! فأرحني من هذين المهذارين، واقطع لسانهما بدينارين، ثم فرق الأصحاب، وأغلق الباب، وأشع أنه يوم مذموم، وأن القاضي فيه مهموم، لئلا يحضرني خصوم! قال: فأمن الحاجب على دعائه، وتباكى لبكائه، ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين، وقال: أشهد أنكما لأحيل الثقلين^(٧)، لكن احترما مجالس الحكام، واجتنب فيها فحش الكلام، فما كل قاضٍ قاضي تبريز، ولا كل وقت تُسمع الأراجيز، فقالا له: مثلك من حجب، وشكرك قد وجب^(٨)، ونهضا وقد حظيا بدينارين، وأصليا^(٩) قلب القاضي نارين^(١٠).



(٢) المحروب الذي سلب ماله بالحرب.

(٤) الأرمي.

(٦) الخسارة.

(٨) لما فعلته معناه من المعروف.

(١٠) أي: لكل دينار نار.

(١) قاصده.

(٣) بكى بصوت.

(٥) تنفيذ حكم.

(٧) الثقلين: هما الإنس والجن.

(٩) أحرقا.

تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قَوْلُهُ: (لَقِيتْ مِنْهَا عِرْقَ الْقَرْبَةِ) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَلْقَى شِدَّةً مِنْ الْأَمْرِ الَّذِي يَزَاوِلُهُ كَمَا أَنَّ حَامِلَ الْقَرْبَةِ يَلْقَى جَهْدًا حَتَّى يِعْرَقَ، وَقَوْلُهُ: (جَعَلْتَهُ دَبْرَ أُذُنِي) يَعْنِي طَرَحْتَهُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَدَّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨٧]، وَقَوْلُهُ: (أَكْذَبَ مِنْ سِجَاحٍ) يَعْنِي الَّتِي تَنْبَأُ فِي عَهْدِ مَسِيلِمَةَ الْكُذَّابِ وَسَارَتْ إِلَيْهِ لِتَنْظَرَهُ وَتَخْتَبِرَهُ ثُمَّ آمَنَتْ بِهِ وَوَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، وَهَذَا الْأِسْمُ مَبْنِي عَلَى الْكُسْرِ مِثْلُ حِذَامٍ وَقَطَامٍ لِكَوْنِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَعْدُولَةِ وَاسْتِثْقَاةً مِنَ السِّجَاحَةِ وَهِيَ السَّهْوَةُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَلَكْتَ فَاسْحَجَ.

وقولها: (أَكْذَبَ مِنْ أَبِي ثَمَامَةَ) هَذِهِ كُنْيَةُ مَسِيلِمَةَ الْكُذَّابِ وَكَانَ تَبَاؤًا بِالْيَمَامَةِ وَمَخْرَقٌ بِهَا إِلَى أَنْ سَارَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَتَلَهُ.

وقوله: (لَا نَعْمَ عَوْفَكَ) الْعَوْفُ الْحَالُ وَالْعَوْفُ أَيْضًا الذِّكْرُ وَيَدْعِي لِلْبَانِي عَلَى أَهْلِهِ فَيُقَالُ لَهُ: نَعْمَ عَوْفَكَ.

وقوله: (يَا دِفَارَ يَا فُجَارَ) هَذَانِ الْأَسْمَانُ مَعْدُولَانِ عَنْ دَافِرَةٍ وَفَاجِرَةٍ وَالِدِفْرِ النَّتْنُ وَبِهِ سُمِّيَتِ الدُّنْيَا أَمْ دَفْرٌ وَكُلُّ مَا سُمِّيَ بِصِفَةِ غَالِبَةٍ ثُمَّ عُدِلَ بِهَا إِلَى فِعَالٍ بَنِي عَلَى الْكُسْرِ عِنْدَ النَّدَاءِ كَقَوْلِكَ: يَا لِكَاعِ يَا خِبَاثَ يَا دِفَارَ يَا فُجَارَ وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ كَقَوْلِ الْخَطِيبَةِ:

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لِكَاعِ

وإمّا قوله: (أحمق من رجلة) فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجترفها، وإمّا قولها (الأم من مآدر) فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضاً لسقي إبله فلماً رويت سلح فيه ومدره بسلحه لثلاً ينتفع به من بعده، وإمّا قولها (أشأم من قاشر) فإنه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة بن تميم ما طرق إيلاً إلا ماتت وقيل المراد به العام المجذب وسمي قاشراً لقشره ما على وجه الأرض من النبات، وأمّا قولها: (أجبن من صافر) فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم: عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الأرض وقيل: إنه طائر بعينه إذا جنه الليل تعلق ببعض الأغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفاً على نفسه من أن ينام فيؤخذ وقيل: إنه الذي يصفر بالمرأة لريبة وهو يجبن وقت صفييره مخافة أن يظهر على أمره وقيل: إن المراد به المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب. فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى: ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى: ﴿حِجَابًا مُسْتَوْرًا﴾ أي ساتراً وكقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾، وأمّا قولها (اطيش من طامر) فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه، وأمّا قول القاضي (أراكماً شناً وطبقة وحدأة وبندقة) فإنه أراد به أن كلاً منكمما كفاء، لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه. أمّا شن وطبقة فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الأكثرون: إنهما قبيلتان فشن هو ابن أفصى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من إياد وكانت طبقة لا تطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها، وقال بعضهم كان شن رجلاً من دهاة العرب وكان ألزم

نَفْسَهُ أَنْ لَا يَتَزَوَّجَ إِلَّا بِامْرَأَةٍ تَلَائِمُهُ فَكَانَ يَجُوبُ الْبِلَادَ فِي ارْتِيَادِ طَلَبَتِهِ
فَصَاحِبُهُ رَجُلٌ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَلَمَّا أَخَذَ مِنْهُمَا السَّيْرَ قَالَ لَهُ شَنْ أَتَحْمَلُنِي
أَمْ أَحْمَلُكَ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ يَا جَاهِلٌ وَهَلْ يَحْمِلُ الرَّابِئُ الرَّابِئَ فَأَمْسَكَ
وَسَارَا حَتَّى أَتَيَا عَلَى زَرْعٍ فَقَالَ لَهُ شَنْ أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكَلَّ أَمْ لَا فَقَالَ لَهُ يَا
جَاهِلٌ أَمَا تَرَاهُ فِي سَنَبِلِهِ فَأَمْسَكَ إِلَيَّ أَنْ اسْتَقْبَلْتَهُمَا جَنَازَةً فَقَالَ لَهُ شَنْ أَتَرَى
صَاحِبَهَا حَيًّا أَمْ لَا فَقَالَ لَهُ مَا رَأَيْتَ أَجْهَلَ مِنْكَ أَتَرَاهُمْ حَمَلُوا إِلَيَّ الْقَبْرَ حَيًّا
ثُمَّ أَنَّهُمَا وَصَلَا إِلَى قَرْيَةِ الرَّجُلِ فَصَارَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَكَانَتْ لَهُ بِنْتُ تَسْمَى
طَبَقَةٌ فَأَخَذَ يَطْرَفُهَا بِحَدِيثِ رَفِيقِهِ فَقَالَتْ لَهُ مَا نَطِقُ إِلَّا بِالصَّوَابِ وَلَا
اسْتَفْهَمْتُكَ إِلَّا عَمَّا يَسْتَفْهَمُ عَنْ مِثْلِهِ ذَوُو الْأَلْبَابِ، أَمَا قَوْلُهُ: أَتَحْمَلُنِي أَمْ
أَحْمَلُكَ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَتَحْدِثُنِي أَمْ أَحْدِثُكَ حَتَّى نَقْطَعَ الطَّرِيقَ بِالْحَدِيثِ، وَأَمَا قَوْلُهُ
أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكَلَّ أَمْ لَا فَإِنَّهُ أَرَادَ هَلْ اسْتَسْلَفَ أَرْبَابُهُ ثَمَنَهُ أَمْ لَا، وَأَمَا
اسْتَفْهَمَهُ عَنْ حَيَاةِ صَاحِبِ الْجَنَازَةِ فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهِ أَخْلَفَ عَقْبًا يَحْيَى ذَكَرَهُ بِهِ أَمْ
لَا، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الرَّجُلِ حَدَّثَهُ بِتَأْوِيلِ ابْنَتِهِ كَلَامَهُ فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ فزَوْجَهُ إِيَّاهَا
فَلَمَّا سَارَ بِهَا إِلَى قَوْمِهِ وَخَبَرُوا مَا فِيهَا مِنَ الدَّهَاءِ وَالْفِطْنَةِ قَالُوا وَافِقُ شَنْ
طَبَقَةِ فَسَارَ مِثْلًا، وَحَكِي أَنْ الْأَصْمَعِي سَأَلَ عَنْ تَفْسِيرِ هَذَا الْمَثَلِ فَقَالَ أَظُنُّ
الشَّنَّ وَعَاءٌ مِنْ أَدَمَ كَانَ قَدْ اسْتَشَنَّ فَلَمَّا اتَّخَذَ لَهُ غَطَاءً وَافِقَهُ ضَرْبَ فِيهِ هَذَا
الْمَثَلِ. وَأَمَا حَدَاةٌ وَبِنْدَقَةٌ فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ لِمَنْ يَفْزَعُ بَعْدَهُ أَوْ يُبْلَى
بِنَظِيرِهِ حَدَاةً وَرَاءَكَ بِنْدَقَةٌ. وَكَانَ الْأَصْلُ حَدَاةً بِإِثْبَاتِ الْهَاءِ فَرُخِمَ فِي
النَّدَاءِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِهِمَا فَكَيْلٌ: الْحَدَاةُ هُوَ الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ،
وَبِنْدَقَةٌ: الرَّامِي، وَكَيْلٌ: إِنَّهُمَا قَبِيلَتَانِ مِنْ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ، فَأَغَارَتْ حَدَاةٌ
وَكَانَتْ تَنْزِلُ بِالْكَوْفَةِ، عَلَى بِنْدَقَةٍ وَكَانَتْ تَنْزِلُ بِالْيَمَنِ، فَنَالَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ كَرَّتْ
بِنْدَقَةٌ عَلَى حَدَاةٍ فَانْحَتَ عَلَيْهِمْ. وَرَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْمَثَلُ حَدَاةً حَدَاةً غَيْرَ

مهموز على مثال عَصَا وَقَفَا. وزعم أنه اسم القبيلة.

وأما قوله: «أخطأت استكما الحفرة» فإنه يضرب لمن يخطئ في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه. وأما قوله: «طلسم وطرسم» فمعنى «طلسم»: كره وجهه، ومعنى «طرسم»: أطرق، وقوله: «اخرنطم وبرطم»؛ أي: غضب وقطب وجهه، وقيل: معنى «اخرنطم»: غضب مع تكبر، ومعنى «برطم»: غضب مع تعبس، وأما قوله: «همهم وغمغم»: أي: لم يبين الكلام.



المقامة الحادية والأربعون التنيسية

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: أَطَعْتُ دَوَاعِيَ التَّصَابِي، فِي غُلُوءِ شَبَابِي (١)، فَلَمْ أَزَلْ زَبْرًا لِلْغَيْدِ، وَأُذُنًا لِلْأَغَارِيدِ (٢)، إِلَى أَنْ وَافَى النَّذِيرَ (٣)، وَوَلَّى الْعَيْشُ النَّضِيرَ (٤)، فَقَرِمْتُ (٥) إِلَى رُشْدِ الْإِنْتِبَاهِ، وَنَدِمْتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ، ثُمَّ أَخَذْتُ فِي كَسْعِ الْهَنَاتِ بِالْحَسَنَاتِ (٦)، وَتَلَا فِي الْهَفَوَاتِ قَبْلَ الْفَوَاتِ (٧)، فَمَلْتُ عَنْ مُغَادَاةِ الْعَادَاتِ، إِلَى مُلَاقَاةِ التُّقَاةِ (٨)، وَعَنْ مُقَانَاةِ الْقَيْنَاتِ (٩)، إِلَى مُدَانَاةِ (١٠) أَهْلِ الدِّيَانَاتِ، وَأَلَيْتُ أَنْ لَا أَصْحَبَ إِلَّا مَنْ نَزَعَ عَنِ الْغِيِّ، وَفَاءَ مَنْشَرُهُ إِلَى الطِّيِّ، وَإِنْ أَلْفَيْتُ مَنْ هُوَ خَلِيعُ الرَّسَنِ، مَدِيدُ الْوَسَنِ (١١)، أَنَايْتُ دَارِي (١٢) عَنْ دَارِهِ، وَفَرَرْتُ عَنْ عَرَّةٍ وَعَارِهِ، فَلَمَّا أَلْقَيْتُنِي الْغُرْبَةَ بَتَيْسَ، وَأَحْلَيْتُنِي مَسْجِدَهَا الْأَيْسَ، رَأَيْتُ بِهِ ذَا حَلَقَةٍ (١٣) مُلْتَحِمَةٍ (١٤)، وَنَظَّارَةٍ مُزْدَحِمَةٍ، وَهُوَ يَقُولُ بِجَاشٍ

(١) أوله .

(٢) دائم السماع والاستماع .

(٣) أتى المنذر، والمراد به: الشيب .

(٤) المعيشة الناعمة . وهي: أيام الشبية .

(٥) اشتبهت واشتقت .

(٦) أراد: اتبعت الحسنات خلف السيئات .

(٧) تدارك الزلات قبل فواتها بالموت .

(٨) هم العلماء العاملون .

(٩) جمع القينة، وهي: الأمة الحسنة المغنية .

(١٠) مقارنة .

(١١) طويل النوم كناية عن شدة الغفلة .

(١٢) أبعدتها .

(١٣) صاحب جمع من الناس محتاطين به .

(١٤) ملتصقة .

مكينٍ ولسانٍ مبينٍ: مسكينٌ ابنُ آدمَ وأَيُّ مسكينٍ، ركنَ من الدنيا إلى غيرِ
 ركينٍ، واستعصمَ منها غيرَ مكينٍ (١)، وذُبِحَ من حُبِّها بغيرِ سكينٍ،
 يكلفُ (٢) بها لغباوته (٣)، ويكَلِّبُ عَلَيْهَا لشقاوته، ويعتدُّ فِيهَا لمفاخرته، وَلَا
 يتزودُ منها لآخرته، أقسمُ بِمَنْ مَرَجَ البحرَينِ، ونورَ القمرَينِ (٤)، ورفعَ قدرَ
 الحجرَينِ، لو عقلَ ابنُ آدمَ، لما نادَمَ (٥)، وكو فكَرَ فِيمَا قَدَمَ، لبكى الدمَّ،
 وكو ذَكَرَ المِكَافَاةَ (٦)، لاستدركَ مَا فَاتَ، وكو نَظَرَ فِي المَالِ (٧)، لحسنِ
 قُبْحِ الأَعْمَالِ، يَا عَجِبًا كُلَّ العَجَبِ، لِمَنْ يَقتَحِمُ ذَاتَ اللَّهَبِ، فِي اِكتِنَازِ
 الذَّهَبِ، وخزَنِ النَّشَبِ (٨) لذوي النَّسَبِ، ثُمَّ مِنَ البِدْعِ (٩) العَجِيبِ، أَنْ
 يعظَكَ وخطُ المُشِيبِ، وتؤذَنُ شمسُكَ بِالمَغِيبِ، ولستَ تَرَى أَنْ تُنِيبَ (١٠)،
 وتهدَّبَ المَعِيبَ، ثُمَّ اندفعَ يُنشدُ، إنشَادَ مَنْ يُرشدُ:

يَا وَيْحَ مَنْ أَنْذَرَهُ شَيْبُهُ

وهو عَلَى غَيِّ الصَّبَا منكمشٌ (١١)

يعشُو (١٢) إِلَى نَارِ الهَوَى (١٣) بعدمَا

أصبَحَ من ضُعْفِ القُوَى يرتعش (١٤)

ويمتطي الهُوَ وَيَعْتَدُهُ (١٥)

أوطأ مَا يفتَرشُ المُفتَرشُ

(١) بغير ذي مكانة، وهو ما لا دوام له.

(٢) لجهله وحمقه.

(٣) من المنادمة وهي: المحادثة على الشراب.

(٤) ما يؤول إليه أمره.

(٥) الشيء المبتدع وكل شيء لم يسبق مثله.

(٦) مُسرِعٌ وماضٍ في أموره على فعل.

(٧) شهوات النفس.

(٨) يتولع ويتشبت بها.

(٩) الشمس والقمر.

(١٠) المجازاة على الذنب يوم القيامة.

(١١) ادخار المال.

(١٢) ترجع عما أنت فيه.

(١٣) ينظر ويقصد.

(١٤) يضطرب. (١٥) يعده.

لَمْ يَهَبِ الشَّيْبَ الَّذِي مَا رَأَى
نُجُومَهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا دُهَشَ (١)
وَلَا أَنْتَهَى عَمَّا نَهَاهُ النَّهَى
عَنْهُ وَلَا بِأَلَى بَعْرُضٍ خُدِشَ
فَذَاكَ إِنْ مَاتَ فَسُحْقَالَهُ
وَإِنْ يَعِشْ عُدَّ كَأَنْ لَمْ يَعِشْ
لَا خَيْرَ فِي مَحْيَا أَمْرِي نَشْرَهُ (٢)
كَنَشْرِ مَيْتٍ (٣) بَعْدَ عَشْرِ نَبِشٍ (٤)
وَحَبَّبْنَا مَنْ عَرَضَهُ طَيْبٌ
يَرُوقُ حُسْنًا مِثْلَ بَرْدِ رُقِشٍ
فَقُلْ لَنْ قَدْ شَاكَهُ ذَنْبُهُ
هَلَكْتَ يَا مَسْكِينَ أَوْ تَنْتَقِشُ
فَأَخْلِصِ التَّوْبَةَ تَطْمَسُ بِهَا (٥)
مِنَ الْخَطَايَا السُّودِ (٦) مَا قَدْ نَقِشُ (٧)
وَعَاشِرِ النَّاسِ بِخُلُقِ رَضِي (٨)
وَدَارِ مَنْ طَاشَ وَمَنْ لَمْ يَطِشْ
وَرِشْ جَنَاحَ الْحَجْرِ إِنْ حَصَّه
زَمَانُهُ لَا كَانَ مِنْ لَمْ يَرِشْ

- (١) تحير عقله. (٢) رائقته، ويعني بها سيرته.
(٣) كرائحة الميت بعد مضي عشرة أيام. (٤) أخرج من قبره فإنه يكون أثنى.
(٥) تمح بها. (٦) الذنوب المظلمة القبيحة.
(٧) كتب في صحيفتك. (٨) بطبع مرضي.

وَأَنْجِدِ الْمُتَوَرِّظِينَ ظُلْمًا فَإِنْ
عَجَزْتَ عَنْ إِنْجَادِهِ فَاسْتَجِشْ
وَانْعَشْ^(١) إِذَا نَادَاكَ ذُو كَبُوءَةٍ^(٢)
عَسَاكَ فِي الْحَشْرِ بِهِ تَنْتَعِشْ
وَهَاكَ كَأْسَ النُّصْحِ فَاشْرَبْ وَجُدْ
بِفَضْلَةِ الْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مُبَكِّيَاتِهِ^(٣)، وَقَضَى إِشَادَ أَيْبَاتِهِ، نَهَضَ صَبِيٌّ قَدْ
شَدَنَّ، وَأَعْرَى الْبَدَنَ، وَقَالَ: يَا ذَوِي الْحَصَاةِ^(٤)، وَالْإِنْصَاتِ^(٥) إِلَى
الْوَصَاةِ^(٦)، قَدْ وَعَيْتُمُ الْإِنْشَادَ، وَفَقِهْتُمُ الْإِرْشَادَ، فَمَنْ نَوَى مِنْكُمْ أَنْ يَقْبَلَ،
وَيُصْلِحَ الْمُسْتَقْبَلَ، فَلْيَنْ بِرِّي عَنْ نَيْتِهِ، وَلَا يَعْذِلْ عَنِّي بِعَطِيَّتِهِ، فَوَالَّذِي
يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ، وَيَغْفِرُ الْإِضْرَارَ^(٧)، إِنَّ سَرِّي لَكُمْ تَرَوْنَ، وَإِنْ وَجْهِي
لَيْسَتْ وَجِبُ الصَّوْنِ^(٨)، فَأَعِينُونِي رُزِقْتُمُ الْعُونَ. قَالَ: فَأَخَذَ الشَّيْخُ فِيمَا
يَعْطَفُ عَلَيْهِ الْقُلُوبَ، وَيُسْنِي^(٩) لَهُ الْمَطْلُوبَ، حَتَّى أَنْبَطَ حَفْرُهُ، وَاعْشَوْشَبَ
قَفْرُهُ^(١٠)، فَلَمَّا أَنْ تَرَعَ الْكَيْسُ^(١١) أَنْصَلَتْ^(١٢) يَمِيسُ^(١٣)، وَيَحْمَدُ
تَيْسَ، وَكَمْ يَحُلُّ لِلشَّيْخِ الْمَقَامَ، بَعْدَمَا أَنْصَاعَ الْغُلَامُ، فَاسْتَرْفَعَ الْأَيْدِي

- (١) وارفع .
(٢) صاحب عشرة وسقطة .
(٣) مواعظه المبكية .
(٤) يا أهل العقول والرزانة والحكم .
(٥) السكوت والاستماع .
(٦) الوصية .
(٧) التماسي على الذنوب والمداومة عليه .
(٨) الصيانة وعدم البذل .
(٩) يسهل .
(١٠) نبت فيه العشب وأخصب .
(١١) امتلأ جدًا .
(١٢) مضى مُسرِعًا .
(١٣) يتمايل من فرحه .

بالدعاء، ثُمَّ نَحَا نَحْوَ الْإِنْكَفَاءِ.

قَالَ الرَّأْوِي: فَارْتَحْتُ إِلَى أَنْ أَعْجَمَهُ (١)، وَأَحْلَّ مُرْجَمَهُ، فَتَبَعْتُهُ وَهُوَ يَشْتَدُّ فِي سَمْتِهِ، وَلَا يَفْتُقُّ رَتْقَ صَمْتِهِ، فَلَمَّا أَمِنَ الْمُفْجَاجِي (٢)، وَأَمَكَنَ التَّنَاجِي، لَفَتَ جِيدَهُ إِلَيَّ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: أَرَأَيْكَ ذَكَاءُ ذَاكَ الشُّوَيْدِنِ؟

فَقُلْتُ: إِي وَالْمُؤْمِنِ الْمُهَيِّمِ! قَالَ: إِنَّهُ فَتَى السَّرُوجِيِّ، وَمُخْرِجِ الدَّرِّ مِنَ اللُّجِّي! فَقُلْتُ: أَشْهَدُ إِنَّكَ لَشَجَرَةٌ ثَمَرَتَهُ، وَشَوَاطِئُ (٣) شَرَرَتَهُ، فَصَدَّقَ كَهَانَتِي، وَأَسْتَحْسَنَ إِبَانَتِي، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي ابْتِدَارِ الْبَيْتِ (٤)، لَتَنَازَعٍ (٥) كَأَسَرِ الْكُمَيْتِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ؟ فَافْتَرَّ (٦) افْتِرَارَ مُتْصَاحِكٍ، وَمَرَّ غَيْرَ مُمَاحِكٍ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ أَنْ تَرَجَعَ (٧) إِلَيَّ، وَقَالَ: أَحْفَظْهَا عَنِّي وَعَلَيَّ:

أَصْرَفُ بِصَرْفِ الرَّاحِ عَنْكَ الْأَسَى وَرُوحَ الْقَلْبِ (٨) وَلَا تَكْتَبُ (٩)
وَقُلْ لِمَنْ لَامَكَ فِي مَا بِهِ تَدْفَعُ عَنْكَ الْهَمَّ قَدَكَ أَتَّيْبُ
ثُمَّ قَالَ: أَمَا أَنَا فَسَأَنْطَلِقُ إِلَى حَيْثُ أَصْطَبِحُ وَأَغْتَبِقُ، وَإِذَا كُنْتُ لَا تَصْحَبُ، وَلَا تُلَاقِي (١٠) مَنْ يَطْرَبُ، فَلَسْتُ لِي بِرَفِيقٍ، وَلَا طَرِيقَكَ لِي بِطَرِيقٍ، فَخَلَّ سَبِيلِي وَنَكَّبُ (١١)، وَلَا تُنْقِرْ عَنِّي وَلَا تُنْقَبْ، ثُمَّ وَلَّى

(١) اختبره لأعرف من هو.

(٢) هي نار محضه لا دخان بها.

(٣) لتعاطى.

(٤) فتح شفقيه مبتسماً.

(٥) قرب مني.

(٦) لا تتلبس بالكأبة وهي: الحزن.

(٧) لم يخف من أحد يأتيه بغتة.

(٨) تبادر بالذهاب إلى بيتي.

(٩) فتح شفقيه مبتسماً.

(١٠) أرحه ونفس عنه.

(١١) لا توافق.

(١٢) انحرف وتباعد.

مُدْبِرًا (١) وَلَمْ يُعَقَّبْ (٢).

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَالْتَهَبْتُ وَجَدًّا عِنْدَ انْطِلاقِهِ، وَوَدِدْتُ لَوْ لَمْ

أُلاقَهُ.



(١) ذهب وتركني خلفه.

(٢) لم يعد راجعاً.

المقامة الثانية والأربعون النجرانية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: ترامتُ بي مرامي السنوى، ومساري (١) الهوى، إلى أن صرتُ ابنَ كلِّ تربةٍ (٢)، وأخا كلِّ غربة، إلا أنني لم أكنُ أقطعُ واديا، ولا أشهدُ ناديا، إلا لاقتباسِ الأدبِ (٣) المُسلي (٤) عن الأشجان (٥)، المُغلي قيمةَ الإنسان، حتى عرفتُ لي هذه الششنة (٦)، وتناقلتُها عني الألسنة، وصارتُ أعلقُ بي من الهوى بيني عُذرة، والشجاعةُ بآل أبي صفرة، فلما ألقيتُ الجرآنَ بنجران، واصطفيتُ بها الخلانَ والجيران، اتخذتُ أُنديتها معتمري (٧)، وموسمَ فكاھتي وسمري، فكنْتُ أتعهدُها (٨) صباحَ مساء، وأظهرُ فيها على ما سرّ وساء، فبينما أنا في نادٍ محشود (٩)، ومحفلٍ مشهود، إذ جثمَ لدينا همٌّ، عليه هدمٌ، فحيا تحيةً ملق، بلسانِ ذلق، ثم قال: يا بدورَ المحافلِ، وبُحورِ النوافلِ (١٠)، قد بينَ الصبحُ لذي عينين، ونابَ العيانُ منابَ عدلين، فماذا ترون، في ما ترون؟ أتحسنون العون، أم تتأون (١١) إذ تدعون؟ فقالوا: تالله لقد غظت (١٢)، ورمتَ أن تُنبطَ فغضتَ، فناشدهمُ اللهَ عماذا صدَّهم، حتى استوجبَ ردهمُ؟ فقالوا:

- (١) جمع المسرى، وهو المذهب.
(٢) أنسب لكل بلدة.
(٣) لاستفادته.
(٤) الملهي والمشغل.
(٥) عن الأحزان.
(٦) العادة والطبيعة.
(٧) موضع زيارتي.
(٨) أقصدها مواظبا.
(٩) مزدحم.
(١٠) جمع النافلة، بمعنى: العطية.
(١١) تبعدون وتتأخرون.
(١٢) أغضبت.

كُنَّا تَنَاضِلُ بِالْأَلْغَازِ، كَمَا يُتَنَاضَلُ يَوْمَ الْبِرَازِ، فَمَا تَمَّاكَ أَنْ شَعْتَ مِنْ
 الْمُنْضُولِ، وَأَلْحَقَ هَذَا الْفَضْلَ بِنَمَطِ (١) الْفُضُولِ، فَلَسْنَتُهُ لُسْنُ الْقَوْمِ،
 وَوَحْزُوهُ (٢) بِأَسِنَّةِ اللَّوْمِ، وَأَخَذَ هُوَ يُتَنَصَّلُ مِنْ هَفْوَتِهِ، وَتَتَنَدَّمُ عَلَى فَوْهَتِهِ،
 وَهُمْ مُضْبُونٌ (٣) عَلَى مُؤَاخَذَتِهِ، وَمُلبُّونَ دَاعِي مُنَابَذَتِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ لَهُمْ: يَا
 قَوْمِ إِنَّ الْاِحْتِمَالَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَعِ، فَعَدَّوْا عَنِ اللَّذَعِ وَالْقَدْعِ، ثُمَّ هَلُمَّ إِلَى
 أَنْ نُلْغِزَ، وَنُحَكِّمَ الْمُبَرِّزَ، فَسَكَنَ عِنْدَ ذَلِكَ تَوْقُدَهُمْ (٤)، وَانْحَلَّتْ
 عَقْدُهُمْ (٥)، وَرَضُوا بِمَا شَرَطَ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ، وَاقْتَرَحُوا أَنْ يَكُونَ أَوْلَهُمْ،
 فَأَمْسَكَ رِيثًا يُعْقَدُ شِسْعٌ (٦)، أَوْ يُشَدُّ نِسْعٌ، ثُمَّ قَالَ: اسْمَعُوا وَقِيَّتُمْ
 الطَّيِّسَ (٧)، وَمَلَيْتُمْ الْعَيْشَ (٨)، وَأَنْشَدَ مُلْغِزًا فِي مِرْوَحَةِ الْحَيْشِ:

وَجَارِيَةٌ فِي سِيرِهَا مُشْمَعَلَةٌ (٩) وَلَكِنْ عَلَى إِثْرِ الْمَسِيرِ قُفُولُهَا (١٠)
 لَهَا سَائِقٌ مِنْ جِنْسِهَا يَسْتَحِثُّهَا عَلَى أَنَّهُ فِي الْإِحْتِثَاتِ رَسِيلُهَا
 تَرَى فِي أَوَانِ الْقَيْظِ (١١) تَنْطَفُ بِالنَّدَى وَيِيدُو إِذَا وَلَّى الْمَصِيفُ قُحُولُهَا (١٢)

ثُمَّ قَالَ: وَهَاكُمُ يَا أَوْلِي الْفَضْلِ، وَمَرَكَزَ الْعَقْلِ، وَأَنْشَدَ مُلْغِزًا فِي
 حَابُولِ النَّخْلِ:

وَمُنْتَسِبٌ إِلَى أُمَّ تَنْشَأُ أَصْلُهُ مِنْهَا

(١) من كل شيء نوع منه.

(٢) مقيمون وملازمون.

(٣) حرارتهم.

(٤) حَفِظْتُمْ مِنْهُ وَهُوَ خَفَّةُ الْعَقْلِ.

(٥) مسرعة نشيطة.

(٦) زمن الحر الشديد.

(٧) طعنوه وشاكوه وآلوه.

(٨) السابق الفائق.

(٩) سألوه وتحكموا عليه في السؤال حسب مرغوبهم.

(١٠) متعتم بالعيشة.

(١١) رجوعها.

(١٢) يبسها.

يعانقُها وقد كانت
به يتوصّل الجاني
نفته برهة عنها
ولا يلحى^(١) ولا ينهى
ثم قال: ودونكم الخفية العلم، المعتكرة الظلم^(٢)، وأنشد ملغزاً في
القلم:

ومأموم به عرف الإمام
له إذ يرتوي طيشان صاد^(٣)
كما باهت بصحبتة الكرام
ويسكن حين يعروه الأوام^(٤)
ويذري حين يستسعى^(٥) دموعاً
يرفن كما يروق الابتسام
ثم قال: وعليكم بالواضحة الدليل، الفاضحة ما قيل، وأنشد ملغزاً في
الميل:

وما ناكح أختين^(٦) جهراً وخفية
وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه
وإن مال بعلم لم تجده يميل
يزيدهما عند المشيب تعهداً
وبراً وهذا في البعول^(٧) قليل

ثم قال: وهذه يا أولي الألباب، معيار^(٨) الآداب، وأنشد ملغزاً في
الدولاب:

(١) ولا يُعدّل ويُلام.
(٢) اعتكر الظلام: تراكم.
(٣) الصّادي، هو: العطشان.
(٤) يعتريه ويصيبه العطش.
(٥) يطلب منه السعي.
(٦) أراد بالأختين: العينين.
(٧) أي: في حال هرمه.
(٨) ميزان.

وجاف وهو موصول^(١) ووصولٌ ليس بالجافي
غريقٌ بارزٌ فاعجبُ له من راسب طاف
يسح^(٢) دموع مهضوم^(٣) ويهضم هضم متلاف
وتخشى منه حدته^(٤) ولكن قلبه صاف

قال: فلما رشق^(٤)، بالخمس التي نسق^(٥)، قال: يا قوم تدبروا
هذه الخمس، واعقدوا عليها الخمس، ثم رأيكم وضمّ الدليل، أو الازدياد
من هذا الكيل! قال: فاستفزت القوم شهوة الزيادة، على ما أشرّبوا من
البلادة، فقالوا له: إن وقوفنا دون حدك، ليُفحمنا عن استيراء^(٦) زندك،
واستشفاف فرندك، فإن أتممت عشراً فمن عندك، فاهتز اهتزاز من فلج
سهمه^(٧)، وأنخزل^(٨) خصمه، ثم افتتح النطق بالبسملة، وأنشد ملغزاً في
المزملة:

ومسرورة مغمومة^(٩) طول دهرها
وما هي تدري ما السرور ولا الغم
تقرب أحياناً لأجل جنينها
وكم ولد لولاه طلقت الأم
وتبعد أحياناً وما حال عهدها
وإبعاد من لم يستحلّ عهده ظلم

(٢) يصب.

(٤) رمى.

(٦) إيقاد.

(٨) انقطع.

(١) ملتصق ببعضه.

(٣) كمظلوم يبكي.

(٥) التي قالها متتابعة.

(٧) من ظفر وعلب.

(٩) مستورة بما لف عليها.

إِذَا قَصُرَ اللَّيْلُ اسْتُلذَّ وَصَالُهَا
وإن طَالَ فَالْإِعْرَاضُ عَنْ وَصْلِهَا غَنَمٌ
لَهَا مَلْبَسٌ بَادٌ أُنَيْقٌ مَبَطَّنٌ
بِمَا يُزْدَرَى (١) لَكِنْ لِمَا يُزْدَرَى الْحُكْمُ (٢)

ثُمَّ كَثُرَ عَنْ أَنْيَابِهِ الصُّفْرُ، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي الطُّفْرِ:

وَمَرهُوبِ الشَّبَا (٣) نَامٌ (٤) وَمَا يَرَعَى وَلَا يَشْرَبُ
يُرَى فِي الْعَشْرِ دُونَ النَّحْرِ رِ فَا سَمِعَ وَصْفَهُ وَاعْجَبُ
ثُمَّ تَخَازَرَ تَخَازَرَ الْعَفْرِيتِ (٥)، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي طَاقَةِ الْكَبْرِيتِ (٦):

وَمَا مَحْقُورَةٌ تُدْنِي وَتُقْصِي لَهَا رَأْسَانِ مُشْتَبِهَانِ جَدَا
تَعَذَّبُ إِنْ هُمَا خُضِبَا وَتُلْغَى إِذَا عَدِمَا الْخُضَابَ وَلَا تَعْدُ

ثُمَّ تَخَمَطَ (٧) تَخَمَطَ الْقَرَمِ (٨)، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي حَلَبِ الْكَرَمِ:

وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَسَدَا وَإِنْ هُوَ رَاقٌ أَوْ صَافَا
تَحَوَّلَ غَيْبُهُ رَشْدَا أَثَارَ الشَّرِّ حَيْثُ بَدَا
وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدَا زَكِيُّ الْعِرْقِ وَالِدُهُ (٩)

ثُمَّ اعْتَصَدَ عَصَا التَّسْيَارِ، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي الطَّيَّارِ:

(١) طول عمرها.

(٢) أي: الحكمة ومنه قولهم: الصبر حكم وقليل فاعله.

(٣) هو الطَّرف والحُدَّ.

(٤) إنه ينمو ويزداد.

(٥) الداهي الخبيث القوي.

(٦) حزمة منه.

(٧) تكبر وتهياً للقول، وقيل: غضب. (٨) الفحل الهائج إذا هدر حرق أنيابه بعضها ببعض.

(٩) أصله زكي طيب وهو العنب، ولا يخفى ما في العنب من الفضل.

وذي طَيْشَةٍ (١) شَقُّهُ مَائِلٌ
يُرَى أبدأً فَوْقَ عَلِيَّةِ
تساوَى لَدِيهِ الحَصَا والنُّضارُ
وأعْجَبُ أوصافه إِنْ نظرتَ
تَراضِي الخُصومَ بِهِ حاكِماً

قَالَ: فَظَلَّتِ الأفكارُ تَهيمُ (٢) فِي أوديةِ الأوهامِ (٣) ، وَتَجولُ جَوْلانَ
المُستَهامِ، إلی أَنْ طالَ الأمدُ، وَحصَحَصَ الكمدُ، فَلَمَّا رَأهمُ يَزِيدونَ وَلا
سَنًا، وَيَقضونَ النَّهارَ بِالمُنَى، قَالَ: يَا قومِ إلامَ تَنْظرونَ، وَحَتامَ تُنظرونَ؟
ألمَ يَأنَ لَكمُ اسْتِخراجُ الخَبِيِّ (٤) ، أَوْ اسْتِسلامُ الغَبِيِّ؟ فَقالُوا: تاللهَ لَقَدْ
أَعوصتَ (٥) ، وَنصبتَ الشَّرْكَ فَقنصتَ، فَتَحَكَّمْ كَيْفَ شِيتَ، وَحزَّ الغنمَ
وَالصَّيْتَ، فَفَرَضَ عَن كُلِّ مَعْمَى فَرَضاً، وَاسْتَخْلَصَهُ مِنْهُمُ نَضاً، ثُمَّ فَتَحَ
الأقفالَ، وَرسمَ الأغفالَ (٦) ، وَحاولَ الإِجفالَ (٧) ، فَاعتَلَقَ بِهِ مدرَهُ القَوْمِ،
وَقالَ لَهُ: لا لُبْسَةَ بَعْدَ اليَوْمِ، فَاسْتَنسَبَ قَبْلَ الانطلاقِ، وَهَبَّها مُتَعَةً الطَّلَاقِ،
فَأطَرَقَ حَتَّى قُلْنَا: مُريبٌ، ثُمَّ أَنشَدَ وَالدَّمعُ مُجيبٌ:

سَروِجُ مُطَلَعُ شَمْسِي (٨)
لَكنْ حُرْمَتُ نَعِيمِي
وَاعْتَضْتُ عَنْهَا اغْتِراباً
وَرُبْعُ لَهْوِي وَأُنْسِي
بِهَا وَلَذَّةَ نَفْسِي
أَمْرِي يَوْمِي وَأَمْسِي (٩)

(١) خَفَّةٌ .

(٢) تذهب حائرة .

(٣) فِي مجاري الفكرة .

(٤) المستور .

(٥) أتيت بالعويص؛ أي: ما لا يفطن له من الكلام .

(٦) بَيْنَ لَهُمَ ما خَفِيَ عَلَيْهِمُ .

(٧) قصد الانطلاق والخروج .

(٨) يريد أنها بلده وبها مولده .

(٩) صير عيشي مرأ نهاراً وليلاً .

مَالِي مَقَرُّ بِأَرْضٍ
 يَوْمًا بِنَجْدٍ وَيَوْمًا
 أُزْجِي الزَّمَانَ بِقَوْتِ
 وَلَا أَبَيْتُ وَعَنْدِي
 وَمَنْ يَعِشْ مِثْلَ عَيْشِي (٣)
 وَلَا قَرَارٌ لِعَنْسِي (١)
 بِالشَّامِ أَضْحِي وَأَمْسِي
 مُنْغَصِّ (٢) مُسْتَخَسِّ
 فَلَسْتُ وَمَنْ لِي بِفَلَسِ
 بَاعَ الْحَيَاةَ بِبَخْسِ (٤)
 ثُمَّ إِنَّهُ اخْتَبَنَ خُلَاصَةَ النَّضِّ (٥) ، وَنَدَرَ ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ ، فَنَاشَدْنَاهُ أَنْ
 يَعُودَ ، وَأَسْنَيْنَا لَهُ الْوَعُودَ (٦) ، فَلَا وَأَبِيكَ مَا رَجَعَ ، وَلَا التَّرْغِيبُ لَهُ
 نَجْعٌ (٧) .



(١) هي الناقة الصلبة القوية.

(٢) مكدر.

(٣) مثل حياتي.

(٤) بنقص.

(٥) الخالص من المتحصل الحاضر.

(٦) الوعود جمع الوعد؛ أي: وعدنا بوعود عظيمة.

(٧) نفع وأثر.

المقامة الثالثة والأربعون البكرية

حكى الحارث بن همام قال: هفا بي البين المطوح^(١)، والسير المبرح، إلى أرض يضل بها الخريت، وتفرق فيها المصاليت^(٢)، فوجدت ما يجد الحائر الوحيد، ورأيت ما كنت منه أحيده^(٣)، إلا أنني شجعت قلبي المزوود^(٤)، ونسأت نضوي^(٥) المجهود، وسرت سير الضارب بقدحين، المستسلم للحين، ولم أزل بين وخد وذميل، وإجازة ميل بعد ميل، إلى أن كادت الشمس تجب، والضياء يحتجب، فارتعت لإظلال الظلام، وأقتحام جيش حام^(٦)، ولم أدر أكفت الذيل وأربط، أم أعتد الليل وأختبط^(٧)؟ وبيننا أنا أقلب العزم، وأمتخص الحزم، تراءى لي^(٨) شبح جمل، مستنر بجبل^(٩)، فترجيته قعدة مريح، وقصدته قصد مشيح، فإذا الظن كهانة^(١٠)، والقعدة عيرانة، والمريح قد ازدمل ببجاده، وأكتحل برقاده، فجلست عند رأسه، حتى هب من نعاسه، فلما ازدهر سراجاه^(١١)، وأحس بمن فاجاه، نفر كما ينفر المريب، وقال: أخوك أم

(١) البعد من طوَّحه إذا رماه.

(٢) جمع مصلات ومصليت وهو: الشجاع الماضي في أمره.

(٣) أميل. (٤) الخائف المدعور.

(٥) جملي المهزول. (٦) كناية عن اشتداد الظلام.

(٧) يعني أسير على غير اهتداء في الظلام. (٨) ظهر لي.

(٩) مستتر به. (١٠) يعني: صادف الواقع. (١١) فتح عينيه بعدما اتبه.

الذيب؟ فقلت: بل خابطُ ليلٍ ضلَّ المسلكَ، فأضى أقدحَ لك، فقال: ليسرُّ عنك (١) همك، فربَّ أخٍ لك لم تلده أمك، فانسرى عند ذلك إشفاعي، وسرى الوسنُ إلى آماقي، فقال: عند الصبحِ يحمدُ القومُ السرى، فهل ترى كما أرى؟ فقلت: إنني لك لأطوعُ من حذائك، وأوفقُ من غذائك، فصَدَع (٢) بِمَحَبَّتِي، وبخَبَخَ بِصُحْبَتِي، ثُمَّ احْتَمَلْنَا (٣) مُجِدِّينَ، وارتحلنا مُدْجِلِينَ، وَلَمْ نَزَلْ نُعَانِي السرى (٤)، ونعاصي الكرى (٥)، إلی أن بَلَغَ اللَّيْلُ غَايَتَهُ، ورفَعَ الفجرُ رايتهُ، فَلَمَّا أَسْفَرَ الفَاضِحُ (٦)، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَاضِحٌ، تَوَسَّمتُ رَفِيقَ رِحْلَتِي، وَسَمِيرَ لَيْلَتِي، فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ مَطْلَبُ النَّاشِدِ، وَمَعْلَمُ الرَّاشِدِ (٧)، فَتَهَادَيْنَا تَحِيَّةَ الْمُحْيِينَ، إِذَا التَّقِينَا بَعْدَ الْبَيْنِ، ثُمَّ تَبَاثُنَا الْأَسْرَارَ، وَتَنَاثُنَا الْأَخْبَارَ، وَبَعِيرِي يَنْحِطُ مِنَ الْكِلَالِ (٨)، وَرَاحِلَتُهُ تَزْفُ زَفِيفَ الرَّآلِ، فَأَعْجَبَنِي اشْتِدَادُ أُسْرِهَا، وَامْتِدَادُ صَبْرِهَا، فَأَخَذْتُ أُسْتَشِفُّ جَوْهَرَهَا (٩)، وَأَسْأَلُهُ مِنْ أَيْنَ تَخِيرَهَا، فَقَالَ: إِنَّ لِهَذِهِ النَّاقَةَ خَبْرًا حَلْوًا الْمَدَاقَةَ، مَلِيحَ السِّيَاقَةَ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ اسْتِمَاعَهُ فَأَنْخِ، وَإِنْ لَمْ تَشَأْ فَلَا تُصِخْ (١٠)، فَأَنْخْتُ لِقَوْلِهِ نَضْوِي، وَأَهْدَفْتُ السَّمْعَ لِمَا يَرُوي، فَقَالَ: اعْلَمْ أَنِّي اسْتَعْرَضْتُهَا بِحَضْرَمَوْتٍ، وَكَابَدْتُ (١١) فِي تَحْصِيلِهَا الْمَوْتَ، وَمَا زِلْتُ أَجُوبُ عَلَيْهَا الْبُلْدَانَ، وَأَطِسُ (١٢) بِأَخْفَافِهَا الطَّرَانَ (١٣)، إلی أن وَجَدْتُهَا

(١) ليزل وينكشف من سرا يسرو.

(٢) فكشف وباح.

(٣) رحلنا.

(٤) نكابد سير الليل.

(٥) تمناع النوم.

(٦) أضاء الصبح.

(٧) المعلم الأثر الذي يستدلُّ به على الطريق والراشد المهتدي.

(٨) من الإعياء.

(٩) أمعن النظر في خلقتها.

(١٠) فلا تسمع.

(١١) قاسيت.

(١٢) الوطس هو الوطاء الشديد.

(١٣) هو حجر له حدّ كحدّ السكين.

عَبْرَ أَسْفَارٍ، وَعُدَّةَ قَرَارٍ، لَا يَلْحَقُهَا الْعَنَاءُ، وَلَا تُوَاهِقُهَا (١) وَجَنَاءُ، وَلَا تَدْرِي مَا الْهِنَاءُ، فَأَرْصَدْتُهَا لِلخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَحْلَلْتُهَا (٢) مَحَلَّ الْبَرِّ السَّرِّ، فَاتَّفَقَ أَنْ نَدَّتْ مُذْمُودَةً، وَمَا لِي سِوَاهَا قُعْدَةٌ، فَاسْتَشَعَرْتُ الْأَسْفَافَ، وَاسْتَشْرَفْتُ التَّلْفَ، وَنَسِيتُ كُلَّ رِزْءٍ (٣) سَلْفَ، وَمَكَّثْتُ ثَلَاثًا لَا أَسْتَطِيعُ انْبِعَاثًا (٤) وَلَا أَطْعَمُ النُّومَ إِلَّا حَثَاثًا (٥)، ثُمَّ أَخَذْتُ فِي اسْتِقْرَاءِ الْمَسَالِكِ، وَتَفَقَّدْتُ الْمَسَارِحَ وَالْمَبَارِكِ، وَأَنَا لَا أَسْتَنْشِي مِنْهَا رِيحًا، وَلَا أَسْتَغْشِي يَأْسًا مُرِيحًا، وَكُلَّمَا ادَّكَّرْتُ مِضَاءَهَا (٦) فِي السَّيْرِ، وَانْبِرَاءَهَا لِمُبَارَاةِ الطَّيْرِ، لَاعَنِي الْأَدِّكَارُ (٧)، وَاسْتَهْوَتْني الْأَفْكَارُ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي حِوَاءِ بَعْضِ الْأَحْيَاءِ إِذْ سَمِعْتُ مِنْ شَخْصٍ مُتَبَعِّدٍ، وَصَوْتٍ مُتَجَرِّدٍ: مَنْ ضَلَّتْ لَهُ مَطِيَّةٌ، حَضْرَمِيَّةٌ وَطِيَّةٌ (٨)، جَلَدَهَا قَدْ وُسِمَ، وَعَرَّهَا (٩) قَدْ حُسِمَ، وَزَمَامُهَا قَدْ ضُفِرَ، وَظَهْرُهَا كَأَنَّ قَدْ كُسِرَ ثُمَّ جَبِرَ، تَزِينُ الْمَاشِيَّةِ، وَتُعِينُ النَّاشِيَةَ (١٠)، وَتَقْطَعُ الْمَسَافَةَ النَّائِيَةَ، وَتَظَلُّ أَبَدًا لَكَ مُدَانِيَةَ، لَا يَعْتَوِرُهَا الْوَنَى، وَلَا يَعْتَرِضُهَا الْوَجَى (١١)، وَلَا تُحَوِّجُ إِلَى الْعَصَا، وَلَا تَعْصِي فِي مَنْ عَصَى.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: فَجَذَبَنِي الصَّوْتُ إِلَى الصَّائِتِ، وَبَشَّرَنِي بِدَرْكِ الْفَائِتِ، فَلَمَّا أَفْضَيْتُ إِلَيْهِ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَلْتُ لَهُ: سَلِّمِ الْمَطِيَّةَ، وَتَسَلِّمِ الْعَطِيَّةَ (١٢)، فَقَالَ: وَمَا مَطِيَّتُكَ، غُفِرَتْ خَطِيئَتُكَ؟ قَلْتُ لَهُ: نَاقَةٌ جَثَّتْهَا

(١) لَا تَوَازِيهَا فِي السَّيْرِ.

(٢) أَنْزَلْتُهَا مِنِّي.

(٣) كُلُّ مِصْيَبَةٍ.

(٤) قِيَامًا وَسَيْرًا.

(٥) بَفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا؛ أَيُّ: قَلِيلًا.

(٦) سَرَعَتْهَا.

(٧) أَيُّ التَّذَكُّرِ.

(٨) ذُلُومٌ سَهْلَةٌ لَا تَحْرُكُ رَاكِبَهَا.

(٩) بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَكَسْرِهَا؛ أَيُّ: عَيْبًا.

(١٠) الْجَارِيَةُ الْحَدِيثَةُ السَّنَنِ.

(١١) وَجَعَ الرَّجُلِ.

(١٢) أَيُّ: أَقْبَضَ الْجُعَالَةَ.

كَالْهَضْبَةِ، وَذِرْوَتَهَا كَالْقُبَّةِ، وَجَلْبُهَا مِلْءُ الْعُلْبَةِ، وَكُنْتُ أُعْطِيْتُ بِهَا عِشْرِينَ، إِذْ حَلَلْتُ يُبْرِينَ، فَاسْتَرَدْتُ الَّذِي أُعْطِيَ، وَدَرَيْتُ (١) أَنَّهُ أَخْطَا. قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنِّي حِينَ سَمِعَ صِفَتِي. وَقَالَ: لَسْتَ بِصَاحِبِ لُقْطَتِي! فَأَخَذْتُ بِتَلَابِيهِ (٢)، وَأَصْرَرْتُ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَهَمَمْتُ بِتَمْزِيقِ جَلَابِيهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا هَذَا مَا مَطِيَّتِي بَطْلَبِكَ، فَاكْفُفْ عَنِّي مِنْ غَرِبِكَ (٣)، وَعَدَّ عَنْ سَبِّكَ، وَإِلَّا فَقَاضِنِي إِلَى حَكْمِ هَذَا الْحَيِّ، الْبَرِيِّ مِنَ الْغَيِّ، فَإِنْ أَوْجَبَهَا لَكَ فَتَسَلَّمْ، وَإِنْ زَوَّاهَا (٤) عَنْكَ فَلَا تَتَكَلَّمْ، فَلَمْ أَرْ دَوَاءَ قِصَّتِي، وَلَا مَسَاعٍ غُصَّتِي، إِلَّا أَنْ أَتَى الْحَكَمَ، وَلَوْ لَكُمْ، فَانْخَرَطْنَا (٥) إِلَى شَيْخِ رَكِينِ النَّصْبَةِ (٦)، أُنِيقِ الْعَصْبَةَ، يُؤْنَسُ مِنْهُ سُكُونُ الطَّائِرِ، وَأَنْ لَيْسَ بِالْجَائِرِ، فَاَنْدَرَاتُ أَتْظَلُّمٌ وَأَتَأَلَّمُ، وَصَاحِبِي مُرِمٌ (٧) لَا يَتْرَمَرُمُ (٨)، حَتَّى إِذَا نَثَلْتُ كِنَانَتِي، وَقَضَيْتُ مِنَ الْقِصَصِ لُبَانَتِي، أَبْرَزَ نَعْلًا رَزِينَةَ الْوِزْنِ، مَحْدُودَةً لِمَسَلِّكَ الْحَزْنَ، وَقَالَ: هَذِهِ الَّتِي عَرَفْتُ، وَإِيَّاهَا وَصَفْتُ، فَإِنْ كَانَتْ هِيَ الَّتِي أُعْطِيَ بِهَا عِشْرِينَ، وَهَا هُوَ مِنَ الْمُبْصِرِينَ، فَقَدْ كَذَبَ فِي دَعْوَاهُ، وَكَبَّرَ مَا افْتَرَاهُ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَمُدَّ قَدَالَهُ (٩)، وَيُبَيِّنَ مِصْدَاقَ مَا قَالَهُ، فَقَالَ الْحَكَمُ: اللَّهُمَّ غَفْرًا، وَجَعَلَ يَقْلِبُ النَّعْلَ بَطْنًا وَظَهْرًا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا هَذِهِ النَّعْلُ فَنَعْلِي، وَأَمَا مَطِيَّتُكَ فَنَحْلِي، فَانْهَضْ لِتَسَلَّمَ نَاقَتِكَ، وَافْعَلِ الْخَيْرَ بِحَسَبِ طَاقَتِكَ، فَقُمْتُ وَقُلْتُ:

(١) يجمع ثيابه من عند لبتة.

(١) علمت.

(٤) أي: منعها.

(٣) من حدك.

(٦) وقور الانتصاب

(٥) مضيئا مسرعين.

(٨) لا يحرك فاه للكلام.

(٧) ساكت.

(٩) القدال: مؤخر الرأس.

أَقْسَمُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ^(١) ذِي الْحَرَمِ وَالطَّائِفِينَ الْعَاكِفِينَ فِي الْحَرَمِ
إِنَّكَ نِعْمَ مِنْ إِلَيْهِ يُحْتَكَمُ وَخَيْرُ قَاضٍ فِي الْأَعَارِبِ ^(٢) حَكَمَ
فَاسْلَمَ وَدُمَ دَوْمَ النَّعَامِ وَالنُّعَمِ

فَأَجَابَ مِنْ غَيْرِ رُويَّةٍ ^(٣) ، وَلَا عَقْدِ نِيَّةٍ ، وَقَالَ :

جُزَيْتَ عَنْ شُكْرِكَ خَيْرًا يَا ابْنَ عَمِّ إِذْ لَسْتُ أُسْتَوْجِبُ شُكْرًا يُلْتَزَمُ
شَرُّ الْأَنْامِ مِنْ إِذَا اسْتُقْضِيَ ظَلَمٌ ثُمَّ مِنْ اسْتُرْعِي فَلَمْ يَرِعَ الْحَرَمَ ^(٤)
فَذَانِ وَالْكَلْبُ سَوَاءٌ فِي الْقِيَمِ

ثُمَّ إِنَّهُ نَفَذَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ سَلَمِ النَّاقَةِ إِلَيَّ ، وَلَمْ يَمْتَنِّ عَلَيَّ ، فَرُحْتُ نَجِيحَ
الْأَرْبِ ^(٥) ، أَجْرُ ذَيْلِ الطَّرَبِ ، وَأَقُولُ : يَا لِلْعَجَبِ !

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ : فَقُلْتُ لَهُ تَاللهِ لَقَدْ أَطْرَفْتَ ، وَهَرَفْتَ بِمَا
عَرَفْتَ ، فَنَاشَدْتُكَ اللهُ هَلْ أَلْفَيْتَ أَسْحَرَ مِنْكَ بِلَاغَةً ، وَأَحْسَنَ لِلْفُظِّ صِيَاغَةً ؟
فَقَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، فَاسْتَمِعْ وَانْعَمْ ، كُنْتُ عَزَمْتُ ، حِينَ أَتَهَمْتُ ^(٦) ، عَلَى
أَنْ أَتَّخِذَ طَعِينَةً ^(٧) ، لِتَكُونَ لِي مُعِينَةً ، فَحِينَ تَعَيَّنَ الْخَطْبُ الْمَلْبُ ، وَكَادَ
الْأَمْرُ يَسْتَبُّ ^(٨) ، أَفَكَّرْتُ فِكْرَ الْمُتَحَرِّزِ مِنَ الْوَهْمِ ^(٩) ، الْمَتَأَمِّلِ كَيْفَ مَسَقَطُ
السَّهْمِ ، وَبِتُّ لِيْلَتِي أَنْاجِي الْقَلْبَ الْمَعْدَبَ ، وَأَقْلَبُ الْعِزْمَ الْمُدْبَذَبَ ^(١٠) ،

(١) هو الكعبة سمي العتيق بمعنى: القديم.

(٢) جمع الأعراب، وهم سكان البادية.

(٣) فكرة.

(٤) لا يحترم من له حق تحت رعايته.

(٥) قصدت تهامة.

(٦) يتهايا ويتم.

(٧) المرأة أو الزوجة.

(٨) الخائف من الغلط.

(٩) القصد المضطرب المتردد بين أمرين.

إِلَى أَنْ أَجْمَعْتَ عَلَيَّ أَنْ أُسْحَرَ، وَأُشَاوِرَ أَوَّلَ مَنْ أَبْصُرُ، فَلَمَّا قَوَّضْتَ
الظُّلْمَةَ أَطْنَابَهَا (١)، وَوَلَّتْ الشُّهُبُ أذْنَابَهَا، غَدَوْتُ غَدُوَّ الْمُتَعَرِّفِ، وَابْتَكَّرْتُ
ابْتِكَارَ الْمُتَعَيِّفِ، فَاَنْبَرَى (٢) لِي يَافِعٌ فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ، فَتِيَمَنْتُ بِمَنْظَرِهِ الْبَهِيحِ،
وَاسْتَقْدَحْتُ رَأْيَهُ فِي التَّزْوِيحِ، فَقَالَ: أَوْتَبِغِيهَا عَوَانًا، أَمْ بِكَرًّا تُعَانِي؟ فَقُلْتُ:
اخْتَرُ لِي مَا تَرَى، فَقَدْ أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ الْعُرَى (٣)، فَقَالَ: إِلَيَّ التَّيْبِينُ، وَعَلَيْكَ
التَّعْيِينُ، فَاسْمَعِ أَنَا أَفْدِيكَ، بَعْدَ دَفْنِ أَعَادِيكَ، أَمَا الْبِكْرُ فَالِدُرَّةُ الْمُخْزُونَةُ،
وَالْبَيْضَةُ الْمَكْنُونَةُ (٤)، وَالْبَاكُورَةُ (٥) الْجَنِئَةُ (٦)، وَالسَّلَافَةُ الْهَيْئَةُ، وَالرُّوْضَةُ
الْأُنْفُ (٧)، وَالطَّوْقُ الَّذِي ثَمَنَ وَشَرَفَ، لَمْ يَدْنَسْهَا لَامِسٌ (٨)، وَلَا اسْتَعْشَاهَا
لَابِسٌ، وَلَا مَارَسَهَا عَابَثٌ، وَلَا وَكَسَهَا طَامَثٌ، وَلَهَا الْوَجْهُ الْحَيُّ، وَالطَّرْفُ
الْحَفِيُّ، وَاللِّسَانُ الْعَيْيُ (٩)، وَالْقَلْبُ النَّقِيُّ، ثُمَّ هِيَ الدُّمِيَّةُ الْمُلَاعِبَةُ، وَاللَّعْبَةُ
الْمُدَاعِبَةُ، وَالغَزَالَةُ الْمُغَازِلَةُ (١٠)، وَالْمُلْحَةُ الْكَامِلَةُ، وَالْوَشَاحُ الطَّاهِرُ
الْقَشِيبُ (١١)، وَالضَّجِيعُ الَّذِي يُشِبُّ وَلَا يُشِيبُ (١٢)، وَأَمَّا الثَّيْبُ فَالْمَطِيَّةُ
الْمَذَلَّةُ، وَاللُّهْنَةُ (١٣) الْمَعْجَلَةُ، وَالْبَغِيَّةُ الْمُسَهَّلَةُ، وَالطَّبَّةُ (١٤) الْمَعْلَلَةُ (١٥)،
وَالْقَرِينَةُ الْمُتَحَبِّبَةُ، وَالْخَلِيلَةُ الْمُتَقَرَّبَةُ، وَالصَّنَاعُ (١٦) الْمُدْبِرَةُ، وَالْفَطْنَةُ الْمُخْتَبِرَةُ،

(١) كناية عن انتهاء الليل والأطناب: حبال تُشدُّ بها الخيمة وتقويضها: حلها، ونقضها: استعارها لانقضاء الظلِّمة.

(٢) اعترض.

(٣) كناية عن تفويض الأمر إليه.

(٤) المخبأة المستورة.

(٥) أول ثمرة الشجرة.

(٦) التي لم تدبُّ.

(٧) التي لم ترع بعد.

(٨) زوج.

(٩) يعني: الذي لا سلاطة فيه.

(١٠) المحادثة والمرودة.

(١١) الجديد.

(١٢) يجعلك شاباً ولا يشيبك.

(١٣) هي ما يتقدم من الطعام قبل الغداء.

(١٤) الخبيرة العاملة.

(١٥) المؤنسة.

(١٦) الماهرة الحاذقة.

ثُمَّ إِنَّهَا عَجَالَةُ الرَّأِيبِ، وَأَنْشَوَاطُ الخَاطِبِ، وَقُوعْدَةُ العَاجِزِ، وَنُهْزَةُ المَبَارِزِ (١)
عَرِيكَتُهَا لَيِّنَةٌ، وَعُقْلَتُهَا هَيِّنَةٌ، وَدَخِلَتْهَا (٢) مُتَبَيِّنَةٌ (٣)، وَخَدَمَتُهَا مَزِينَةٌ، وَأَقْسِمُ
لَقَدْ صَدَقْتُ فِي النِّعَتَيْنِ، وَجَلَوْتُ المَهَاتَيْنِ، فَبَايَتَهُمَا هَامَ قَلْبِكَ؟

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: فَرَأَيْتُهُ جُنْدَلَةً (٤) يَتَّقِيهَا المُرَاجِمُ، وَتُدْمِي مِنْهَا المَحَاجِمُ،
إِلَّا أَنِّي قُلْتُ لَهُ: كُنْتُ سَمِعْتُ أَنَّ البِكْرَ أَشَدُّ حُبًّا، وَأَقْلُّ حُبًّا (٥)، فَقَالَ:
لَعَمْرِي قَدْ قِيلَ هَذَا، وَلَكِنْ كَمْ قَوْلٍ آذَى! وَيُحَكُّ أَمَا هِيَ المُهْرَةُ الأَيُّةُ
العِنَانِ (٦)، وَالمَطِيَّةُ البَطِيَّةُ الإِذْعَانُ! وَالزَّنْدَةُ المُنْتَعَسِرَةُ الأَقْتِدَاحِ، وَالقَلْعَةُ
المُسْتَصْعَبَةُ الأَفْتِيحِ! ثُمَّ إِنَّ مَوْوَنَتَهَا كَثِيرَةً، وَمَعُونَتَهَا يَسِيرَةٌ، وَعِشْرَتَهَا
صَلْفَةٌ، وَدَالَّتْهَا (٧) مُكَلَّفَةٌ، وَبِهَا خَرْقَاءُ (٨)، وَفَتِنَتَهَا صَمَاءُ (٩)، وَعَرِيكَتَهَا
خَشْنَاءُ، وَلَيْلَتَهَا لِيْلَاءُ (١٠)، وَفِي رِيَاضَتِهَا عَنَاءٌ، وَعَلَى خَبْرَتِهَا غِشَاءٌ!
وَطَالَمَا أَخَزَتِ المُنَازِلَ، وَفَرَكَتِ المُغَازِلَ، وَأَحْنَقَتِ (١١) الأَهَازِلَ (١٢)،
وَأَضْرَعَتِ الفَنِيْقَ البَازِلَ، ثُمَّ إِنَّهَا التِّي تَقُولُ: أَنَا أَلْبَسُ وَأَجْلِسُ، فَأَطْلُبُ مِنْ
يُطَلِقُ وَيَحْبِسُ! فَقُلْتُ لَهُ: فَمَا تَرَى فِي الشَّيْبِ، يَا أَبَا الطَّيِّبِ؟ فَقَالَ:
وَيُحَكُّ أترغِبُ فِي فَضَالَةِ المَأْكَلِ، وَثُمَّالَةِ المُنَاهِلِ (١٣)، وَاللَّبَاسِ المُسْتَبْدَلِ،
وَالوِعَاءِ المُسْتَعْمَلِ؟ وَالدَّوَاقِعِ المُنْتَرَفَةِ، وَالخَرَاجَةِ (١٤) المُنْتَصِرْفَةِ؟

(١) غنيمة المحارب.

(٢) باطن أمرها.

(٣) ظاهرة.

(٤) حجراً، والجمع: جنادل.

(٥) خداعاً ومكراً.

(٦) يعني: المستعصبة الانقياد.

(٧) دلالتها.

(٨) التي لا تحسن التصرف في معيشتها مبدرة.

(٩) شديدة شبّهت بالحياة.

(١٠) يقال: ليلة ليلاء؛ إذا كانت شديدة الظلام.

(١١) غاظت.

(١٢) المستعمل الهزل ضد الجد.

(١٣) بقية الماء.

(١٤) هي كثيرة الخروج أو الإخراج.

والوفاح (١) المُتسلِّطَة، والمُحتكَرَة (٢) المُتسخَّطَة؟ ثمَّ كَلِمَتُهَا كُنْتُ
 وَصِرْتُ، وطالماً بُغِيَ عَلَيَّ فَنَصِرْتُ، وَشَتَّانَ بَيْنَ الْيَوْمِ وَأَمْسٍ، وَأَيْنَ الْقَمَرُ
 مِنَ الشَّمْسِ؟ وَإِنْ كَانَتِ الْحَنَانَةُ الْبَرُوكَ (٣)، وَالطَّمَّاحَةُ الْهَلُوكَ (٤)، فَهِيَ
 الْغَلُّ الْقَمَلُ، وَالْجُرْحُ الَّذِي لَا يَنْدَمِلُ! فَقُلْتُ لَهُ: فَهَلْ تَرَى أَنْ أَتْرَهَّبَ،
 وَأَسْأَلُكَ هَذَا الْمَذْهَبَ؟ فَانْتَهَرَنِي انْتِهَارَ الْمُؤَدِّبِ، عِنْدَ زَلَّةِ الْمُتَأَدِّبِ، ثُمَّ قَالَ:
 وَيَلِكُ أَتَقْتَدِي بِالرُّهْبَانِ، وَالْحَقُّ قَدْ اسْتَبَانَ؟ أَفُ لَكَ، وَلَوْ هُنَّ رَائِكُ (٥)، وَتَبَّ
 لَكَ وَلَاوَلَّتْكَ! أَتُرَاكَ مَا سَمِعْتَ بِأَنْ لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ، أَوْ مَا حَدَّثْتَ
 بِمَنَاكِحِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ أَرْكَى السَّلَامِ؟ ثُمَّ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَرِينَةَ (٦) الصَّالِحَةَ تَرْبُ
 بَيْتَكَ (٧)، وَتُلَبِّي صَوْتَكَ، وَتَغْضُ طَرْفَكَ (٨)، وَتَطْيِبُ عَرْفَكَ؟ وَبِهَا تَرَى
 قُرَّةَ عَيْنِكَ، وَرِيحَانَةَ أَنْفِكَ، وَفَرِحَةَ قَلْبِكَ وَخُلْدَ ذِكْرِكَ، وَتَعْلَةَ يَوْمِكَ
 وَغَدَكَ، فَكَيْفَ رَغِبْتَ عَنْ سُنَّةِ الْمُرْسَلِينَ، وَمُتَعَةَ الْمُتَأَهِّلِينَ (٩)، وَشُرْعَةَ
 الْمُحْصَنِينَ، وَمَجْلَبَةَ الْأَمَالِ وَالْبَنِينَ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ سَاءَنِي فِيكَ، مَا سَمِعْتُ مِنْ
 فِيكَ، ثُمَّ أَعْرَضَ إِعْرَاضَ الْمَغْضَبِ، وَنَزَا نَزْوَانَ الْعُظْبِ (١٠)، فَقُلْتُ لَهُ:
 قَاتَلَكَ اللَّهُ أَتَنْطَلِقُ مُتَبَخَّرًا، وَتَدْعُنِي مُتَحِيرًّا؟ فَقَالَ: أَظْنُكَ تَدْعِي الْحَيْرَةَ،
 لَتَسْتَغْنِي عَنِ الْمَهِيرَةِ (١١)! فَقُلْتُ لَهُ: قَبَّحَ اللَّهُ ظَنُّكَ، وَلَا أَشَبَّ قَرْنَكَ!
 ثُمَّ رُحْتُ عَنْهُ مَرَّاحَ الْخَزْيَانِ، وَتُبْتُ مِنْ مُشَاوَرَةِ الصَّبِيَّانِ.

(٢) الجامعة المانعة.

(١) قليلة الحياء.

(٣) هي التي تتزوج ولها ابن بالغ.

(٤) الفاجرة التي تتساقط على الرجال من التهالك، وهي شدة الحرص.

(٦) المراد بها: المرأة.

(٥) لضعف رأيك.

(٨) تمنع بصرك من التطلع للنساء.

(٧) تصلحه.

(١٠) ذكر الجراد.

(٩) ما يتمتع به المتزوجون.

(١١) بفتح الميم وكسر الهاء، وهي: الحرّة الغالية المهر.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَقُلْتُ لَهُ أَقْسِمُ بِمَنْ أَنْبَتَ الْأَيْكَ، أَنْ الْجَدَلَ مِنْكَ وَإِلَيْكَ، فَأَغْرَبَ (١) فِي الضَّحْكَ وَطَرِبَ طَرِبَةَ الْمُنْهَمِكِ، ثُمَّ قَالَ: الْعَقَّ الْعَسَلِ، وَلَا تَسَلْ! فَأَخَذْتُ أُسْهَبُ (٢) فِي مَدْحِ الْأَدَبِ، وَأَفْضَلُ رَبَّهُ عَلَى ذِي النَّسَبِ (٣)، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ نَظَرَ الْمُسْتَجْهَلِ؛ وَيُغْضِي عَنِّي إِغْضَاءَ الْمُتْمَهِّلِ، فَلَمَّا أَفْرَطْتُ فِي الْعَصِيَّةِ، لِلْعُصْبَةِ الْأَدْبِيَّةِ (٤)، قَالَ لِي: صَهْ، وَاسْمِعْ مِنِّي وَافِقَهُ:

يَقُولُونَ إِنَّ جَمَالَ الْفَتَى وَزِينَتَهُ أَدَبٌ رَاسِخٌ (٥)
وَمَا إِنَّ يَزِينَ سِوَى الْمُكْثَرِينَ وَمَنْ طَوْدُ سَوْدَدِهِ شَامِخٌ
فَأَمَّا الْفَقِيرُ فَخَيْرٌ لَهُ مِنْ الْأَدَبِ الْقُرْصِ وَالْكَامِخِ
وَأَيَّ جَمَالَ لَهُ أَنْ يُقَالَ أَدِيبٌ يَعْلَمُ أَوْ نَاسِخٌ

ثُمَّ قَالَ: سَيَتَّضِحُّ لَكَ صِدْقُ لَهْجَتِي، وَاسْتِنَارَةُ حُجَّتِي (٦)، وَسِرْنَا لَا نَأْلُو جُهْدًا، وَلَا نَسْتَفِيقُ جَهْدًا، حَتَّى أَدَانَا السَّيْرُ، إِلَى قَرْيَةٍ عَزَبَ عَنْهَا (٧) الْخَيْرُ، فَدَخَلْنَاهَا لِلرَّيَادِ (٨)، وَكِلَانًا مُنْفَضً (٩) مِنَ الزَّادِ، فَمَا إِنْ بَلَّغْنَا الْمَحَطَّ، وَالْمُنَاخَ الْمُخْتَطَّ، أَوْ لَقِينَا غُلَامٌ لَمْ يَبْلُغِ الْحُنْثَ، وَعَلَى عَاتِقِهِ ضِغْثٌ، فَحَيَّاهُ أَبُو زَيْدٍ تَحِيَّةَ الْمُسْلِمِ، وَسَأَلَهُ وَقْفَةَ الْمَفْهَمِ، فَقَالَ: وَعَمَّ تَسْأَلُ وَفَقَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: أَيُّعُ هَاهُنَا الرُّطْبُ، بِالْخُطْبِ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ! قَالَ: وَلَا الْبَلْحُ (١٠)، بِالْمَلْحِ (١١)؟ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ، قَالَ: وَلَا الثَّمْرُ،

(١) بالغ.

(٢) الإسهاب: الإكثار في الكلام والإطالة فيه.

(٣) صاحب المال.

(٤) أرباب الأدب.

(٥) ثابت متمكن.

(٦) ظهورها نيرة مضيئة.

(٧) غاب عنها.

(٨) خال.

(٩) للطلب.

(١٠) هو: ثمر النخل قبل البسر وبعد الخلال.

(١١) بالكلام المستملح المستحسن.

بالسَّمْرِ؟ قَالَ: هَيْهَاتَ وَاللَّهِ! قَالَ: وَلَا الْعَصَائِدُ، بِالْقَصَائِدِ؟ قَالَ: اسْكُتْ عَافَاكَ اللَّهُ! قَالَ: وَلَا الثَّرَائِدُ، بِالْفَرَائِدِ (١)؟ قَالَ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ أَرْشَدَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: وَلَا الدَّقِيقُ، بِالْمَعْنَى الدَّقِيقِ؟ قَالَ: عَدَّ عَنْ هَذَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ! وَاسْتَحْلَى أَبُو زَيْدٍ تَرَاجُعَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، وَالتَّكَايُلَ مِنْ هَذَا الْجِرَابِ، وَلَمَحَ الْغُلَامُ أَنَّ الشَّوْطَ بَطِينٌ (٢)، وَالشَّيْخَ شَوَيْطِينٌ (٣)، فَقَالَ لَهُ: حَسْبُكَ يَا شَيْخُ قَدْ عَرَفْتُ فَنَكَ، وَاسْتَبْنْتُ أَنْكَ، فَخُذِ الْجَوَابَ صَبْرَةً، وَاکْتَفِ بِهِ خَبْرَةً (٤). أَمَا بِهِذَا الْمَكَانِ فَلَا يُشْتَرَى الشَّعْرُ بِشَعِيرَةٍ، وَلَا الثَّرُ بِثُرَّةٍ، وَلَا الْقِصَصُ بِقِصَاصَةٍ، وَلَا الرَّسَالَةُ بِغُسَالَةٍ، وَلَا حَكْمٌ لِقَمَانٍ بِلُقْمَةٍ، وَلَا أَخْبَارُ الْمَلَا حِمٍ (٥) بِلَحْمَةٍ (٦)، وَأَمَّا جَيْلٌ هَذَا الزَّمَانِ فَمَا مِنْهُمْ مَنْ يَمِيحُ (٧)، إِذَا صِيغَ لَهُ الْمُدِيحُ، وَلَا مَنْ يُجِيزُ، إِذَا أُنْشِدَ لَهُ الْأَرَا جِيزُ، وَلَا مَنْ يُغِيثُ، إِذَا أَطْرَبَهُ الْحَدِيثُ، وَلَا مَنْ يَمِيرُ، وَلَوْ أَنَّهُ أَمِيرٌ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ مِثْلَ الْأَدِيبِ، كَالرَّبْعِ الْجَدِيدِ، إِنْ لَمْ تَجِدِ الرَّبْعَ دِيمَةً (٨)، لَمْ تَكُنْ لَهُ قِيمَةً، وَلَا دَانَتَهُ بِهَيْمَةً، وَكَذَا الْأَدَبُ، إِنْ لَمْ يَعْضُدْهُ نَشَبٌ، فَدَرَسُهُ نَصَبٌ، وَخَزَنُهُ حَصَبٌ، ثُمَّ انْسَدَرَ (٩) يَعْدُو، وَوَلَّى يَحْدُو، فَقَالَ لِي أَبُو زَيْدٍ: أَعْلَمْتَ أَنَّ الْأَدَبَ قَدْ بَارَ (١٠)، وَوَلَّتْ أَنْصَارُهُ الْأَدْبَارَ؟ فَبُؤْتُ (١١) لَهُ بِحُسْنِ الْبَصِيرَةِ، وَسَلَّمْتُ بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ، فَقَالَ: دَعْنَا الْآنَ مِنَ الْمِصَاعِ (١٢)، وَخُضْ فِي حَدِيثِ

- (١) جمع فريدة، وأراد بها: أبيات القصائد.
(٢) البطين: البعيد.
(٣) صاحب أدب ودهاء.
(٤) علماء.
(٥) هي: الوقائع والحروب.
(٦) بقطعة لحم.
(٧) يعطي.
(٨) هي: المطر الدائم.
(٩) أسرع بعض الإسراع.
(١٠) فاعترفت له وأقررت.
(١١) كسد.
(١٢) المجادلة والمحاربة.

القصاص، واعلم أن الأسجاع، لا تُشبع من جاع، فما التدبير فيما يُمسكُ
 الرَّمقَ (١)، ويُطفئ الحرق؟ فقلتُ: الأمرُ إليك، والزمامُ بيدك، فقال: أرى
 أن ترهن سيفك، لتُشبع جوفك وضيْفك، فناولنيهِ وأقم، لأنقلب إليك بما
 تلتقم، فأحسنتُ به الظنَّ، وقلدتهُ السيفَ والرهنَ، فما لبثَ أن ركبَ
 الناقةَ، ورفضَ الصدقَ والصدّاقةَ، فمكثتُ ملياً (٢) أترقبه، ثم نهضتُ
 أتعبه (٣)، فكنتُ كمن ضيع اللبَنَ في الصيفِ، ولم ألقه ولا السيفَ.



(١) بقية الحياة.

(٢) زماناً طويلاً.

(٣) أتبعه في عقبه.

المقامة الرابعة والأربعون الشتوية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: عَشَوْتُ^(١) في ليلةٍ داجيةٍ الظُّلمِ^(٢)،
فأحمة اللِّمَمِ، إلى نارٍ تُضْرَمُ^(٣) على علمٍ^(٤)، وتُخْبِرُ عن كَرَمٍ، وكانتُ
ليلةً جوها مَقْرُورٌ، وجيها مَزْرُورٌ، ونجمها مَغْمُومٌ^(٥)، وغيمها مَرْكُومٌ،
وأنا فيها أصردُ من عينِ الحِرباءِ، والعنزِ الجِرباءِ، فلم أزل أنصُ عُنْسي،
وأقول: طوبى لك ولنفسِي! إلى أن تبصرَ^(٦) الموقدُ آلي^(٧)، وتبينَ
إرقالِي، فانحدرَ يعدو الجَمَزَى، وينشدُ مرتجِزاً:

حييت من خابط ليل ساري
إلى رحيب الباع^(١٠) رحب الدار^(١١)
ترحاب جعد الكف بالدينار
ولأبعثام القرى مؤخار^(١٣)
وضننت الأنواء بالأمطار
هداه^(٨) بل أهداه^(٩) ضوء النار
مرحب بالطارق الممتار^(١٢)
ليس بمزور عن الزوار
إذا اقشعرت ترب الأقطار
فهو على بؤس الزمان^(١٤) الضاري

- (١) قصدت .
(٢) معتمة شديدة الظلام .
(٣) تشعل .
(٤) جبل .
(٥) مستور تحت الغيم .
(٦) تأمل ببصره .
(٧) شخصي .
(٨) دلّه وأرشدته .
(٩) من الهدية .
(١٠) إلى واسع العطاء .
(١١) واسعها .
(١٢) طالب الميرة لنفسه، وهي: الطعام .
(١٣) مؤخّر له .
(١٤) شدّته .

جَمِ الرَّمَادِ مَرَهْفُ الشَّفَارِ لَمْ يَخُلْ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ
مِنْ نَحْرِ وَاوٍ وَاقْتِدَاحٍ وَارِي

ثُمَّ تَلَقَّانِي بِمُحِيَّا حَيِّ، وَصَافَحَنِي بِرَاحَةَ أَرِيحِيِّ، وَاقْتَادَنِي إِلَى بَيْتِ
عَشَارُهُ تَخُورُ، وَأَعَشَارُهُ تَفُورُ (١)، وَوَلَائِدُهُ (٢) تَمُورُ (٣)، وَمَوَائِدُهُ تَدُورُ،
وَبَاكُسَارِهِ أَضْيَافٌ قَدْ جَلَبَهُمْ جَالِبِي، وَقَلَّبُوا فِي قَالِبِي، وَهُمْ يَجْتَنُونَ فَاكِهَةَ
الشِّتَاءِ، وَيَمْرَحُونَ مَرَحَ ذَوِي الْفِتَاءِ، فَأَخَذْتُ مَا أَخَذَهُمْ فِي الْإِصْطِلَاءِ،
وَوَجَدْتُ بِهِمْ وَجْدَ الثَّمَلِ بِالطَّلَاءِ، وَلَمَّا أَنْ سَرَى الْخَصْرُ (٤)، وَأَنْسَرَى
الْخَصْرُ، أُتِينَا بِمَوَائِدَ كَالِهَالَاتِ دَوْرًا، وَالرَّوْضَاتِ نَوْرًا (٥)، وَقَدْ شُحِنَ (٦)
بِأَطْعَمَةِ الْوَلَائِمِ، وَحُمِينِ (٧) مِنَ الْعَائِبِ وَاللَّائِمِ، فَرَفَضْنَا مَا قِيلَ فِي
الْبِطْنَةِ، وَرَأَيْنَا الْإِمْعَانَ (٨) فِيهَا مِنَ الْفِطْنَةِ، حَتَّى إِذَا اكْتَلْنَا بِصَاعِ
الْحُطْمِ (٩)، وَأَشْفَيْنَا عَلَى خَطَرِ التُّخْمِ، تَعَاوَرْنَا (١٠) مَشُوشَ الْعَمْرِ، ثُمَّ
تَبَوَّأْنَا (١١) مَقَاعِدَ السَّمْرِ (١٢)، وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مَنَا يَشُولُ بِلِسَانِهِ، وَيَنْشُرُ مَا
فِي صَوَانِهِ، مَا عَدَا شَيْخًا مُشْتَهَبًا فُودَاهُ، مُخْلَوْلِقًا بُرْدَاهُ، فَإِنَّهُ رِبْضَ حَجْرَةٍ،
وَأَوْسَعَنَا هَجْرَةً، فَعَاظَنَا تَجْنِبُهُ، أَلْمَلْتَيْسُ مُوجِبُهُ، الْمُعْذُورُ فِيهِ مُؤْنِبُهُ، إِلَّا أَنَا
أَلْنَا (١٣) لَهُ الْقَوْلَ، وَخَشِينَا فِي الْمَسْأَلَةِ الْعَوْلَ (١٤)، وَكَلَّمَا رُمْنَا أَنْ يَفِيضَ

(٢) جمع وليدة، وهي: الجارية.

(١) أي تغلي.

(٤) زال التضيق.

(٣) تبيء وتذهب لخدمة الأضياف.

(٦) ملئن.

(٥) أي: زهراً.

(٨) المبالغة والإكثار.

(٧) مُنَعْن.

(١٠) تداولنا.

(٩) أي الأكل.

(١٢) حديث الليل.

(١١) حللنا وتمكنا.

(١٤) خفنا أن نتكلم معه فيزيد.

(١٣) من اللين، ضد الصلابة.

كَمَا فَضْنَا، أَوْ يُفِيضَ فِيمَا أَفْضْنَا، أَعْرَضَ إِعْرَاضَ الْعَلِيَّةِ عَنِ الْأَرْضَيْنِ،
 وَتَلَا: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، ثُمَّ كَانَ الْحَمِيَّةَ (١) هَاجَتَهُ (٢)، وَالتَّفْسَ
 الْأَيَّةَ نَاجَتَهُ (٣)، فَدَلَفَ وَازْدَلَفَ، وَخَلَعَ الصَّلْفَ، وَبِذَلْ أَنْ يَتَلَفَى (٤) مَا
 سَلَفَ، ثُمَّ اسْتَرْعَى سَمْعَ السَّامِرِ، وَانْدَفَعَ كَالسَّيْلِ الْهَامِرِ (٥)، وَقَالَ:

عِنْدِي أَعَاجِيبُ أَرُوبِهَا بِلَا كَذِبٍ
 عَنِ الْعَيَانِ (٦) فَكُنُونِي أَبَا الْعَجَبِ
 رَأَيْتُ يَا قَوْمُ أَقْوَامًا غَذَاؤُهُمْ
 بَوْلُ الْعَجُوزِ وَمَا أَعْنِي ابْنَةُ الْعِنَبِ (٧)
 وَمُسْنَتَيْنِ مِنَ الْأَعْرَابِ قَوْتُهُمْ
 أَنْ يَشْتَوُوا خَرْقَةً تُغْنِي مِنَ السَّغْبِ (٨)
 وَقَادِرِينَ مَتَى مَا سَاءَ صُنْعُهُمْ
 أَوْ قَصَّروا فِيهِ قَالُوا التَّذَنُّبُ لِلْحَطَبِ
 وَكَاتِبِينَ وَمَا خَطَّتْ أَنْامِلُهُمْ
 حَرْفًا وَلَا قَرُوءًا مَا خُطَّ فِي الْكُتُبِ
 وَتَابِعِينَ عَقَابًا (٩) فِي مَسِيرِهِمْ
 عَلَى تَكْمِيهِمْ فِي الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ
 وَمُنْتَدِينَ ذَوِي نُبُلٍ بَدَّتْ لَهُمْ
 نَبِيلَةٌ فَانشَنُوا مِنْهَا إِلَى الْهَرَبِ

(١) الأنفة والعظمة.

(٢) هيجته.

(٣) حدثته.

(٤) يتدارك.

(٥) السائل الجاري.

(٦) المشاهدة.

(٧) الخمر.

(٨) الجوع.

(٩) بضم العين: نوع من الطير.

وَعُصْبَةٌ لَمْ تَرَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَقَدْ
 حَجَّتْ جُثِيًّا بِلَا شِكِّ عَلَى الرُّكْبِ
 وَنِسْوَةٌ بَعْدَمَا أُدْجِنَ (١) مِنْ حَلَبِ
 صَبَّحْنَ كَاطِمَةً (٢) مِنْ غَيْرِ مَا تَعَبِ
 وَمُدْجِلِينَ سَرَوْا مِنْ أَرْضِ كَاطِمَةَ
 فَأَصْبَحُوا حِينَ لَاحَ الصُّبْحُ فِي حَلَبِ (٣)
 وَيَافِعًا لَمْ يُلَامَسْ قَطُّ غَانِيَةً
 شَاهَدْتُهُ وَلَهُ نَسْلٌ مِنَ الْعَقَبِ (٤)
 وَشَائِبًا غَيْرَ مُخْفٍ لِلْمَشِيبِ بَدَا
 فِي الْبَدْوِ وَهُوَ فَتِي السِّنِّ لَمْ يَشِبِ
 وَمُرْضِعًا بَلْبَانٍ لَمْ يَفُهُ فَمُهُ (٥)
 رَأَيْتُهُ فِي شَجَارِ بَيْنِ السَّبَبِ
 وَزَارِعًا ذُرَّةً حَتَّى إِذَا حُصِدَتْ
 صَارَتْ غُبِيرَاءَ (٦) يَهْوَاهَا أَخُو الطَّرَبِ
 وَرَاكِبًا وَهُوَ مَغْلُولٌ (٧) عَلَى فَرَسِ
 قَدْ غُلَّ أَيْضًا وَمَا يَنْفُكُ عَنْ خَبَبِ
 وَذَا يَدُ طُلُقِ (٨) يَقْتَادُ رَاحِلَةً
 مُسْتَعَجِلًا وَهُوَ مَأْسُورٌ أَخُو كُرَبِ

(١) أي: سرين في جوف الليل.

(٢) هي من بلاد البصرة.

(٣) أصبحوا يحلبون اللبن.

(٤) مؤخر القدم.

(٥) لم ينطق بالكلام.

(٦) النبات المعروف، وهو: نوع من البنج.

(٧) مشدود في الغل والأسر.

(٨) صاحب يد مطلوقة، وهو: ضد المشدود.

وجالسا ماشيا تهوي مطيئته
 به وما في الذي أوردت من ريب
 وحائكاً أجذم الكففين (١) ذا خرس
 فإن عجبتم فكم في الخلق من عجب
 وذا شطاط (٢) كصدر الرمح قامتته
 صادفته بمنى يشكو من الحدب (٣)
 وساعيا في مسرات الأنام يرى
 إفراحهم مائماً كالظلم والكذب
 ومغرمًا (٤) بمناجاة الرجال له
 وماله في حديث الخلق من أرب
 وذا ذمام (٥) وقت بالعهد ذمته
 ولا ذمام له في مذهب العرب
 وذا قوى ما استبانته قط لينته
 ولينه مستبين غير محتجب
 وساجداً فوق فحل غير مكترث (٦)
 بما أتى بل يراه أفضل القرب (٧)
 وعاذراً مؤلماً (٨) من ظل يعذره
 مع التلطف والمعذور في صخب (٩)

(١) أقطع . (٢) قامة معتدلة .

(٣) تقوس الظهر وبروزه كالسنام . (٤) ولوعاً .

(٥) صاحب عهد وذمة . (٦) غير مبال .

(٧) جمع قرية - بالضم - وهي : الطاعة . (٨) مؤذياً . (٩) ارتفاع الصوت والصياح .

وبلدة ما بها ماءٌ لمُتَرَفِ
 والماءُ يجري عليها جريٌ منسربِ
 وقريةٌ دونَ أفحوصِ القطا شُحنتُ
 بديلمِ (١) عيشهم من خلسةِ (٢) السلبِ (٣)
 وكوكباً يتوارى (٤) عند رؤيته الـ
 إنسانٌ حتى يرى في أمنعِ الحُجُبِ
 وروثةً (٥) قومتُ مالا له خطرٌ (٦)
 ونفسٌ صاحبها بالمالِ لم تطبِ
 وصحفةً من نضارِ خالصِ شريتِ (٧)
 بعد المكَاسِ (٨) بقيراطٍ من الذهبِ
 ومُستَجيشاً (٩) بخشخاشٍ ليدفعَ ما
 أظلهُ (١٠) من أعاديهِ فلم يخبِ
 وطالما مرَّ بي كلبٌ وفي فمه
 ثورٌ ولكنَّه ثورٌ بلا ذنبِ
 وكم رأى ناظري فيلاً على جملِ
 وقد تورَّك فوق الرُّحْلِ والقَتبِ

(١) هي ما يؤخذ كالسرقة .

(٢) يختفي .

(٣) له قدر وشرف .

(٤) المشاحة بين المتبايعين .

(٥) ما غشيه وقرب منه .

(٦) يطلق على جيل من العجم .

(٧) ما يسلب من القتلى .

(٨) ما يخرج من بطون الماشية .

(٩) بيعت .

(١٠) طالب جيش يستعين به .

وَكَمْ لَقِيتُ بَعْرَضِ الْبَيْدِ مُشْتَكِيَا ^(١)
 وَمَا اشْتَكَى قَطَّ فِي جِدِّ وَفِي لَعِبِ
 وَكُنْتُ أَبْصَرْتُ كَرَّازًا لِرَاعِيَّةٍ ^(٢)
 بِالِدَوِّ ^(٣) يَنْظُرُ مِنْ عَيْنَيْنِ كَالشُّهْبِ
 وَكَمْ رَأَتْ مُقْلَتِي عَيْنَيْنِ مَاؤُهُمَا
 يَجْرِي مِنَ الْغَرْبِ وَالْعَيْنَانِ فِي حَلْبِ
 وَصَادِعًا بِالْقَنَا مِنْ غَيْرِ أَنْ عَلِقَتْ
 كَفَّاهُ يَوْمًا بِرُمُحٍ لَا وَلَمْ يَثْبِ ^(٤)
 وَكَمْ نَزَلْتُ بِأَرْضِ لَا نَخِيلَ بِهَا
 وَبَعْدَ يَوْمٍ رَأَيْتُ الْبُسْرَ فِي الْقُلْبِ
 وَكَمْ رَأَيْتُ بِأَفْطَارِ الْفَلَا طَبَقًا ^(٥)
 يَطِيرُ فِي الْجَوِّ مَنْصَبًا ^(٦) إِلَى صَبَبِ
 وَكَمْ مَشَايخَ فِي الدُّنْيَا رَأَيْتُهُمْ
 مُخَلَّدِينَ وَمَنْ يَنْجُو مِنَ الْعَطْبِ
 وَكَمْ بَدَا لِي وَحْشٌ ^(٧) يَشْتَكِي سَغْبًا ^(٨)
 بِمَنْطِقِ ذَلِكَ ^(٩) أَمْضَى مِنَ الْقُضْبِ

(٢) مؤنث راع.

(٤) لم يحمل على عدو ولم يظفر.

(٦) هاويًا من أعلى إلى أسفل.

(٨) جوعًا.

(١) ذا شكوى.

(٣) أي: بالفلاة.

(٥) إناء مفرطح.

(٧) الحيوان المتوحش في البادية.

(٩) فصيح.

وَكَمْ دَعَانِي مُسْتَنْجٍ فَحَادَثْنِي
 وَمَا أَخْلَّ وَلَا أَخْلَلْتُ بِالْأَدَبِ
 وَكَمْ أَنْخَتُ قَلُوصِي تَحْتَ جُنْبُدَةٍ
 تُظَلُّ مَا شِئْتَ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عُرْبٍ
 وَكَمْ نَظَرْتُ إِلَى مِنْ سُرِّ سَاعَتِهِ ^(١)
 وَدَمَعُهُ مُسْتَهْلُ الْقَطْرِ كَالسَّحْبِ
 وَكَمْ رَأَيْتُ قَمِيصاً ضَرَّ صَاحِبَهُ
 حَتَّى انشَى ^(٢) وَأَهِيَ الْأَعْضَاءَ وَالْعَصَبِ ^(٣)
 وَكَمْ إِزَارٍ لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ أَتْلَفَهُ
 لَجَفَّ لَبْدُ حَثِيثِ السَّيْرِ مُضْطَرِبِ
 هَذَا وَكَمْ مِنْ أَفَانِينَ مَعْجَبَةٍ ^(٤)
 عِنْدِي وَمِنْ مُلْحٍ ^(٥) تُلْهِي وَمِنْ نُخَبٍ ^(٦)
 فَإِنْ فُطِنْتُمْ لِلْحَنِ الْقَوْلِ بَانَ لَكُمْ
 صَدْقِي وَدَلَّكُمْ طَلْعِي عَلَى رُطْبِي
 وَإِنْ شُدِّهْتُمْ ^(٧) فَإِنَّ الْعَارَ فِيهِ عَلَى
 مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْخَشَبِ
 قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَطَفِقْنَا نَخْبِطُ ^(٨) فِي تَقْلِيْبِ قَرِيضِهِ ^(٩)،

(١) من دخل عليه سرور في ساعة.

(٣) ضعيف الأعضاء مسترخي العصب.

(٥) ما يُسْتَحْسَن من الكلام.

(٧) بهتتم وارتبتم فيما سمعتم.

(٩) الشعر الذي قاله.

(٢) رجع.

(٤) يتعجب منها.

(٦) ما يتنخب ويختار من الكلام.

(٨) تفكر ونقول.

وتأويل معاريفه، وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي، ويقول: ليس بعشك فادرجي، إلى أن تعسر التتاج، واستحکم الارتجاج^(١)، فألقينا إليه المقادة، وخطبنا منه الإفادة، فوقفنا بين المطمع والياس، وقال: الإيناس قبل الإبناس! فعلمنا أنه ممن يرغب في الشكم، ويرتشي في الحكم، وساء أبا مثوانا أن نعرض للغرم، أو نخيب بالرغم، فأخضر صاحب المنزل ناقة عيديه، وحلة سعيدية، وقال له: خذهما حلالاً، ولا ترزأ أضيافي زبالاً، فقال: أشهد أنها ششنة أزمية، وأريحية^(٢) حامية، ثم قابلنا بوجه بشره^(٣) يشف، ونضرتة ترف^(٤)، وقال: يا قوم إن الليل قد اجلوذ^(٥)، والتعاس قد استحوذ^(٦)، فافزعوا^(٧) إلى المراقد، واغتموا راحة الرأقد، لتشربوا نشاطاً، وتبعثوا^(٨) نشاطاً، فتعوا ما أفسر، ويتسهل لكم المتعسر، فاستصوب كل ما راه، وتوسد سادة كراه، فلما سنت الأجنان^(٩)، وأغفت الضيفان، وتب إلى الناقة فرحها، ثم ارتحلها ورحلها، وقال مخاطباً لها:

وأدلجي وأوبي وأسئدي
فتنعمي حينئذ وتسعدي
إيه فدتك التوق جدي واجهدي
واقتنعي بالنشح^(١٢) عند المورد

سروج يا ناق فسيري وخدي^(١٠)
حتى تطا خفاك مرعاها الندي
وتأمني أن تنهمي وتنجدي
وافري^(١١) أديم فدقد فدقد

(١) الاستغلاق والانسداد.

(٣) طلاقته وبشاشته ظاهرة.

(٥) أسرع الذهاب.

(٧) فانهضوا وقوموا.

(٩) أخذت في مبدأ النوم.

(١١) أي: اقطعي.

(٢) كرم وجود.

(٤) تبرق وتتلاً.

(٦) استولى وغلب.

(٨) تقوموا من نومكم.

(١٠) اللوخذ: الإسراع في السير.

(١٢) هو: الشرب.

وَلَا تَحْطِي دُونَ ذَاكَ الْمَقْصِدِ فَقَدْ حَلَفْتُ حَلْفَةَ الْمُجْتَهِدِ
بِحُرْمَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْعُمْدِ إِنَّكَ إِنْ أَحَلَلْتَنِي فِي بَلَدِي
حَلَلْتَ مِنِّي بِمَحَلِّ الْوَلَدِ

قال: فعلمت أنه السروجي الذي إذا باع انبأع^(١)، وإذا ملاً الصاع انبأع^(٢)، وكما انبلج صباح اليوم، وهب النوام^(٣) من النوم، أعلمتهم أن الشيخ حين أغشاهم السبات^(٤)، طلقهم البتات، وركب الناقة وفات، فأخذهم ما قدم وما حدث، ونسوا ما طاب منه بما خبت، ثم انشعبنا^(٥) في كل مشعب^(٦)، وذهبنا تحت كل كوكب.

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي - رضي الله عنه: قد فسرت سر كل لغز تحته ولم أبعده على من يقرأه كشفه وقد بقيت أليفاً شملت عليها هذه المقامة ربما التمس تفسيرها على بعض من تقع إليه فأحببت إيضاها له؛ ليكفي حيرة الشبهة، وكلفة الفكرة، ووصمة البحث والمسألة، وبالله تعالى الاستعانة والقوة.

قوله: (عشوت إلى نار) يعني: تنورتها فقصدتها فإن لم تقصدها قلت: عشوت عنها. كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ [الزخرف: ٣٦]، أي: يعرض. وقوله: (وأنا أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء) هذان مثلان يُضربان لمن يبلغ منه البرد، وذلك لأن الحرباء تدور أبداً مع الشمس وتستقبلها بعينها، ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء في قوله:

(١) انبعث للذهاب.
(٢) استيقظ النائمون.
(٣) غلب عليهم النوم والراحة.
(٤) طريق.
(٥) تفرقنا.
(٦) مال وراح.

ما بالها حُسْنَتْ و رَقِيبَهَا أبدأ قَبِيحٌ قُبْحَ الرَّقَبَاءِ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا شَمْسُ الضُّحَى أبدأ يَكُونُ رَقِيبَهَا الحَرْبَاءُ

والعنز الجرباءُ لا تدفأ في الشتاء؛ لِقَلَّةِ شعرها، ذكر بعضهم أن العنز الجرباءُ تصحيف المثل الأول. وَقَوْلُهُ: (من نحر وار) يعني الجمل المُكْتَنَزُ شحماً الكثير مخا، وَقَوْلُهُ: (عشاره تخور وإعشاره تفور) العشار النوق الحوامل والأعشار البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظمتها يُقَالُكُ برمة أعشار وجفنة أكسار وثوب أسَمَالٍ وبرد أخلاق وحبل أرمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد، وَقَوْلُهُ: (فاكهة الشتاء) كني بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين:

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل
إن الفواكه في الشتاء شهية والنار المقرور أفضل مأكَل

وقوله: (موائد كالهالات) يعني دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة.

وقوله: (مشوش الغمر) يعني المنديل يُقَالُ: مش يده بالمنديل أي مسحها

ومنه قول امرئ القيس

نمشُّ بأعراف الجياد أكفناً إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقوله: (مشتها فوداه) أي صاراً من الشيب في لون الأشهب ومنه قول

امرئ القيس أيضاً

قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي رأس هَذَا واشتهب

وقوله: (ربض حجرة) يعني ناحية ويُقَالُ في المثل لمن يشارك في الرخاء

ويجانب عند البلاء يرتع وسطاً ويربض حجرة، وَقَوْلُهُ: (فاسترعة سمع

السامر) يعني السمار لأن السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين

عَلَى الْمَاءِ وَكَالْبَاقِرِ اسْمٌ لَجَمَاعَةِ الْبَقْرِ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ هُوَ اسْمٌ لِلْبَقْرِ مَعَ رِعَاتِهَا وَاشْتِقَاقُ السَّامِرِ مِنَ السَّمْرِ وَهُوَ ظِلُّ الْقَمَرِ مَاخُودٌ مِنَ السَّمْرَةِ فَلَمَّا كَانَ غَالِبَ أَحْوَالِ السَّمَارِ أَنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّ الْقَمَرِ اشْتَقَّ لَهُمْ اسْمٌ مِنْهُ وَإِلَى هَذَا يَرْجِعُ قَوْلُهُمْ لَا أَكَلِمَةَ الْقَمَرِ وَالسَّمْرِ، وَقَوْلُهُ: (لَيْسَ بِعَشِكِ فَادْرَجِي) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَتَعَاطَى مَا لَا يَنْبَغِي لَهُ وَالْعَشُّ مَا يَكُونُ فِي شَجَرَةٍ فَإِذَا كَانَ فِي حَائِطٍ أَوْ كَهْفٍ جَبَلٍ فَهُوَ وَكْرٌ، وَقَوْلُهُ: (الْإِيْنَسُ قَبْلَ الْإِبْسَاسِ) هَذَا مِثْلُ أَيْضاً وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُؤْنَسَ الْإِنْسَانُ ثُمَّ يَكْلَفُ وَأَصْلُهُ أَنْ حَالِبَ النَّاقَةِ يُؤْنَسُهَا حِينَ يَرُومُ حَلْبَهَا ثُمَّ يَبْسُ بِهَا لِلْحَلْبِ وَالْإِبْسَاسُ أَنْ تَقُولَ لَهَا: بَسْ لَتَسْكُنَ وَتَدْرُ وَتَسْمَى النَّاقَةُ الَّتِي تَدْرُ عَلَى الْإِبْسَاسِ الْبَسُوسَ.

وقوله: (يرغب في الشكم) الشكم ما أعطيته على سبيل المجازاة فإن أعطيته مبتدأً فهو الشكد، وقوله: (ساء أبا مثنوانا) يعني المضيف الذي أووا إليه وثووا عنده، وقوله: (ناقاة عيدية) قيل: إنها منسوبة إلى فحل منجب اسمه عيد، وقيل: هي منسوبة إلى فخذ من مهرة اسمه عيد بن مهرة وكانت مهرة وعيد تتخذان نجائب الإبل فنسبت إليهما. وقوله: (حلة سعيدية) هي منسوبة إلى سعيد بن العاص وكان رسول الله ﷺ كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها إليه. وقوله: (لا ترزأ أضيافي زبالاً) أي لا ترزأهم شيئاً وإن قل والأصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها. وقوله: (شنشة أخزيمة) أشار به إلى المثل الذي ضربه جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي حين نشأ حاتم وتقبل أخلاق جده أخزم في الجود فقيل: شنشة أعرفها من أخزم وتمثل عقيل بن غلقة به حين قال:

إن بني ضرجوني بالدم من يلق آساد الرجال يُكلم
شنشة أعرفها من أخزم

ومن ادعى أن المثل فقد سها فيه وقوله: (اجلوز) أي أسرع في الذهاب ومثله اخروط. وقوله: (وثب إلى الناقة فرحلها) يعني شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة لأنها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: مرضية وكقوله تعالى: ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ أي مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية. وقوله: (ارتحلها) أي ركبها وفي الحديث أن النبي ﷺ سجد فركبه الحسن فأبطأ في سجوده فلما قضى صلاته قال: «إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله». وقوله: (ورحلها) أي أزعجها وأشخصها وأجدبها في الرحيل. ومنه الخبر: «تخرج عند اقتراب الساعة ناراً من قعر عدن ترحل الناس». وقوله: (فأدلجي وأوبي وأسدي): الإدلاج أن تسير الليل كله، والاسم منه: الدلجة - بفتح الدال - والادلاج - بالتشديد: أن تسير من آخره والاسم منه الدلجة - بضم الدال - وقيل: فتحها وضمها بمعنى واحد. والتأويب: سير النهار وحده. والإسَاد: أن تسير ليلاً ونهاراً. والنشح: أن تشرب دون الري. وقوله: (فأخذهم ما قدم وما حدث): يُقالُ ذلك لمن تستولي الهموم عليه وتتلاعب به. وتضم الدال من حدث في هذا الموضع وحده ليوافق لفظها لفظ قدم، فإن أفردت حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث. ومثله قولهم: «هنأني ومرأني» بحذف الألف من أمرأني إذا ذكر مع هنأني فإن أفردته وجب أن تقول: أمرأني الشيء. وقوله: (ذهبنا تحت كل كوكب): هذا المثل يُضربُ لمن تختلف في السفر طرقهم، وتبأين سبلهم.



المقامة الخامسة والأربعون الرمليّة

حكى الحارث بن همام قال: كُنتُ أَخَذْتُ عَنْ أُولِي التَّجَارِبِ، أَنَّ
السَّفَرَ مَرَأةُ الأَعَاجِبِ، فَلَمْ أَزَلْ أَجُوبُ كُلَّ تَنَوُّفَةٍ (١)، وَأَقْتَحِمُ كُلَّ
مَخَوْفَةٍ (٢)، حَتَّى اجْتَلَبْتُ كُلَّ أُطْرُوفَةٍ، فَمِنْ أَحْسَنِ مَا لَمَحْتُهُ، وَأَغْرَبِ مَا
اسْتَمَلَّحْتُهُ (٣)، أَنَّ حَضْرَتُ قَاضِي الرَّمْلَةِ، وَكَانَ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ
وَالصَّوْلَةِ، وَقَدْ تَرَفَّعَ إِلَيْهِ بَالٌ فِي بَالٍ، وَذَاتُ جَمَالٍ فِي أَسْمَالٍ، فَهَمَّ الشَّيْخُ
بِالْكَلَامِ، وَتَبَيَّنَ الْمَرَامُ (٤)، فَمَنَعَتْهُ الْفَتَاةُ مِنَ الْإِفْصَاحِ، وَخَسَأَتْهُ عَنِ
النُّبَاحِ، ثُمَّ نَضَتْ عَنْهَا فَضْلَةَ الْوِشَاحِ (٥)، وَأَنْشَدَتْ بِلِسَانِ السَّلِيطَةِ الْوَقَاحِ:
يَا قَاضِيَ الرَّمْلَةِ يَا ذَا الَّذِي
إِلَيْكَ أَشْكُو جُورَ بَعْلِي الَّذِي
وَلَيْتَهُ لَمَّا قَضَى نُسْكَهُ
كَانَ عَلَيَّ رَأْيِي أَبِي يَوْسُفَ
هَذَا عَلَيَّ أَنِّي مَذْضَمْنِي (٦)
فَمُرُهُ إِمَّا أَلْفَةً حُلُوءَةً
مَنْ قَبْلَ أَنْ أَخْلَعَ ثَوْبَ الْحَيَاةِ

(١) أقطع كل مفازة.

(٢) عدده مليحاً.

(٣) أزالته عن وجهها ما عليه من غطاء.

(٤) ما يخاف منها.

(٥) إظهار المطلوب والإفصاح عنه.

(٦) بيده الخير والشر والنفع والضرر.

(٧) من حين تزوجني.

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: قَدْ سَمِعْتَ بِمَا عَزَّتْكَ (١) إِلَيْهِ، وَتَوَعَّدْتُكَ عَلَيْهِ،
فَجَانِبُ مَا عَرَّكَ (٢)، وَحَازِرٌ أَنْ تُفْرِكَ، وَتُعْرَكَ، فَجَثَا (٣) الشَّيْخُ عَلَى
ثَفَنَاتِهِ (٤)، وَفَجَرَ يَنْبُوعَ نَفْسَاتِهِ (٥)، وَقَالَ:

اسْمَعْ عَدَاكَ الدَّمُّ قَوْلَ امْرِئٍ
وَاللَّهِ مَا أَعْرَضْتُ عَنْهَا قَلْبِي (٦)
وَإِنَّمَا الدَّهْرُ عَدَا صَرَفُهُ
فَمَنْزِلِي قَفَرٌ كَمَا جِيدُهَا
وَكَنتُ مِنْ قَبْلُ أَرَى فِي الْهَوَى
فَمَذُوبًا الدَّهْرُ هَجَرْتُ الدَّمِي
وَمَلْتُ عَنْ حَرْتِي لَا رَغْبَةَ
فَلَا تَلُمْ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ

يُوضِحُ فِي مَا رَابَهَا عُذْرَهُ
وَلَا هَوَى (٧) قَلْبِي قَضَى نَذْرَهُ (٨)
فَابْتَزْنَا الدَّرَّةَ وَالذَّرَّةَ
عُطْلٌ (٩) مِنَ الْجَزَعَةِ وَالشُّذْرَةَ
وَدِينَهُ رَأَى بَنِي عُذْرَةَ
هَجْرَانَ عَفَّ (١٠) آخِذَ حَذْرَهُ
عَنْهُ وَلَكِنْ أَتَّقِي بَذْرَهُ
وَأَعْطِفُ عَلَيْهِ وَاحْتَمِلْ هَذْرَهُ (١١)

قَالَ: فَالْتَطَّتْ (١٢) الْمَرْأَةُ مِنْ مَقَالِهِ، وَانْتَضَتْ الْحُجَجَ لَجْدَالِهِ، وَقَالَتْ
لَهُ: وَيْلَكَ يَا مَرْقَعَانُ (١٣)، يَا مَنْ هُوَ لَا طَعَامٌ وَلَا طَعَانٌ! أَتَضِيقُ بِالْوَلَدِ
ذُرْعًا (١٤)، وَلِكُلِّ أَكُولَةٍ مَرَعَى؟ لَقَدْ ضَلَّ فَهْمُكَ، وَأَخْطَأَ سَهْمُكَ،
وَسَفِهَتْ (١٥) نَفْسُكَ، وَشَقِيَتْ بِكَ عَرْسُكَ (١٦)، فَقَالَ لَهَا الْقَاضِي: أَمَّا

(١) نسبته .

(٢) تبعده عما يعيبك .

(٣) جلس .

(٤) كلماته .

(٥) بغضاً وعداوة .

(٦) زال .

(٧) حُبٌّ .

(٨) سلينا الخطير والحقير .

(٩) كلامه الكثير السقط .

(١٠) عفيف .

(١١) الأحمق كالرقيق .

(١٢) ذهب رشدتها .

(١٣) فاحترقت .

(١٤) قلباً .

(١٥) زوجتك .

أنتِ فلو جادكتِ الخنساء، لانتنتِ^(١) عنكِ خرُساء، وأما هوَ فإن كانَ صدقَ في زعمه^(٢)، ودعوى عُدْمه^(٣)، فلهُ في هِمِّ قَبْقَبِهِ^(٤)، ما يشغلهُ عن ذبذبه، فأطرقتُ تنظرُ ازوراراً^(٥)، ولا تُرجعُ حواراً، حتَّى قلنا: قد راجعها الخفَرُ^(٦)، أو حاقَ بها الظفَرُ، فقالَ لها الشيخُ: تعساً لكِ إن زخرفتِ، أو كتمتِ ما عرفتِ! فقالتِ: ويحكِ وهل بعدَ المنافرةِ كتمٌ، أو بقيَ لنا على سرِّ ختمٍ؟ وما فينا إلا من صدقَ، وهتكِ صونهُ إذ نطقَ، فليتنا لاقينا البكمَ، ولم نلقِ الحكمَ، ثمَّ التفعتِ بوشاحها، وتباكتِ لافتضاحها، وجعلَ القاضي يعجبُ من خطبهما ويعجبُ، ويلومُ لهما الدهرَ ويؤنّبُ^(٧)، ثمَّ أحضرَ من الورقِ ألفينِ، وقالَ: أرضيا بهما الأجوفاينِ، وعاصيا النَّازِعِ^(٨) بين الإلفينِ^(٩)، فشكراهُ على حُسنِ السَّراحِ، وانطلقا وهما كالماءِ والراحِ^(١٠)، وطفقَ القاضي بعدَ مسرَحِهِما^(١١)، وتناي شَبَحِهِما^(١٢)، يُثني على أدبِهِما، ويقول: هل من عارفِ بهما؟ فقالَ له عينُ أعوانه، وخالصةُ خلصانه: أما الشيخُ فالسُّروجيُّ المشهُودُ بفضله، وأما المرأةُ فقعيدةُ رحله، وأما تحاكمُهُما فمكيدةُ^(١٣) من فعله، وأحبولةُ^(١٤) من حبايلِ ختلِه! فأحفظَ القاضي ما سمعَ، وتلهَّبَ كيف خُدعَ، ثمَّ قالَ للواشي بهما:

(١) لرجعت.

(٢) ظنه.

(٣) فقره.

(٤) القبقب: البطن.

(٥) خفية بجانب عينها.

(٦) شدة الحياء.

(٧) يؤنّب ويبالغ في ذمّ الدهر.

(٨) الذي يوقع الشرّ والعداوة بين الناس.

(٩) المتحابين.

(١٠) ممتزجين مؤتلفين.

(١١) بعد انصرافهما وذهابهما.

(١٢) تباعد جسمها.

(١٣) خديعة وحيلة.

(١٤) شبكة صيد.

قُمْ فَرُدَّهُمَا، ثُمَّ اقْصِدْهُمَا وَصِدِّهْهُمَا، فَهَضْضَ يَنْفُضُ مَذْرُوبِيهِ، ثُمَّ عَادَ يَضْرِبُ
أَصْدْرِيهِ! فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: أَظْهَرْنَا عَلَى مَا نَبَّئْتَنَا (١)، وَلَا تُخَفِ عَنَّا مَا
اسْتَخْبَيْتَ، فَقَالَ: مَا زِلْتُ أَسْتَقْرِي (٢) الطُّرُقَ، وَأَسْتَفْتِحُ الْغُلُقَ، إِلَى أَنْ
أَدْرَكْتُهُمَا مُصْحَرِينَ (٣)، وَقَدْ زَمَّا مَطِيَّ الْبَيْنِ، فَرَعَبْتُهُمَا فِي الْعَلَلِ، وَكَفَلْتُ (٤)
لَهُمَا بَنِيْلَ الْأَمَلِ، فَأَشْرَبَ قَلْبُ الشَّيْخِ أَنْ يِيَّاسَ، وَقَالَ: الْفِرَارُ بِقُرَابِ
أَكَيْسٍ! وَقَالَتْ هِيَ: بَلِ الْعُودُ أَحْمَدُ، وَالْفِرْوَقَةُ (٥) يَكْمَدُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ الشَّيْخُ
سَفَهَ رَأْيَهَا (٦)، وَغَرَّرَ اجْتِرَائَهَا (٧)، أَمْسَكَ ذَلَاذِلَهَا (٨)، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ لَهَا:
دُونَكَ نَصْحِي فَاقْتَفِي سُبُلَهُ وَاغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ بِالْجُمْلَةِ
طِيرِي مَتَى نَقَّرْتَ عَنِ نَخْلَةِ وَطَلَّقِيهَا بِتَّةٍ (٩) بِتَلَّةٍ (١٠)
وَحَاذِرِي الْعُودَ إِلَيْهَا وَلَوْ سَبَّلَهَا نَاطُورُهَا الْأَبْلَهُ
فَخَيْرٌ مَا لِلصَّيِّدِ أَنْ لَا يَرَى بِبُقْعَةٍ فِيهَا لَهُ عَمَلُهُ
ثُمَّ قَالَ لِي: لَقَدْ عُنَيْتَ (١١)، فِيمَا وُلِّيتَ (١٢)، فَارْجِعْ مِنْ حَيْثُ
جِئْتَ، وَقُلْ لِمُرْسَلِكَ إِنْ شِئْتَ:

رُؤْيُكَ (١٣) لَا تُعَقِّبُ جَمِيلَكَ بِالْأَذَى

فَتُضْحِي وَشَمَلُ الْمَالِ وَالْحَمْدُ مُنْصَدَعٌ (١٤)

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------------|
| (١) على ما استخرجت من الأسرار. | (٢) أتبع. |
| (٣) خارجين إلى الصحراء. | (٤) ضمنت. |
| (٥) الجبان كثير الخوف. | (٦) خطأها في الرأي. |
| (٧) خطر تجارها وجراءتها. | (٨) أذبال قميصها مما يلي الأرض. |
| (٩) طليقة بائنة مقطوعاً بها. | (١٠) لا رجعة فيها. |
| (١١) أتعبت. | (١٢) فيما أمرت به. |
| (١٣) تمهل وكن ذا حلم. | (١٤) متمزق متفرق بسبب ما حصل من أذاك. |

وَلَا تَتَغَضَّبْ مِنْ تَزِيدٍ سَائِلٍ
فَمَا هُوَ فِي صَوِّغِ اللِّسَانِ بِمُبْتَدِعٍ (١)
وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مَنِّي خَدِيعَةٌ
فَقَبْلَكَ شَيْخُ الْأَشْعَرِيِّينَ قَدْ خُدِعُ

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: قَاتَلَهُ اللَّهُ فَمَا أَحْسَنَ شُجُونَهُ (٢)، وَأَمْلَحَ فَنُونَهُ! ثُمَّ
إِنَّهُ أَصْحَبَ رَائِدَهُ بَرْدَيْنِ، وَصُرَّةً مِنَ الْعَيْنِ، وَقَالَ لَهُ: سِرُّ سِيرٍ مِنْ لَا يَرَى
الِالْتِفَاتِ (٣)، إِلَى أَنْ تَرَى الشَّيْخَ وَالْفَتَاةَ، فَبُلَّ يَدَيْهِمَا بِهِذَا الْحَبَاءِ (٤)،
وَيَبِّنَ لَهُمَا انْخِدَاعِي لِلْأَدْبَاءِ، قَالَ الرَّأْوِي: فَلَمْ أَرِ فِي الْاِغْتِرَابِ، كَهَذَا
الْعُجَابِ، وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ مِنْ جَالٍ وَجَابٍ.



(١) بأول من زين الكذب.

(٢) طرقه وفنونه.

(٣) سيراً سريعاً.

(٤) العطاء من غير جزاءٍ ولا من.

المقامة السادسة والأربعون الحلبيّة

روى الحارث بن همام قال: نزع بي إلى حلب شوقاً غلب، وطلب يا له من طلب! وكنت يومئذ خفيف الحاذ، حيث النفاذ (١)، فأخذت أهبّة السير، وخففت نحوها خفوف الطير، ولم أزل منذ حللت ربوعها (٢)، وارتبعت ربيعها، أفاني الأيام، فيما يشفي الغرام (٣)، ويروي الأوام (٤)، إلى أن أقصر القلب عن وكوعه، واستطار غراب البين بعد وقوعه، فأغراني البال الخلو (٥)، والمرح الحلو، بأن أقصد حمص، لأصطاف ببقعتها (٦)، وأسبر (٧) رقاعة أهل رقعتهما، أسرعت إليها إسراع النجم، إذا انقض (٨) للرجم، فحين خيمت برسومها، ووجدت روح نسيمها، لمح طرفي (٩) شيخاً قد أقبل هريره، وأدبر غريره، وعنده عشرة صبيان، صنوان وغير صنوان، فطاوعت في قصده الحرص، لأخبر به أدباء حمص، فبش بي (١٠) حين وافيته، وحيّاً بأحسن مما حييته، فجلست إليه لأبلو جنى نطقه (١١)،

- | | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| (١) سريع المضي في الأمور. | (٢) منازلها. |
| (٣) فيما يزيل اللوع وعذاب الفؤاد. | (٤) شدة العطش. |
| (٥) القلب الخالي من الهم. | (٦) بأرضها. |
| (٧) واختبر. | (٨) نزل بسرعة. |
| (٩) أبصرت عيني. | (١٠) فرح بي وقابلني بوجه طلق. |
| (١١) لأختبر ثمر كلامه. | |

وَأَكْتَنَهُ كُنْهَ حُمْقِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَشَارَ بِعُصِيَّتِهِ، إِلَى كَبْرِ أُصَيْبِيَّتِهِ، وَقَالَ لَهُ:
أَنْشِدِ الْأَبْيَاتَ الْعَوَاطِلَ^(١)، واحذرْ أَنْ تُمَاطِلَ، فَجَثَا جِثْوَةَ لَيْثٍ، وَأَنْشَدَ مِنْ
غَيْرِ رَيْثٍ^(٢):

أَعْدَدْتُ لِحُسَّادِكَ حَدَّ السَّلَاحِ وَأَعْمَلُ الْكُومِ وَسُمْرَ الرِّمَاحِ
وَصَارِمَ اللَّهْوِ^(٤) وَوَصَلَ الْمَهَا وَأَسْعَ لِإِذْرَاكِ مَحَلِّ سَمَا
وَأَلَّهَ مَا السُّوْدُدُ^(٥) حَسْبُ الْبَلَا وَاهَا لِحُرِّ وَاسِعِ صَدْرِهِ
مَوْرَدِهِ^(٧) حَلْوٍ^(٨) لِسْوَائِهِ وَلَا أَسْمَعَ الْآمِلَ رَدًّا وَلَا
وَلَا أَطَاعَ اللَّهْوَ لَمَّا دَعَا سَوْدَهُ إِصْلَاحَهُ سَرَّهُ^(١٠)
وَحَصَلَ الْمَدْحَ لَهُ عِلْمُهُ وَأُورِدَ الْآمِلَ وَرَدَ السَّمَا^(٣)
وَأَعْمَلُ الْكُومِ وَسُمْرَ الرِّمَاحِ عَمَّادُهُ لَا لِأَدْرَاعِ الْمِرَاحِ
وَلَا مَرَادُ الْحَمْدِ^(٦) رُودُ رِدَاخِ وَهَمُّهُ مَا سَرَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ
وَمَا لَهُ مَا سَأَلُوهُ مُطَاخِ مَاطَلَهُ وَالْمَطْلُ لَوْمٌ صُرَاحِ^(٩)
وَلَا كَسَا رَاحِلَهُ كَأْسَ رَاحِ وَرَدَعُهُ أَهْوَاءُهُ وَالطَّمَاخِ
مَا مَهْرَ الْعُورِ مُهَوْرَ الصَّحَاخِ

فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ يَا بُدَيْرُ، يَا رَأْسَ الدَّيْرِ! ثُمَّ قَالَ لِتَلْوِهِ^(١١)، الْمُسْتَبْتَهُ
بِصْنُوهِ^(١٢): ادْنُ يَا نُويرَةَ، يَا قَمَرَ الدُّويرةِ! فِدْنَا وَكَمْ يَتَبَاطَا، حَتَّى حَلَّ مِنْهُ
مَقْعَدَ الْمُعَاطَى، فَقَالَ لَهُ: اجْلُ الْأَبْيَاتِ الْعَرَائِسَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَفَائِسَ، فَبِرَى

(١) جمع عاقل، وهي: العارية عن النقط.

(٢) من غير إبطاء.

(٣) مورد الكرم والجدود.

(٤) هي المقاطعة؛ أي: تباعد عن اللهو.

(٥) السيادة.

(٦) ليس محل طلبه وإرادته.

(٧) أي: ماؤه، والمراد: عطاؤه.

(٨) سهل.

(٩) صريح خالص.

(١٠) قلبه واعتقاده.

(١١) لمن يليه.

(١٢) الذي كأنه أخوه.

القلم وقطّ، ثمّ احتجّر اللوح وخطّ:

بَتَجَنُّ (١) يَفْتَنُ غِبَّ تَجَنِّي (٢)
غَنَجٍ يَفْتَضِي تَغْيِضَ جَفَنِي
نِي بَزِي (٤) يَشْفُ (٥) بَيْنَ نَشِي
نِي بَنَفْتِ يَشْفِي فَخِيْبَ ظَنِّي
نِ خَبِيْثٍ يَبْغِي تَشْفِي ضَغْنِ
بِنَشِيْجٍ (٩) يُشْجِي بَفْنٍ فَفْنٍ

فَتَنَنْتَنِي فَجَنَنْتَنِي تَجَنِّي
شَغَفْتَنِي (٣) بَجَفْنِ ظَبِّي غَضِيضٍ
غَشِيْتَنِي بَزِيْنَتَيْنِ فَشَفْتُ
فَتَظَنَيْتُ تَجْتَبِيْنِي (٦) فَتَجْرَبُ
ثَبَّتَتْ فِي غَشٍّ جَيْبٍ بَتَزِيْبِ
فَنَزَتْ فِي تَجَنِّي (٧) فَتُتْنِي (٨)

فَلَمَّا نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى مَا حَبَّرَهُ (١٠)، وَتَصَفَّحَ مَا زَبَّرَهُ، قَالَ لَهُ: بَوْرِكَ
فِيكَ مِنْ طَلَاءٍ، كَمَا بَوْرِكَ فِي لَأٍ وَلَا، ثُمَّ هَتَفَ: اقْرُبْ يَا قُطْرُبُ، فَاقْتَرَبَ
مِنْهُ فَتَى يَحْكِي نَجْمَ دُجِيَّةٍ (١١)، أَوْ تَمَّالَ دُمِيَّةٍ، فَقَالَ لَهُ: ارْقُمْ الْأَيَّاتَ
الْأَخْيَافَ، وَتَجَنَّبِ الْخِلَافَ، فَأَخَذَ الْقَلَمَ وَرَقَمَ:

وَلَا تُخَبُّ أَمَلًا تَضَيِّفُ
فَنَنْ أَمَّ فِي السَّوَالِ خَفَّفُ
مَالَ ضَنِينِ (١٣) وَلَوْ تَقَشَّفُ
وَصَدْرُهُمْ فِي الْعَطَاءِ نَفْنَفُ

إِسْمَحْ فَبَثُ السَّمَّاحِ (١٢) زَيْنُ
وَلَا تُجْزِرْ دَذِي سُوَالِ
وَلَا تَظُنَّ الدُّهُورَ تَبْقِي
وَاحْلُمْ فَجَفْنُ الْكِرَامِ يُغْضِي (١٤)

- (١) يعني بتيه ودلال.
(٢) أثر جناية.
(٣) شغلت قلبي.
(٤) هيئة.
(٥) يظهر ويلوح.
(٦) أي: تختارني.
(٧) تباعدها عني.
(٨) فصرفتني وردتني.
(٩) هو البكاء من غير انتحاب كالشهيق.
(١٠) زينه وحسنه.
(١١) نجم ليلة مظلمة.
(١٢) فنشر الجود.
(١٣) يتغافل ويحتمل الأذى.
(١٤) بخيل.

وَلَا تَخُنْ عَهْدَ ذِي وِدَادٍ ثَبِتَ (١) وَلَا تَبْغِ مَا تَزِيْفُ
 فَقَالَ لَهُ: لَا شَلَّتْ (٢) يَدَاكَ، وَلَا كَلَّتْ مُدَاكَ، ثُمَّ نَادَى: يَا عَشْمَشْمُ!
 يَا عَطْرَ مَنْشَمِ! فَلِبَاهُ غُلَامٌ كَدْرَةٌ غَوَّاصٌ، أَوْ جُوذُرٌ قَنَاصٍ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبِ
 الْأَبْيَاتَ الْمَتَائِمَ (٣)، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْمَشَائِمِ (٤)، فَتَنَاوَلَ الْقَلَمَ الْمُثَقَّفَ،
 وَكَتَبَ وَلَمْ يَتَوَقَّفَ:

زَيْنْتُ زَيْنَبُ بَقَدُّ (٥) يَقْدُ
 وَتَلَاهُ (٦) وَيَلَاهُ نَهْدِي هُهُدُ
 جُنْدُهَا (٧) جِيدُهَا (٨) وَظَرْفُ وَطَرْفُ
 نَاعَسُ نَاعَسُ بَحْدُ يَحْدُ
 قَدْرُهَا قَدْرُهَا وَتَاهَتْ (٩) وَبَاهَتْ (١٠)
 وَاعْتَدَتْ (١١) وَاعْتَدَتْ بَخْدُ يَخْدُ (١٢)
 فَارَقَّتْنِي فَارَقَّتْنِي (١٣) وَشَطَّتْ (١٤)
 وَسَطَّتْ (١٥) ثُمَّ نَمَّ وَجَدُ وَجَدُ
 فَدَنْتُ فِدَيْتُ وَحَنْتُ (١٦) وَحَيْتُ
 مُغْضَبًا مُغْضِبًا (١٧) يُوْدُ يُوْدُ

(١) ثابت القلب.

(٢) لا يبست.

(٣) المتماثلة.

(٤) جمع المشؤوم، ضد الميمون.

(٥) أي: بقامة.

(٦) وتبعه.

(٧) عسكرها وجيشها.

(٨) عنقها.

(٩) افتخرت.

(١٠) من العدوان، وهو: الظلم.

(١٢) يشق القلوب.

(١٣) فأسهرتني.

(١٤) بعدت.

(١٥) بطشت بالقهر وصالت.

(١٦) من الحنين، بمعنى: الاشتياق.

(١٧) محتملاً للأذى.

فطفق الشيخ يتأمل ما سطره، ويقلب فيه نظره، فلما استحسن خطه،
واستصح ضبطه (١)، قال له: لا شلَّ عَشْرُكَ، وَلَا اسْتَحِثَّ نَشْرُكَ، ثُمَّ
أهابَ (٢) بِفَتَى فَتَّانٍ، يُسْفِرُ عَنْ أَزْهَارِ بُسْتَانٍ، فَقَالَ لَهُ: أَنْشِدِ الْبَيْتَيْنِ
الْمُطْرَفَيْنِ، الْمُشْتَبَهَيِ الطَّرْفَيْنِ، الَّذِينَ أَسْكَتَا كُلَّ نَافِثٍ (٣)، وَأَمَّا أَنْ
يَعَزِّزَا بِثَالِثٍ، فَقَالَ لَهُ: اسْمَعْ لَا وَقِرَ (٤) سَمْعَكَ، وَلَا هُزِمَ جَمْعُكَ، وَأَنْشِدْ
مِنْ غَيْرِ تَلْبُثٍ (٥)، وَلَا تَرِيثٍ:

سَمَّ سَمَةً تَحْسُنُ أُنَارَهَا (٦) وَاشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمِسَمَهُ
وَالْمَكْرُ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لَا تَأْتَهُ لَتَقْتَنِي السَّوْدَدَ وَالْمَكْرَمَةَ (٧)

فَقَالَ لَهُ: أَجَدْتَ يَا زُغْلُولُ، يَا أَبَا الْغُلُولِ، ثُمَّ نَادَى: أَوْضِحْ يَا يَاسِينَ،
مَا يُشْكَلُ مِنْ ذَوَاتِ السَّيْنِ، فَهَضَّ وَكَمْ يَتَّانُ، وَأَنْشِدْ بِصَوْتِ أَغْنٍ:
نَفْسُ الدَّوَاةِ (٨) وَرُسْغُ الْكَفِّ مُثَبَّتَةٌ

سَيْنَاهُمَا إِنْ هُمَا خُطًّا وَإِنْ دُرْسَا (٩)

وَهَكَذَا السَّيْنُ فِي قَسْبٍ وَبِاسِقَةٍ
وَالسَّفْحُ (١٠) وَالْبَخْسُ (١١) وَأَقْسِرْ وَأَقْتَبِسْ قَبَسَا
وَفِي تَقَسَّسْتُ (١٢) بِاللَّيْلِ الْكَلَامَ وَفِي

مُسَيْطِرٍ وَشَمُوسٍ وَاتَّخِذْ جِرْسَا

(١) وجده صحيحًا.

(٣) متكلم.

(٥) بدون تأنٍ.

(٧) الكرامة.

(٩) قرئا.

(١١) النقص.

(٢) دعا.

(٤) لا ثقل.

(٦) عواقبها.

(٨) مدادها.

(١٠) أسفل الجبل.

(١٢) سمعت.

وفي قَريسٍ وبرْدِ قارسٍ (١) فخذ الـ

صَّوَابَ مِنِّي وَكُنْ لِلْعِلْمِ مُقْتَبِسًا (٢)

فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ يَا نُغَيْشُ، يَا صِنَاجَةَ الْجَيْشِ، ثُمَّ قَالَ: ثَبُّ (٣) يَا
عَبْسَةَ (٤)، وَبَيْنَ الصَّادَاتِ الْمُلْتَبِسَةِ، فَوَثْبَ وَثْبَةَ شِبْلِ مِثَارٍ (٥)، ثُمَّ أَشَدَّ

من غير عثار:

بِالصَّادِ يُكْتَبُ قَدْ قَبَصْتُ دِرَاهِمًا

بِأَنَامِلِي وَأَصْخُ (٦) لَتَسْتَمِعَ الْخَبَرَ

وَبَصَقْتُ أَبْصُقُ وَالصَّمَاخُ (٧) وَصَنْجَةٌ

وَالْقَصُّ وَهُوَ الصِّدْرُ وَاقْتَصَّ (٨) الْأَثْرُ

وَبَخَصْتُ مُقْلَتَهُ (٩) وَهَذِي فُرْصَةٌ

قَدْ أَرَعَدَتْ مِنْهُ الْفَرِيصَةَ لِلْخَوْرِ (١٠)

وَقَصَرْتُ هِنْدًا أَيَّ حَبَسْتُ وَقَدْ دَنَا

فَصَحُّ النَّصَارَى وَهُوَ عِيدٌ مُنْتَظَرٌ

وَقَرَصْتُهُ وَالْخَمْرُ قَارِصَةٌ (١١) إِذَا

حَذَتْ اللِّسَانَ وَكُلُّ هَذَا مُسْتَطَرٌ (١٢)

فَقَالَ لَهُ: رَعِيَا لَكَ يَا بُنَيَّ، فَلَقَدْ أَقْرَرْتَ عَيْنِي، ثُمَّ اسْتَنْهَضَ ذَا جُثَّةٍ

(٢) أَخَذًا وَمُسْتَفِيدًا.

(٤) اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ.

(٦) اسْتَمَعَ.

(٨) تَتَبَعَهُ.

(١٠) لِلضَّعْفِ وَالْفَتُورِ.

(١٢) مَكْتُوبٌ.

(١) شَدِيدٌ.

(٣) أَيُّ: قُمْ.

(٥) مَزْعَجٌ.

(٧) هُوَ ثَقْبُ الْأُذُنِ.

(٩) قَلَعَتْ عَيْنَهُ وَأَخْرَجَتْهَا.

(١١) حَامِضَةٌ.

كالبَيْذَقِ (١) ، وَنَعَشَةَ (٢) كَالسَّوْذَقِ ، وَأَمْرَهُ بِأَنْ يَقِفَ بِالْمُرْصَادِ ،
وَيَسْرُدَ (٣) مَا يَجْرِي عَلَى السَّيْنِ وَالصَّادِ ، فَنَهَضَ يَسْحَبُ بُرْدِيَهُ ، ثُمَّ أَنْشَدَ
مُشِيرًا بِيَدِيهِ :

إِنْ شِئْتَ بِالسَّيْنِ فَاصْبِرْ مَا أَبَيَّنُهُ
وَإِنْ تَشَأْ فَهُوَ بِالصَّادَاتِ يُكْتَبُ
مَغْسٌ وَفَقْسٌ وَمُسْطَارٌ وَمُمَّلَسٌ
وَسَالِغٌ وَسِرَاطُ الْحَقِّ (٤) وَالسَّقَبُ
وَالسَّامِغَانِ (٥) وَسَقْرٌ وَالسَّوْبِقُ (٦) وَمَسْدٌ
سَلَقٌ (٧) وَعَنْ كُلِّ هَذَا تُفْصِحُ الْكُتُبُ

فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا حَبَقَّةُ (٨) ، يَا عَيْنَ بَقَّةَ ، ثُمَّ نَادَى : يَا دَغْفَلُ ، يَا أَبَا
زَنْفَلِ ، فَلَبَّاهُ فَتَى أَحْسَنُ مِنْ بِيضَةِ فِي رَوْضَةٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا عَقَدُ هِجَاءِ
الْأَفْعَالِ ، الَّتِي آخَرُهَا حَرْفُ اعْتِلَالٍ ؟ فَقَالَ : اسْمِعْ لَا صَمَّ صَدَاكَ ، وَلَا
سَمِعْتَ عِدَاكَ (٩) ! ثُمَّ أَنْشَدَ ، وَمَا اسْتَرَشَدَ (١٠) :

إِذَا الْفِعْلُ يَوْمًا غَمَّ عَنْكَ هِجَاؤُهُ
فَالْحَقُّ بِهِ تَاءُ الْخَطَابِ وَلَا تَقِفُ
فَإِنْ تَرَ قَبْلَ التَّاءِ يَاءً فَكُتِبَهُ
بِیَاءٍ وَإِلَّا فَهُوَ يُكْتَبُ بِالْأَلِفِ

(١) البیدق: الصقر الصغير.

(٢) حركة ونهوض.

(٣) يتابع.

(٤) طريقه.

(٥) جانباً القم.

(٦) هو دقيق الشعير المقلبي.

(٧) هو شديد الصوت.

(٨) كلمة تُقالُ للرجل إذا صغروا إليه نفسه.

(٩) أصمَّ الله أعداءك.

(١٠) ما طلب من يرشده.

وَلَا تَحْسِبِ الْفِعْلَ الثَّلَاثِيَّ (١) وَالَّذِي
تَعَدَّاهُ وَالْمَهْمُوزُ فِي ذَاكَ يَخْتَلِفُ

فَطَرِبَ الشَّيْخُ لَمَّا أَدَّاهُ (٢) ، ثُمَّ عَوَّذَهُ وَفَدَّاهُ (٣) ، ثُمَّ قَالَ : هَلُمَّ يَا قَعْقَاعُ ،
يَا بَاقِعَةَ الْبِقَاعِ ، فَأَقْبَلَ فَتَى أَحْسَنُ مِنْ نَارِ الْقَرَى ، فِي عَيْنِ ابْنِ السَّرَى (٤) ،
فَقَالَ لَهُ : اصْدَعْ (٥) بِتَمْيِيزِ الظَّاءِ مِنَ الضَّادِ ، لِتَصْدَعَ بِهِ أَكْبَادَ الْأَضْدَادِ ،
فَاهْتَرَّ لِقَوْلِهِ وَاهْتَشَّ (٦) ، ثُمَّ أَنْشَدَ بِصَوْتِ أَجَشٍّ :

أَيْهَا السَّائِلِي عَنِ الضَّادِ وَالظَّاءِ
ءَ لَكَيْلًا تُضَلُّهُ الْأَلْفَاظُ (٧)

إِنَّ حِفْظَ الظَّاءَاتِ يُغْنِيكَ فَاسْمَعَهَا
اسْتَمَاعَ أَمْرِي لَهُ اسْتَيْقَاطُ (٨)

هِيَ ظَمِيَاءُ وَالْمَظَالِمُ وَالْإِظْلَامُ (٩)
وَالظَّلْمُ وَالظُّبَى وَاللَّحَاظُ (١٠)

وَالعِظَا وَالظَّلِيمُ وَالظُّبِي وَالشَّيْظَمُ (١١)
وَالظَّلُّ وَاللَّظَى وَالشَّوَاظُ (١٢)

وَالتَّظَنِّي وَاللَّفْظُ وَالنَّظْمُ وَالتَّقْرِيطُ (١٣)
وَالْقَيْظُ وَالظَّمَا وَاللَّمَاظُ

(١) الَّذِي مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ .

(٢) قَالَ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ .

(٣) بَيَّنَّ وَأَظْهَرَ وَأَكْشَفَ .

(٤) تَغْلَطَهُ .

(٥) ضِدُّ الْإِنَارَةِ .

(٦) الشَّدِيدِ الطَّوِيلِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٧) الْمَدْحُ لِلْحَيِّ .

(٢) قَالَهُ وَالْقَاهُ .

(٤) السَّارِي بِاللَّيْلِ .

(٦) فَرِحَ .

(٨) تَيَقَّظَ وَانْتَبَاهُ .

(١٠) جَانِبَ الْعَيْنِ مِمَّا يَلِي الصَّدْعَ .

(١٢) النَّارُ بِلَا دُخَانٍ .

وَالْحِظَا وَالنَّظِيرُ وَالظُّئْرُ^(١) وَالْجَاحِظُ
 وَالنَّظَارُونَ وَالْأَيْقَاطُ^(٢)
 وَالتَّشْطِي وَالظَّلْفُ وَالْعَظْمُ وَالظُّنْبُوبُ^(٣)
 وَالظَّهْرُ وَالشَّظَا وَالشَّظَاظُ
 وَالْأَظَافِيرُ وَالْمَظْفَرُ وَالْمَحْ
 ظُورُ وَالْحَافِظُونَ وَالْإِحْفَاطُ
 وَالْحَظِيرَاتُ وَالْمَظِنَّةُ وَالظَّنَّةُ^(٤)
 وَالكَاطِمُونَ^(٥) وَالْمُغْتَاظُ^(٦)
 وَالْوَضِيفَاتُ وَالْمُؤَاظِبُ^(٧) وَالْكِظَّةُ^(٨)
 وَالْأَنْتَظَارُ وَالْإِلْظَاظُ
 وَوَضِيفٌ وَظَالِعٌ وَعَظِيمٌ
 وَظَهَيْرٌ وَالْفِظُّ وَالْإِغْلَاطُ
 وَنَظِيفٌ وَالظَّرْفُ^(٩) وَالظَّلْفُ الظَّا
 هِرُّنَّمُ الْفَظِيْعُ وَالْوَعَّاطُ
 وَعُكَاطٌ وَالظَّعْنُ^(١٠) وَالْمَظُّ وَالْحِنْدُ
 ظَلُّ وَالْقَارِظَانِ وَالْأَوْشَاطُ^(١١)

(١) المرضعة .

(٢) عظم الساق .

(٣) الحابسون غيظهم .

(٤) الملازم .

(٥) الوعاء .

(٦) الأخلط والجماعات .

(٧) المتنبهون .

(٨) بالكسر: التهمة .

(٩) من قام به الغيظ .

(١٠) الشبع المفرط .

(١١) الرحيل ، وهو ضد الإقامة .

وَظِرَابُ الظَّرَّانِ وَالشَّظْفُ (١) البَا
 هَظُّ (٢) وَالْجَعْمَظَرِيُّ وَالْجَوَّازُ
 وَالظَّرَابِينُ وَالْحَنَاظِبُ (٣) وَالْعُنْظُبُ
 ثُمَّ الظَّيَّانُ وَالْأَرْعَاظُ
 وَالشَّنَاطِي (٤) وَالِدَلَّظُ وَالظَّابُ
 وَالظَّبَّابُ وَالْعُنْظُونُ (٥) وَالْجِنْعَاظُ (٦)
 وَالشَّنَاطِيرُ وَالْتَعَاظِلُ وَالْعِظْلَمُ
 وَالْبَظْرُبَعْدُ وَالْإِنْعَاظُ
 هِيَ هَازِي سَوَى النَّوَادِرِ فَاحْفَظْهَا
 لَتَقْفُو (٧) آثَارَكَ الْحُفَّازُ
 وَاقْضِ فِي مَا صَرَفْتَ مِنْهَا كَمَا تَقْضِيهِ
 فِي أَصْلِهِ كَقَيْظٍ وَقَاظُوا

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: أَحْسَنْتَ لَا فُضَّ فُوكَ، وَلَا بَرٌّ مِنْ يَجْفُوكَ (٨)، فَوَاللَّهِ
 إِنَّكَ مَعَ الصَّبَا الْغَضِّ، لِأَحْفَظُ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَجْمَعُ مِنْ يَوْمِ الْعَرْضِ، وَلَقَدْ
 أوردتكَ ورُفقتكَ زَلَالِي، وَثَقَّفْتُكُمْ (٩) تَثْقِيفَ الْعَوَالِي، فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ
 وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَعَجِبْتُ لِمَا أَبْدَى مِنْ بَرَاعَةٍ، مَعْجُونَةٌ (١٠)

- | | |
|-------------------------|------------------------------------------|
| (١) البؤس وضيق المعيشة. | (٢) الشَّاقُّ أو الغالب. |
| (٣) ذكور الخنافس. | (٤) نواحي الجبل. |
| (٥) نبت. | (٦) الأحمق. |
| (٧) لتتبع. | (٨) لا أحسن إلى من يغلظ لك القول ويهجرك. |
| (٩) قومتكم. | (١٠) مخلوطة. |

بِرِقَاعَةٍ، وَأَظْهَرَ مِنْ حَذَاقَةٍ (١) مَمْزُوجَةً بِحِمَاقَةٍ (٢)، وَلَمْ يَزَلْ بَصْرِي يُصَعِّدُ فِيهِ وَيَصُوبُ، وَيَنْقُرُ عَنْهُ وَيَنْقُبُ (٣)، وَكُنْتُ كَمَنْ يَنْظُرُ فِي ظَلْمَاءٍ، أَوْ يَسْرِي فِي بَهْمَاءٍ، فَلَمَّا اسْتَرَاثَ تَنْبَهِي، وَاسْتَبَانَ تَدَلُّهِي (٤)، حَمَلْتُ (٥) إِلَيَّ وَتَبَسَّمْتُ، وَقَالَ: لَمْ يَبْقَ مِنْ يَتَوَسَّمُ (٦)، فَبُهْتُ لَفَحْوَى كَلَامِهِ، وَوَجَدْتُهُ أَبَا زَيْدٍ عِنْدَ ابْتِسَامِهِ، فَأَخَذْتُ أَلُومَهُ عَلَى تَدِيرِ بُقْعَةِ النَّوْكَى، وَتَخِيرِ حِرْفَةِ الْحُمُقَى، فَكَانَ وَجْهُهُ أَسْفَ رَمَادًا، أَوْ أُشْرِبَ سَوَادًا.

إِلَّا أَنَّهُ أَنْشَدَ وَمَا تَمَادَى:

تَخَيْرْتُ حَمْصَ وَهَذِي الصَّنَاعَةَ (٧)
لَأَرْزُقَ حُظْوَةَ أَهْلِ الرَّقَاعَةِ
فَمَا يَصْطَفِي (٨) الدَّهْرُ غَيْرَ الرَّقِيعِ (٩)
وَلَا يُوْطِنُ أَلْمَالَ إِلَّا بِقَاعَهُ
وَلَا لِأَخِي اللَّئِبِ (١٠) مِنْ دَهْرِهِ
سِوَى مَا لِعَيْرِ رَبِيضِ بِقَاعَهُ

ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّ التَّعْلِيمَ أَشْرَفُ صِنَاعَةٍ، وَأَرْبِحُ بَضَاعَةٍ، وَأَنْجَعُ شَفَاعَةٍ، وَأَفْضَلُ بَرَاعَةٍ، وَرَبُّهُ (١١) ذُو إِمْرَةٍ مُطَاعَةٍ، وَهَيْبَةِ مُشَاعَةٍ، وَرِعِيَّةٍ مَطْوَاعَةٍ (١٢)، يَتَسَيَّرُ تَسَيَّرَ أَمِيرٍ، وَيُرْتَّبُ تَرْتِيبَ وَزِيرٍ، وَيَتَحَكَّمُ تَحَكَّمَ

(٢) جهل وقلة رأي.

(٤) تحيري.

(٦) ينظر ويتأمل.

(٨) يختار.

(١٠) صاحب العقل.

(١٢) منقادة كثيرة الطاعة.

(١) فطنة وفهم.

(٣) يفتش.

(٥) نظر بباطن جفنه.

(٧) هي تعليم الأطفال.

(٩) الأحمق.

(١١) صاحبه.

قَدِيرٌ، وَيَتَّشَبَهُ بِذِي مُلْكٍ كَبِيرٍ، إِلَّا أَنَّهُ يَخْرَفُ^(١) فِي أَمَدٍ يَسِيرٍ، وَيَتَّسِمُ
بِحُمُقٍ شَهِيرٍ، وَيَتَّقَلَّبُ بِعَقْلٍ صَغِيرٍ^(٢)، وَلَا يُنَبِّتُ مِثْلُ خَبِيرٍ.

فَقُلْتُ لَهُ: تَاللَّهِ إِنَّكَ لَا بِنُ الْأَيَّامِ، وَعَلِمُ الْأَعْلَامِ، وَالسَّاحِرُ اللَّاعِبُ
بِالْأَفْهَامِ^(٣)، الْمُدَلَّلُ لَهُ سَبِيلُ الْكَلَامِ، ثُمَّ لَمَّ أَزَلَ مَعْتَكِفًا بِنَادِيهِ، وَمُغْتَرَفًا
مِنْ سَيْلِ وَاوَدِيهِ، إِلَى أَنْ غَابَتِ الْأَيَّامُ الْغُرَّةُ^(٤)، وَنَابَتِ الْأَحْدَاثُ الْغُبْرَةُ،
فَفَارَقْتَهُ وَلَعِينِي الْعَبْرُ.



(١) فساد العقل من الكبر.

(٢) تكون أفعاله كأفعال الأبطال.

(٣) الخادع السالب للعقول.

(٤) البيض الحسان.

المقامة السابعة والأربعون الحجرية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قالَ: احتججتُ إلى الحجامةِ، وأنا بحجرِ اليمامةِ، فأرشدتُ إلى شيخٍ يحجمُ بلطافةٍ، ويسفرُ^(١) عن نطافةٍ، فبعثتُ غلامي لإحضاره، وأرصدتُ نفسي لانتظاره، فأبطأ بعدما انطلقَ، حتى خلتُهُ^(٢) قد أبقَ^(٣)، أو ركبَ طباقاً عن طبقٍ، ثم عادَ عودَ المُخفقِ مسعاهُ^(٤)، الكلُّ على مَولاهُ^(٥)، فقلتُ له: ويلك أبطءَ فند، وصلودَ زند؟ فزعمَ أنَّ الشيخَ أشغلُ من ذاتِ النَّحيينِ^(٦)، وفي حربٍ كحربِ حنينٍ، فعفتُ الممشى إلى حجامٍ، وحررتُ بينَ إقدامٍ وإحجامٍ، ثم رأيتُ أن لا تعنيفَ، على من يأتي الكنيفَ^(٧)، فلما شهدتُ موسمَهُ^(٨)، وشاهدتُ ميسمَهُ^(٩)، رأيتُ شيخاً هيئتهُ نظيفةٌ، وحركتهُ خفيفةٌ، وعليه من النظارةِ أطواقٌ، ومن الزحامِ طباقٌ، وبين يديه فتى كالصمصامةِ^(١٠)، مُستهدفٌ للحجامةِ، والشيخُ يقولُ له: أراك قد أبرزتَ راسك، قبلَ أن تبرزَ قرطاسك، ووليتني قذالك^(١١)، ولم

(١) يكشف.

(٢) ظنته.

(٣) فرَّ وشرد وهرب.

(٤) الذي خاب سعيه.

(٥) ثقل الروح على سيده.

(٦) كثير الاشتغال.

(٧) محل قضاء الحاجة.

(٨) مكانه ومجمعه.

(٩) منظره.

(١٠) كالسيف.

(١١) قفاك.

تَقُلْ لِي ذَا لَكَ، وَلَسْتُ مَمَّنْ يَبِيعُ نَقْدًا بَدِينِ، وَلَا يَطْلُبُ أَثْرًا (١) بَعْدَ عَيْنٍ،
فَإِنَّ أَنْتَ رَضَخْتَ (٢) بِالْعَيْنِ، حُجِمْتَ فِي الْأَخْدَعَيْنِ، وَإِنْ كُنْتَ تَرَى الشَّحَّ
أَوْلَى، وَخَزَنَ الْفَلْسُ فِي النَّفْسِ أَحْلَى، فَاقْرَأْ عَبَسَ وَتَوَلَّى، وَاغْرُبْ عَنِّي
وَإِلَّا، فَقَالَ الْفَتَى: وَالَّذِي حَرَّمَ صَوْغَ الْمَيْنِ (٣)، كَمَا حَرَّمَ صَيْدَ الْحَرَمَيْنِ،
إِنِّي لِأَفْلَسُ مِنْ ابْنِ يَوْمَيْنِ، فَثِقْ بِسَيْلِ تَلْعَتِي، وَأَنْظِرْنِي إِلَى سَعَتِي (٤)،
فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وَيْحَكَ إِنَّ مَثَلَ الْوُعُودِ، كَغَرَسِ الْعُودِ! هُوَ بَيْنَ أَنْ يُدْرِكَهُ
الْعَطْبُ، أَوْ يُدْرِكَ مِنْهُ الرُّطْبُ، فَمَا يُدْرِينِي أَيَحْضَلُ مِنْ عُودِكَ جَنِّي، أَمْ
أَحْضَلُ مِنْهُ عَلَى ضَنِّي (٥)؟ ثُمَّ مَا الثَّقَّةُ بِأَنَّكَ حِينَ تَبْتَعِدُ، سَتَفِي بِمَا تَعْدُ؟
وَقَدْ صَارَ الْغَدْرُ (٦) كَالْتَّحْجِيلِ، فِي حَلِيَةِ هَذَا الْجَلِيلِ (٧)، فَأَرِحْنِي بِاللَّهِ مِنْ
التَّعْذِيبِ، وَارْحَلْ إِلَى حَيْثُ يَعْوِي الذَّيْبُ (٨)، فَاسْتَوَى الْغُلَامُ إِلَيْهِ، وَقَدْ
اسْتَوْلَى الْخَجَلُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا يَخِيسُ بِالْعَهْدِ، غَيْرُ الْخَسِيسِ الْوَعْدِ،
وَلَا يَرِدُ غُدِيرَ الْغَدْرِ، إِلَّا الْوَضِيعُ (٩) الْقَدْرُ، وَكَلِمَةُ عَرَفْتُ مِنْ أَنَا، لَمَّا
أَسْمَعْتَنِي الْخَنَا (١٠)، لَكِنَّكَ جَهَلْتَ فَقُلْتَ، وَحَيْثُ وَجَبَ أَنْ تَسْجُدَ بَلُتَ،
وَمَا أَقْبَحَ الْعُرْبَةَ وَالْإِقْلَالَ، وَأَحْسَنَ قَوْلَ مَنْ قَالَ:

إِنَّ الْغَرِيبَ الطَّوِيلَ الذَّيْلَ مُسْتَهَنٌ فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَا لَهُ قُوتُ
لَكِنَّهُ مَا تَشِينُ الْحَرُّ مُوجِعَةٌ (١١) فَالْمَسْكُ يُسْحَقُ وَالْكَافُورُ مَفْتُوتُ
وَمَا أَصْلِي الْيَاقُوتُ جَمْرَ غَضِي ثُمَّ أَنْظَفِي الْجَمْرُ وَالْيَاقُوتُ يَاقُوتُ

(١) رسماً.

(٢) أعطيت قليلاً.

(٣) سبك الكذب.

(٤) أي: ميسرتي.

(٥) مرض وهزال.

(٦) المكر والخديعة واختلاف الوعد.

(٧) أبناء الزمان.

(٨) المكان الحالي.

(٩) الدنيء.

(١٠) الكلام الفاحش.

(١١) حالة مؤلمة.

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: يَا وَيْلَةَ أَبِيكَ، وَعَوْلَةَ (١) أَهْلِيكَ! أَأَنْتَ فِي مَوْقِفٍ فَخْرٍ يُظَهَرُ، وَحَسَبٍ يُشْهَرُ، أَمْ مَوْقِفٍ جَلْدٍ يُكْشَطُ (٢)، وَقَفًّا يُشْرَطُ؟ وَهَبْ أَنْ لَكَ الْبَيْتَ، كَمَا ادَّعَيْتَ، أَيَحْضَلُ بِذَلِكَ، حَجْمٌ قَدْ ذَاكَ؟ لَا وَاللَّهِ وَلَوْ أَنَّ أَبَاكَ أَنْفَ (٣)، عَلَى عَبْدٍ مُتَّافٍ، أَوْ لِحَالِكَ دَانَ (٤)، عَبْدُ الْمَدَانِ، فَلَا تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ، وَلَا تَطْلُبُ مَا لَسْتَ لَهُ بِوَاوَجِدٍ، وَبَاهِ إِذَا بَاهَيْتَ بِمَوْجُودِكَ، لَا بِحُدُودِكَ، وَبِمَحْصُولِكَ، لَا بِأَصُولِكَ، وَبِصِفَاتِكَ، لَا بِرُفَاتِكَ (٥)، وَبِأَعْلَاقِكَ، لَا بِأَعْرَاقِكَ (٦)، وَلَا تَطْعِ الطَّمَعَ فَيُذِلُّكَ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ، وَلِلَّهِ دَرُ الْقَائِلِ لِابْنِهِ:

بُنَيَّ اسْتَقِمْ فَالْعُودُ (٧) تَنْمِي عُرُوقُهُ

قَوِيماً وَيَغْشَاهُ إِذَا مَا التَّوَى التَّوَى

وَلَا تَطْعِ الْحِرْصَ الْمُذِلَّ وَكُنْ فَتِي

إِذَا التَّهَبَّتْ أَحْشَاؤُهُ بِالطَّوَى (٨) طَوَى

وَعَاصِ الْهَوَى الْمُرْدِي (٩) فَكَمْ مِنْ مَحَلَّقٍ (١٠)

إِلَى النَّجْمِ لَمَّا أَنْ أَطَاعَ الْهَوَى هَوَى

وَأَسْعَفَ (١١) ذَوِي الْقُرْبَى فَيَقْبُحُ أَنْ يُرَى

عَلَى مِنْ إِلَى الْحَرِّ اللَّبَابِ انْضَوَى ضَوَى

(١) العولة من الإعوال، وهو: البكاء.

(٢) يسلخ.

(٣) أي: زاد.

(٤) خضع وأطاع.

(٥) الرفاة: العظام البالية.

(٦) لا بأنسابك.

(٧) فالغصن.

(٨) الجوع.

(٩) المهلك.

(١٠) مرتفع.

(١١) أعين وساعد.

وَحَافِظٌ عَلَى مَنْ لَا يَخُونُ إِذَا نَبَا
 زَمَانٌ وَمَنْ يَرْعَى إِذَا مَا النُّوَى نَوَى
 وَإِنْ تَقْتَدِرُ فَاصْفَحْ فَلَا خَيْرَ فِي امْرِي
 إِذَا اعْتَلَقْتُ^(١) أَظْفَارَهُ بِالشَّوَى^(٢) شَوَى
 وَإِيَّاكَ وَالشُّكُوى فَلَمْ تَرَدَا نُهَى^(٣)
 شَكَابِلُ أَخُو الْجَهْلِ^(٤) الَّذِي مَا ارْعَوَى^(٥) عَوَى^(٦)

فَقَالَ الْغُلَامُ لِلنَّظَّارَةِ: يَا لِلْعَجِيبَةِ، وَالطَّرْفَةَ الْغَرِيبَةَ! أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ،
 وَاسْتُ فِي الْمَاءِ! وَلَفْظٌ كَالصَّهْبَاءِ، وَفِعْلٌ كَالْحَصْبَاءِ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْخِ
 بِلِسَانٍ سَلِيطٍ، وَغَيْظٍ مُسْتَشِيطٍ^(٧)، وَقَالَ: أَفْ لَكَ مِنْ صَوَاغٍ بِاللِّسَانِ،
 رَوَاغٍ عَنِ الْإِحْسَانِ! تَأْمُرُ بِالْبِرِّ، وَتَعُقُّ عُقُوقَ الْهَرِّ، فَإِنْ يَكُنْ سَبَبُ
 تَعْتُكَ^(٨)، نِفَاقَ صَنَعَتِكَ، فَرَمَاهَا اللَّهُ بِالْكَسَادِ، وَإِفْسَادَ الْحُسَادِ، حَتَّى تُرَى
 أَفْرَغَ مِنْ حَجَّامٍ سَابَاطَ، وَأَضِيقَ رِزْقًا مِنْ سَمِّ الْخِيَاطِ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: بَلْ
 سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكَ بَثْرَ الْفَمِّ، وَتَبِيعَ الدَّمِ، حَتَّى تُلْجَأَ إِلَى حَجَّامٍ عَظِيمِ
 الْإِسْطِطَاطِ^(٩)، ثَقِيلِ الْإِسْتِرَاطِ، كَلِيلِ الْمَشْرَاطِ، كَثِيرِ الْمُخَاطِ وَالضَّرْاطِ،
 قَالَ: فَلَمَّا تَبَيَّنَ الْفَتَى أَنَّهُ يَشْكُو إِلَى غَيْرِ مُصَمَّتٍ، وَيُرَاوِدُ^(١٠) اسْتَفْتَحَ بَابَ
 مُصَمَّتٍ^(١١)، أَضْرَبَ عَنْ رَجْعِ الْكَلَامِ، وَاحْتَفَزَ لِلْقِيَامِ، وَعَلِمَ الشَّيْخُ أَنَّهُ

(٢) الأظفار وجلدة الرأس.

(٤) الأحمق الذي لا يتعقل.

(٦) تضجّر وشكا.

(٨) تشدّدك.

(١٠) يعاني ويعالج.

(١) نشبت.

(٣) صاحب عقل.

(٥) كفّ ورجع.

(٧) محترق.

(٩) مجاوزة الحدّ في السّوم.

(١١) مغلوق.

قَدْ أَلَامَ (١)، بِمَا أَسْمَعَ الْغُلَامَ، فَجَنَحَ إِلَى سَلْمِهِ، وَبَذَلَ أَنْ يُدْعِنَ لِحُكْمِهِ،
وَلَا يَبْغِي أَجْرًا عَلَى حَجْمِهِ، وَأَبَى الْغُلَامُ إِلَّا الْمَشْيَ بِدَائِهِ، وَالْهَرَبَ مِنْ
لِقَائِهِ، وَمَا زَالَ فِي حِجَاكِ وَسَبَابِ (٢)، وَلِزَاكِ وَجِدَابِ، إِلَى أَنْ ضَجَّ (٣)
الْفَتَى مِنَ الشَّقَاقِ (٤)، وَتَلَا رُدُّهُ سُورَةَ الْأَنْشِقَاقِ، فَأَعْوَلَ حِينَئِذٍ لَوْفَارَةَ
خُسْرِهِ (٥)، وَأَنْعَطَاطَ عَرْضِهِ وَطِمْرِهِ، وَأَخَذَ الشَّيْخُ يَعْتَذِرُ مِنْ فِرْطَاتِهِ،
وَيُغِيضُ مِنْ عِبْرَاتِهِ (٦)، وَهُوَ لَا يُصْغِي إِلَى اعْتِذَارِهِ، وَلَا يَقْصُرُ عَنْ
اسْتِعْبَارِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ: فَدَاكَ عَمُّكَ، وَعَدَاكَ مَا يَغْمُكَ! أَمَا تَسَامُ
الْإِعْوَالَ (٧)، أَمَا تَعْرِفُ الْإِحْتِمَالَ، أَمَا سَمِعْتَ بِمَنْ أَقَالَ (٨)، وَأَخَذَ بِقَوْلِ
مَنْ قَالَ:

أَخْمَدُ بِحِلْمِكَ مَا يُذَكِّيهِ (٩) ذُو سَفِهِ
مِنْ نَارِ غِيظِكَ وَأَصْفَحْ (١٠) إِنْ جَنَى جَانِ
فَالْحِلْمُ أَفْضَلُ مَا أزدَانَ اللَّبِيبُ بِهِ
وَالأخْذُ بِالْعَفْوِ أَحْلَى مَا جَنَى جَانِ

فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ ظَهَرْتَ عَلَى عَيْشِي الْمُنْكَدِرِ (١١)، لَعَدَرْتَ
فِي دَمْعِي الْمُنْهَمِرِ، وَلَكِنْ هَانَ عَلَيَّ الْأَمْلَسُ مَا لاقَى الدَّبْرُ، ثُمَّ كَأَنَّهُ نَزَعَ
إِلَى الْاسْتِحْيَاءِ، فَأَقْلَعَ عَنِ الْبُكَاءِ، وَفَاءَ إِلَى الْأَرْعَوَاءِ (١٢)، وَقَالَ لِلشَّيْخِ:

- (١) أتى بما يستحق أن يلام عليه .
(٢) مشاتمة .
(٣) إلى أن جزع وقلق .
(٤) المخالفة .
(٥) لزيادة خسارته .
(٦) أن ينقص من دموع بكائه .
(٧) البكاء .
(٨) عفا وسامح .
(٩) يوقده .
(١٠) تجاوز .
(١١) المتغير المنقص .
(١٢) الانكفاف والامتناع .

قَدْ صِرْتُ إِلَى مَا اشْتَهَيْتَ، فَارْفَعْ مَا أَوْهَيْتَ (١)، فَقَالَ: هِيَ هَاتِ شَغَلَتْ
شُعَابِي جَدَوَايَ، فَسَمُّ بَارِقِ سِوَايَ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ يَسْتَقْرِي (٢) الصُّفُوفَ،
وَيَسْتَجِدِّي الْوُقُوفَ، وَيُنْشِدُ فِي ضِمْنِ مَا هُوَ يَطُوفُ:

أُقْسِمُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ الَّذِي
تَهْوِي إِلَيْهِ الزُّمُرُ (٣) الْمُحْرَمَةَ
لَوْ أَنَّ عِنْدِي قُوتَ يَوْمٍ لَمَّا
مَسَّتْ (٤) يَدِي الْمَشْرَاطَ وَالْمِحْجَمَةَ
وَلَا ارْتَضَتْ نَفْسِي الَّتِي لَمْ تَزَلْ
تَسْمُو إِلَيَّ الْمَجْدَ بِهَذِي السُّمَّةِ
وَلَا اشْتَكَى هَذَا الْفَتَى غُلْظَةً (٥)
مَنِّي وَلَا شَاكْتُهُ مَنِّي حُمَةً
لَكِنْ صُرُوفُ الدَّهْرِ (٦) غَادَرْنِي
كَخَابِطٍ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ
وَأَضْطَرَّنِي الْفَقْرُ إِلَى مَوْقِفٍ
مِنْ دُونِهِ خَوْضُ اللَّظَى الْمُضْرَمَةِ
فَهَلْ فَتَى تُدْرِكُهُ رِقَّةٌ (٧)
عَلَيَّ أَوْ تَعْطِفُهُ (٨) مَرْحَمَةً

(١) أفسدت.

(٢) يتبع.

(٣) جمع زمرة، وهي: الجماعات.

(٤) لمست.

(٥) جفاء في الكلام.

(٦) حوادته.

(٧) شفقة.

(٨) تميله.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَوَى لِبَلْوَاهُ، وَرَقَّ لَشَكْوَاهُ،
 فَنفَحْتُهُ بِدِرْهَمَيْنِ، وَقُلْتُ: لَا كَانَا وَلَوْ كَانَا ذَا مَيْنِ^(١)! فَابْتَهَجَ بِبَاكُورَةِ
 جَنَاهُ، وَتَفَاءَلَ بِهِمَا لَغْنَاهُ، وَلَمْ تَزَلِ الدَّرَاهِمُ تَنْهَالُ عَلَيْهِ، وَتَنْثَالُ لَدَيْهِ، حَتَّى
 آلَ ذَا عَيْشَةَ خَضْرَاءَ، وَحَقِيْبَةَ بَجْرَاءَ، فَازْدَهَاهُ الْفَرَحُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَهَنَّا نَفْسَهُ
 بِمَا هُنَالِكَ، وَقَالَ لِلْغُلَامِ: هَذَا رَيْعٌ أَنْتَ بَدْرُهُ^(٢)، وَحَلَبٌ لَكَ شَطْرُهُ،
 فَهَلُمَّ لِنَقْتَسِمَ، وَلَا نَحْتَشِمُ^(٣)، فَتَقَاسَمَاهُ بَيْنَهُمَا شِقَّ الْأَبْلَمَةِ، وَنَهَضَا مُتَّفَقِي
 الْكَلِمَةِ، وَلَمَّا انْتَضَمَ بَيْنَهُمَا عَقْدُ الْاِصْطِلَاحِ، وَهَمَّ الشَّيْخُ بِالرَّوَّاحِ^(٤)، قُلْتُ
 لَهُ: قَدْ تَبَوَّغَ دَمِي، وَنَقَلْتُ إِلَيْكَ قَدَمِي، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَحْجُمَنِي،
 وَتُكْفِكَفَ^(٥) مَا دَهَمَنِي^(٦)? فَصَوَّبَ طَرْفَهُ وَصَعَّدَ، ثُمَّ اذْدَلَّفَ إِلَيَّ وَأَنْشَدَ:
 كَيْفَ رَأَيْتَ خُدْعَتِي^(٧) وَخَتْلِي^(٨) وَمَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ سَخْلِي^(٩)
 حَتَّى انْتَشَيْتُ فَائِزاً بِالْخَصْلِ
 بِاللَّهِ يَا مُهْجَةَ قَلْبِي قُلْ لِي
 يَفْتَحُ بِالرُّقِيَّةِ^(١٠) كُلَّ قُفْلٍ
 وَيَعْجَنُ الْجَدَّ بِمَاءِ الْهَزْلِ^(١١)
 فَالْطَّلُّ قَدْ يَبْدُو أَمَامَ الْوَبْلِ^(١٢)
 قَالَ: فَنَبَهْتَنِي أَرْجُوزَتُهُ عَلَيْهِ، وَأَرْتَنِي أَنَّهُ شَيْخُنَا الْمُشَارُّ إِلَيْهِ، فَفَرَعَتْهُ^(١٤)

(٢) أي: أنت سببه.

(٤) وعزم على الذهاب.

(٦) غشيني وأصابني.

(٨) تحيلني.

(١٠) العزيمة.

(١٢) أحاسن الكلام.

(١٤) لمتة وعنفته.

(١) صاحب كذب.

(٣) لا نستحيي.

(٥) تكف وترفع.

(٧) مكري.

(٩) عنى به ولده.

(١١) يسلب ويأخذ.

(١٣) يمزج الحق بالباطل.

عَلَى الْإِبْتِدَالِ (١) ، وَالْإِلْتِحَاقِ بِالْأُرْدَالِ ، فَأَعْرَضَ عَمَّا سَمِعَ ، وَلَمْ يُبَلِّ بِمَا قُرِعَ ، وَقَالَ : كُلُّ الْخِذَاءِ يَحْتَدِي الْخَافِي الْوَقِعُ ، ثُمَّ قَاصَانِي (٢) مُقَاصَاةَ الْمُهَانَ (٣) ، وَأَنْطَلَقَ هُوَ وَابْنُهُ كَفْرَسِي رِهَانَ .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الرَّئِيسُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدْ أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلاً من أمثال العرب وهنا أنا أفسر ما أخاله يلتبس على من يقتبس . أما قوله : (بطء فند) فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنها وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها ناراً فقصد من فوره مصر وأقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة وهو يشتد ومعه جمر فتبدد منه فقال : تعست العجلة ، وأما قوله : (أنف في السماء واست في الماء) فيضرب هذا المثل لمن يكبر مقالاً ويصغر فعلاً ، وأما قوله : (أفرغ من حجام سباب) فذكر أنه كان حجاماً ملازماً سباباً المدائن ، يحجم الجندي بدائق نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يقرئه فيها أحد فكان يبرز أمه عند تمادي عطلته فيحجمها لكيلاً يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نرف دمها وماتت ، وأما قوله : (يشكو إلى غير مصمت) فهو مثل يضرب لمن لا يكثر بشأن صاحبه ولا يعبأ باستمرار شكايته لأنه لو أشكاه لصمت وأمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملاً له :

إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مِصْمَتٍ فَاصْبِرْ عَلَى الْحَمْلِ الثَّقِيلِ أَوْ مَت

وَنَحْوَ هَذَا الْمَثَلِ : (هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَأَقَى الدَّبْرَ) ، وَأَمَّا قَوْلُهُ :

(شغلت شعابي شدواي) فالمراد به أنه ليس يفضل عني ما أصرفه إلى غيري

(٢) باعدني وفارقني .

(١) الامتهان وترك الاحتشام .

(٣) مباحدة المستحقر للمستحقر به .

والشُّعَابُ هِيَ النُّوَاهِي وَاحِدُهَا شِعْبٌ .

وقوله: (كل الخُذَاءُ يَحْتَذِي الخَافِي الوَقْعَ) معناه: أَنَّ المَجْهُودَ يَقْنَعُ بِمَا يَجِدُ وَالمَوْقِعَ أَنَّ تَصِيبَ الخُجَارَةِ القَدَمَ فَتَوَهَّنُهَا، فَأَمَّا البَعِيرُ المَوْقِعَ فَهُوَ الَّذِي يَكْثُرُ آثَارُ الدَّبْرِ بِظَهْرِهِ .



المقامة الثامنة والأربعون الحرامية

روى الحارث بن همام عن أبي زيد السروجي قال: ما زلت منذ رحلت عنسي (١)، وارتحلت عن عرسي (٢) وعرسي، أحن (٣) إلى عيان البصرة، حين المظلوم إلى النصرة، لما أجمع عليه أرباب (٤) الدرّاية، وأصحاب الرواية (٥)، من خصائص معالمها وعلمائها، ومآثر (٦) مشاهدتها (٧) وشهادتها، وأسأل الله أن يوطئني ثراها، لأفوز بمرأها، وأن يمطيني قراها، لأقتري (٨) قراها، فلما أحلّنيها الحظ، وسرح (٩) لي فيها اللحظ، رأيت بها ما يملأ العين قرّة (١٠)، ويسلي عن الأوطان كل غريب، فغلست في بعض الأيام، حين نصل خضاب (١١) الظلام، وهتف أبو المنذر بالنوام، لأخطو في خطها (١٢)، وأقضي الوطر من توسطها، فأداني الاختراق في مسالكها (١٣)، والانصلات في سلكها (١٤)، إلى محلة موسومة بالاحترام (١٥)، منسوبة إلى بني حرام، ذات مساجد مشهودة، وحياض

(٣) أشتاق.

(٢) زوجتي.

(١) العنس: الناقة القوية الصلبة.

(٥) رواية الأخبار.

(٤) اتفق عليه أصحاب العلوم والمعارف.

(٧) محاضرها.

(٦) مكارم ومحاسن.

(٩) امتدّ.

(٨) أتبع.

(١١) زال، وهو كناية عن طلوع الفجر.

(١٠) سروراً.

(١٣) طرقها.

(١٢) أماكنها.

(١٥) بالتعظيم.

(١٤) شوارعها.

مورودة، ومبان وثيقة، ومغان^(١) أنيقة، وخصائص أثيرة، ومزايًا كثيرة:

بَهَا مَا شِئْتِ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا
 وَجِيرَانٍ تَنَافَوْا^(٢) فِي الْمَعَانِي
 فَمَشْفُوفٌ^(٣) بِآيَاتِ الْمَثَانِي
 وَمَنْفُتُونَ بِرِنَاتِ الْمَثَانِي
 وَمُضْطَلِعٌ^(٤) بِتَلْخِيصِ الْمَعَانِي
 وَمُطَّلِعٌ إِلَى تَخْلِيصِ^(٥) عَانَ
 وَكَمْ مِنْ قَارِيٍّ فِيهَا وَقَارٍ
 أَضْرًّا بِالْجُفُونِ وَبِالْجُفَانِ
 وَكَمْ مِنْ مَعْلَمٍ^(٦) لِلْعِلْمِ فِيهَا
 وَنَادٍ^(٧) لِلنَّادِي^(٨) حُلُوِ الْمَجَانِي^(٩)
 وَمَغْنَى لَا تَزَالُ تُغْنِي فِيهِ
 أَغَارِيدُ الْغَوَانِي وَالْأَغَانِي
 فَصِلْ إِنْ شِئْتَ فِيهَا مَنْ يُصَلِّي
 وَإِمَّا شِئْتَ فَادْنُ مِنَ الدَّنَانِ
 وَدُونِكَ صُحْبَةَ الْأَكْيَاسِ فِيهَا
 أَوْ الْكَاسَاتِ مُنْطَلِقَ الْعِنَانِ

(١) جمع مغنى، وهو: المنزل.

(٣) مفتون.

(٥) فك أسير.

(٧) مجلس.

(٢) اختلفوا.

(٤) قوي على حمله.

(٦) علامة.

(٨) الكرم والعتاء.

(٩) الثمار التي تُجتنى.

قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا أَنْفُضُ (١) طُرْقَهَا، وَأَسْتَشْفُ (٢) رَوْنَقَهَا (٣)، إِذْ لَمَحْتُ
عِنْدَ دُلُوكِ بَرَّاحٍ، وَإِظْلَالِ الرُّوَّاحِ (٤)، مَسْجِدًا مُشْتَهَرًا بِطَرَائِفِهِ، مَزْدَهَرًا
بَطَوَائِفِهِ (٥)، وَقَدْ أَجْرَى أَهْلُهُ ذَكَرَ حُرُوفِ الْبَدَلِ، وَجَرَوْا فِي حَلْبَةِ الْجَدَلِ،
فَعُجِبْتُ (٦) نَحْوَهُمْ، لِأَسْتَمِطِرَ نَوْهَهُمْ، لَا لِأَقْتَبِسَ (٧) نَحْوَهُمْ، فَلَمْ يَكُ إِلَّا
كَقَبْسَةِ الْعَجْلَانِ، حَتَّى ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْأَذَانِ، ثُمَّ رَدَفَ التَّأَذِينَ (٨) بُرُوزُ
الإِمَامِ، فَأَغْمَدَتِ ظُبَى الْكَلَامِ، وَحَلَّتِ الْحَبَى لِلْقِيَامِ، وَشُغِلْنَا بِالْقُنُوتِ، عَنِ
اسْتِمْدَادِ الْقُوتِ، وَبِالسُّجُودِ عَنِ اسْتِنزَالِ الْجُودِ، وَكَمَا قُضِيَ الْفَرَضُ، وَكَادَ
الْجَمْعُ يَنْفُضُ (٩)، أَنْبَرَى (١٠) مِنَ الْجَمَاعَةِ كَهَلِّ حُلُوِّ الْبِرَاعَةِ، لَهُ مِنْ
السَّمْتِ الْحَسَنِ (١١)، ذَلَاقَةُ اللَّسَنِ (١٢)، وَفَصَاحَةُ الْحَسَنِ، وَقَالَ: يَا
جِيرَتِي، الَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ عَلَى أَغْصَانِ شَجَرَتِي، وَجَعَلْتُ خَطَّتَهُمْ دَارَ
هَجْرَتِي، وَاتَّخَذْتَهُمْ كَرِشِي وَعَيْتِي، وَأَعَدَدْتَهُمْ (١٣) لِمَحْضَرِي وَغَيْبَتِي، أَمَا
تَعْلَمُونَ أَنَّ لَبُوسَ الصَّدَقِ أَبْهَى الْمَلَابِسِ الْفَآخِرَةِ، وَأَنَّ فُضُوحَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ
مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ؟ وَأَنَّ الدِّينَ إِمْحَاضُ النَّصِيحَةِ، وَالْإِرْشَادَ عُنْوَانُ الْعَقِيدَةِ
الصَّحِيحَةِ؟ وَأَنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، وَالْمُسْتَرَشِدَ بِالنُّصْحِ قَمِنٌ؟ وَأَنَّ أَخَاكَ هُوَ
الَّذِي عَذَلَكَ (١٤)، لَا الَّذِي عَذَرَكَ (١٥). وَصَدِيقَكَ مِنْ صَدَقِكَ، لَا مَنْ

- | | |
|----------------------|----------------------------------|
| (١) أتبعها. | (٢) أستجلي. |
| (٣) حسنها. | (٤) مجيء العشي. |
| (٥) بجماعاته. | (٦) عطفت. |
| (٧) لا لأستفيد. | (٨) تبع الأذان. |
| (٩) يتفرق. | (١٠) اعترض. |
| (١١) الهيئة الحسناء. | (١٢) بلاغة المنطق مع حدة اللسان. |
| (١٣) اتخذتهم عدة. | (١٤) لامك. |
| (١٥) قبل عذرك. | |

صَدَقَكَ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَاضِرُونَ: أَيُّهَا الْخَلُّ الْوَدُودُ، وَالْحَدْنُ الْمَوْدُودُ، مَا سِرُّ
 كَلَامِكَ الْمُلْغَزِ، وَمَا شَرَحُ خِطَابِكَ الْمَوْجِزِ، وَمَا الَّذِي تَبْغِيهِ مِنَّا لِيُنْجِزَ؟
 فَوَالَّذِي حَبَانَا (١) بِمَحَبَّتِكَ، وَجَعَلْنَا مِنْ صَفْوَةِ (٢) أَحِبَّتِكَ، مَا نَأْلُوكَ نُصْحًا (٣)
 ، وَلَا نَدْخُرُ عَنْكَ نُصْحًا، فَقَالَ: جَزَيْتُمْ خَيْرًا، وَوَقَيْتُمْ ضَيْرًا (٤) ، فَإِنَّكُمْ
 مِمَّنْ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسٌ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ تَلْبِيسٌ، وَلَا يُخَيِّبُ فِيهِمْ
 مَظْنُونٌ، وَلَا يُطْوَى دُونَهُمْ مَكْنُونٌ (٥) ، وَسَابَأْتُكُمْ (٦) مَا حَاكَ فِي صَدْرِي،
 وَأَسْتَفْتِيكُمْ فِي مَا عِيلَ فِيهِ صَبْرِي، اعْلَمُوا أَنِّي كُنْتُ عِنْدَ صَلُودِ الزُّنْدِ،
 وَصُدُودِ الْجَدِّ، أَخْلَصْتُ مَعَ اللَّهِ نِيَّةَ الْعَقْدِ (٧) ، وَأَعْطَيْتُهُ صَفْقَةَ الْعَهْدِ،
 عَلَى أَنْ لَا أَسْبَأَ مُدَامًا، وَلَا أُعَاقِرَ نِدَامِي، وَلَا أَحْتَسِي قَهْوَةً، وَلَا أَكْتَسِي (٨)
 نَشْوَةً، فَسَوَّلْتُ لِي النَّفْسَ الْمُضِلَّةَ، وَالشَّهْوَةَ الْمُدْلَّةَ الْمُرْزَلَةَ، أَنْ نَادَمْتُ
 الْأَبْطَالَ، وَعَاطَيْتُ الْأَرْطَالَ، وَأَضَعْتُ (٩) الْوَقَارَ، وَارْتَضَعْتُ (١٠) الْعُقَارَ (١١) ،
 وَامْتَطَيْتُ مَطَا الْكُمَيْتِ، وَتَنَاسَيْتُ التَّوْبَةَ تَنَاسِي الْمَيْتِ، ثُمَّ لَمَّ أَفْنَعُ بِهَاتِيكُمْ
 الْمَرَّةَ، فِي طَاعَةِ أَبِي مَرَّةً، حَتَّى عَكَفْتُ (١٢) عَلَى الْخَنْدَرِيسِ، فِي يَوْمِ
 الْخَمِيسِ، وَبِتُّ صَرِيحَ الصَّهْبَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَاءِ (١٣) ، وَهَا أَنَا بَادِي
 الْكَابَةِ (١٤) ، لِرَفْضِ الْإِنَابَةِ (١٥) ، نَامِي النَّدَامَةِ ، لَوْصَلِ الْمُدَامَةَ (١٦)

- (١) أعطانا. (٢) خلاصة. (٣) ما نكتم أو ما نترك أو ما ندخر عنك نصيحة. (٤) ضررًا. (٥) مستور. (٦) أخيركم والبث والنث والثر أخوات. (٧) العقيدة. (٨) لا أتلبس بسكر. (٩) تركت السكينة. (١٠) رضعت. (١١) من أسماء الخمر. (١٢) لزمتم. (١٣) البيضاء، وهي: ليلة الجمعة. (١٤) الكابة. (١٥) لترك الرجوع. (١٦) هي الخمر.

شَدِيدُ الْإِشْفَاقِ (١) ، مِنْ نَقْضِ الْمِيثَاقِ ، مُعْتَرِفٌ بِالْإِسْرَافِ ، فِي عِبِّ السَّلَافِ :

فِيَا قَوْمِ هَلْ كَفَّارَةٌ تَعْرِفُونَهَا تُبَاعِدُ مِنْ ذَنْبِي وَتُدْنِي إِلَى رَبِّي

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: فَلَمَّا حَلَّ أَنْشَوَطَةَ نَفْثِهِ، وَقَضَى الْوَطْرَ (٢) مِنْ اشْتِكَاءِ بَيْتِهِ، نَاجَتْنِي (٣) نَفْسِي يَا أَبَا زَيْدٍ، هَذِهِ نَهْزَةٌ (٤) صَيْدٍ، فَشَمَّرَ عَنْ يَدٍ وَأَيْدٍ، فَانْتَهَضْتُ مِنْ مَجْنَمِي (٥) انْتِهَاضَ الشَّهْمِ، وَأَنْخَرْتُ مِنَ الصَّفِّ انْخِرَاطَ السَّهْمِ، وَقُلْتُ:

أَيُّهَا الْأَرْوَعُ (٦) الَّذِي
وَالَّذِي يَبْتَغِي الرَّشَا
إِنَّ عِنْدِي عِلَاجَ مَا
فَاسْتَمَعَهَا عَجِيبَةً
أَنَا مِنْ سَاكِنِي سَرُو
كُنْتُ ذَا ثَرْوَةٍ بِهَا
مَرْبَعِي مَأْلَفُ الضُّيُوءِ
أَشْتَرِي الْحَمْدَ بِاللُّهُيْ
لَا أَبَالِي بِمُنْفِسٍ

فَاقَ مَجْجَدًا وَسُودَدًا
دَ (٧) لِيَنْجُو بِهِ غَدَا
بِتَّ مِنْهُ مَسَهَّدًا (٨)
غَادَرْتَنِي مُلَدَّدًا
جَ ذَوِي الدِّينِ وَالْهُدَى
وَمُطَاعًا مُسَوَّدًا (٩)
فَ (١٠) وَمَالِي لَهُمْ سُدَى (١١)
وَأَقِي الْعَرِضَ بِالْجَدَا (١٢)
طَاحَ فِي الْبَبْذِلِ وَالنَّدَى

(١) الخوف.

(٢) الغرض.

(٣) حدثني.

(٤) فرصة.

(٥) محل جثومي؛ أي: قعودي.

(٦) السيد الذي يروعك بجماله.

(٧) الهداية.

(٨) ساهراً.

(٩) أي: سيداً.

(١٠) مجتمعهم.

(١١) مهمل مبذول.

(١٢) بالعطاء.

ع إِذَا النَّكْسُ أَخْمَدَا
 نَ مَلَاذًا وَمَقْصَدًا
 فَاثْنَيْنِي يَشْتَكِي الصَّدَى
 قَدَحَ زَنْدِي فَأَصْلَدَا
 نُ فَأُضْبَحْتُ مُسْعَدَا
 رَمَاكَانَ عَوْدَا
 بَعْدَ ضَغْنٍ (٢) تَوْلَدَا
 صَادَفَوهُ مَوْحِدَا
 رُ (٤) بِهِالِي وَمَا بَدَا
 دَطْرِيدًا مُشْرَدًا (٥)
 كُنْتُ مِنْ قَبْلُ مُجْتَدَى (٧)
 أَتَمَنِّي لَهَا الرَّدَى (٩)
 شَمْلٌ أُنْسِي تَبَدَّدَا (١٠)
 أَسْرُوهَا لَتُفْتَدَى
 إِلَى نُصْرَتِي يَدَا
 نِ فَقَدْ جَارَ وَاعْتَدَى

أَوْقَدُ النَّارَ بِالْيَفَا
 وَيَرَانِي الْمُؤْمَلُو
 لَمْ يَشْمُ بَارِقِي صَد (١)
 لَا وَلَا رَامَ قَبَابِسُ
 طَالَمَا سَاعَدَ الزَّمَا
 فَقَضَى اللَّهُ أَنْ يُغَيِّ
 بِوَأَ الرُّومَ أَرْضَنَا
 فَاسْتَبَاحُوا حَرِيمَ مَنْ
 وَحَوُوا (٣) كُلَّ مَا اسْتَس
 فَتَطَوَّحْتُ فِي الْبَلَا
 أَجْتَدِي النَّاسَ (٦) بَعْدَمَا
 وَتُرَى بِي خِصَاصَةً (٨)
 وَالْبَبْلَاءُ الَّذِي بِهِ
 إِسْتَبَاءُ ابْنَتِي (١١) الَّتِي
 فَاسْتَبَنَ مِحْنَتِي (١٢) وَمَدَّ
 وَأَجِرْنِي مِنَ الزَّمَا

(١) عطشان.

(٢) حقد.

(٣) حازوا.

(٤) خفي.

(٥) مبعداً منفرداً.

(٦) أتكفف الناس وأسألهم الجدوى، وهي: العطية.

(٧) مسؤولاً من الجدوى.

(٨) فقر وحاجة.

(٩) الموت والهلاك.

(١٠) تفرق.

(١١) سببها وأخذها أسيرة في أيديهم.

(١٢) بليتي.

وأَعِنِّي عَلَى فَكَا
فَبِذَا تَنَمَّحِي الْمَا
وَبِهِ تُقْبَلُ الْإِنَا
وَهُوَ كَقْفَارَةٍ لَمَنْ
وَلَعْنُ قُومَتُ مُنْشَدًا
فَأَقْبَلِ النُّصْحَ وَالْهَدَا
وَاسْمَحِ الْآنَ بِالَّذِي
كَأَبْنَتِي مِنْ يَدِ الْعَدَى
ثُمَّ (١) عَمَّنْ تَمَرَّدَا
بَةَ (٢) مَمَّنْ تَزَهَّدَا (٣)
زَاغَ مَنْ بَعْدَ مَا اهْتَدَى
فَلَقَدْ فُهِتْ مُرْشَدَا
يَةَ وَاشْكُرْ لِمَنْ هَدَى
يَتَسَنَّى (٤) لَتُحْمَدَا

قال أبو زيد: فَلَمَّا أَتَمَمْتُ هَذِرْمَتِي (٥)، وَأُوهِمَ الْمَسْئُولُ (٦) صِدْقَ
كَلِمَتِي، أَغْرَاهُ الْقَرَمُ إِلَى الْكِرَمِ بِمَوَاسَاتِي، وَرَغِبَهُ الْكَلْفُ بِحَمَلِ الْكَلْفِ فِي
مُقَاسَاتِي، فَضَخَّ (٧) لِي عَلَى الْحَافِرَةِ، وَنَضَحَ لِي بِالْعِدَّةِ الْوَافِرَةِ (٨)،
فَأَنْقَلَبْتُ إِلَى وَكْرِي، فَرِحًا بِنُجْحِ مَكْرِي، وَقَدْ حَصَلْتُ مِنْ صَوْغِ الْمَكِيدَةِ،
عَلَى سَوْغِ الثَّرِيدَةِ (٩)، وَوَصَلْتُ مِنْ حَوْكِ الْقَصِيدَةِ، إِلَى لَوْكِ
الْعَصِيدَةِ (١٠).

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَقُلْتُ لَهُ سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَعَكَ، فَمَا أَعْظَمَ
خُدَعَكَ، وَأَخْبَثَ بَدَعَكَ! فَاسْتَغْرَبَ فِي الضَّحْكَ، ثُمَّ أَنْشَدَ غَيْرَ مُرْتَبِكٍ:
عِشْ بِالْخِدَاعِ فَأَنْتَ فِي دَهْرٍ بَنُوهُ (١١) كَأَسَدٍ بِيَشِهِ

- (١) جمع مأثم، بمعنى: الإثم.
(٢) الرجوع.
(٣) ترك زخارف الدنيا.
(٤) يتسهل.
(٥) كلامي الكثير.
(٦) وقع في وهمه.
(٧) أصل الرضخ: العطاء القليل.
(٨) بالوعد بالعطية الوافرة.
(٩) ابتلاعها بسهولة.
(١٠) يعني: أكلها، وهي طعام معروف.
(١١) أهله.

يَ تَسْتَدِيرَ رَحَى الْمَعِيشَةِ
 ذَرَّ صَيْدُهَا فَأَقْنَعُ بِرَيْشِهِ
 كَفَرَضٍ نَفْسِكَ بِالْحَشِيشَةِ (١)
 دَهْرٌ مِّنَ الْفِكْرِ الطَّيِّشَةِ (٢)
 ذَنْبٌ بِاسْتِحْوَاجِ كُلِّ عَيْشَةٍ

وَأَدْرُ قَنَاطَةَ الْمَكْرَحِ
 وَصَدَّ النَّسُورَ فَإِنْ تَعَدَّ
 وَاجْتَنَبَ الثُّمَارَ فَإِنْ تَفَتَّ
 وَأَرْحُ فَوْادِكَ إِنْ نَبَّأَ (٢)
 فَتَغَايِرُ الْأَحْدَاثِ (٤) يُؤْ



(١) واحدة الحشائش.

(٢) ارتفع.

(٣) الوسواس التي تحمل الإنسان على القلق والطيش.

(٤) تبديلها وعدم دوام حادث منها.

المقامة التاسعة والأربعون السَّاسَانِيَّةُ

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قالَ: بلغني أن أبا زيدٍ حينَ ناهزَ القبضةَ،
 وابتزَّهُ^(١) قِيدُ الهَرَمِ النَّهْضَةَ، أَحْضَرَ ابنَهُ، بعدَمَا اسْتَجَاشَ ذَهْنَهُ^(٢)، وَقَالَ
 لَهُ: يَا بُنَيَّ إِنَّهُ قَدْ دَنَا ارْتِحَالِي مِنَ الْفَنَاءِ، وَارْتِحَالِي بِمِرْوَدِ الْفَنَاءِ، وَأَنْتَ
 بِحَمْدِ اللَّهِ وَكِيٌّ عَهْدِي^(٣)، وَكَبِشُ الْكُتَيْبَةِ^(٤) السَّاسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِي، وَمِثْلَكَ
 لَا تُقْرَعُ لَهُ الْعَصَا، وَلَا يُنْبَهُ بِطَرَقِ الْحَصَى، وَلَكِنْ قَدْ نُدِبَ إِلَى
 الْإِذْكَارِ^(٥)، وَجُعِلَ صَقِيلًا^(٦) لِلْأَفْكَارِ، وَإِنِّي أُوصِيكَ بِمَا لَمْ يَوْصِ بِهِ
 شَيْتٌ^(٧) الْأَنْبَاطِ، وَلَا يَعْقُوبُ الْأَسْبَاطَ^(٨)، فَاحْفَظْ وَصِيَّتِي، وَجَانِبِ
 مَعْصِيَّتِي، وَاحْذُ مِثَالِي^(٩)، وَأَفْقَهُ أَمْثَالِي، فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَرَشَدْتَ بِنُصْحِي،
 وَاسْتَصْبَحْتَ^(١٠) بِصُبْحِي^(١١)، أَمْرَعُ خَانُكَ، وَارْتَفَعَ دُخَانُكَ، وَإِنْ
 تَنَاسَيْتَ سُورَتِي^(١٢)، وَنَبَذْتَ مَشُورَتِي، قَلَّ رِمَادُ أَثَافِيكَ، وَزَهَدَ أَهْلُكَ
 وَرَهْطُكَ فِيكَ، يَا بُنَيَّ إِنِّي جَرَّبْتُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ، وَبَلَوْتُ^(١٣) تَصَارِيفَ
 الدَّهْوَرِ، فَرَأَيْتُ الْمَرْءَ بِنَسْبِهِ^(١٤)، لَا بِنَسْبِهِ، وَالْفَحْصَ عَنْ مَكْسَبِهِ، لَا عَنْ

(١) سلبه.

(٣) خليفتي بعدي.

(٥) التذكير.

(٧) هو أفضل ولد آدم عليهما السلام.

(٩) اقتد بي وافعل مثلي.

(١١) بنور رأيي.

(١٣) خبرت.

(٢) جمع عقله واستمده.

(٤) رئيسها وقائدها، والكتيبة: العسكر والجيش.

(٦) جلاء.

(٨) أولاد يعقوب عليه السلام.

(١٠) استضأت.

(١٢) وصييتي.

(١٤) بماله.

حَسْبِهِ، وَكُنْتُ سَمِعْتُ أَنَّ الْمَعَايِشَ إِمَارَةٌ، وَتِجَارَةٌ، وَزِرَاعَةٌ، وَصِنَاعَةٌ،
فَمَارَسْتُ هَذِهِ الْأَرْبَعَ، لِأَنْظُرَ أَيُّهَا أَوْفَقُ وَأَنْفَعُ، فَمَا أَحْمَدْتُ مِنْهَا مَعِيشَةً،
وَلَا اسْتَرْغَدْتُ فِيهَا عَيْشَةً، أَمَا فَرَصُ الْوِلَايَاتِ، وَخُلْسُ الْإِمَارَاتِ،
فَكَأَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ، وَالْفَيْءِ (١) الْمُسْتَسْخِ بِالظَّلَامِ، وَنَاهِيكَ (٢) غُصَّةً (٣)
بِمَرَارَةِ الْفِطَامِ. وَأَمَا بَضَائِعُ التِّجَارَاتِ، فَعُرْضَةٌ لِلْمُخَاطَرَاتِ، وَطُعْمَةٌ
لِلْغَارَاتِ، وَمَا أَشْبَهَهَا بِالطُّيُورِ الطَّيَّارَاتِ، وَأَمَا اتِّخَاذُ الضِّيَاعِ، وَالْتَصِدِّي (٤)
لِللَّذِرَاعِ (٥)، فَمِنْهُكَهُ لِّلْأَعْرَاضِ، وَقِيُودُ عَائِقَةٍ عَنِ الْاِرْتِكَاضِ (٦)، وَقَلَمًا
خَلَا رَبُّهَا عَنِ إِذْلَالِ، أَوْ رُزْقِ رُوحِ بَالِ، وَأَمَا حِرْفُ أُولِي الصِّنَاعَاتِ، فَغَيْرُ
فَاضِلَةٍ عَنِ الْأَقْوَاتِ، وَلَا نَافِقَةٍ (٧) فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَمُعْظَمُهَا مَعْصُوبٌ
بِشَيْبَةِ الْحَيَاةِ، وَلَمْ أَرِ مَا هُوَ بَارِدُ الْمَغْنَمِ، لَدِيدُ الْمَطْعَمِ، وَأَفِي
الْمَكْسَبِ، صَافِي الْمَشْرَبِ، إِلَّا الْحِرْفَةَ الَّتِي وَضَعَ سَاسَانُ أُسَاسَهَا، وَنَوْعَ
أَجْنَاسَهَا، وَأَضْرَمَ (٨) فِي الْخَافِقِينَ (٩) نَارَهَا، وَأَوْضَحَ لِبَنِي غُبْرَاءَ (١٠)
مَنَارَهَا. فَشَهِدْتُ وَقَائِعَهَا مُعْلَمًا، وَأَخْتَرْتُ سِيمَاهَا لِي مِسْمًا (١١)، إِذْ كَانَتْ
الْمَتَجَرَّ الَّذِي لَا يَبُورُ، وَالْمَنْهَلَ الَّذِي لَا يَغُورُ (١٢)، وَالْمُصْبَاحَ الَّذِي يَعْشُو
إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ، وَيَسْتَصْبِحُ (١٣) بِهِ الْعُمِيُّ وَالْعُورُ، وَكَانَ أَهْلُهَا أَعَزَّ قَبِيلِ،

(١) الظل.

(٢) ويكفيك.

(٣) ما يغص به الأكل أو الشارب.

(٤) التعرض.

(٥) للزرع.

(٦) أراد به السفر.

(٧) ولا رائحة.

(٨) أشعل.

(٩) هما المشرق والمغرب.

(١٠) للفقراء المحتاجين.

(١١) حسنًا وجمالًا اتسم به.

(١٢) لا ينضب ولا ينقص.

(١٣) يستضيء.

وَأَسْعَدَ جَيْلٍ، لَا يَرَهَقُهُمْ مَسُّ حَيْفٍ (١)، وَلَا يُقْلِقُهُمْ سَلُّ سَيْفٍ، وَلَا يَخْشَوْنَ حُمَةً لَاسِعٍ، وَلَا يَدِينُونَ لِدَانٍ وَلَا شَاسِعٍ (٢)، وَلَا يَرْهَبُونَ مِمَّنْ بَرَقَ وَرَعْدًا، وَلَا يَحْفَلُونَ (٣) بِمَنْ قَامَ وَقَعَدَ، أُنْدِيَّتُهُمْ مَنْزَهَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مَرْفَهَةٌ، وَطَعْمُهُمْ مُعْجَلَةٌ، وَأَوْقَاتُهُمْ مُحَجَّلَةٌ، أَيْنَمَا سَقَطُوا، لَقَطُوا، وَحَيْثَمَا انْخَرَطُوا (٤)، خَرَطُوا (٥)، لَا يَتَّخِذُونَ أَوْطَانًا، وَلَا يَتَّقُونَ سُلْطَانًا، وَلَا يَمْتَازُونَ عَمَّا تَغْدُو خِمَاصًا (٦)، وَتَرُوحُ بَطَانًا (٧). فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: يَا أَبَتِ لَقَدْ صَدَقْتَ، فِي مَا نَطَقْتَ، وَلَكِنَّكَ رَتَقْتَ، وَمَا فَتَقْتَ، فَبَيِّنْ لِي كَيْفَ أَقْتَطِفُ، وَمَنْ أَيْنَ تَوَكَّلُ الْكَتِفُ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّ الْارْتِكَاضَ بِأُهَا، وَالنَّشَاطَ جِلْبَابُهَا (٨)، وَالْفِطْنَةَ مِصْبَاحُهَا (٩)، وَالْقِحَّةَ (١٠) سِلَاحُهَا، فَكُنْ أَجْوَلَ مِنْ قُطْرُبٍ، وَأَسْرَى مِنْ جُنْدُبٍ (١١)، وَأَنْشَطَ مِنْ ظَبْيٍ مُقْمَرٍ، وَأَسْلَطَ مِنْ ذَنْبٍ مُتَمَرٍّ (١٢)، وَأَقْدَحَ زَنْدَ جِدِّكَ بِجِدِّكَ، وَأَقْرَعْ بَابَ رَعِيكَ بِسَعِيكَ، وَجُبْ كُلَّ فَجٍّ، وَلِجْ كُلَّ لُجٍّ، وَأَنْتَجِعْ كُلَّ رَوْضٍ (١٣)، وَأَلْقِ دَلُوكَ إِلَى كُلِّ حَوْضٍ. وَلَا تَسَامِ الطَّلَبَ، وَلَا تَمَلِّ الدَّابَّ، فَقَدْ كَانَ مَكْتُوبًا عَلَى عَصَا شَيْخِنَا سَاسَانَ: مِنْ طَلَبٍ، جَلَبٍ، وَمَنْ جَالَ (١٤) نَالَ: وَإِيَّاكَ وَالْكَسَلَ فَإِنَّهُ عُنْوَانُ النَّحُوسِ، وَلِبُوسُ ذَوِي الْبُوسِ، وَمِفْتَاحُ الْمَتْرَبَةِ (١٥)، وَلِقَاحُ

(١) إصابة ظلم.

(٢) لقريب ولا بعيد.

(٣) يبالون.

(٤) دخلوا.

(٥) قشروا.

(٦) جياعًا.

(٧) مملثة البطون.

(٨) لباسها.

(٩) الذي تستنير به.

(١٠) بكسر القاف؛ صلابة الوجه.

(١١) ضرب من الجراد.

(١٢) غضوب كالنمر.

(١٣) كل مكان خصب.

(١٤) تحرك وسعى.

(١٥) شدة الفقر.

الْمَتَعَبَةِ، وَشِيْمَةُ الْعَجْزَةِ ^(١) الْجَهْلَةَ، وَشَنْشَنَةُ ^(٢) الْوُكْلَةَ التُّكْلَةَ، وَمَا اشْتَارَ الْعَسَلَ، مِنْ اخْتَارَ الْكَسَلَ، وَلَا مَلَأَ الرَّاحَةَ، مِنْ اسْتَوَطَأَ الرَّاحَةَ، وَعَلَيْكَ بِالْإِقْدَامِ ^(٣)، وَلَوْ عَلَى الضَّرْغَامِ، فَإِنَّ جَرَاءَةَ الْجِنَانِ، تُنْطِقُ اللِّسَانَ، وَتُطْلِقُ الْعِنَانَ، وَبِهَا تُدْرِكُ الْحُظُوءُ ^(٤)، وَتُمْلِكُ الثَّرْوَةَ، كَمَا أَنَّ الْخُورَ ^(٥) صِنُوءُ الْكَسَلِ، وَسَبَبُ الْفَشْلِ، وَمَبْطَأَةٌ ^(٦) لِلْعَمَلِ، وَمَخِيْبَةٌ لِلْأَمَلِ، وَلِهَذَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ: مَنْ جَسَرَ، أَيْسَرَ، وَمَنْ هَابَ، خَابَ، ثُمَّ ابْرُزْ يَا بُنَيَّ فِي بَكُورِ أَبِي زَاغِرٍ، وَجَرَاءَةَ أَبِي الْحَارِثِ، وَحَزَامَةَ أَبِي قُرَّةَ، وَخَتْلٍ ^(٧) أَبِي جَعْدَةَ، وَحِرْصِ أَبِي عُقْبَةَ، وَنَشَاطِ أَبِي وَثَّابٍ ^(٨)، وَمَكْرِ أَبِي الْحُصَيْنِ ^(٩)، وَصَبْرِ أَبِي أَيُّوبَ، وَتَلَطُّفِ أَبِي غَزْوَانَ، وَتَلَوْنِ أَبِي بَرَاقِشَ، وَحِيلَةَ قَصِيرٍ، وَدَهَاءَ عَمْرٍو، وَلُطْفِ الشَّعْبِيِّ، وَاحْتِمَالِ الْأَحْنَفِ، وَفِطْنَةَ إِيَّاسِ، وَمَجَانَةَ أَبِي ثَوَّاسِ، وَطَمَعِ أَشْعَبَ، وَعَارِضَةَ أَبِي الْعَيْنَاءِ، وَآخُلْبَ ^(١٠) بِصَوْغِ اللِّسَانِ ^(١١)، وَآخِذِ بَسْحَرِ الْبِيَّانِ، وَارْتِدِ السُّوقَ قَبْلَ الْجَلْبِ، وَامْتَرِ الضَّرْعَ قَبْلَ الْحَلْبِ، وَسَائِلِ الرُّكْبَانَ قَبْلَ الْمُتَجِّعِ، وَدَمِّ لَجْنَبِكَ قَبْلَ الْمُضْطَجِّعِ، وَأَشْحَذْ بَصِيرَتَكَ ^(١٢) لِلْعِيَاةِ ^(١٣)، وَأَنْعِمْ نَظْرَكَ لِلْعِيَاةِ ^(١٤)،

(٢) عادة وطبيعة.

(١) سجية الكسلة.

(٤) بلوغ المنزلة الرفيعة.

(٣) الجراءة والدخول في المخاوف.

(٦) خصلة تؤخر المرء عن مرامه.

(٥) الضعف والجن.

(٨) كنية الطيبي.

(٧) مكر.

(١٠) اخذع.

(٩) كنية الثعلب وقد اشتهر بالمكر.

(١٢) حدد عقلك وفهمك.

(١١) كناية عن تنميق الكلام وتحسينه.

(١٣) زجر الطير للقال.

(١٤) القائف هو: الذي يعرف الآثار ويلحق الأبناء بالأباء.

فَإِنَّ مِنْ صَدَقَ تَوْسُمُهُ، طَالَ تَبَسُّمُهُ، وَمِنْ أَخْطَأَتْ فَرَأَسْتُهُ، أَبْطَأَتْ فَرَيْسْتُهُ،
وَكُنْ يَا بُنَيَّ خَفِيفَ الْكَلِّ (١)، قَلِيلَ الدَّلِّ، رَاغِبًا عَنِ الْعَلِّ، قَانِعًا مِنَ الْوَبْلِ
بِالطَّلِّ (٢)، وَعَظْمٌ وَقَعَ الْحَقِيرِ، وَأَشْكُرُ عَلَى النَّقِيرِ، وَلَا تَقْنِطُ عِنْدَ الرَّدِّ،
وَلَا تَسْتَبِعِدْ رَشْحَ الصَّلْدِ، وَلَا تَيَأَسْ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ
إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ، وَإِذَا خَيْرْتَ بَيْنَ ذَرَّةٍ (٣) مَنْقُودَةٍ (٤)، وَدُرَّةٍ مُوَعُودَةٍ،
فَمَلْ إِلَى النَّقْدِ، وَفَضِّلِ الْيَوْمَ عَلَى الْغَدِ، فَإِنَّ لِلتَّأخِيرِ آفَاتٍ، وَلِلْعَزَائِمِ (٥)
بِدَوَاتٍ، وَلِلْعِدَاتِ مُعَقَّبَاتٍ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّجَازِ عَقَبَاتٌ وَأَيَّ عَقَبَاتٍ، وَعَلَيْكَ
بَصِيرٌ أُولِي الْعِزْمِ، وَرَفِقٌ ذَوِي الْحَزْمِ، وَجَانِبٌ خُرْقَ الْمُسْتَطِّ (٦)، وَتَخَلَّقُ
بِالْخُلُقِ السَّبْطِ (٧)، وَقَيْدَ الدَّرْهِمِ بِالرِّبْطِ، وَشُبَّ الْبَدْلِ بِالضَّبْطِ، وَلَا تَجْعَلْ
يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ، وَمَتَى نَبَا بِكَ بَلَدٌ، أَوْ نَابَكَ
فِيهِ كَمَدٌ (٨)، فَبِتَّ مِنْهُ أَمَلُكَ، وَأَسْرَحَ مِنْهُ جَمَلُكَ، فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا جَمَلَكَ،
وَلَا تَسْتَثْقِلَنَّ الرَّحْلَةَ، وَلَا تُكْرَهَنَّ النُّقْلَةَ (٩)، فَإِنَّ أَعْلَامَ شَرِيعَتِنَا (١٠)،
وَأَشْيَاخَ عَشِيرَتِنَا، أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْحَرَكَةَ بَرَكَةٌ، وَالطَّرَاوَةَ (١١) سَفْتَجَةٌ،
وَزَرَوًا عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْغُرْبَةَ كُرْبَةٌ، وَالنُّقْلَةَ مَثَلَةٌ (١٢)، وَقَالُوا: هِيَ تَعْلَةٌ
مِنْ اقْتِنَعَ بِالرَّذِيلَةِ (١٣)، وَرَضِيَ بِالْحَشْفِ وَسُوءِ الْكَيْلَةِ، وَإِذَا أَرْمَعْتَ عَلَى
الْإِغْتِرَابِ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ الْعَصَا وَالْجِرَابَ، فَتَخَيْرِ الرَّفِيقَ الْمُسْعِدَ (١٤) مِنْ

(١) لا تتناقل.

(٢) المطر الضعيف.

(٣) أقل شيء.

(٤) حاضرة.

(٥) جمع العزيمة، وهي: القصد إلى الشيء.

(٦) اترك غلظ المجاوز الحد أو غيظ اللجوج.

(٧) السهل.

(٨) حزن مكتوم.

(٩) الانتقال.

(١٠) مشايخها.

(١١) الغضاضة والنشاط.

(١٢) عقوبة.

(١٣) الخصلة الدنيئة.

(١٤) المساعد المعين.

قَبْلَ أَنْ تُصْعَدَ، فَإِنَّ الْجَارَ، قَبْلَ الدَّارِ، وَالرَّفِيقَ، قَبْلَ الطَّرِيقِ:
 خُذَهَا إِلَيْكَ وَصِيَّةً لَمْ يُوَصِّهَا قَبْلِي أَحَدٌ
 غَرَاءَ (١) حَاوِيَةً خُلا صَاتِ الْمَعَانِي وَالزُّبْدِ
 نَقَّحْتُهَا تَنْقِيحَ مَنْ مَحَضَ (٢) النَّصِيحَةَ وَاجْتَهَدُ
 فَاَعْمَلْ بِمَا مَثَّلْتُهُ عَمَلَ اللَّيْبِ أَخِي الرَّشْدِ
 حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ هَذَا الشُّبْلُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ

ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِيَّ قَدْ أَوْصَيْتُ، وَاسْتَقْصَيْتُ، فَإِنْ اقْتَدَيْتَ فَوَاهَاً لَكَ (٣)،
 وَإِنْ اعْتَدَيْتَ فَاهَاً مِنْكَ! وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ، وَأَرْجُو أَنْ لَا تُخْلَفَ ظَنِّي
 فِيكَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: يَا أَبَتِ لَا وَضِعَ عَرْشُكَ، وَلَا رُفِعَ نَعْشُكَ (٤)، فَلَقَدْ
 قُلْتَ سَدَدًا (٥)، وَعَلَّمْتَ رَشْدًا، وَنَحَلْتَ مَا لَمْ يَنْحَلْ وَالِدٌ وَلَدًا، وَلَتِنْ
 أُمَهَلْتُ بَعْدَكَ، لَا ذُقْتُ فَقْدَكَ، فَلَا تَأْدِبَنَّ بَادِبِكَ الصَّالِحَةَ، وَلَا اقْتَدِينَ بَأَثَارِكَ
 الْوَأَضِحَةَ، حَتَّى يُقَالَ: مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ، وَالْغَادِيَةَ (٦) بِالرَّائِحَةَ،
 فَاهْتَزَّ (٧) أَبُو زَيْدٍ لِحَوَابِهِ وَابْتَسَمَ، وَقَالَ: مِنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَأُخْبِرْتُ أَنَّ بَنِي سَاسَانَ، حِينَ سَمِعُوا هَذِي
 الْوَصَايَا الْحَسَانَ، فَضَلُّوْهَا عَلَى وَصَايَا لُقْمَانَ، وَحَفِظُوهَا كَمَا تُحَفِظُ أُمَّ
 الْقُرْآنِ (٨)، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَرَوْنَهَا إِلَى الْآنَ أَوْلَى مَا لَقْنُوهُ الصَّبِيَّانَ، وَأَنْفَعَ لَهُمْ
 مِنْ نِحْلَةِ الْعَقِيَّانِ (٩).



(٣) ما أحسن فعلك!

(٢) أخلص.

(١) بيضاء.

(٦) سحابة الغداة.

(٥) صواباً مستقيماً.

(٤) ولا حملت جنازتك.

(٩) أي: عطية ذهب.

(٨) هي فاتحة الكتاب.

(٧) سرٌّ وفرح.

المقامة الخمسون البصرية

حكى الحارث بن همام قال: أشعرتُ في بعض الأيام همماً برح (١) بي استعاره، ولاح عليَّ شعاره، وكنتُ سمعتُ أن غشيان مجالس الذكر، يسرو (٢) غواشي (٣) الفكر، فلم أرَ لإطفاء ما بي من الجمرة، إلا قصد الجامع بالبصرة، وكان إذ ذاك مأهول المساند (٤)، مشفوه الموارد، يجتنى من رياضه أزهير الكلام، ويسمع في أرجائه صرير الأقلام (٥)، فانطلقت إليه غير وأن، ولا لاو على شان، فلما وطئت حصاه، واستشرقت أقصاه (٦)، تراءى لي ذو أطمار بالية، فوق صخرة عالية، وقد عصبت به عصب (٧) لا يحصى عديدهم، ولا ينادى وكيدهم، فابتدرت قصده، وتوردت وردة، ورجوت أن أجد شفائي عنده، ولم أزل أتقل في المراكز، وأغضي (٨) للأكز والواكز، إلى أن جلستُ تجاهه، بحيثُ أمنتُ اشتباهه (٩)، فإذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه، ولا لبس يخفيه، فانسرى بمراه (١٠) همي، وأرفضت (١١) كتيبة غمي، وحين رأني، وبصر

(١) اشتدَّ وشتق.

(٢) يكشف.

(٣) جمع غاشية وهي: الغطاء.

(٤) معموراً بالعلماء والفضلاء.

(٥) صوت أقلام النساخ.

(٦) أبصرت متناه.

(٧) جمع عصبه، وهي: الجماعة.

(٨) أتحمّل وأتغافل.

(٩) تحققت من شخصه.

(١٠) أي: بمنظره.

(١١) تفرقت.

بِمَكَانِي، قَالَ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ رِعَاكُمْ اللَّهُ وَوَقَّكُمْ، وَقَوَى ثِقَاكُمْ، فَمَا أَضْوَعَ رِيَاكُمْ، وَأَفْضَلَ مَزَايَاكُمْ! بَلَدُكُمْ أَوْفَى الْبِلَادِ طُهْرَةً، وَأَزْكَاهَا فِطْرَةً^(١)، وَأَفْسَحَهُ رُقْعَةً، وَأَمْرَعَهَا^(٢) نُجْعَةً، وَأَقْوَمَهَا قِبْلَةً، وَأَوْسَعَهَا دِجْلَةً، وَأَكْثَرَهَا نَهْرًا وَنَخْلَةً، وَأَحْسَنَهَا تَفْصِيلًا وَجُمْلَةً، دَهْلِيْزُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَقِبَالَةُ الْبَابِ وَالْمَقَامِ، وَأَحَدُ جَنَاحِي الدُّنْيَا^(٣)، وَالْمِصْرُ الْمَوْسَسُ عَلَى التَّقْوَى، لَمْ يَتَدَسَّسْ بِيُوتِ النَّيْرَانِ، وَلَا طَيْفَ فِيهِ بِالْأَوْثَانِ، وَلَا سَجْدَ عَلَى أَدِيمِهِ^(٤) لَغَيْرِ الرَّحْمَنِ، ذُو الْمَشَاهِدِ الْمَشْهُودَةِ، وَالْمَسَاجِدِ^(٥) الْمَقْصُودَةِ، وَالْمَعَالِمِ^(٦) الْمَشْهُورَةِ، وَالْمَقَابِرِ الْمَزُورَةِ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ، وَالْخَطَطِ الْمَحْدُودَةِ، بِهِ تَلْتَقِي الْفُلُكُ وَالرَّكَّابُ، وَالْحَيْتَانُ وَالضَّبَّابُ، وَالْحَادِي وَالْمَلَّاحُ، وَالْقَانِصُ وَالْفَلَّاحُ، وَالنَّاشِبُ^(٧) وَالرَّامِحُ، وَالسَّارِحُ وَالسَّابِحُ، وَكَهْ آيَةُ الْمَدِّ الْفَائِضِ، وَالْجَزْرِ الْغَائِضِ، وَأَمَا أَنْتُمْ فَمَمَّنْ لَا يَخْتَلِفُ فِي خَصَائِصِهِمْ^(٨) اثْنَانِ، وَلَا يَنْكِرُهَا ذُو شَنَانٍ^(٩)، دَهْمَاؤُكُمْ^(١٠) أَطْوَعُ رَعِيَّةً لِسُلْطَانٍ، وَأَشْكُرُهُمْ لِإِحْسَانٍ، وَزَاهِدُكُمْ أَوْرَعُ الْخَلِيقَةِ، وَأَحْسَنُهُمْ طَرِيقَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَعَالِمُكُمْ عَلَامَةٌ كُلِّ زَمَانٍ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَمِنْكُمْ مَنْ اسْتَنْبَطَ عِلْمَ النَّحْوِ وَوَضَعَهُ، وَالَّذِي ابْتَدَعَ مِيزَانَ الشُّعْرِ وَاخْتَرَعَهُ^(١١)، وَمَا مِنْ فَخْرٍ إِلَّا وَلَكُمْ فِيهِ الْيَدُ الطَّوْلَى، وَالْقِدْحُ الْمُعَلَّى، وَلَا صَيْتٍ إِلَّا وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى، ثُمَّ إِنَّكُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ مِصْرٍ مُؤَدِّينَ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي النَّسِكِ قَوَانِينَ،

(١) أي: أعظمها خلقة.

(٢) أحصبها.

(٣) الدنيا مثل الطائر وجناحها البصرة والكوفة.

(٤) ظاهر الأرض.

(٥) مساجدها أكثر من أن تحصى عداً.

(٦) مواضع العلوم.

(٧) صاحب النشاب.

(٨) فضائلهم.

(٩) صاحب عداوة.

(١٠) الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(١١) جماعتكم.

وبكم اقتدي في التعريف، وعرف التَّسْحِيرُ في الشَّهْرِ الشَّرِيفِ (١)، ولكم إذا قرَّت المضاجعُ، وهجَعَ الهاجعُ، تَذَكَارُ (٢) يُوقِظُ النَّائِمَ، ويؤنسُ القائمَ، وما ابْتَسَمَ ثَغْرُ فَجْرِ (٣)، وَلَا بَزَغَ نُورُهُ فِي بَرْدٍ وَلَا حَرٍّ، إِلَّا ولتأذنينكم بالأسحارِ، دويُّ كَدَوِيِّ الرِّيحِ فِي البِحَارِ، وبِهَذَا صَدَعَ (٤) عنكم النَّقْلُ (٥)، وأخبر النَّبِيُّ، عليه السَّلَامُ، من قَبْلُ، وبينَ أن دويكم بالأسحارِ، كَدَوِيُّ النَّحْلِ فِي القَفَارِ، فشرفاً لكم بيشارة المصطفى، وواهاً لمصركم (٦) وإن كان قد عفا، ولم يبق منه إلا شفا، ثم إنه خزن لسانه، وخطم بيانه، حتى حُدجَ بالأبصارِ، وقُرفَ (٧) بالإقصارِ، ووَسِمَ بالاستقصارِ، فتنفس تنفس من قيد لقود، أو ضببت (٨) به برائن أسد.

ثم قال: أما أنتم يا أهل البصرة فما منكم إلا العلم المعروف، ومن له المعرفة والمعروف، وأما أنا فمن عرفني فأنا ذاك، وشر المعارف (٩) من آذاك، ومن لم يثبت عرفتي فساصدقه صفتي، أنا الذي أنجد وأتهم، وأمين وأشام، وأصحر وأبحر، وأدلج (١٠) وأسحر، نشأت بسروج (١١)، وربيت على السروج، ثم ولجت المضايق (١٢)، وفتحت المغالق، وشهدت المعارك، وألنت العرائك (١٣)، واقتدت الشوامس، وأرغمت المعاطس، وأذبت الجوامد (١٤)، وأمعت الجلامد، سلوا عني المشارق والمغارب،

- (١) الإيقاظ للسحور. (٢) ذكر الله سبحانه. (٣) كناية عن ضوء الفجر.
 (٤) كشف وأوضح. (٥) الخبر المنقول. (٦) لبلدكم.
 (٧) عيب واتهم. (٨) نشبت فيه وعلقت به. (٩) الأصحاب والإخوان.
 (١٠) سار في جوف الليل. (١١) ولدت بها.
 (١٢) دخلت مضائق الحروب. (١٣) سهلت الطباع الصعبة.
 (١٤) كناية عن كونه يجعل البخيل يجود بسبب خدعه له.

وَأَمَّنَّاسِمَ وَالْغَوَارِبَ، وَالْمَحَافِلَ وَالْجَحَافِلَ^(١)، وَالْقَبَائِلَ وَالْقَنَابِلَ،
وَأَسْتَوْضِحُونِي مِنْ نَقْلَةِ الْأَخْبَارِ، وَرِوَاةِ الْأَسْمَارِ، وَحُدَاةِ^(٢) الرُّكْبَانَ،
وَحُدَاقِ الْكُهَّانِ، لَتَعْلَمُوا كَمْ فَجَّ سَلَكَتُ، وَحِجَابِ هَتَكَتُ، وَمَهْلَكَةِ
اِقْتَحَمْتُ^(٣)، وَمَلْحَمَةِ الْحُمْتُ، وَكَمْ أَلْبَابِ^(٤) خَدَعْتُ، وَبِدَعِ ابْتَدَعْتُ،
وَفُرْصِ اخْتَلَسْتُ^(٥)، وَأُسْدِ افْتَرَسْتُ، وَكَمْ مَحَلَّقِ غَادَرْتُهُ لَقَى، وَكَامِنِ
اسْتَخْرَجْتُهُ بِالرُّقَى^(٦)، وَحَجَرِ شَحَذْتُهُ حَتَّى انْصَدَعَ، وَأَسْتَنْبَطْتُ زُلَالَهُ^(٧)
بِالْخُدَعِ، وَلَكِنْ فَرَطَ مَا فَرَطَ وَالْغُصْنَ رَطِيبُ، وَالْفَوْدُ^(٨) غَرِيبُ، وَبُرْدُ
الشَّبَابِ قَشِيبُ، فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اسْتَشَنَّ الْأَدِيمُ، وَتَأَوَّدَ^(٩) الْقَوِيمُ، وَأَسْتَنَارَ
اللَّيْلُ الْبَهِيمُ، فَلَيْسَ إِلَّا النَّدَمُ إِنْ نَفَعَ، وَتَرْقِيعُ الْخَرْقِ الَّذِي قَدْ اتَّسَعَ^(١٠)،
وَكَنْتُ رُوِيْتُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُسْنَدَةِ، وَالْآثَارِ الْمُعْتَمَدَةِ، أَنْ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةٌ، وَأَنْ سِلَاحَ النَّاسِ كُلِّهِمُ الْحَدِيدُ، وَسِلَاحُكُمْ
الْأُدْعِيَةُ وَالْتَّوْحِيدُ، فَقَصَدْتُكُمْ أَنْضِي الرَّوَاحِلَ^(١١)، وَأَطْوِي الْمَرَاحِلَ،
حَتَّى قُمْتُ هَذَا الْمَقَامَ لَدَيْكُمْ، وَلَا مِنْ لِي عَلَيْكُمْ، إِذْ مَا سَعَيْتُ إِلَّا فِي
حَاجَتِي، وَلَا تَعَبْتُ إِلَّا لِرَاحَتِي، وَلَسْتُ أَبْغِي أَعْطَيْتَكُمْ، بَلِ اسْتَدْعَيْ
أَدْعَيْتَكُمْ^(١٢)، وَلَا أَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ، بَلِ اسْتَنْزَلْتُ سُؤْلَكُمْ، فَادْعُوا إِلَى اللَّهِ
بِتَوْفِيقِي لِلْمَتَابِ، وَالْإِعْدَادِ لِلْمَابِ^(١٣)، فَإِنَّهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ، مُجِيبُ

- (١) الجيوش والسرايا.
(٢) دخلتها من غير روية.
(٣) أخذت بسرعة، كاختطفت.
(٤) جمع رقية، وهي: العزيمة.
(٥) ماء العذب، والمراد: خالص ماله.
(٦) شعر جانب الرأس.
(٧) اعوج المعتدل، والمراد: انحنى ظهره من الكبر.
(٨) أهزل الإبل من سرعة السير.
(٩) تدارك ما فاتته بالتوبة.
(١٠) أن تدعوا لي بخير.
(١١) أي: للرجوع.
(١٢) أي: للرجوع.

الدَّعَوَاتِ، وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبٍ
كَمْ خُضْتُ بِحَرِّ الضَّلَالِ جَهْلًا
وَكَمْ أَطَعْتُ الْهَوَى اغْتِرَارًا (٢)
وَكَمْ خَلَعْتُ الْعِذَارَ رُكْضًا (٣)
وَكَمْ تَنَاهَيْتُ (٤) فِي التَّخْطِي
فَلَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ هَذَا
فَالْمَوْتُ لِلْمُجْرِمِينَ خَيْرٌ
يَا رَبِّ عَفْوًا فَأَنْتَ أَهْلٌ
أَفْرَطْتُ فِيهِنَّ وَأَعْتَدَيْتُ (١)
وَرُحْتُ فِي الْغَيِّ وَأَعْتَدَيْتُ
وَاخْتَلْتُ وَأَعْتَلْتُ وَأَفْتَرَيْتُ
إِلَى الْمَعَاصِي وَمَا وَنَيْتُ
إِلَى الْخَطَايَا وَمَا انْتَهَيْتُ
نَسِيًا وَلَمْ أَجْنِ مَا جَنَيْتُ (٥)
مِنَ الْمَسَاعِي (٦) الَّتِي سَعَيْتُ
لِلْعَفْوِ عَنِّي وَإِنْ عَصَيْتُ

قَالَ الرَّأوِي: فَطَفِقَتِ الْجَمَاعَةُ تُمِدُّهُ بِالدُّعَاءِ، وَهُوَ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ، إِلَى أَنْ دَمَعَتْ أَجْفَانُهُ، وَبَدَأَ رَجْفَانُهُ (٧)، فَصَاحَ: اللَّهُ أَكْبَرُ بَانَتُ أَمَارَةً الْاسْتِجَابَةِ، وَأَنْجَابَتْ (٨) غِشَاوَةَ الْاسْتِرَابَةِ، فَجُزَيْتُمْ يَا أَهْلَ الْبُصَيْرَةِ، جَزَاءً مِنْ هَدَى مِنَ الْحَيْرَةِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا مِنْ سُرٍّ لِسُرُورِهِ، وَرَضَخَ لَهُ بِمِيسُورِهِ (٩)، فَاقْبَلَ عَفْوَ بَرِّهِمْ، وَأَقْبَلَ يُغْرَقُ فِي شُكْرِهِمْ، ثُمَّ انْحَدَرَ مِنَ الصَّخْرَةِ، يَوْمَ شَاطِئِ الْبَصْرَةِ، وَأَعْتَقَبْتُهُ (١٠) إِلَى حَيْثُ تَخَالَيْنَا، وَأَمِنَّا التَّجَسُّسَ وَالتَّحَسُّسَ عَلَيْنَا، فَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ أَغْرَبْتَ فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ، فَمَا

(١) ظلمت نفسي.

(٢) ساعيا مُجْدًا.

(٣) لم أفعل الذي فعلته.

(٤) ظهر اضطرابه وارتعاده وخوفه.

(٥) بحسب ما تيسر له.

(٦) غفلة عن الصواب.

(٧) بلغت النهاية.

(٨) جمع مسعاة، وهي: السعي.

(٩) زالت وانكشفت.

(١٠) تبعته ومشيت خلفه.

رَأَيْكَ فِي التَّوْبَةِ؟ فَقَالَ: أُقْسِمُ بَعَلَامِ الْخَفِيَّاتِ (١)، وَعَفَّارِ الْخَطِيَّاتِ، إِنَّ شَأْنِي لَعُجَابٌ، وَإِنَّ دُعَاءَ قَوْمِكَ لِمُجَابٍ، فَقُلْتُ: زِدْنِي إِفْصَاحًا زَادَكَ اللَّهُ صِلَاحًا! فَقَالَ: وَأَبِيكَ لَقَدْ قُمْتُ فِيهِمْ مَقَامَ الْمُرِيبِ (٢) الْخَادِعِ (٣)، ثُمَّ انْقَلَبْتُ مِنْهُمْ بِقَلْبِ الْمُنِيبِ الْخَاشِعِ (٤)! فَطَوَّبِي لِمَنْ صَعَتُ (٥) قُلُوبُهُمْ إِلَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ بَاتُوا يَدْعُونَ عَلَيْهِ! ثُمَّ وَدَّعْنِي وَأَنْطَلَقَ، وَأَوْدَعْنِي (٦) الْقَلْقَ، فَلَمْ أَزَلْ أُعَانِي لِأَجْلِهِ الْفِكْرَ، وَأَتَشَوَّفُ (٧) إِلَى خَبْرَةِ مَا ذَكَرَ، وَكَلَّمَا اسْتَشَيْتُ خَبْرَهُ مِنَ الرُّكْبَانِ، وَجَوَابَةِ الْبُلْدَانِ، كُنْتُ كَمَنْ حَاوَرَ (٨) عَجْمَاءَ (٩)، أَوْ نَادَى صَخْرَةً صَمَاءً، إِلَى أَنْ لَقَيْتُ بَعْدَ تَرَاحِي الْأَمَدِ، وَتَرَاقِي الْكَمَدِ، رُكْبًا قَافِلِينَ مِنْ سَفَرٍ، فَقُلْتُ: هَلْ مِنْ مُغْرَبَةٍ خَبِرَ؟ فَقَالُوا: إِنَّ عِنْدَنَا لَخَبْرًا أَغْرَبَ مِنَ الْعَنْقَاءِ، وَأَعْجَبَ مِنْ نَظَرِ الزَّرْقَاءِ، فَسَأَلْتُهُمْ إِضْاحَ مَا قَالُوا، وَأَنْ يَكِيلُوا بِمَا اكْتَالُوا (١٠)، فَحَكَوْا أَنَّهُمْ أَلَمُوا (١١) بِسُرُوجٍ، بَعْدَ أَنْ فَارَقَهَا الْعُلُوجُ (١٢)، فَرَأَوْا أَبَا زَيْدَهَا الْمَعْرُوفَ، قَدْ لَيْسَ الصَّوْفَ، وَأَمَّ الصِّفُوفَ، وَصَارَ بِهَا الزَّاهِدُ الْمُوصُوفَ، فَقُلْتُ: أَتَعْنُونَ ذَا الْمَقَامَاتِ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُ الْآنَ ذُو الْكِرَامَاتِ! فَحَفَزَنِي إِلَيْهِ النَّزَاعُ (١٣)، وَرَأَيْتُهَا فُرْصَةً لَا تُضَاعُ، فَارْتَحَلْتُ رِحْلَةَ الْمَعِدِّ (١٤)، وَسِرْتُ نَحْوَهُ سِيرَ الْمُجِدِّ، حَتَّى

(١) هو الله المطلع على الأسرار عز وجل.

(٢) الشاك.

(٣) الماكر.

(٤) التائب إلى الله الخاضع.

(٥) مالت.

(٦) ترك عندي أو أورثني أو ضمنني.

(٧) أتطلع.

(٨) خاطب وكلم.

(٩) بهيمة.

(١٠) يخبروا كما سمعوا ورأوا.

(١١) نزلوا.

(١٢) كبار الروم.

(١٣) الشوق.

(١٤) المستعد كامل العدة.

حللتُ بِمَسْجِدِهِ، وَقَرَارَةَ مَتَعْبَدِهِ (١)، فَإِذَا هُوَ قَدْ نَبَذَ صُحْبَةَ أَصْحَابِهِ،
وَأَنْتَصَبَ فِي مِحْرَابِهِ، وَهُوَ ذُو عِبَاءَةٍ مَخْلُولَةٍ (٢)، وَشَمْلَةٍ مَوْصُولَةٍ، فَهَبَّتْهُ
مَهَابَةٌ مِنْ وَلَجٍ عَلَى الْأَسْوَدِ، وَأَلْفَيْتُهُ مِمَّنْ سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ
السُّجُودِ، وَكَمَا فَرَعَ مِنْ سُبْحَتِهِ (٣)، حَيَّانِي بِمُسَبِّحَتِهِ (٤)، مِنْ غَيْرِ أَنْ نَعَمَ
بِحَدِيثِ، وَلَا اسْتَخْبَرَ عَنْ قَدِيمٍ وَلَا حَدِيثِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَوْرَادِهِ، وَتَرَكَنِي
أَعْجَبُ مِنْ اجْتِهَادِهِ، وَأَغْبَطُ مَنْ يَهْدِي اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَكَمْ يَزَلُ فِي قُنُوتِ
وَخُشُوعِ، وَسُجُودِ وَرُكُوعِ، وَإِخْبَاتِ (٥) وَخُضُوعِ، إِلَى أَنْ أَكْمَلَ إِقَامَةَ
الْخُمْسِ، وَصَارَ الْيَوْمُ أَمْسٍ، فَحَيَّنْتُ أَنْكَفَأَ بِي (٦) إِلَى بَيْتِهِ، وَأَسْهَمَنِي فِي
قُرْصِهِ وَزَيْتِهِ، ثُمَّ نَهَضَ إِلَى مُصَلَّاهُ، وَتَخَلَّى بِمُنَاجَاةِ مَوْلَاهُ، حَتَّى إِذَا التَّمَعَ
الْفَجْرَ، وَحَقَّ لِلْمُتَهَجِّدِ الْأَجْرُ، عَقَّبَ تَهَجُّدَهُ بِالتَّسْبِيحِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ ضِجْجَةً
الْمُسْتَرِيحِ، وَجَعَلَ يَرْجِعُ بِصَوْتٍ فَصِيحٍ:

| | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| وَالْمَعْهَدَ الْمُرْتَبِعَ | خَلُّ أَدْكَارِ الْأَرْبَعِ |
| وَعَدَّ عَنْهُ وَدَعَّ (٧) | وَالظَّاعِنِ الْمَوْدِعِ |
| سَوَدَتْ فِيهِ الصُّحُفَا (٨) | وَأَنْدَبُ زَمَانًا سَلَفَا |
| عَلَى الْقَبِيحِ الشَّنْعِ (٩) | وَلَمْ تَزَلْ مُعْتَكِفَا |
| مَائِمًا (١٠) أَبْدَعْتَهَا (١١) | كَمْ لَيْلَةٍ أَوْدَعْتَهَا |

(١) موضع عبادته . (٢) مشكوكة بالخلال . (٣) أي: ورده .

(٤) السبابة . (٥) تذلل .

(٦) انقلب بي . (٧) تنحَّ عن تذكُّار ذلك واتركه .

(٨) فعلت به من الخطايا والمآثم ما يسود صحيفتك .

(٩) الزائد في القبح الذي يتحدَّثُ بِقَبِيحِ .

(١٠) ضممتها ذنوبًا . (١١) ما سبقك بها من أحد .

فِي مَرْقَدٍ وَمَضْجَعٍ
 فِي خَزِيَّةٍ أَحَدْتُهَا
 لَمَلْعَبٍ وَمَرْتَعٍ
 رَبِّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
 صَدَقْتَ فِي مَا تَدْعِي
 وَكَمْ أَمَنْتَ مَكْرَهُ
 نَبْذَ الْحِذَا الْمَرْقَعِ (٤)
 وَفُهِتَ عَمْدًا بِالْكَذْبِ
 مِنْ عَهْدِهِ الْمَتَّبِعِ (٥)
 وَاسْكُبْ شَابِيبَ الدَّمِ
 وَقَبْلَ سُوءِ الْمَصْرَعِ
 وَلِذُ (٦) مَلَاذِ الْمُقْتَرِفِ (٧)
 عَنْهُ أَنْحِرَافَ الْمُفْلِعِ (٨)
 وَمُعْظَمَ الْعُمَرِ فَنِي
 وَلَسْتُ بِالْمُرْتَدِعِ
 وَخَطَّ (١١) فِي الرَّأْسِ خِطَطُ

لَشَهْوَةٍ أَطْعَمَتَهَا
 وَكَمْ خَطَى حَثَثَتَهَا (١)
 وَتَوْبَةَ نَكَثَتَهَا (٢)
 وَكَمْ تَجَرَّاتٍ عَلَيَّ
 وَلَمْ تُرَاقِبْهُ وَلَا
 وَكَمْ غَمَمْتُ بِرَهْ (٣)
 وَكَمْ نَبَذْتَ أَمْرَهُ
 وَكَمْ رَكَضْتَ فِي اللَّعِبِ
 وَلَمْ تُرَاعِ مَا يَجِبُ
 فَالْبَسْ شِعَارَ النَّدَمِ
 قَبْلَ زَوَالِ الْقَدَمِ
 وَأَخْضَعِ خُضُوعَ الْمُعْتَرِفِ
 وَأَعْصِ هَوَاكَ وَأَنْحَرِفِ
 إِلامَ تَسْهُوٍ وَتَنِي
 فِي مَا يَضُرُّ الْمُقْتَنِي (٩)
 أَمَا تَرَى الشَّيْبَ (١٠) وَخَطُ

(٢) نقضتها.

(٤) كنبذ النعال المرقعة.

(٦) والجأ.

(٩) المكتسب.

(١١) كتب وعلم.

(١) استعجلت بها وجهدت نفسك فيها.

(٣) حقرت وتنقصت إحسانه.

(٥) من ميثاق مولاك الذي يجب عليك أتباعه.

(٧) كما يلوذ ويلجأ مقترف الذنوب المكتسب لها.

(٨) الذي يقلع عما هو متلبس به مما يستقبح.

(١٠) خالط أو فشا.

بَفَوْدِهِ فَفَقَدْتُ نَمِي
 عَلَى ارْتِيَادِ الْمَخْلَصِ
 وَأَسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي
 مِنَ الْقُرُونِ وَأُنْقَضِي
 وَحَاذِرِي أَنْ تُخْدَعِي
 وَأَدَّكِرِي وَشَكَّ الرَّدَى (٣)
 فِي قَعْرِ لِحْدٍ بَلْقَعِ (٤)
 وَالْمَنْزِلِ الْقَفْرِ الْخُلَا
 وَاللَّاحِقِ الْمُتَّبِعِ
 قَدْ ضَمَّهُ وَأَسْتُوذِعُهُ
 قَيْدَ ثَلَاثِ أَذْرُعِ (٦)
 دَاهِيَةَ (٧) أَوْ أَبْلَهُ (٨)
 مُلْكٌ كَمُلْكِ تَبَعِ
 يَحْوِي الْحَيَّ وَالْبَدِي (٩)
 وَمَنْ رَعَى وَمَنْ رُعِيَ
 وَرَبِحَ عِبْدٌ قَدْ وَقِيَ
 وَهَوَّلَ يَوْمَ الْفَزَعِ

وَمَنْ يَلُحُّ وَخَطُّ الشَّمْطِ
 وَيُحَكُّ يَا نَفْسِ احْرِصِي
 وَطَاوَعِي وَأَخْلَصِي
 وَأَعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى
 وَأَخْشِي مُفَاجَاةَ الْقَضَا (١)
 وَأَنْتَهَجِي سُبُلَ الْهُدَى (٢)
 وَأَنْ مَثْوَاكَ غَدَا
 أَهَالَهُ بَيْتَ الْبَلَى
 وَمُورِدَ السَّفْرِ الْأَلَى
 بَيْتٌ يَرَى مَنْ أُوذِعَهُ (٥)
 بَعْدَ الْفِضَاءِ وَالسَّعَةِ
 لَا فَرَقَ أَنْ يَحُلَّهُ
 أَوْ مُعَسَّرًا أَوْ مِنْ لَهُ
 وَبَعْدَهُ الْعَرْضُ الَّذِي
 وَالْمُبْتَدِي وَالْمُحْتَدِي
 فَيَا مَفَازَ الْمَتَّقِي
 سَوْءَ الْحِسَابِ الْمُؤَبِقِ (١٠)

(٢) اسلكي وسيري في طريق الهدى والرشاد.

(١) هجوم الموت.

(٤) خال.

(٣) سرعة الهلاك.

(٦) مكان قدر ثلاث أذرع.

(٥) من ترك فيه.

(٧) بليغ في الدهاء مجرب للأمور حاذق.

(٨) مغفل زائد الغفلة.

(١٠) الموقع في الهلاك.

(٩) ذا الوقاحة التكلم بفحش الكلام.

وَيَا خَسَارَ مَنْ بَغَى
وَمَنْ تَعَدَّى وَطَغَى (١)
وَشَبَّ نِيرَانَ الْوَغَى (٢)
لَطَعَمٍ أَوْ مَطْمَعٍ
يَا مَنْ عَلَيْهِ الْمُتَكَلُّ
قَدْ زَادَ مَا بِي مِنْ وَجَلٍ
لَمَّا اجْتَرَحْتُ مِنْ زَلَلٍ (٣)
فَاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمٍ
فِي عُمْرِي الْمَضِيِّ
فَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ رَحِمٍ
وَأَرْحَمُ بِكَاةِ الْمُنْسَجِمِ (٤)
وَخَيْرُ مَدْعُو دُعَى

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمْ يَزَلْ يَرُدُّهَا بِصَوْتِ رَقِيقٍ، وَيُصَلِّهَا بِزَفِيرٍ (٥) وَشَهِيْقٍ، حَتَّى بَكَتُ لُبْكَاءَ عَيْنَيْهِ، كَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ أَبْكَي عَلَيْهِ، ثُمَّ بَرَزَ إِلَى مَسْجِدِهِ، بِوُضُوءٍ تَهَجَّدَهُ (٦)، فَاَنْطَلَقْتُ رَدْفَهُ، وَصَلَّيْتُ مَعَهُ مِنْ صَلَّيْ خَلْفَهُ، وَكَمَا انْفَضَّ مَنْ حَضَرَ، وَتَفَرَّقُوا شَغَرَ بَغْرًا، أَخَذَ يَهِينِمُ بَدْرَسَهُ (٧)، وَيَسْبِكُ يَوْمَهُ فِي قَالِبِ أَمْسِهِ، وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ يُرْنُ (٨) إِرْنَانَ الرَّقُوبِ، وَيَبْكِي وَلَا بُكَاءَ يَعْقُوبَ، حَتَّى اسْتَبْنَتْ أَنَّهُ التَّحَقَّ بِالْأَفْرَادِ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ هَوَى الْإِنْفِرَادِ، فَأَخْطَرْتُ بِقَلْبِي عَزْمَةَ الْإِرْتِحَالِ، وَتَخَلَّيْتُهُ وَالتَّخَلِّيَ بِتِلْكَ الْحَالِ، فَكَأَنَّهُ تَفَرَّسَ مَا نَوَيْتُ، أَوْ كُوشِفَ (٩) بِمَا أَخْفَيْتُ، فَزَفَرَ (١٠) زَفِيرَ الْأَوَاهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، فَاسْجَلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ بِصَدَقِ الْمُحَدِّثِينَ (١١)، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ فِي الْأُمَّةِ مُحَدِّثِينَ، ثُمَّ دَنَوْتُ إِلَيْهِ كَمَا يَدْنُو

(١) تجاوز الحد في بغيه.

(٢) جمع زلة، بمعنى: الخطأ.

(٣) بتنفس محرور.

(٤) جعل يقرأ أوراده بصوت منخفض.

(٥) اطلع.

(٦) الذين حدثوا بتوبة السروجي وأنه أناب إلى مولاه.

(٧) الحرب.

(٨) أي: المنسكب.

(٩) بوضوئه الذي صلى به نافلة الليل.

(١٠) الإرنان كالرنين: صوت فيه غنة.

(١١) تنفس بحرقة.

المُصَافِحُ، وَقُلْتُ: أَوْصِنِي أَيُّهَا الْعَبْدُ النَّاصِحُ، فَقَالَ: اجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ، وَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، فَوَدَّعْتُهُ وَعَبَّرَاتِي (١) يَتَحَدَّرْنَ مِنْ الْمَأَقِي (٢)، وَزَفَّرَاتِي يَتَّصِعِدْنَ مِنَ التَّرَاقِي، وَكَانَتْ هَذِهِ خَاتِمَةَ التَّلَاقِي.



(١) دموع عيني.

(٢) ينزلق من أطراف أجفاني متراسلة.

خاتمة

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي - برد الله مضجعه -:

هَذَا آخِرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأْتُهَا بِالْإِغْتِرَارِ، وَأَمَلَيْتُهَا بِلِسَانِ الْإِضْطِرَارِ، وَقَدْ أُجِئْتُ^(١) إِلَى أَنْ أَرُصِدْتُهَا^(٢) لِلإِسْتِعْرَاضِ، وَنَادَيْتُ عَلَيْهَا فِي سُوقِ الْإِعْتِرَاضِ، هَذَا مَعَ مَعْرِفَتِي بِأَنَّهَا مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ، وَمِمَّا يَسْتَوْجِبُ أَنْ يُبَاعَ وَلَا يُبْتَاعَ، وَكَوْ غَشِيَنِي^(٣) نُورُ التَّوْفِيقِ، وَنَظَرْتُ لِنَفْسِي نَظَرَ الشَّفِيقِ، لَسَرْتُ عَوَارِي الَّذِي لَمْ يَزَلْ مَسْتُورًا، وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى مِمَّا أَوْدَعْتُهَا مِنْ أَبَاطِيلِ^(٤) اللَّغْوِ، وَأَضَالِيلِ اللَّهْوِ^(٥)، وَأَسْتَرْشِدُهُ إِلَى مَا يَعْصِمُ مِنَ السَّهْوِ^(٦)، وَيُحْظِي بِالْعَفْوِ، إِنَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، وَوَلِيُّ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.



(١) أُلْزِمْتُ .

(٢) عَرْضْتُهَا وَأَعَدَدْتُهَا .

(٣) أَدْرَكَنِي وَسَتْرَنِي .

(٤) الْكَلَامُ السَّاقِطُ عَدِيمُ الْفَائِدَةِ .

(٥) جَمْعُ أَضْلُوعَةٍ، وَهُوَ: مَا يَضِلُّ بِهِ مَنْ ارْتَكَبَهُ .

(٦) يَمْنَعُ وَيَحْفَظُ مِنَ الْخَطَا .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأماكن والقبائل
- فهرس الأمثال
- فهرس الشعر
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية |
|------------|-----------|-----------------------------------------------------------------|
| | | سورة البقرة |
| ١٦٥ | ٢٨٠ | ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ |
| | | سورة آل عمران |
| ٣٧٦ | ١٥٩ | ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ |
| ٢٨٦ | ١٨٧ | ﴿ فَنَبِّذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ |
| | | سورة الأنعام |
| ٣١٦ | ٢٥ | ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) ﴾ |
| | | سورة الأنبياء |
| ١٢ | ١٠٧ | ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ |
| | | سورة الكهف |
| ١٣٤ | ١١ | ﴿ فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ ﴾ |
| | | سورة الأحزاب |
| ١٣٤ | ١٨ | ﴿ وَالْقَاتِلِينَ إِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ |
| | | سورة المزمل |
| ١٦٧ | ٢٠ | ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ﴾ |
| | | سورة الحاقة |
| ١٦٨ | ٧ | ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ |

| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية |
|------------|-----------|-------------------------------------------------------------------------------------|
| | | سورة المعارج |
| ٢١٠ | ٢٤ | ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ |
| | ٢٥ | وَالْمَحْرُومِ (٢٥) ﴾ |
| | | سورة الحجرات |
| ٢٢ | ١٢ | ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ |
| | | ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ |
| ٢١١ | ١٣ | شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ |
| | | سورة الفتح |
| ٢٥٨ | ١٢ | ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) ﴾ |
| | | سورة الأنفال |
| ٢٥٩ | ٣٥ | ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾ |
| | | سورة الإسراء |
| ٢٨٧ | ٤٥ | ﴿ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) ﴾ |
| | | سورة مريم |
| ٢٨٧ | ٦١ | ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا (٦١) ﴾ |
| | | سورة الزخرف |
| ٣٢٣ | ٣٦ | ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ |
| | | سورة الحاقة |
| ٣٢٦ | ٢١ | ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) ﴾ |

| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية |
|------------|-----------|-----------------------------|
| | | سورة الطارق |
| ٣٢٦ | ٦ | ﴿ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ |
| ٢٨٧ | ٦ | ﴿ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ |

فهرس أطراف الأحاديث

| الصفحة | راوي الحديث | طرف الحديث |
|--------|-------------|-------------------------------|
| ١٣٥ | ابن مسعود | إذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر |
| ٢٥٨ | - | في الرقة ربع العشر |
| ٢٥٨ | - | كل الصيد في جوف |

فهرس الأماكن والقبائل

| الصفحة | المكان |
|---------|--------------|
| ١٦ | صنعاء اليمن |
| ٢٠ | آل ساسان |
| ٢٠ | غسان |
| ٣١ | دمياط |
| ٣٨ | الكوفة |
| ٤٢ | بنو عيس |
| ٧١ ، ٦٥ | الإسكندرية |
| ٩١ | بغداد |
| ١٢١ | بنو نمير |
| ١٢١ | مدينة السلام |
| ١٤٥ | بنو الفرات |
| ١٥٩ | الرياض |
| ٢٠٨ | المنصور |
| ٢٠٨ | مصر |
| ٢٢١ | طيبة |
| ٢٨٨ | الكوفة |
| ٢٨٨ | اليمن |
| ٣٦٨ | البصرة |

فهرس الأمثال

| الصفحة | المثل |
|--------|-----------------------------------------|
| ٢٢ | عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان |
| ٤٠ | الذي سار سائره خير العشاء سوافره |
| ١٩٢ | أفلت وله حصاص |
| ١٩٢ | ويل أهون من ويلين |
| ١٩٢ | أنا تثق وأنت مثق فكيف نتفق |
| ٢٨٦ | لقيت منها عرف القربة |
| ٣٢٣ | وأنا أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء |
| ٣٢٥ | ليس بعشك فادرجي |
| ٣٢٥ | الإيناس قبل الإبساس |
| ٣٥١ | أنف في السماء واست في الماء |
| ٣٥١ | يشكو إلى غير مصمت |
| ٣٥١ | هان على الأملس ما لاقى الدبر |
| ٣٦٦ | الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق |

فهرس الشعر

| رقم الصفحة | بيت الشعر |
|---------------|--------------------------------|
| ٣٢٤ | ما بالها ... قبح الرقباء |
| ٣٢٤ | ما ذاك ... رقيبها الحرباء |
| ١٧٩ | فلا خلاذا ... ظل خصمه |
| ١٧٩ | فإنه برِّ بمن ... ضوء شهيه |
| ١٧٩ | زان مزايًا ... خوف ربه |
| ١٧٩ | سجح يهش ... بحقه يرتاب |
| ١٧٩ | لا باخل بل ... لا يليه باب |
| ١٧٩ | إن عض أزل ... فأنحت منه ناب |
| ١٧٨ | فلذا يحب يستحق ... فلبابه خلاب |
| ١٧٨ | أخلاقه غر ... ناضلته غلاب |
| ١٤٢ | فجد في مراضي ... أجره وثوابه |
| ١٤٢ | وبادريه صرف ... يغول ونابه |
| ١٤٢ | ولا تأمن الدهر ... عليه ونابه |
| ١٤٢ | وعاص هوى ... من عقابه |
| ١٤٢ | وحافظ على ... يتقى من عقابه |
| ١٤٢ | ولا تله عن ... حال مصابه |
| ١٤٢ | ومثل لعينيك ... ومطعم صابه |

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ١٤٢ | وإن قـصـارى ... عن قـبـابه |
| ١٤٢ | فـواهـًا لـعـبـد ... إغـلاق بـابه |
| ١٣٧ | وصارم البيض ... المجاب المجيب |
| ١٣٧ | وأض كالمنكوس ... دواهي المشيب |
| ١٣٧ | وها هو اليوم ... ميت غريب |
| ١٣٧ | فيفرج الضيق ... ضنكا رحيب |
| ١٣٧ | ما بارز الأقران ... برمح خضيب |
| ١٣٧ | ولا سما يفتح ... منيعًا مهيب |
| ١٣٧ | إلا ونودي ... وفتح قـريب |
| ١٣٧ | هذا وكم من ... الشباب القشيب |
| ١٣٧ | يرتشف الغيد ... المفدى الحبيب |
| ١٣٧ | فلم يزل ... وعود صليب |
| ١٣٧ | حتى أصارته ... منه قـريب |
| ١٣٧ | قد أعجز ... وأعيا الطبيب |
| ١٣٦ | عندي يا قوم ... للبيب الأريب |
| ١٣٦ | رأيت في ريعان ... الحسام القضيب |
| ١٣٦ | يقدم في المعرك ... ولا ليستيريب |
| ١٣٣ | لا تياسن عند ... تجلو الكرب |
| ١٣٣ | فلكم سموم ... نسيماً وانقلب |
| ١٣٣ | وسحاب مكروه ... وما سكب |
| ١٣٣ | ودخان خطب ... له لهب |

| | |
|-----|----------------------------|
| ١٣٣ | ولطالما ... تفيئته غرب |
| ١٣٣ | فاصبرا ذاما ... أبو العجب |
| ١٣٣ | وترج من ... لا تحتسب |
| ١٢٠ | سل الزمان ... وأحد غربه |
| ١٢٠ | واسئل من ... وأسأل غربه |
| ١٢٠ | وأجالني ... وأجوب غربه |
| ١٢٠ | فيكل جو ... لي وغربه |
| ١٢٠ | وكذا المغرب ... ونواه غربه |
| ٩٩ | مالاذ مرتاع ... ناب النوب |
| ٩٩ | ولا استدر ... فما خبي |
| ٩٩ | فانعطفوا ... منقلبي |
| ٩٩ | فلو بلوتم ... ومشربي |
| ٩٩ | لساءكم ... للكب |
| ٩٩ | ولو خببرتم ... ومذهبي |
| ٩٩ | وما حوت ... العلوم النخب |
| ٩٩ | لما اعتبرتكم ... دائي أدبي |
| ٩٩ | فليت أني ... ثدي الأدب |
| ٩٩ | فقد دهاني ... فيه أبي |
| ٩٨ | إني امرؤ ... الوجى والتعب |
| ٩٨ | وشقتي ... عنها خبيبي |
| ٩٨ | ومامعي ... من ذهب |

- ٩٨ فحيلتي ... تلعب بي
- ٩٨ إن ارتحلت ... دواعي العطب
- ٩٨ وإن تخلفت ... ضاق مذهبي
- ٩٨ فزفرتي ... في صبيب
- ٩٨ وأنتم ... ومرمى الطلب
- ٩٨ لهاكم ... انهلال السحب
- ٩٨ وجاركم ... في حرب
- ٦٩ بل فكرتي تنظم ... المنظوم لا السخب
- ٦٩ فهذه الحرقه ... أحوي بها واجتلب
- ٦٩ فأذن لشرحي ... واحكم بما يجب
- ٦٩ فجلت فيه ... والقلب مكتئب
- ٦٩ وما تجاوزت ... فيحدث الغضب
- ٦٩ فإن يكن غاظها ... بالنظم تكتسب
- ٦٩ أو أنني إذ ... لينجح الأرب
- ٦٩ فوالذي سارت ... تستحثها النجب
- ٦٩ ما المكر بالمحصنات ... التمويه والكذب
- ٦٩ ولا يدي ... اليراع والكتب
- ٦٨ فحار لبي لما ... وصرفها عجب
- ٦٨ ضاق ذرعي ... الهموم والكرب
- ٦٨ وقادني دهري ... يستشينه الحب
- ٦٨ فبعث حتى ... إليه انقلب

- ٦٨ وأدنت حتى ... دونه العطب
٦٨ ثم طويت ... أمضني السغب
٦٨ لم أر إلا ... بيعه واضطرب
٦٨ واجتني البائع ... للعود يحتطب
٦٨ وأخذ اللفظ ... إنه ذهب
٦٨ وكنت من قبل ... المقتنى واحتلب
٦٨ ويمتطي أحمصي ... فوقها رتب
٦٨ وطالما زقت ... كل من يهب
٦٨ فالיום من يعلق ... في سوقه الأدب
٦٨ لا عرض أبنائه ... فيهم إل ولا نسب
٦٨ كأنهم في ... نتنها ويجتنب
٦٧ اسمع حديثي ... شرحه وينتخب
٦٧ أنا امرؤ ... في فخاره ريب
٦٧ سـروج داري ... حين أنتسب
٦٧ وشغلي الدرس ... وحبذا الطلب
٦٧ ورأس مالي ... القريض والخطب
٦٧ أغوص في لجة ... منها وأنتخب
٥٢ لجوب البلاد ... من المرتبه
٥٢ لأن الولاة ... يالها معتبه
٥٢ وما فيهم من ... يشيد ما رتبه
٥٢ فلا يخذعنك ... إذا ما اشتبه

| | |
|-----|------------------------------|
| ٥٢ | فكم حالم ... الروع لما انتبه |
| ٢٤ | فما على التبر ... حين يقلب |
| ٢٣ | وقع الشوائب ... بالناس قلب |
| ٢٣ | إن دان يوماً ... غد يتغلب |
| ٢٣ | فلا تثق ... فهو خلب |
| ٢٣ | واصبر إذا ... الخطوب وألب |
| ٢٢ | نفسي الفداء ... ناهيك من شنب |
| ٢٢ | يفتر عن لؤلؤ ... وعن حبيب |
| ١٨ | تبال طالب دنيا ... انصبابه |
| ١٨ | مما يستفيق ... وفرط صبابه |
| ١٨ | ولو درى ... يروم صبابه |
| ٣٥٧ | فيا قوم هل ... وتدني إلى ربي |
| ٣٣٨ | إن شئت ... بالصادات يكتب |
| ٣٣٨ | مغس وفقس ... الحق والسقب |
| ٣٣٨ | والسامغان ... تفصح الكتب |
| ٣٢٤ | قالت الخنساء ... هذا واشهب |
| ٣٢٤ | نمش بأعراف ... شواء مفهب |
| ٣١٦ | عندي أعاجيب ... أبا العجب |
| ٣١٦ | رأيت يا قوم ... ابنة العنب |
| ٣١٦ | ومسنتين من ... من السغب |
| ٣١٦ | وقادرين متى ... التذنب للحطب |

| | |
|-----|---------------------------------|
| ٣١٦ | وكاتبين وما ... في الكتب |
| ٣١٦ | وتابعين عقاباً ... البيض واليلب |
| ٣١٦ | ومنتدين ذوي ... إلى الهرب |
| ٣١٧ | وعصبة لم ... على الركب |
| ٣١٧ | ونسوة بعدما ... غير ماتعب |
| ٣١٧ | ومدلجين ... الصبح في حلب |
| ٣١٧ | ويافعاً لم ... نسل من العقب |
| ٣١٧ | وشائباً غير ... لم يشب |
| ٣١٧ | ومرضعاً بلبان ... بين السبب |
| ٣١٧ | وزارعاً ذرة ... أخو الطرب |
| ٣١٧ | وراكباً وهو ... ينفك عن خبب |
| ٣١٧ | وذا يد طلق ... أخو كرب |
| ٣١٨ | وجالساً ... من ريب |
| ٣١٨ | وحائكاً ... من عجب |
| ٣١٨ | وذا شطاط ... من الحدب |
| ٣١٨ | وساعياً في ... كالظلم والكذب |
| ٣١٨ | ومغرمّاً ... الخلق من أرب |
| ٣١٨ | وذا ذمام ... مذهب العرب |
| ٣١٨ | وذا قوى ... غير محتجب |
| ٣١٨ | وساجداً فوق ... أفضل القرب |
| ٣١٨ | وعاذراً مؤلماً ... في صخب |

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٣١٩ | وبلدة ما ... جرى متسرب |
| ٣١٩ | وقرية دون ... خلسة السلب |
| ٣١٩ | وكوكبا يتوارى ... أمنع الحجب |
| ٣١٩ | وروثه قومت ... بالمال لم تطلب |
| ٣١٩ | وصحفة من ... من الذهب |
| ٣١٩ | ومستجيشًا ... فلم يخب |
| ٣١٩ | وطالما مربى ... ثور بلا ذنب |
| ٣١٩ | وكم رأى ناظري ... الرحل والقتب |
| ٣٢٠ | وكم لقيت ... في جد وفي لعب |
| ٣٢٠ | وكنت أبصرت ... كالشهب |
| ٣٢٠ | وكم رأيت ... في حلب |
| ٣٢٠ | وصادعًا ... لا ولم يثب |
| ٣٢٠ | وكم نزلت ... في القلب |
| ٣٢٠ | وكم رأيت ... إلى حبيب |
| ٣٢٠ | وكم مشايخ ... من العطب |
| ٣٢٠ | وكم بدالي ... من القضب |
| ٣٢١ | وكم دعاني ... أخللت بالأدب |
| ٣٢١ | وكم أتحت ... ومن عرب |
| ٣٢١ | وكم نظرت ... القطر كالسحب |
| ٣٢١ | وكم رأيت ... الأعضاء والعصب |
| ٣٢١ | وكم إزار ... السير مضطرب |

| | |
|-----|-----------------------------------------------------|
| ٣٢١ | هَذَا وَكَمْ ... وَمَنْ تَحِبُّ |
| ٣٢١ | فَإِنْ فَطَنْتُمْ ... عَلَى رَطْبِي |
| ٣٢١ | وَإِنْ شَرِهْتُمْ ... الْعُودَ وَالْخَشَبَ |
| ٣٠٠ | وَمَرْهُوبِ الشُّبَا ... وَلَا يَشْرَبُ |
| ٣٠٠ | يَرَى فِي ... وَصَفِّهِ وَأَعْجِبْ |
| ٢٩٤ | اصْرِفْ بِصَرْفٍ ... وَلَا تَكْتَأْ |
| ٢٩٤ | وَقُلْ لِمَنْ لَا ... قَدْ كُنْتَ أَتَّئِبُ |
| ٢٥٦ | كُلْ شَعْبَ ... رَبِيعِي رَحْبَ |
| ٢٥٦ | غَيْرِ أُنْيٍ ... الْقَلْبَ صَبَّ |
| ٢٥٦ | هِيَ أَرْضِي ... فِيهِ الْمَهَبُ |
| ٢٥٦ | وَالِي رَوْضَتِهَا ... الرُّوضِ أَحْبَبُ |
| ٢٥٦ | مَا حَلَّ لِي ... عَذْبُ |
| ٢٥٦ | يَا مَنْ سَمَا ... وَنُورِ كُوكَبِهِ |
| ٢٥٦ | مَاذَا مِثَالٍ ... يَنْمُ بِهِ |
| ٤٥ | يَا مَنْ تَظَنَّنِي ... الَّذِي رُوِيَ |
| ٤٥ | مَا خَلَّتْ أَنْ ... الَّذِي عَنِيتْ |
| ٤٥ | وَاللَّهِ مَا بَرَّةٌ ... بِهِ اِكْتَنِيتْ |
| ٤٥ | وَإِنَّمَا لِي فَنُونٌ ... وَمَا اقْتَدَيْتْ |
| ٤٥ | لَمْ يَحْكُهَا ... حَاكُهَا الْكَمِيَّتْ |
| ٤٥ | تَخَذْتَهَا ... مَتَى اشْتَهَيْتْ |
| ٤٥ | وَلَوْ تَعَاْفَيْتَهَا ... وَلَمْ أَحُومَا حَوَيْتْ |

| | |
|-----|---------------------------------|
| ٤٥ | فمهد الغدر ... أجرمت أو جنيت |
| ٢٧ | وقارنت نجح ... الأنام غرته |
| ٢٧ | كأنا من القلوب ... من حوته صرته |
| ٢٧ | وإن تفانت ... نضاره ونضرته |
| ٢٧ | وحبذا مغناته ... استتبت إمرته |
| ٢٧ | ومتترف لولاه ... هزمته كرتة |
| ٢٧ | وبدرتم ... تتلظى جمرته |
| ٢٧ | أسر نجواه ... أسلمته أسرته |
| ٢٧ | أنفذه حتى ... أبدعته فطرته |
| ٢٧ | لولا التقي ... قدرته |
| ٢٦ | أكرم به أصفه ... ترامت سفرته |
| ٢٦ | مأثورة ... سر الغنى أسرته |
| ٣٧١ | أستغفر الله ... فيهن واعتديت |
| ٣٧١ | كم خضت بحر ... الغي واعتديت |
| ٣٧١ | وكم أطعت ... واغتلت وافتريت |
| ٣٧١ | وكم خلعت ... وما نويت |
| ٣٧١ | وكم تناهيت ... وما انتهيت |
| ٣٧١ | فليتني كنت ... ما جنيت |
| ٣٧١ | فالموت للمجرمين ... التي سعيت |
| ٣٧١ | يارب عفوا ... وإن عصيت |
| ٣٥١ | إنك لا ... الثقيل أو مت |

| | |
|-----|------------------------------------|
| ٣٤٥ | إن الغريب ... ماله قوت |
| ٣٤٥ | لكنه ما ... والكافور مفتوت |
| ٣٤٥ | وطالما أحلي ... ياقوت |
| ٢٦٨ | لا تحقرن ... السربال سبروتا |
| ٢٦٨ | ولا تضع ... كان سكيوتا |
| ٢٦٨ | وانفح بعرفك ... ألفيت منكوّتا |
| ٢٦٨ | فخير مال ... أوصيوتا |
| ٢٦٨ | وما على المشتري ... أعطاه ياقوتا |
| ٢٦٨ | لولا المروءة ... ما جاوز القوتا |
| ٢٦٩ | لكنه لابتناء ... العلى ليوتا |
| ٢٦٩ | وما تنشق ... المسك مفتوّتا |
| ٢٦٩ | والحمد والبخل ... وذا حوتا |
| ٢٦٩ | والسمع في الناس ... ما ينفك ممقوتا |
| ٢٦٩ | وللشحيح على ... ذما وتبكيوتا |
| ٢٦٩ | فجد بما جمعت ... جدواك مبهوتا |
| ٢٦٩ | وخذ نصيبك ... العود منحوتا |
| ٢٦٩ | فالدهر أتكد ... أم شيوتا |
| ٢٥٣ | يا من له فطنة ... الذكاء جلت |
| ٢٥٣ | بين فما ... الشقيقت أفلت |
| ١٤٣ | أنا الذي تعرفه ... فكه منافث |
| ١٤٣ | أطرب ما لا تطرب ... وطورا عابث |

| | |
|-----|----------------------------------|
| ١٤٣ | ما غيرتني ... خطب كارث |
| ١٤٣ | ولا فرى حدي ... صيد ضابث |
| ١٤٣ | وكل سرح فيه ... للأنام وارث |
| ٢٣٥ | ظهرت برث لكيما ... الزمان المزجى |
| ٢٣٥ | وأظهرت للناس ... به ما ترجى |
| ٢٣٥ | ولولا الرثاثة ... لم ألق فلجا |
| ٢١٦ | ما الحج سيرك ... أجمالا وأحداجا |
| ٢١٦ | الحج أن تقصد ... تفضي به حاجا |
| ٢١٧ | وتمتطي كاهل ... الحق منهاجا |
| ٢١٧ | وأن تؤاسي ... جداول محتاجا |
| ٢١٧ | فهذه إن حوتها ... كان إحداجا |
| ٢١٧ | حسب المرئين ... كدا وإزعاجا |
| ٢١٧ | وإنهم حرموا ... عاب أو هاجى |
| ٢١٧ | أخي فابغ ... ولا جاو خراجا |
| ٢١٧ | فليس تخفى ... الطاعات أو داجى |
| ٢١٧ | وبادر الموت ... الموت إن فاجا |
| ٢١٧ | واقن التواضع ... ألبستك التاجا |
| ٢١٨ | ولا تشم كل ... السكب شجاجا |
| ٢١٨ | ما كل داع ... بعض من ناجى |
| ٢١٨ | وما اللبيب سوى ... الأيام إدراجا |
| ٢١٨ | فكل كثير إلى ... لين وإن هاجا |

| | |
|-----|----------------------------------|
| ١١٢ | مسقط الرأس ... كنت أموج |
| ١١٢ | بلدة يوجد ... شيء ويروج |
| ١١٢ | وردها من سلسيل ... وصحاريها مروج |
| ١١٢ | وبنوها مغانيم ... نجوم بروج |
| ١١٢ | حبذا نفحة ... مرآها البهيج |
| ١١٢ | وأزاهير رباها ... تنجاب الثلوج |
| ٢١٣ | من رآها قال ... الدنيا سروج |
| ٢١٣ | ولمن ينزاح ... زفارات ونشيج |
| ٢١٣ | مثل ما لاقيت ... عنها العلوج |
| ٢١٣ | عبرة تهمني ... قريهيج |
| ٢١٣ | وهموم كل ... خطب مريج |
| ٢١٣ | ومساع في ... الخطوعوج |
| ٢١٣ | ليت يومي ... منها الخروج |
| ٣٠ | وألقي حبلي ... من قدمرج |
| ٣٠ | فإن لأمني ... من حرج |
| ٢٩ | تعارجت لا ... بالفرج |
| ٢٤٢ | لم أبك والله ... نعيم وفرح |
| ٢٤٢ | وإنما مدمع ... حين طمح |
| ٢٤٢ | ورطه حتى ... البيض الوضح |
| ٢٤٢ | ويك إما ناجتك ... وبيعي لم يبح |
| ٢٤٢ | إذ كان في يوسف معنى قد وضح |

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ١٦٢ | نهاني الشيب ... بين الراح والراح |
| ١٦٢ | وهل يجوز اصطباحي ... الرأس إصباحي |
| ١٦٢ | أليت لا خامر مرتني ... ألفاظي بإفصاحي |
| ١٦٢ | لا اكتست لي ... بين أقـداح |
| ١٦٢ | ولا صرفت إلى ... مرتاحا إلى راح |
| ١٦٢ | ولا نظمت على ... سوى الصاحي |
| ١٦٢ | محا المشيب ... من كاتب ماح |
| ١٦٢ | ولاح يلححي ... من لائح لاح |
| ١٦٢ | ولو لهوت ... غسان مصباحي |
| ١٦٢ | قوم سجايهم ... التوقير يا صاح |
| ٩٠ | وشاد يشيد ... له إن صرح |
| ٩٠ | وعاص النصيح ... إذا ما سمح |
| ٩٠ | وجل في المحال ... وخذ ما صلح |
| ٩٠ | وفارق أباك ... وصد من سنج |
| ٩٠ | وصاف الخليل ... ووال المنح |
| ٩٠ | ولذ بالمتاب ... باب كريم فتح |
| ٨٩ | فإن المدام ... وتنفي الترح |
| ٨٩ | وأصفي السرور ... الحيا واطرح |
| ٨٩ | وأحلي الغرام ... الهوى وافتضح |
| ٨٩ | فبح بهواك ... به قد قدح |
| ٨٩ | وداو الكلوم ... التي تقترح |

| | |
|-----|---------------------------------|
| ٨٩ | وخصي الغبوق... إذا ما طمح |
| ٨٩ | لذمت السفار... لأجني الفرخ |
| ٨٩ | وخضت السيول... الصبي والمرح |
| ٨٩ | ومطت الوقار... ورشف القدح |
| ٨٩ | ولولا الطماح... فمي بالملح |
| ٨٩ | ولا كان ساق... بحمل السيح |
| ٨٩ | فلا تغضبن... فعذري وضح |
| ٨٩ | ولا تعجبين... وذن طفح |
| ٢١ | كأئمتبسم... أو بردٍ أو أقحاح |
| ٣٣٣ | أعدد لحسادك... ورد السمحاح |
| ٣٣٣ | وصارم اللهو... وسمر الرمحاح |
| ٣٣٣ | واسع الإدراك... لا دراع المـراح |
| ٣٣٣ | اللهـ مـا... رود رداح |
| ٣٣٣ | واها لحر... أهل الصلاح |
| ٣٣٣ | مورده حلو... سألوه مطاح |
| ٣٣٣ | ما أسمع... لؤم صـراح |
| ٣٣٣ | ولا أطـاع... كأس راح |
| ٣٣٣ | سوده إصلاحه... أهواءه الطماح |
| ٣٣٣ | وحصل المدح... مهور الصحاح |
| ٣١١ | يقولون إن... أدب راسخ |
| ٣١١ | وما إن يزين... سؤدده شامخ |

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٣١١ | فأما الفقير ... القرص والكامخ |
| ٣١١ | وأى جمال ... يعلم أو ناسخ |
| ١٥٢ | يا خاطب الدنيا ... شرك الردى |
| ١٥٢ | دار متى ما ... أبكت غدا |
| ١٥٢ | وإذا أظل ... منه صدى |
| ١٥٢ | غار اتهامها ... لا يفتدي |
| ١٥٢ | كم مزدهي ... بدا متمرداً |
| ١٥٢ | قلبت له ... فيه المدى |
| ١٥٣ | فاربأ بعمرى ... فيها سدى |
| ١٥٣ | واقطع علائق ... تلق الهدى |
| ١٥٣ | وارقب إذا ما ... حرب العدى |
| ١٥٣ | واعلم بأن ... ولو طال المدى |
| ١٤٤ | عليك بالصدق ... بنار الوعيد |
| ١٤٤ | وابغ رضى الله ... وأرضى العبيد |
| ٩٩ | يا سادة في ... مبان مشيده |
| ٩٩ | ومن إذا ناب ... يدفع المكيده |
| ٩٩ | ومن يهون ... الكنوز العتيده |
| ٨٣ | إلى كم يا ... في الكيد |
| ٨٣ | لينحاش لك ... من ذم |
| ٦٣ | أنا السروجي ... مثل الأسد |
| ٦٣ | وماتعدت ... ولا في مرود |

| | |
|-----|---------------------------------|
| ٦٣ | وإنما الدهر ... غدوًّا نجتدي |
| ٦٣ | كل ندى الراحة ... مغلول اليد |
| ٦٣ | بكل فن ... وإلا بالدد |
| ٦٣ | لنجلب الرشح ... بعيش أنكد |
| ٦٣ | والموت من بعد ... فاجي في غد |
| ٦١ | فلم ير الشيخ ... رأى تأودها |
| ٦١ | بل قال هات ... أن تجودها |
| ٦١ | وإعتاق ... سببة تزودها |
| ٦١ | فالعين مرهى ... تفك مرودها |
| ٦١ | فاسبر بنا ... لم يكن تعودها |
| ٦٠ | أعارني إبرة ... البلى وسودها |
| ٦٠ | فانخرمت في ... جذبت مقودها |
| ٥٧ | ولما تعامى الدهر ... ومقاصده |
| ٥٧ | تعاميت حي ... حذو والده |
| ٢٢ | فأمطرت لؤلؤا ... العُنب بالبرد |
| ٣٦٦ | خذاها إليك ... قبلي أحد |
| ٣٦٦ | غراء حاوية ... المعاني والزبد |
| ٣٦٦ | نفحتها تنقيح ... النصيحة واجتهد |
| ٣٦٦ | فاعمل بما ... أخى الرشد |
| ٣٦٦ | حتى يقول ... ذاك الأسد |
| ٣٥٩ | وأعني على ... من يد العدى |

| | |
|-----|------------------------------------|
| ٣٥٩ | فبذا شمخي ... عمن تمردا |
| ٣٥٩ | وبه تقبل ... ممن تزهدا |
| ٣٥٩ | وهو كفارة ... بعد ما اهتدى |
| ٣٥٩ | ولئن قمت ... مرشدا |
| ٣٥٩ | فاقبل النصيح ... لمن هدى |
| ٣٥٩ | واسمح الآن ... لتحمدا |
| ٣٥٨ | أوقد النار ... أخمدا |
| ٣٥٨ | ويراني ... مقصدا |
| ٣٥٨ | لم يشم ... يشتكى الصدا |
| ٣٥٨ | لا ولا رام ... فأصلدا |
| ٣٥٨ | طالما ساعد ... مستعدا |
| ٣٥٨ | فقضى الله ... كان عودا |
| ٣٥٨ | بوا الروم ... ضغن تولدا |
| ٣٥٨ | فاستباحوا ... موحددا |
| ٣٥٨ | وحسوا كل ... لي وما بدا |
| ٣٥٨ | فتطوحت في البلاد ... طريداً مشرداً |
| ٣٥٨ | أجندي الناس ... قبل مجندي |
| ٣٥٨ | وترى بي ... لها الردى |
| ٣٥٨ | والبلاد الذي ... أنسي تبدا |
| ٣٥٨ | استبأ ابنتي ... لتفتدى |
| ٣٥٨ | فاستبين محنتي ... نصرتي يدا |

| | |
|-----|-------------------------------|
| ٣٥٨ | وأجرني من ... جار واعتدى |
| ٣٥٧ | أيها الأروع ... مجداً وسودداً |
| ٣٥٧ | والذي يبتغى ... لينجوبه غداً |
| ٣٥٧ | إن عندي علاج ... منه مسهداً |
| ٣٥٧ | فأستمعها ... غادرتني ملدداً |
| ٣٥٧ | أنا من ساكني ... الدين والهدى |
| ٣٥٧ | كنت ذا ثروة ... مطاعاً مسوداً |
| ٣٥٧ | مربعي مالف ... لهم سدى |
| ٣٥٧ | أشترى الحمد ... العرض بالجددا |
| ٣٥٧ | لا أبالي ... البذل والندى |
| ٣٣٥ | زينت زينت ... نعهد يعهد |
| ٣٣٥ | جندها جيدها ... بحد يحد |
| ٣٣٥ | قدها قدزها ... بخدي خد |
| ٣٣٥ | فارقتني فأرقتني ... وجد وجد |
| ٣٣٥ | فدنت فديت ... يود يود |
| ٣٢٧ | يا قاضي ... الثمرة الجمرة |
| ٣٢٧ | إليك أشكو ... سوى مرة |
| ٣٢٧ | وليته لما ... رمى الجمرة |
| ٣٢٧ | كان على ... الحجة بالعمرة |
| ٣٢٧ | هذا على ... له أمره |
| ٣٢٧ | فمره إما ... فرقة مره |

| | |
|-----|---------------------------------|
| ٣٢٧ | من قبل ... أبى مره |
| ٣٢٢ | سروج ياناق ... وأسئدي |
| ٣٢٢ | حتى تطا ... حينئذ وتسعدي |
| ٣٢٢ | وتأمني أن ... جدي واجهدي |
| ٣٢٢ | وافري أديم ... عند المورد |
| ٣٢٣ | ولا تحطي ... حلفة المجتهد |
| ٣٢٣ | بحرمة البيت ... في بلدي |
| ٣٢٣ | حللت مني محل الولد |
| ٣٠٠ | وما شيء إذا ... غيه رشدا |
| ٣٠٠ | وإن هو راق ... حيث بدا |
| ٣٠٠ | زكي العرق ... ما ولدا |
| ٣٠٠ | وما محقورة ... إذا فكرت بد |
| ٣٠٠ | العار أسان ... لأخيه ضد |
| ٣٠٠ | تعذب إن ... ولا تعد |
| ٢٥٢ | يا من سما بذكاء ... واري الزناد |
| ٢٥٢ | ما ذا يائل ... أمد بزاد |
| ٢٦٤ | من ضامه ... في صعده |
| ٢٦٤ | سماحة أزرى ... من بعده |
| ١٩٧ | لا تبك إلفاً ... كيفما داراً |
| ١٩٧ | واتخذ الناس ... كلها داراً |
| ١٩٧ | واصبر على ... من دارى |

| | |
|-----|----------------------------------------|
| ١٩٧ | ولا تـ ضـ ... أم دراراً |
| ١٩٧ | واعلم بأن ... الـورى داراً |
| ١٩٧ | وأقسـمت ... وما داراً |
| ١٩٧ | فكيف ترجى ... كسرى ولا داراً |
| ١٨٩ | ويوم كظل ... واحطفاف المـزاهر |
| ١٩٠ | تظل مقاليت ... المرء مئزر |
| ١٧٠ | يا قوم لا ينبئكم ... أوان القـر |
| ١٧٠ | فاعتبروا بما بدا ... وخفي أمري |
| ١٧٠ | وحاذروا انقلاب ... نبيه القـدر |
| ١٧١ | أوي إلى وفـر ... وتبيد سمري |
| ١٧١ | وتشتكي كومي ... سيوف الغـدر |
| ١٧١ | وشن غارات ... يستحـثني ويـبـري |
| ١٧١ | وصرت نضو... عازي الملحا مجرداً من قشري |
| ١٧١ | كأنني المغزل ... في الصن والصنبر |
| ١٧١ | غير التضـحي ... رداء غـمر |
| ١٧١ | يسترني بمطرف ... الله لا لشكري |
| ١٥٤ | وأحوى حوى ... السهاد بغـدره |
| ١٥٤ | تصدى لقتلي ... قلب بأسره |
| ١٥٤ | أصدق منه ... خشية هجره |
| ١٥٤ | وأستعذب التعذيب ... حب بره |
| ١٥٤ | تناسى ذمامي ... حافظ سره |

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ١٥٤ | وأعجب ما فيه ... أفوه بكبره |
| ١٥٤ | له مني المدح ... من بعد نشره |
| ١٥٤ | ولو كان عدلاً ... رشف ثغره |
| ١٥٤ | ولولا تثنيه ... نور بدره |
| ١٥٤ | وإني على تصرف ... إنقيادي لأمره |
| ١٥١ | يا خاطب الدنيا ... وقرارة الأقدار |
| ١٥١ | دار متى ... بعداً لها من دار |
| ١٥١ | وإذا أظلم ... لجهامة الغرار |
| ١٥٢ | غاراً تعاماً ... بجلائل الأخطار |
| ١٥٢ | كم مزدهى ... متجاوز المقدار |
| ١٥٢ | قلبت له ... لأخذ الثأر |
| ١٥٢ | فأربأ بعمرى ... ما استظهار |
| ١٥٢ | واقطع علائق ... ورفاهة الأسرار |
| ١٥٢ | وارقب إذا ما ... وتوثب الغدار |
| ١٥٢ | واعلم بأن ... سرى الأقدار |
| ٩٦ | أحطاد قوماً ... وآخرين بشعر |
| ٩٦ | وأستفز ... وعقلاً بخمر |
| ٩٦ | وتارة أنا ... أخت صخر |
| ٩٦ | ولو سلكت ... طول عمري |
| ٩٦ | لخاب قدحي ... عسري وخسري |
| ٩٦ | فقل لمن ... فدونك عذري |

- ٩٥ يا ليت شعري ... علمًا بقدري
 ٩٥ وهل درى ... ليس يدري
 ٩٥ كم قد قمرت ... وبمكري
 ٩٥ وكم برزت ... وبنكر
 ٤٢ وحرمة الشيخ ... في أم القرى
 ٤٢ ما عندنا لطارق ... في الذرى
 ٤٢ وكيف يقري ... لما انبرى
 ٤٢ فما ترى فيما ... ذكرت ماترى
 ٣٩ قد دفع الليل ... شعثًا مغبرًا
 ٣٩ أخا سفار ... محقوقًا مصفرا
 ٣٩ مثل هلال ... فنادكم معترًا
 ٣٩ وأمكم دون ... منكم ومستقرًا
 ٣٩ فدونكم ضيفًا ... وما أمرا
 ٣٩ وينثني ... الببرا
 ٣٨ يا أهل ذا المغنى ... ما بقيتم ضرا
 ٣٧ يا من غدا لي ... دون البشر
 ٣٧ لا تحسبنه ... ملال أو أشر
 ٣٧ لكنني مذ ... إذا طعم انتشر
 ٢٣ وأقبلت يوم ... النادم الحصر
 ٢٣ فلاح ليل ... البلور بالدور
 ٢٣ سألتها حين زارت ... أطيّب الخبر

| | |
|-----|-------------------------------|
| ٢٣ | فزحزحت ... من خاتم عطرٍ |
| ٣٣٧ | بالصاد يكتب ... لتستمع الخبر |
| ٣٣٧ | وبصقت أبصق ... واقتص الأثر |
| ٣٣٧ | وبخصت مقلته ... الفريضة للفور |
| ٣٣٧ | وقصرت هنداً ... عيد منتظر |
| ٣٣٧ | وفرحته والخمر ... هذا مستطر |
| ٣٢٨ | اسمع عداك ... رابها غدره |
| ٣٢٨ | والله ما ... قضى نذره |
| ٣٢٨ | وإنما الدهر ... الدر والذره |
| ٣٢٨ | فمتزلي قصر ... الجزعة المشذره |
| ٣٢٨ | وكنت من ... بني عذره |
| ٣٢٨ | فمذنباً ... آخذ حذره |
| ٣٢٨ | وصلت عن ... أتقي بذره |
| ٣٢٨ | فلا تلم ... واحمل هذره |
| ٣١٤ | حبيت من ... ضوء النار |
| ٣١٤ | إلى رحيب ... بالطارق الممتار |
| ٣١٤ | ترحاب جعد ... عن الزوار |
| ٣١٤ | ولا بجمعتام ... ترب الأقطار |
| ٣١٤ | وضنت ... الزمان الضاري |
| ٣١٥ | جم الرماد ... ليل ولا نهار |
| ٣١٥ | من نحر وارٍ واقتداح واري |

| | |
|-----|--------------------------------------|
| ٢٦٣ | وانظر بعينك ... هفهفا الشجر |
| ٢٦٣ | فعد عما ... ماله ثمر |
| ٢٦٣ | وارحل ركابك ... يهمي به المطر |
| ٢٦٣ | واستنزل الري ... الظفر |
| ٢٦٣ | وإن رددت ... قبل والخضر |
| ٢٦٢ | لا تقعدن على ... النفس مصطبر |
| ٢٥٣ | أيام مستنبط ... وإضمامار |
| ٢٥٣ | ألا اكشف ... ألف دينار |
| ١٨٣ | قل لمستطلع ... كرامة وعزازه |
| ١٨٤ | أنا ما بين جوب ... مفازة فمفازه |
| ١٨٤ | زادي العييد ... الجراب والعكازة |
| ١٨٤ | فإذا ما هبطت ... والنديم جزازه |
| ١٨٤ | ليس لي ما أساء ... الزمان ابتزازه |
| ١٨٤ | غير أنني أبيت ... عن الأسي منحازه |
| ١٨٤ | أرقد الليل ... حزارة وجزازه |
| ١٨٤ | لا أبالي من أي ... حلاوة من مزازه |
| ١٨٤ | لا ولا أستجيز ... تسني إجازة |
| ١٨٤ | وإذا مطلب كسا ... يدوم نجازة |
| ١٨٥ | ومتى اهتز ... طباعه واهتزازه |
| ١٨٥ | فالمنايا ولا الدنيا ... ركوب الجنازة |
| ٢٨٤ | يا أهل تبريز ... تبريزا |

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ٢٨٤ | ما فيه من ... ضيـزي |
| ٢٨٤ | قصده والشيخ ... ما زال مهزوزاً |
| ٢٨٤ | فرح الشيخ ... وتميـزاً |
| ٢٨٤ | وردني أخيب ... شهر تموزا |
| ٢٨٤ | كأنه لم يدر ... الأراجيـزا |
| ٢٨٤ | وأنني إن ... في أهل تـبريزا |
| ٢٥٢ | يا من نتائج ... النقود الجائزه |
| ٢٥٢ | ما مثل قولك ... صادف جائزه |
| ٢٣٠ | لبست لكل زمان ... نعمى وبوسى |
| ٢٣٠ | وعاشرت كل ... لأروق الجليسا |
| ٢٣٠ | فعند الرواة ... أدير الكؤوسا |
| ٢٣٠ | وطوراً بوعظي ... أسر النفوسا |
| ٢٣٠ | وأقري المسامع ... الحروق الشموسا |
| ٢٣٠ | وإن شئت أرفع ... يحلى الطروسا |
| ٢٣٠ | وكم مشكلات ... بكشفي شموساً |
| ٢٣٠ | وكم ملح لي ... قلب رسيـساً |
| ٢٣٠ | وعذراء فهت ... طليقا حبيسا |
| ٢٣٠ | على أنني من ... فرعون موسى |
| ٢٣٠ | سـعر لي كل ... وطيسا وطيسا |
| ٢٣٠ | ويطرقني بالخطوب ... ويشبن الرؤوسا |
| ٢٣٠ | ويدني إلى البعيد ... القريب الأنيسا |

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ٢٣. | ولولا خساسة ... منه خسيّسا |
| ١٧٤ | جاء الشتاء وعندي ... عن حاجتنا حيسا |
| ١٧٤ | كن وكيس وكانون ... وكف ناعم وكسا |
| ١٧٢ | لعمرك ما الإنسان ... لا ابن أمسه |
| ١٧٢ | وما الفخر بالعظم ... الفخار بنفسه |
| ١٣. | حيارى يميّد بهم ... الخندريسا |
| ١٣. | أسالوا الغروب ... الرؤوسا |
| ١٣. | يودون لو ... والنفوسا |
| ١١٣ | أس أرملا ... المرء أسا |
| ١١٣ | أسنو أخا ... إخاء دنسا |
| ١١٣ | أسل جناب ... إن جلسا |
| ١١٣ | أسر إذا ... إذا رسا |
| ١١٣ | أسكن تقو ... وقت نكسا |
| ٣٥ | وكلت للخل ... الكيل أو بخسه |
| ٣٥ | ولم أخسره ... من أمسه |
| ٣٥ | ولكل من يطلب ... جني غرسه |
| ٣٥ | لا أبتغي ... المغبون في حسه |
| ٣٥ | ولست بالموجب ... الحق على نفسه |
| ٣٥ | ورب مذاق ... الود على لبسه |
| ٣٥ | وما درى من ... الدين من جنسه |
| ٣٥ | فأهجر من ... في رمسه |

| | |
|-----|---------------------------------|
| ٣٥ | والببس لمن ... عن أنسه |
| ٣٥ | ولا ترج الود ... إلى فلسه |
| ٣٣٧ | وفي قربي ... للعلم مقتبسًا |
| ٣٣٦ | نقس الدواة ... وإن درسا |
| ٣٣٦ | وهكذا السين ... واقتبس قبسا |
| ٣٣٦ | وفي تقست ... واتخذ جرسًا |
| ٣٠٢ | مالي مقرر ... لعنسي |
| ٣٠٢ | يوما بنجد ... أزجى الزمان وأمسي |
| ٣٠٢ | ولا أبيت ... لي بفلس |
| ٣٠٢ | ومن يعش ... مستخسي |
| ٣٠١ | سروج مطلع ... يهوي وأنسي |
| ٣٠١ | لكن حرمت ... ولذة نفسي |
| ٣٠١ | واعترضت ... يومي وأمسي |
| ٢٨٢ | أنا السروجي ... غير الشمس |
| ٢٨٢ | وما تنافى ... عن قسي |
| ٢٨٣ | ولا عدت ... ليال خمس |
| ٢٨٣ | نصج في ... ولا التحسي |
| ٢٨٣ | حتى كأننا ... من رمس |
| ٢٨٣ | فحين عز ... الأليم المس |
| ٢٨٣ | قمنا لسعد ... لاجتلاب فلس |
| ٢٨٣ | الفقر يلحي ... لباس اللبس |

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٢٨٣ | فهذه حالي ... وسل عن أمسي |
| ٢٨٣ | وأمر بحيري ... ونكسي |
| ١٤٩ | ولكم أخي ... عيب لفحشه |
| ١٤٩ | وإذا الفتى ... مراقبي عرشه |
| ١٤٩ | ما إن يضر ... حقارة عشه |
| ١٤٩ | وقف القضية ... رضاه وبطشه |
| ١٤٩ | وبين خلب ... ووبله من طشه |
| ١٤٩ | فهناك إن تر ... يزين فأفشه |
| ١٤٩ | ومن استحق ... فحطه في حشه |
| ١٤٩ | واعلم بأن ... أن يستثار بنشه |
| ١٤٩ | وفضيلة الدينار ... ملاحقه نقشه |
| ١٤٩ | ومن الغباوة ... ورونق رقصه |
| ١٤٩ | أو أن تهين ... ورثة فرشه |
| ١٤٨ | اسمع أخي ... منه بغشه |
| ١٤٨ | لا تعجلن ... لم تبله أو خدشه |
| ٨٠ | وإن لاح لك ... من الأصفر تهتش |
| ٨٠ | وإن مـر بك ... ولا غم |
| ٨٠ | تعاصي الناصح ... وتعتاص وتزور |
| ٨٠ | وتنقـاد لمن ... ومن نم |
| ٨٠ | وتسعى في ... على الفلس |
| ٨٠ | وتنسى ظلمة ... تذكر ما تم |

| | |
|-----|---------------------------------|
| ٨٠ | ولولا حظك ... بك اللخط |
| ٨٠ | ولا كنت ... الأحزان تغتم |
| ٨٠ | ستذري الدم ... لا جمع |
| ٣٦٠ | وأدر قناة المكر ... رحي المعيشة |
| ٣٦٠ | وصد النسور ... فاقنع بريشه |
| ٣٦٠ | اجن الثمار ... نفسك بالحشيشه |
| ٣٦٠ | وأرح فؤادك ... الفكر المطيشه |
| ٣٦٠ | فتغاير الأحداث ... كل عيشه |
| ٣٥٩ | عش بالخداع ... كأسد بيشه |
| ٢٩٣ | وأنجد الموتور ... فاستجش |
| ٢٩٣ | وانعش إذا ... به تنتعش |
| ٢٩٣ | وهناك كأس ... على من عطش |
| ٢٩٢ | لم يهـب ... إلا دهش |
| ٢٩٢ | ولا انتهـى ... بعرض خدش |
| ٢٩٢ | فـذاك إن ... لم يعش |
| ٢٩٢ | لا خير في ... عشـرٍ نبش |
| ٢٩٢ | وحبـذا من ... برـد رـقش |
| ٢٩٢ | فقل لمن ... أو تنتـقش |
| ٢٩٢ | فأخلص التوبة ... ما قد تفش |
| ٢٩٢ | وعاشـر الناس ... من لم يطش |
| ٢٩٢ | ورش جناح ... من لم يرش |

| | |
|-----|----------------------------------|
| ٢٩١ | يا ويح من ... العبا منكمش |
| ٢٩١ | يعشو إلى ... القوى يرتعش |
| ٢٩١ | ويمتطي اللهو ... المفترش |
| ١٩ | لبست الخميصة ... في كل شيصه |
| ١٩ | وصيرت وعظي ... بها والقنيصه |
| ١٩ | وأجأني الدهر ... على الليث عيصه |
| ١٩ | على أنني لم أهب ... لي منه فريصه |
| ١٩ | ولا شرعت بي ... نفس حريصه |
| ١٩ | ولو أنصف الدهر ... أهل النقيصه |
| ١٩٢ | أبا منذر ... أهون من بعض |
| ٩٤ | يا رازق النعاب ... الكسير المهيض |
| ٩٤ | أتح لنا اللهم ... نقي رحيض |
| ٩٤ | يطفئ نار الجوع ... خارز أو مخيض |
| ٩٤ | فهل فتى يكشف ... الطويل العريض |
| ٩٤ | فوالذي تعنو ... سود وبيض |
| ٩٤ | لولاهم لم تبد ... لنظم القريض |
| ٩٤ | كانوا إذا ما ... روضا أريض |
| ٩٤ | تشب للسايرين ... لحما غريض |
| ٩٤ | ما بات جار ... حال الجريض |
| ٩٤ | فغيضت منهم ... نخلها تغيض |
| ٩٤ | وأودعت منهم ... وأساءة المريض |

- ٩٤ فمحلي بعد ... اليفاع الحضيض
- ٩٤ وأفرخي ما ... كل يوم وميض
- ٩٤ إذا دعا القانت ... بدمع يفيض
- ٩٣ أشكو إلى الله ... المتعدى البغيض
- ٩٣ يا قوم إني ... عنهم غضيض
- ٩٣ فخارهم ليس ... بين الوري مستفيض
- ٢٥٣ يا من حدائق ... الأزهار غضه
- ٢٥٣ ما مثل قولك ... ما اختار فضه
- ١٥٥ سامح أخاك ... الإصابة بالغلط
- ١٥٥ وتجاف عن ... يوماً أو قط
- ١٥٥ واحفظ صنيعةك ... أم غمط
- ١٥٥ وأطعمه إن ... إذا شحط
- ١٥٥ واقن الوفاء ... وما شحط
- ١٥٥ واعلم بأنك ... رمت الشحط
- ١٥٥ من ذا الذي ... الحسنى فقط
- ١٥٦ أو ما ترى المحبوب ... في نمط
- ١٥٦ كالشوك يبدو ... الجنى الملتقط
- ١٥٦ ولذاذة العمر ... تغص الشمط
- ١٥٦ ولو انتقدت ... أكثرهم سقط
- ١٥٦ رضت البلاغة ... والشجاعة والخطط
- ١٥٦ فوجدت أحسن ... معاً فقط

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ٣٤٠ | والحظا والنظير ... والأيقاظ |
| ٣٤٠ | والنشطي والظلف ... والشظاظ |
| ٣٤٠ | والأظافير ... والإحفاظ |
| ٣٤٠ | والحظيرات ... والمغتاظ |
| ٣٤٠ | والوظيفات ... والألظاظ |
| ٣٤٠ | ووظيف ... والقظ والإغلاظ |
| ٣٤٠ | ونظيف والظرف ... والوعاظ |
| ٣٤٠ | وعكاظ والظعن ... والأوشاظ |
| ٣٤١ | وظراب الظران ... والجمعظري الجواظ |
| ٣٤١ | والظرايين والحناطب ... الظبان الأرعاظ |
| ٣٤١ | والشناظر والدلظ بالعنطوان والجنعاظ |
| ٣٤١ | والشناظير والتعاظل ... بعدد الإنعاظ |
| ٣٤١ | هي هذى ... آثارك الحفاظ |
| ٣٤١ | واقض في ... كقيظ وقاظوا |
| ٣٣٩ | أيها السائلي ... تضله الألفاظ |
| ٣٣٩ | إن حفظ ... له استيقاظ |
| ٣٣٩ | هي ظمياء ... الظبي واللحاظ |
| ٣٣٩ | والعظا والظلميم ... والظى والشواظ |
| ٣٣٩ | والتظني واللفظ ... والظما واللماظ |
| ٢٤٠ | لحاك الله هل ... الكرش الجياع |
| ٢٤٠ | وهل في شرعه ... خطة لا تستطاع |

| | |
|-----|------------------------------------|
| ٢٤٠ | وأن أبلى بروح ... يبلى لا يراع |
| ٢٤٠ | أما جربتني ... يمازجها خداع |
| ٢٤٠ | وكم أرصدتني ... حبائلي السباع |
| ٢٤٠ | ونطت بي ... وكان بها امتناع |
| ٢٤٠ | وأى كرهية ... لي فيه باع |
| ٢٤٠ | وما أبدت لي ... مصارمتي القناع |
| ٢٤٠ | ولم تعثر بحمد ... بكتم أو يذاع |
| ٢٤٠ | فإني ساع ... براتيها الضاع |
| ٢٤٠ | ولم سمعت ... يشرى المتاع |
| ٢٤١ | وهلا حنت ... بنا الوداع |
| ٢٤١ | وقلت لمن يساوم ... يُعار ولا يُباع |
| ٢٤١ | فما أنا دون ... تلك الطباع |
| ٢٤١ | على أني سأشدد ... وأي فتى أضاعوا |
| ٢٣٨ | من يشري مني ... وخلقه قد برعا |
| ٢٣٨ | بكل ما نطت ... وإن قلت وعى |
| ٢٣٨ | وإن تصاحبه ... بظلف قنعا |
| ٢٣٨ | وهو على الكيس ... كاذبا لا ادعى |
| ٢٣٨ | ولا أجاب مطمعا ... سر أو دعا |
| ٢٣٨ | وطالما أبدع ... وفي النظم معا |
| ٢٣٨ | والله لولا فنك ... عراة جوعا |
| ٢٣٨ | ما بعته بملك كسرى أجمعا |

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ١٩١ | فبت كأني ... السم نافع |
| ٣٣١ | ولا تتغضب ... اللسان بمبتدع |
| ٣٣١ | وإن تك قد ... قد خدع |
| ٣٣٠ | رويدك لا ... والحمد منصدع |
| ٢٨٦ | أطوف ما ... قعيده لكاع |
| ٢٥٤ | يا من غدا في فضله ... وذكائه كالأصمعي |
| ٢٥٤ | ما مثل قولك ... أنفق تقمع |
| ٢٥٤ | يا من يشار إليه ... وفي البراعة |
| ٢٥٤ | أوضح لنا ما مثل ... دس جماعة |
| ٣٧٦ | ويا خسا ... تعتدي وطغى |
| ٣٧٦ | وشب نيران ... أو مطمع |
| ٣٧٦ | يا من عليه ... بي من وجل |
| ٣٧٦ | لما اجترحت ... عمري المضيع |
| ٣٧٦ | فاغفر لعبد ... المنسجم |
| ٣٧٦ | فأنت أولى ... مدعو دعي |
| ٣٧٥ | بعد الفضاء ... ثلاث أذرع |
| ٣٧٥ | لا فرق ... داهية أو أبله |
| ٣٧٥ | أو معسر ... كملك تبع |
| ٣٧٥ | وبعد العرض ... الحي والبذي |
| ٣٧٥ | والمبتدي ... ومن رُعي |
| ٣٧٥ | فيامفاز ... قد وقى |

| | |
|-----|-------------------------------|
| ٣٧٥ | سوء الحساب ... يوم الفزع |
| ٣٧٥ | ومن يلح وخط ... فقد نعى |
| ٣٧٥ | ويحك يا نفس ... ارتياد المخلص |
| ٣٧٥ | وطاوعى ... النصيح وعى |
| ٣٧٥ | واعتبيري ... القرون وانقضى |
| ٣٧٥ | واخشي ... وحاذري أن تخدعي |
| ٣٧٥ | وانتهجى ... وشك الردى |
| ٣٧٥ | وأن مثواك ... لحد بلقع |
| ٣٧٥ | آهاله ... القفر الخالا |
| ٣٧٥ | ومورد السفر ... المتبع |
| ٣٧٥ | بيت يرى ... واستودعه |
| ٣٧٤ | فالبس شعار ... شآبيب الدم |
| ٣٧٤ | قبل زوال ... سوء المصراع |
| ٣٧٤ | واخضع ... ملاذ المقترف |
| ٣٧٤ | واعص هواك ... انحراف المقلع |
| ٣٧٤ | إلام تهوى ... العمرفنى |
| ٣٧٤ | في ما يضر ... بالمرتدع |
| ٣٧٤ | أما ترى ... الرأس خطط |
| ٣٧٤ | لشهوة ... مرقد ومضجع |
| ٣٧٤ | وكم خطى ... أحدثتها |
| ٣٧٤ | وتوبة ... وممرتع |

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٣٧٤ | وكم تجرات ... السموات العلى |
| ٣٧٤ | ولم تراقبه ... ما تدعي |
| ٣٧٤ | وكم غمضت ... أمنت مكره |
| ٣٧٤ | وكم نبذت ... الخداع المرقع |
| ٣٧٤ | وكم ركضت ... عمدا بالكذب |
| ٣٧٤ | ولم تزاع ... عهده المتبع |
| ٣٧٣ | خل ادكار ... المعهد المرتبع |
| ٣٧٣ | والظاعن المودع ... عنه ودع |
| ٣٧٣ | واندب زمانا ... فيه الصحفا |
| ٣٧٣ | ولم تزل ... القبيح الشنع |
| ٣٧٣ | كم ليلة ... مآثما أبدعتها |
| ٣٤٢ | تغيرت حمص ... أهل الرقاعه |
| ٣٤٢ | فما يصطفي ... إلا بقاءه |
| ٣٤٢ | ولا لأخي ... ربيط بقاءه |
| ٢٤١ | خفض فدتك ... الوجد والإشفاق |
| ٢٤١ | فما تطول مدة ... ركائب التلاقي |
| ٢٤١ | بحسن عون القادر الخلاق |
| ٢٣٩ | يا من تلهب ... هكذا من ينصف |
| ٢٣٩ | إن كان لا ... يوسف أنا يوسف |
| ٢٣٩ | ولقد كشفت ... وما أخالك تعرف |
| ٢٠٥ | يا صارفا ... له صروف |

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٢٠٥ | ومعنفي في ... تعنيف العسوف |
| ٢٠٥ | لا تلحني فيما ... بهم عروف |
| ٢٠٥ | ولقد نزلت ... يراعون الضيوف |
| ٢٠٥ | وبلوتهم ... سبكتهم زيوف |
| ٢٠٦ | ما فيهم إلا ... أو مخوف |
| ٢٠٦ | لا بالصفى ... ولا العطوف |
| ٢٠٦ | فوثبت فيهم ... على الخروف |
| ٢٠٦ | وتركتهم صرعى ... كأس الحتوف |
| ٢٠٦ | وتحكمت في ... رغم الأنوف |
| ٢٠٦ | ثم انثنيت ... والقطوف |
| ٢٠٦ | ولطالما خلفت ... خلفي يطوف |
| ٢٠٦ | ووترت أرباب ... والسجوف |
| ٢٠٦ | ووقفت في ... من الوقوف |
| ٢٠٦ | ولكم سفكت ... حمى أنوف |
| ٢٠٦ | وكم ارتكاض ... وكم خفوف |
| ٢٠٦ | لكنني أعددت ... بالمولى الرؤوف |
| ١٧٨ | سيد قلب سبوق ... عزوف عيوف |
| ١٧٨ | مخلف متلف ... ذكي أنوف |
| ١٧٨ | ملفق إن أبان ... خطب مخوف |
| ١٢٥ | فلا تعزلوني ... اقتطاف القطائف |
| ١٢٥ | فقد بان ... تليدي وطارفي |

| | |
|-----|------------------------------|
| ١٢٥ | على أن ما ... لدي كل عارف |
| ٣٣٩ | ولا تحسب ... ذاك يختلف |
| ٣٣٨ | إذا الفعل ... الخطاب ولا تقف |
| ٣٣٨ | فإن تر قبل ... يكتب بالألف |
| ٣٣٥ | ولا تخن ... ما تزيّف |
| ٣٣٤ | إسمع فبث ... آملاً تضيف |
| ٣٣٤ | ولا تجز رد ... السؤال خفف |
| ٣٣٤ | ولا تظن الدهور ... ولو تقشف |
| ٣٣٤ | واحلم فجفن ... العطاء نضف |
| ٢٩٩ | وجاف وهو ... ليس بالجافي |
| ٢٩٩ | غريف بارز ... راسب طاف |
| ٢٩٩ | يسح دموع ... هضم متلاف |
| ٢٩٩ | وتخشى منه ... قلبه صاف |
| ٢٥٣ | يا من تقصر ... وتضعف |
| ٢٥٣ | ما مثل قولك ... اكفف اكفف |
| ١٦٠ | إلام سعاد ... مما ألقى |
| ١٦٠ | صبرت عليك ... الروح التراقي |
| ١٦٠ | وها أنا قد ... خلى ما يساقي |
| ١٦٠ | فإن وصلا ... فصرم كالطلاق |
| ٢٩ | قال له قول ... لي ففارق |
| ٢٨ | تباله من ... وجهين كالمنافق |

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٢٨ | يبدو بوصفين ... ولو عاشق |
| ٢٨ | وحبه عند ذوي ... سخط الخالق |
| ٢٨ | لولا له لم تقطع ... من فاسق |
| ٢٨ | ولا اشمأز ... مطل العائق |
| ٢٨ | ولا استعيذ ... من الخلائق |
| ٢٨ | أن ليس يُعنى ... فرار الآبق |
| ٢٨ | واها لمن ... نجوى الوامق |
| ٢٥٥ | يا من تحلى بفهم ... الناس سوقه |
| ٢٥٥ | لك البيان ... أحب فروقه |
| ٢٥٤ | يا من إذا أشكل ... أفكاره الدقيقة |
| ٢٥٤ | إن قال يوما ... مثله حقيقة |
| ٢٥٥ | يا من حوى حسن ... بغير شك |
| ٢٥٥ | ما مثل قولك ... الثور ملكي |
| ٢٥٥ | يا من تنزه فهمه ... يروي أو يشكا |
| ٢٥٥ | ما مثل قولك ... غط هلكي |
| ٢٥٤ | يا من له النكت ... بها وينكت |
| ٢٥٤ | أنت المبين ... خالي اسكت |
| ٢٣٤ | لعمرك ما كل ... اللذيذ على أصله |
| ٢٣٤ | فكل ما حلا ... الشهد عن نجله |
| ٢٣٤ | ومنير إذا ما ... عصرك من خله |
| ٢٣٤ | لشغلي وترخص ... شرى مثله |

| | |
|-----|------------------------------------|
| ٢٣٤ | فعار على الفطن ... الغميمة في عقله |
| ٢٢٩ | أنا في العالم ... العلم قبله |
| ٢٢٩ | غير أني كل ... تعريس ورحله |
| ٢٢٩ | والغريب الدار ... لم تطلب له |
| ١١٥ | إذا ما حويت ... إلى قابل |
| ١١٥ | وإما سقطت ... السنبل الحاصل |
| ١١٥ | ولا تليثن ... كفة الحابل |
| ١١٥ | ولا توغلن ... في الساحل |
| ١١٥ | وخاطب بهات ... منك بالعاجل |
| ١١٥ | ولا تكثرن ... سوى الواصل |
| ١١٣ | لله در ... مقاولاً |
| ١١٣ | فاقوا ... وفواضلاً |
| ١١٣ | ما ورتهم ... لديهم يا قلا |
| ١١٣ | وحللت فيهم ... جوداً سائلاً |
| ١١٣ | أقسمت لو ... لكانوا وابلاً |
| ٥٤ | فمحرابي ... أسمى لي |
| ٥٤ | فهل حر ... أثقالي بمثقال |
| ٥٤ | ويطفي حر ... وسروال |
| ٥٤ | لقد أصبحت ... بأوجاع وأوجال |
| ٥٤ | ومضوا بمختال ... ومغتال |
| ٥٤ | وفوان من ... لي لإقلالي |

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٥٤ | وإعمال من ... تضليع أعماله |
| ٥٤ | فكم أصلي ... وإمحال وترحال |
| ٥٤ | وكم أخطر ... في بال |
| ٥٤ | فليت الدهر ... أطفالي |
| ٥٤ | لما جهزت ... ولا والي |
| ٥٤ | ولا جررت ... مسحب إذلالي |
| ٤٢ | جوي الحشي ... طعم مأكلا |
| ٤٢ | ولا له في أرضكم ... الظلام المسبل |
| ٤٢ | وهو من الحيرة ... عذب المنهل |
| ٤٢ | يقول لي: ألق ... وقرى معجل |
| ٤١ | حييتم يا أهل ... عيش خضل |
| ٤١ | ما عندكم لابن ... خابط ليل أيل |
| ٢١ | فما راقني من ... ساقني لوصاله |
| ٢١ | ولا لاح لي ... حاز مثل خلاله |
| ٣٥٠ | كيف رأيت ... وبين سخلي |
| ٣٥٠ | حتى انثنيت ... بعد المحل |
| ٣٥٠ | بالله يا ... قط مثلي |
| ٣٥٠ | يفتح بالرقية ... كل عقل |
| ٣٥٠ | ويعجن الجد ... الأسكندري قبلي |
| ٣٥٠ | فالطل قد ... لا للطل |
| ٣٣٠ | دونك نصحي ... التفصيل بالجملة |

| | |
|-----|----------------------------------|
| ٣٣٠ | طيري منن ... بتته بتله |
| ٣٣٠ | وما ذرى العود ... ناطورها الأبله |
| ٣٣٠ | فخير ما ... له عمله |
| ٣٢٤ | النار فاكهة ... شاتيا فليصطل |
| ٣٢٤ | إن الفواكه ... أحضل مأكلا |
| ٣٠١ | وذي طيشة ... بهما عاقل |
| ٣٠١ | يرى أبداً ... الملك العادل |
| ٣٠١ | تساوى لديه ... الحق والباطل |
| ٣٠١ | وأعجب ... الكيس الفاضل |
| ٣٠١ | تراضى ... أنه مائل |
| ٢٩٨ | وما ناكح ... النكاح سبيل |
| ٢٩٨ | متى يغش ... تجده يميل |
| ٢٩٨ | يزيدهما ... البعول قليل |
| ٢٧٠ | من يكن نال ... لطيب الأصول |
| ٢٧٠ | فبفضلي ... لا بقبولي |
| ٢٥٣ | يا أيهذا ... الذكاء المنجلي |
| ٢٥٣ | ما مثل ... هديت وعجل |
| ٢٥٥ | يا أخوا الفطنة ... فيها كماله |
| ٢٥٥ | سار بالليل ... شيء مثاله |
| ٢١٩ | ليس من زار ... على القدم |
| ٢١٩ | لا ولا خادم ... كعاصي من الخدم |

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ٢١٩ | كيف يا قوم ... ومن هدم |
| ٢١٩ | سيقيم المفرطون ... مآثم الندم |
| ٢١٩ | ويقول الذي ... عن خدم |
| ٢١٩ | ويك يا نفس ... عند ذي القدم |
| ٢١٩ | وازدري زخرف ... فوجد أنه عدم |
| ٢١٩ | واذكري مصرع ... خطبه صدم |
| ٢١٩ | واندبي فعلك ... وسُحِّي له بدم |
| ٢١٩ | وادبغيه بتوبة ... يحلم الأدم |
| ٢١٩ | فعسى الله ... الذي احتدم |
| ٢١٩ | يوم لا عثرة ... لا ينفع السدم |
| ٢١٤ | وقلت للائمي ... على المقام |
| ٢١٤ | وأنفق ما جمعت ... بالحطيم عن الحطام |
| ١٨٧ | يا أخي الحامل ... إخواني وقومي |
| ١٨٧ | إن يكن ساءك ... شرك يومي |
| ١٨٧ | فاغفر ذاك ... شكري ولومي |
| ١٢٦ | ونديم محضته ... صديقا حميماً |
| ١٢٦ | ثم أوليته ... صديداً حميماً |
| ١٢٦ | خلته قبل أن ... جلفاً ذميماً |
| ١٢٦ | وتخيرته ... جناه كليماً |
| ١٢٦ | وتظنيته ... لعينا رجيماً |
| ١٢٦ | وتراءيته ... مريداً لئيماً |

| | |
|-----|------------------------------|
| ١٢٦ | وتوسمت أن ... إلا سموماً |
| ١٢٦ | بت من لسعه ... مني سليماً |
| ١٢٧ | وبدا نهجه ... مني سقيماً |
| ١٢٧ | لم يكن رائعاً ... لي خصيماً |
| ١٢٧ | قلت لما ... يكن لي نديماً |
| ١٢٧ | بغض الصبح ... يُلغى غمماً |
| ١٢٧ | ودعاني إلى ... رقيباً كتوماً |
| ١٢٧ | وكفى من ... أتاه ولوماً |
| ٩٠ | أنا أطروفة ... أعجوبة الأمم |
| ٩٠ | وأنا الحول ... العرب والعجم |
| ٩٠ | غير أنني ... الدهر فاهتضم |
| ٩٠ | وأبو صبية ... لحم على وضم |
| ٩٠ | وأخو العيلة ... احتال لم يلم |
| ٨٣ | تبصر ودع ... هل ترى اليوم |
| ٨٣ | فتى لا يقمر ... ما دسته تم |
| ٨٢ | وهيئ مركب ... لجة اليم |
| ٨٢ | بذا أوصيت ... كمن باح |
| ٨٢ | فطوبى لفتى ... بأدابي يأتهم |
| ٨٢ | وزم اللفظ ... من زم |
| ٨٢ | ونفس عن ... إذا نث |
| ٨٢ | ورم العمل ... من زم |

| | |
|----|-------------------------------|
| ٨٢ | ورش من ... وما خص |
| ٨٢ | ولا تأس على ... على اللم |
| ٨٢ | وعاد الخلق ... كفك البذل |
| ٨٢ | ولا تستمع ... عن الضم |
| ٨٢ | وزود نفسك ... يعقب الضير |
| ٨١ | فبادر أيها ... يحلوه المر |
| ٨١ | فقد كاد يهي ... عن ذم |
| ٨١ | ولا تركزن إلى ... وإن سر |
| ٨١ | فتلقى كمن ... تنفث السم |
| ٨١ | وخفض من ... الموت لا قيك |
| ٨١ | وسار في ... إن هم |
| ٨١ | وجانب صعر ... ساعدك الجد |
| ٨١ | يقي في عرصة ... خال ولا عم |
| ٨١ | كأني بك ... اللحد وتنغظ |
| ٨١ | وقد أسلمك ... من سم |
| ٨١ | هناك الجسم ... ليستأكله الدود |
| ٨١ | إلى أن ينخر ... العظم قد رم |
| ٨١ | ومن بعد ... إذا اعتد |
| ٨١ | صراط جسرة ... لمن أم |
| ٨١ | فكم من ... عزة ذل |
| ٨٠ | أما نادى بك ... أسمعك الصوت |

- ٨٠ أما تخشى ... فتحتاط وتهتم
- ٨٠ فكم تسدر ... من الزهو
- ٨٠ وتنصب إلى ... الموت ماعم
- ٨٠ وحتام تجافيك ... وإبطاء تلافيك
- ٨٠ طباعا جمعت ... شملها انضم
- ٨٠ إذا أسخطت ... من ذاك
- ٨٠ وإن أخفق ... من الهم
- ٧٩ أيا من يدعي ... أخا الوهم
- ٧٩ تعبي الذنب ... الخطأ الجم
- ٧٩ أما بان لك ... أنذرك الشيب
- ٧٩ وما في نصحه ... قد صم
- ٥١ تقتاده بره ... العزيمة والهزيمة
- ٥١ ويرى السباع ... الضباع المستضيمه
- ٥١ والذئب للأيام ... لم تنسب شيمه
- ٥١ ولو استقامت ... فيها مستقيمه
- ٥١ غسان أسرتي ... تربتي القديمه
- ٥١ فالبيت مثل ... ومنزلة جسيمه
- ٥١ والرابع كالفردوس ... ومنزهة وقيمه
- ٥١ وها لعيش ... ولذات عميمه
- ٥١ أيام اسحب ... ماضي العزيمه
- ٥١ أختال في برد ... النعم الوسيمه

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٥١ | فلو أن كربا ... من كربى المقيمه |
| ٥١ | فالموت خير ... عيش البهيمه |
| ٣٤٦ | أقسم بالبيت ... الزمر المحرمه |
| ٣٤٦ | لو أن ... المشراط والمحجمه |
| ٣٤٦ | ولا ارتضت ... بهذي السمه |
| ٣٤٦ | ولا اشتكى ... مني حمه |
| ٣٤٦ | لكن صروف ... الليله المظلمه |
| ٣٤٦ | واضطرني الفقر ... اللظى المعزمه |
| ٣٤٦ | فهل فتي ... مـرحمه |
| ٣٣٦ | سم سمة ... ولو سمسمة |
| ٣٣٦ | والكر مهما ... السؤدد والمكرمه |
| ٣٢٦ | إن بني ... الرجال يكلم |
| ٣٢٦ | شنشنة أعرف ... من أقزم |
| ٣٠٧ | جزيت عن ... شكراً يلتزم |
| ٣٠٧ | شر الأثام ... يرع الحرم |
| ٣٠٧ | فذان والكلب ... سواء في القيم |
| ٣٠٧ | أقسم بالبيت ... في الحرم |
| ٣٠٧ | إنك نعم من ... الأعاريب حكم |
| ٣٠٧ | فاسلم ودوم ... دوم النعام والنعيم |
| ٣٠٠ | إذا قصر ... وصلها غنم |
| ٣٠٠ | لها ملبس ... يزدري الحكم |

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ٢٩٩ | ومسرورة ... ما السرور ولا الغم |
| ٢٩٩ | تقرب أحياناً ... طلقت الأم |
| ٢٩٩ | وتبعد أحياناً ... عهده ظلم |
| ٢٩٨ | ومأموم به ... بصحبته الكرام |
| ٢٩٨ | له إذا يرتوي ... يعروه الأوام |
| ٢٩٨ | ويزري له ... يروق الابتسام |
| ٢٧٠ | لا تسأل المرء ... أو فاصرم |
| ٢٧٠ | فما يشين ... ابنة الحصرم |
| ٢٥٥ | يا من إذا ما عويص ... أنار ظلامه |
| ٢٥٥ | ما ذا يماثل ... ريح مدامه |
| ٢٤٩ | قتل مثلي يا صاح ... بلهزم أو حسام |
| ٢٤٩ | والتي عنت ... من بنات الكرام |
| ٢٤٩ | ولتجهيزها إلى ... ترى ومقامي |
| ٢٤٩ | فتفهم ما قلته ... إن شئت أو في الملام |
| ١٤ | فلو قبل مبكاها ... قبل التندم |
| ١٤ | ولكن بكت قبلي ... الفضل للمتقدم |
| ٢٤٤ | يا من بدا ... موحش وتجهم |
| ٢٤٤ | وغدا يريش ... دونهن الأسهم |
| ٢٤٤ | ويقول هل ... يباع الأدهم |
| ٢٤٤ | أقصر فما ... مثلما تتوهم |
| ٢٤٤ | قد باعت ... يوسفاً وهم وهم |

| | |
|-----|----------------------------------|
| ٢٤٤ | هذا وأقم ... إليها المتهم |
| ٢٤٤ | والطائفين بها ... النواصي سهم |
| ٢٤٤ | ما قمت ذاك ... وعندي درهم |
| ٢٤٤ | فاعذر أخاك ... من لا يفهم |
| ٢٣٣ | أشكو إلى الرحمن ... الدهر عدوانه |
| ٢٣٣ | وحادثات قرعت ... مجدي وبنيانه |
| ٢٣٣ | واهتصرت عودي ... الأحداث أغصانه |
| ٢٣٣ | وأمحلت ربعي ... المحل جرزانه |
| ٢٣٣ | وغادرتني حائرا ... الفقر وأشجانه |
| ٢٣٣ | من بعد ما كنت ... النعمة أردانه |
| ٢٣٣ | يختبئ العافون ... السارون نيرانه |
| ٢٣٣ | فأصبح اليوم ... الذي عانه |
| ٢٣٣ | وازور من ... العرف عرفانه |
| ٢٣٣ | فهل فتى ... دهره خانه |
| ٢٣٤ | فيفرج الهم ... الشأن الذي شأنه |
| ١٤١ | لعمرك ما ... ولا الغني |
| ١٤١ | إذا سكن ... وثوى به |
| ١٣١ | عافاني الله ... كادت تعفيني |
| ١٣١ | ومن بالبرء ... سيبريني |
| ١٣١ | ما يتناساني ... الأكل ينسيني |
| ١٣١ | إن حم لم يغن ... منه يحميني |

| | |
|-----|----------------------------------|
| ١٣١ | وما أبالي ... إلى حين |
| ٧٧ | واغضض الطرف ... ذل المشين |
| ٧٧ | فبلاء الفتى ... طموح العين |
| ١٣١ | فأي فخر ... ثم تبليني |
| ٧٦ | فاعص من بعدها ... ليس بهين |
| ٧٦ | لا ولا كل طائر ... محدقا باللجين |
| ٧٦ | ولكم من سعى ... غير خفي حنين |
| ٧٦ | فنبصر ولا تشم ... صواعق حين |
| ٧٦ | قل لوالٍ غادرته ... يعرض اليدين |
| ٧٦ | سلب الشيخ ... لظى حسرتين |
| ٧٦ | جاد بالعين ... بلا عينين |
| ٧٦ | خفض الحزن ... من بعد عين |
| ٧٦ | ولئن جل ... رزء الحسنيين |
| ٧٦ | فقد اعتضت ... يبغي زين |
| ٦١ | أقسمت بالمشعر ... خيف منى |
| ٦١ | لو ساعفتني ... الذي رهنا |
| ٦١ | ولا تصديت ... ولا ثمنا |
| ٦١ | لكن قوس ... من ههنا وههنا |
| ٦١ | وخبير حالي ... وغربة وضني |
| ٦١ | قد عدل الدهر ... الشقاء وهو أنا |
| ٦١ | لا هو يسطيع ... يدي مرتهنا |

| | |
|-----|-------------------------------|
| ٦١ | ولا مجالي ... للعفو حين جنى |
| ٦١ | فهذه قصتي ... وبيننا ولنا |
| ١٥٥ | لم يبق صاف ... ولا مُعين |
| ١٥٥ | وفي المساوي ... ولا ثمين |
| ٣٥٤ | بهما ما ... في المعاني |
| ٣٥٤ | فمشغوف ... برنات المثاني |
| ٣٥٤ | ومضطلع ... تلخيص عان |
| ٣٥٤ | وكم من ... وبالجان |
| ٣٥٤ | وكم من معلم ... حلو المجاني |
| ٣٥٤ | ومغني لا ... الغواني والأغاني |
| ٣٥٤ | فصل إن شئت ... من الدنان |
| ٣٥٤ | ودونك ... منطلق العنان |
| ٣٤٨ | أحمد بحلمك ... جنى جان |
| ٣٤٨ | فالحلم أفضل ... جنى جان |
| ٣٣٤ | فتنتني ... غب تجني |
| ٣٣٤ | شغفتني ... تغيض جفني |
| ٣٣٤ | عشيتني ... بين ثني |
| ٣٣٤ | فتظنيت ... فخيب ظني |
| ٣٣٤ | تثبتت في ... تشفي ضغن |
| ٣٣٤ | فترت في ... بفن ففن |
| ٢٧٧ | لا تصبون ... وتمتهن |


| | |
|-----|------------------------------------|
| ٢٧٧ | وارحل عن ... على الفتنة |
| ٢٧٧ | واهرب إلى ... حضناً حضن |
| ٢٧٧ | واربأ بنفسك ... يغشاك الدرنة |
| ٢٧٧ | ودع التذكرة ... إلى السكن |
| ٢٧٧ | واعلم بأن ... يلقي الغبن |
| ٢٧٧ | كالدر في ... ويبخس في الثمن |
| ٢٧٦ | فمتى ما برزت ... منزل الأذى |
| ٢٧٦ | والهون وتراءى ... بدمع هتون |
| ٢٧٦ | فاستدم عيشك ... بالمظنون |
| ٢٧٦ | واحترس من ... العذاب المهين |
| ٢٧٦ | ولعمرك لقد ... مشبه بظنين |
| ٢٧٥ | أيهذا الجنين ... شروط الدين |
| ٢٧٥ | أنت مستعصم ... السكون مكين |
| ٢٧٥ | ما ترى فيه ... ولا عدو مبين |
| ٢٥٤ | يا من بدا بيانه ... عن فضله مبينا |
| ٢٥٤ | ماذا مثال قولهم ... وحش زينا |
| ٢٥٢ | يا ذا الذي فاق ... يدنسه شين |
| ٢٥٢ | ما مثل قول ... أصابته عين |
| ١٧٣ | لله ما ألبسني ... من الرعدة لي جنة |
| ١٧٣ | ألبسنيها واقيا ... شرا لإنس والجنة |
| ١٧٣ | سيكتسي اليوم ... سندس الجنة |

| | |
|-----|---------------------------------|
| ١٠٩ | لا تزر من تحب ... ولا تزده عليه |
| ١٠٩ | فاجتلاء الهلال ... العيون إليه |
| ١٠٨ | وتخلي الأخ ... أن تبكيه |
| ١٠٨ | هاك مني ... وكل فقيه |
| ١٠٧ | قل لمن يلغز ... الذي تخفيه |
| ١٠٧ | إن ذا الميت ... ابن أبيه |
| ١٠٧ | رجل زوج ... ولا غرو فيه |
| ١٠٧ | ثم مات ... يسر ذويه |
| ١٠٧ | فهو ابن ... بلا تمويه |
| ١٠٧ | وابن الابن ... من أخيه |
| ١٠٧ | فلذا حين ... تستوفيه |
| ١٠٧ | وحوى ابن ... أمها باقيه |
| ١٠٥ | أيها العالم ... فما له شبيه |
| ١٠٥ | أفتنا في ... وحرار كل فقيه |
| ١٠٥ | رجل مات ... من أمه وأبيه |
| ١٠٥ | وله زوجة ... بلا تمويه |
| ١٠٥ | فحوت ... دون أخيه |
| ١٠٥ | فاشفنا ... يوجد فيه |
| ١٠١ | سروج داري ... السبيل إليها |
| ١٠١ | وقد أناخ ... وأحنوا عليها |
| ١٠١ | فوالتي سرت ... الذنوب لديها |

| | |
|-----|------------------------------|
| ١٠١ | ما راق طرفي ... عن طرفيها |
| ١٠٠ | أريد منكم ... وعصيده |
| ١٠٠ | فإن غلا ... الشهيد |
| ١٠٠ | أو لم يكن ... من ثريده |
| ١٠٠ | فإن تعذرن ... ونهيدته |
| ١٠٠ | فأحضروا ... من قديده |
| ١٠٠ | وروجوه ... مريده |
| ١٠٠ | والزاد لا بد ... لي بعيدة |
| ١٠٠ | وأنتم خير ... عند الشديده |
| ١٠٠ | أيديكم كل ... أياد جديده |
| ١٠٠ | وراحكم ... الصلاة المفيدة |
| ١٠٠ | وبغيتي ... زهيدته |
| ١٠٠ | وفي أجر ... كربني حميده |
| ١٠٨ | ولي نتائج ... كل قصيده |
| ٢٩٨ | يعانقها وقد ... برهة عنها |
| ٢٩٨ | به يتوصل ... ولا ينهي |
| ٢٩٨ | ومنتسب إلى ... أصله منها |
| ٢٩٧ | وجارية في ... المسير قفولها |
| ٢٩٧ | لها سائق ... الاحتثاث رسيلها |
| ٢٩٧ | ترى في ... المصيف قحولها |
| ٢٥٥ | يا من تبوأ ... فاقت كل ذروة |

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ٢٥٥ | ما مثل قولك ... بغير عروه |
| ٢٦٣ | يا أيها القاضي ... من رضوى |
| ٢٦٤ | قد ادعى هذا ... أخو جدوى |
| ٢٦٤ | وما درى ... كالمن والسلوى |
| ٢٦٤ | فجد بهم ... كذب الدعوى |
| ٢٦٤ | وأثنى ... ومن عدوى |
| ٧١ | كدت أصلي ... وقاح شمريه |
| ٧١ | وأزور السجن ... حاكم الإسكندرية |
| ٢٦٢ | إرض بأدنى ... كثير لديه |
| ٢٦٢ | وجانب الحرص ... المترافي إليه |
| ٢٦٢ | وحام عن عرضك ... عن لبدتيه |
| ٢٦٢ | واصبر على ما ... واغمض عليه |
| ٢٦٢ | ولا ترق ماء ... ما في يديه |
| ٢٦٢ | فالحر من ... عن ناظريه |
| ٢٦٢ | ومن إذا ... ديباجتيه |
| ٢٤٨ | ولم تزل نفسي ... الأبقار مستشريه |
| ٢٤٨ | حتى نهاني ... تلکم المعصيه |
| ٢٤٨ | فلم أرق مذ ... يوما ولا مصبيه |
| ٢٤٨ | وها أنا الآن ... حرفتي المكديه |
| ٢٤٨ | أرب بكرة طال ... حتى عن الأهويه |
| ٢٤٨ | وهي على التعنيس ... الغانية المغنية |

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ٢٤٨ | وليس يكفيني ... بالدون الآميه |
| ٢٤٨ | واليد لا توكي ... والسماء مصحيه |
| ٢٤٨ | فهل معين لي ... بالقينة الملهية |
| ٢٤٨ | فيغسل الهم ... من أفكاره المضية |
| ٢٤٨ | ويقتني مني ... رياه مع الأدعية |
| ١٥ | على أنني راض ... لا علي ولا ليا |
| ٢٤٧ | أستغفر الله ... أثقلت ظهره |
| ٢٤٧ | يا قوم كم من ... الأوصاف في الأنديه |
| ٢٤٧ | قتلتها لا أتقي ... قوداً أو ديه |
| ٢٤٧ | وكلما استذبت ... بالذنب على الأفضيه |
| ٣٤٧ | وحافظ على ... النوى نوى |
| ٣٤٧ | وإن تقدر ... بالشوى شوى |
| ٣٤٧ | وإياك والشكوى ... ما ارعوى عوى |
| ٣٤٦ | بني استضم ... ما التوى |
| ٣٤٦ | ولا تطع الحرص ... بالطوى طوى |
| ٣٤٦ | وعاص الهوى ... الهوى هوى |
| ٣٤٦ | وأستعف ذوي ... انضوى ضوى |
| ٢١ | فكنت به أجلو ... ملتع الضيا |
| ٢١ | أرى قربه ... ومحياه لي حيا |



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع

الصفحة

- مقدمة المحقق ٥
- ترجمة صاحب المقامات ٥
- خطبة الكتاب ١١
- المقامة الأولى: الصنعانية ١٦
- المقامة الثانية: الحلوانية ٢٠
- المقامة الثالثة: الدينارية ٢٥
- المقامة الرابعة: الدمياطية ٣١
- المقامة الخامسة: الكوفية ٣٨
- المقامة السادسة: المراغية ٤٦
- المقامة السابعة: البرقعيدية ٥٣
- المقامة الثامنة: المعرية ٥٩
- المقامة التاسعة: الإسكندرية ٦٥
- المقامة العاشرة: الرحبية ٧٢

- ٧٨ ● المَقَامَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: السَّأْوِيَّةُ
- ٨٤ ● المَقَامَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: الدَّمَشْقِيَّةُ
- ٩٢ ● المَقَامَةُ الثَّلَاثَةَ عَشْرَةَ: البَغْدَادِيَّةُ
- ٩٧ ● المَقَامَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: المَكِّيَّةُ
- ١٠٢ ● المَقَامَةُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: الفَرَضِيَّةُ
- ١١٠ ● المَقَامَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: المَغْرِبِيَّةُ
- ١١٦ ● المَقَامَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الفَهْرِيَّةُ
- ١٢١ ● المَقَامَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: السَّنْجَارِيَّةُ
- ١٢٩ ● المَقَامَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: النَّصِيْبِيَّةُ
- ١٣٦ ● المَقَامَةُ العِشْرُونَ: الفَارِقِيَّةُ
- ١٤٠ ● المَقَامَةُ الحَادِيَةَ وَالْعِشْرُونَ: الرَّازِيَّةُ
- ١٤٥ ● المَقَامَةُ الثَّانِيَةَ وَالْعِشْرُونَ: الفُرَاتِيَّةُ
- ١٥٠ ● المَقَامَةُ الثَّلَاثَةَ وَالْعِشْرُونَ: الشَّعْرِيَّةُ
- ١٥٩ ● المَقَامَةُ الرَّابِعَةَ وَالْعِشْرُونَ: القَطِيعِيَّةُ
- ١٧٠ ● المَقَامَةُ الخَامِسَةَ وَالْعِشْرُونَ: الكَرْجِيَّةُ

- ١٧٥ • المَقَامَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: الرَّقْطَاءُ
- ١٨٢ • المَقَامَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْوَبْرِيَّةُ
- ١٩٣ • المَقَامَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: السَّمْرَقَنْدِيَّةُ
- ١٩٩ • المَقَامَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْوَأَسْطِيَّةُ
- ٢٠٨ • المَقَامَةُ الثَّلَاثُونَ: الصُّورِيَّةُ
- ٢١٤ • المَقَامَةُ الْحَادِيَّةُ وَالثَّلَاثُونَ: الرَّمْلِيَّةُ
- ٢٢١ • المَقَامَةُ الثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثُونَ: الطَّيْبِيَّةُ
- ٢٣٢ • المَقَامَةُ الثَّلَاثَةُ وَالثَّلَاثُونَ: التَّفْلِسِيَّةُ
- ٢٣٧ • المَقَامَةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الزَّبِيدِيَّةُ
- ٢٤٦ • المَقَامَةُ الْخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الشِّيرَازِيَّةُ
- ٢٥٠ • المَقَامَةُ السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الْمَلْطِيَّةُ
- ٢٦٠ • المَقَامَةُ السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الصَّعْدِيَّةُ
- ٢٦٦ • المَقَامَةُ الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الْمَرْوِيَّةُ
- ٢٧١ • المَقَامَةُ التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الْعُمَانِيَّةُ
- ٢٧٩ • المَقَامَةُ الْأَرْبَعُونَ: التَّبْرِيْزِيَّةُ

- المقامة الحادية والأربعون: التيسية ٢٩٠
- المقامة الثانية والأربعون: النجرانية ٢٩٦
- المقامة الثالثة والأربعون: البكرية ٣٠٣
- المقامة الرابعة والأربعون: الشتوية ٣١٤
- المقامة الخامسة والأربعون: الرملية ٣٢٧
- المقامة السادسة والأربعون: الحلبية ٣٣٢
- المقامة السابعة والأربعون: الحجرية ٣٤٤
- المقامة الثامنة والأربعون: الحرامية ٣٥٣
- المقامة التاسعة والأربعون: الساسانية ٣٦١
- المقامة الخمسون: البصرية ٣٦٧
- الفهارس ٣٧٩
- فهرس الآيات ٣٨١
- فهرس الأحاديث ٣٨٥
- فهرس الأماكن والقبائل ٣٨٧
- فهرس الأمثال ٣٨٩

الصفحة

الموضوع

٣٩١ فهرس الشعر.

٤٤٩ ● فِهْرِسُ الْكِتَابِ



دار الغد الجديد

للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة: ٧ شارع الزمرك خلف الجليل الأزهر
المنصورة: شارع الزمرك أمام جامع الأزهر
ش. فاكس: ٠٢٠١٤٨١٦ / ٢٠٢ - ٠٢٠١٢١٣٨٨
Email: dar.alghad@yahoo.com

ISBN 978-977-372-482-5



9 789773 724825 >